

مظاهر الحضارة في الإسلام

في عصر بني الأُمويين

تأليف

أ. د. أحمد محمد الطوخي

تقديم

أ. د. أحمد مختار العبادي

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

١٠ شارع الدكتور مصطفى مشرفة
الاستشرية ٤٨٩٤٧٩١٢٥



Bibliotheca Alexandrina



0110764

مظاهر الحضارة في الاتدلس في عصر بني الأحمر

تأليف

أ. د. أحمد محمد الطوخي

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

وعيد كلية الآداب بسوهاج

تقديم

أ. د. أحمد مختار العبادي

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٧

الناشر مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة

ت : ٤٨٣٩٤٧٢ إسكندرية



سُبْحَانَكَ

"سبحانك
لا علم لنا إلا ما
علمتنا إنك أنت
العليم الحكيم"

سُبْحَانَكَ

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير بقلم ..

الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى

قليلة جداً هي الممالك والدول التى حظيت بحب واهتمام البشرية فى العالم أجمع على مدى التاريخ . وأعتقد أن مملكة غرناطة الإسلامية فى شبه جزيرة ايبيريا ، كانت واحدة من تلك الدول التى استأثرت بعطف الناس وحبه فى كل زمان ومكان .

فإذا ذكر اسم غرناطة ، يسرح الخيال فى الحمراء La Alhambra بقصورها ، وأبهاتها وحدائقها ، وما روى عنها من قصص وحكايات تناقلتها الأجيال واختلط فيها الواقع بالخيال ، واشتهر من وحى إلهامها شعراء وأدباء وفنانون فى كل زمان ومكان .

وحسبى أن أشير إلى كتابات الوزير الغرناطى لسان الدين بن الخطيب ، وإلى تلميذه وخليفته شاعر الحمراء عبد الله بن زمرك (ق ١٤ م) وإلى الأديب الأسبانى بربث دى هيتا Perez de Hita (ق ١٦ م) فى كتابه عن الحروب الأهلية فى غرناطة، والأديب الفرنسى شاتوبريان Chateaubriand (ق ١٩ م) فى قصته عن مغامرات آخر بنى سراج ، والأديب الأمريكى واشنطن إيرفينج فى قصصه عن الحمراء، والموسيقار الأسبانى إسحاق ألبنث Isac Albéniz فى مقطوعاته الرائعة عن غرناطة وحي البيازين .. وكثيرين غيرهم .

وما أظن أن هناك دولة تمتعت بمثل هذه الشهرة والفن والإبداع مثل هذه الدولة الإسلامية الصغيرة ، دولة بنى الأحمر أو بنى نصر فى غرناطة فى الركن الجنوبى الشرقى الأسبانى .

وإذا طرحنا الخيال جانباً وانتقلنا إلى الواقع التاريخي ، نجد أن مملكة
غرناطة تمثل الفصل الختامي للتاريخ الحضارى الإسلامى فى أسبانيا الذى دام
حوالى ثمانية قرون .. وهذا ما قام به الأخ الكريم والمؤرخ النابه
الأستاذ الدكتور / أحمد محمد الطوخى - عميد كلية الآداب بسوهاج - بتقديمه
لهذا العمل العلمى القيم " مظاهر الحضارة فى مملكة غرناطة " ، بعد دراسة
مستوعبة ومستفيضة للمصادر العربية والأسبانية التى تناولت تاريخ وحضارة
مملكة غرناطة .

ولا يسعنى بمناسبة تقديم هذا الكتاب إلى الأمة العربية والإسلامية إلا أن أوجه
خالص الشكر إلى مؤلفه الصديق العزيز الأستاذ الدكتور / أحمد الطوخى
على ما بذله من جهد طويل فى سبيل إخراج هذا العمل العلمى المبتكر بهذه الصورة
المشرقة المشرقة .

الأسكندرية فى : ٢٠ / ١١ / ١٩٩٦ .

الأستاذ الدكتور
أحمد مختار العبادى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا يذكر تاريخ إسبانيا المسلمة ، إلا ويقفز الى الأذهان اسم غرناطة ، ويسرح الخيال فى الحمراء وعظمتها ، وما حيك حولها من أساطير وروايات تؤسر العقل وتغلب القلب .

ويقصد بالأندلس فى هذا العصر مملكة غرناطة التى تمثل آخر عهد المسلمين بالأندلس بعد أن تمزقت دولتهم هناك ، وسقطت مدنهم فى أيدي المسيحيين . وقد انحصر ملكها فى الركن الجنوبى الشرقى من شبه جزيرة أيبيريا ، حيث جبال البشرات وجبال شلير أو جبال الثلج التى كونت منها قلعة حصينة يسهل الدفاع عنها . لهذا كانت غرناطة هى الملجأ الطبيعى لمعظم المهاجرين الأندلسيين الذين فروا أو طردوا من بلادهم بعد سقوطها فى أيدي الإسبان .

ولا شك أن هذه العناصر المهاجرة قد أعطت لهذا الوطن الجديد كل خبراتها وسواعدها ، مما كان له أثر كبير فى ازدهار مملكة غرناطة ، وبقيائها فى مواجهة الإسبان أكثر من قرنين ونصف من الزمان .

ولقد قدر لغرناطة أن تحمل مشعل العلم والفن والمعرفة ، وهاجا ساطعا قويا ، بعد أن سقطت قواعد الأندلس التالدة مثل سر قسطة وطليطلة وقرطبة واشبيلية فى يد أعدائها من الإسبان وانطفأ منها نور العلم ، وخبت أضواء المعرفة ، بعد أن كانت مركز إشعاع لهما لا فى شبه الجزيرة الأيبيرية فحسب بل وفى كل القارة الأوربية ، يأتى إليها طلاب العلم من كل فج عميق ينهلون على يد فقهاءها وعلمائها شتى أنواع العلم وكل صنوف المعرفة .

ولقد واجهتنى العديد من المشكلات منذ بدأت البحث فى تاريخ غرناطة

الاسلامية وحضارتها فى عهد بنى نصر (أو بنى الاحمر) وكانت أولى تلك المشكلات وأهمهما قلة المصادر العربية التى تتناول هذه الفترة المتأخرة من التاريخ الأندلسى . وعليه فقد كان لابد لى من الاعتماد بقدر الامكان على المصادر الاسبانية التى تعيننى فى هذا البحث .

وقدر لى ان أقوم بزيارة أسبانيا خمس مرات ، تمكنت خلالها أن أقوم بجمع المادة العلمية من مصادرها الإسبانية والمخطوطات العربية التى تزخر بها المكتبات الإسبانية ، والاتصال بالمستشرقين الذين يعملون فى هذا الحقل ، واتيحت لى الفرصة ان أقوم بزيارة المدن والمواقع التى كانت مسرحا لمظاهر هذه الحضارة الغرناطية ، كما حصلت على دبلومين فى اللغة الاسبانية الأول من حلقة الدراسات الصيفية للغة الأسبانية التى عقدت بمدير صيف عام ١٩٧٣ . والثانى من جامعة غرناطة عام ١٩٧٥ الى جانب حصولى على دبلوم فى تلك اللغة من المركز الثقافى الاسبانى بالاسكندرية .

هذا وقد قسمت البحث الى مقدمة سياسية وأبواب أربعة

اما المقدمة السياسية فقد بدأتها بالحديث عن الموقف فى الأندلس بعد الهزيمة التى لقيها الموحدون فى موقعة العقاب التى أدت الى انهيار سلطانهم فى الأندلس وكيف وجدت الأندلس نفسها فى ظروف عصيبة : حرب أهلية طاحنة ضروس كادت تقضى على البقية الباقية من الأندلس بعد ان أصبحت شيعا وأحزابا متعادية متضاربة ، وسط عدو إسبانى مدجج بالسلاح ، فغراه لالتهام ما شاء له ان يلتهم من أراضى المسلمين فى الأندلس ، ثم تحدثت عن قيام الدولة النصرية وتوطيد أركانها على يد محمد الأول ومحمد الثانى الفقيه وكيف استطاعا التغلب على العقبات الداخلية والخارجية مثل مشكلة أصهارهما من بنى أشقيلولة الذين كانت تربطهم بالبيت الحاكم صلة النسب ثم ما لبثوا ان انقلبوا عليه وثاروا ضده ، ومشكلة المهاجرين الذين كانوا يفدون على غرناطة فى أعداد كبيرة من كل مدينة أندلسية

كانت تسقط فى يد الاسبان ، حتى ضاقت الأرض بهم على ما رحبت بما زاد من أعباء هذه المملكة الناشئة . وفى المجال الخارجى كانت هناك مشكلة الاسبان الذين وجدوا فى هذه الدولة الناشئة قوة يجب القضاء عليها ومن ثم دارت بينهما الحروب والمنازعات ، كانت غرناطة تستعين خلالها ببنى مرين ملوك فاس ليشدوا من ازرها ثم تحدثت عن العصر الذهبى لمملكة غرناطة فى عهد أبى الحجاج يوسف الأول ومحمد الخامس ، والمنشآت المدنية والحربية التى قاما بها مثل تأسيس المدرسة النصرية وتشيد الحصون والقلاع والكثير من التشييدات فى قصر الحمراء ، على انه بدأت بعد وفاة السلطان محمد الخامس فى عام ٧٩٣هـ / ١٣٩٣ م فترة من الضعف والاضمحلال حفلت بالحروب الأهلية . ولقد بلغ من اضطراب الأوضاع الداخلية فى مملكة غرناطة أنه قد تعاقب على عرشها خلال القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى اثنا عشر سلطانا ، ونتيجة للثورات المتكررة والانقلابات السياسية شهدت غرناطة اعتلاء هؤلاء السلاطين عشرين مرة بسبب عودة بعضهم الى العرش أكثر من مرة فى الوقت الذى عرفت فيه أسبانيا المسيحية نهضة حربية وسياسية كبرى ، وتوجت تلك النهضة بزواج الملك فرناندو الرابع ملك أراجون بإيسابيل ملكة قشتالة عام ١٤٦٩ ، واتحدت الدولتان بعد ان ظلتا فى نزاع وحروب مستمرة ، وكان هذا يعنى بداية النهاية للملكة غرناطة الإسلامية ، التى كان بقاؤها يعود فى الواقع الى حد كبير إلى استغلالها لهذا النزاع بين المملكتين . وسقطت غرناطة فى يد الملكين الكاثوليكين فى عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م .

أما الباب الأول فقد تحدثت فيه عن غرناطة : أرضها وشعبها .. وقسمته الى فصلين تحدثت فى الأول عن وصف الملكة وعن الآراء المختلفة حول اسم غرناطة وموقعها الجغرافى وأقسامها الإدارية وأنهارها وجبالها ومناخها ، ثم تحدثت عن غرناطة العاصمة وأبوابها وأرباضها وأحيائها والعمارة الدينية ثم العمارة المدنية مثل قصر الحمراء وقصر جنة العريف وقصر شنيل ، ثم تحدثت عن أهم مقابر غرناطة .

أما الفصل الثاني فقد خصصته للحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة ، تحدثت فيه عن الشعب الغرناطى وعناصره وكيف أنه لم يكن سوى استمرار للعنصر الأندلسى فى العصور الاسلامية السابقة ، وورث الأبناء عن الآباء حب الإنتماء الى القبائل العربية الارستقراطية حتى أننا لمجد بنى نصر أنفسهم يرجعون نسبهم الى سعد بن عبادة سيد الخروج وأحد أنصار النبى عليه الصلاة والسلام فى دار الهجرة. ولم يكن هذا شيئا غريبا فقد كان يتكرر فى كل الممالك التى كان يصيبها الضعف والوهن والانحلال .

غير اننا نلاحظ من دراسة الوثائق الأندلسية المتأخرة أن الشعب الغرناطى فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) كان شعبا أندلسيا أصيلا ، فأسماء كثير من الأشخاص التى تظهر فى تلك الوثائق لا تنم عن أصل عربى من قريب أو بعيد كذلك لا تدل ألقابهم على أصول مشرقية ، فلم يكن الغرناطى فى هذا العصر يحافظ على نسبه العربى ليثبت انه يرجع الى قريش او آية قبيلة عربية عريقة ، وإنما كان يقرر صراحة أنه يرجع الى أصل أندلسى . وهكذا نجد ألقابا أندلسية تنسب الى المدن والأقاليم فى تلك البلاد مثل الملقى نسبة الى مالقة ، والحامى نسبة الى الحامة .. وهكذا ثم تحدثت عن ملابس أهل غرناطة وكيف أنهم كانوا يميلون الى الأناقة فى الملبس ويستهبجون الابتذال فيه ، وقد تأثرت ملابسهم فى البداية بملابس البلاد المسيحية المجاورة ، ويحدثنا البسطى أنه قد شاهد محمد الأول بن الأحمر يوم دخوله غرناطة فى ٦٣٥ / ١٣٣٨ وهو يرتدى ملابس تشبه تلك التى كان يرتديها فلاحو قشتاله . ولما بدأت قوات الغزاة المغاربة فى العبور الى الأندلس تأثرت طرق الزى فى غرناطة بالأثر المغربى ثم ظهر التأثير المسيحى فى غرناطة من جديد فى خلال النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى (١٥م) . ولما كانت المصادر العربية لم تترك لنا وصفا شافيا لملابس الشعب الغرناطى ، فقط كان علينا الإستعانة بالمصادر الاسبانية وكتب الرحالة والرسوم الجدارية المعاصرة لمحاولة رسم صورة لتلك الملابس .

من هؤلاء الكتاب والرحالة نذكر الايطالى أندريا نافاجيرو ، والرحالة الألمانى كريستوف فيبىز والرحالة الألمانى خيرونيمو مونزر .

تم تحدثت عن الحلى وأدوات الجمال والزينة واهتمام الغرناطيين بها ، وتقدمهم فى هذا المضمار ، حتى أننا نجد أن الأدب الاسبانى فى القرن السادس عشر الميلادى كان يصور المواطن المسلم بشعر معصوب بإكليل من اللؤلؤ ، ونحر مزين بقلادة من الذهب وأصابع تحمل الخواتم ، ومعصم مزين بدمالج من الذهب .

ثم تحدثت عن الأطعمة والأشربة فى مملكة غرناطة ، وكيف أن الطعام الغرناطى كان مستمداً من التقاليد الخاصة بالطعام الأندلسى .

أما المرأة الغرناطية فقد تأثرت حياتها الاجتماعية بدرجة كبيرة بالشعوب الاسبانية المسيحية بحكم الجوار والاتصال . فنرى أن كثيراً من العادات والتقاليد المسيحية قد انتقلت الى غرناطة فعلى سبيل المثال ، نجد أن المرأة الغرناطية قد تمتعت بالحرية الى حد ما ، فكان يسمح لها بالحضور الى الحمامات العامة ، وزيارة الصديقات والخروج الى الأسواق دون أن يصحبها أحد ، كما لم يكن لهن اهتمام كبير بارتداء الحجاب و تمتعت المرأة الغرناطية بمركز مرموق فى الوسط الأدبى والعلمى والاجتماعى .

ثم تناولت الحديث عن أهم العادات والتقاليد لدى الشعب الغرناطى ، مثل تعصب الغرناطى لبلده ، ومحافظة على العادات الموروثة ، واهتمامهم بتطبيق احكام الشرع والتزام مبادئه ، واحتياطهم وتدبيرهم فى المعاش ، وتعاطيهم الخمر والحشيش ثم اهتمامهم بالنظافة ، وإقامة الحمامات .

ثم تحدثت عن المنزل الغرناطى ، وصغر حجرة ،حتى أن الرحالة الألمانى خيرونيمو مونزر يشبه منازل غرناطة ، بأعشاش الطيور ، ويذكر انها كانت مهدمة من الخارج جميلة نظيفة من الداخل ، تتميز بالبساطة فى الأثاث .

ثم تحدثت عن اللهجة الغرناطية ، وذكرت أنه كان يوجد الى جانب اللغة العربية الفصحى التى كانت تستعمل فى تحرير المراسلات الرسمية والظواهر السلطانية وفى قرض الشعر وصياغة النثر لهجة عربية تأثرت باللغات المستخدمة فى شبه الجزيرة الأيبيرية واللهجات المغربية .

ثم تحدثت عن الأعياد الدينية والدنيوية فى مملكة غرناطة التى كانوا يحتفلون بها بطرق مختلفة تذكر منها الفروسية والخروج الى الحدائق ومصارعة الثيران والصيد والموسيقى والرقص والغناء ، وتعاطى الحشيش والخمر .

ثم تحدثت عن أهل الذمة من اليهود والمسيحيين ووضعهم فى غرناطة .

اما الباب الثاني فقد خصصته لنظم الحكم والادارة فى مملكة غرناطة ، تحدثت فيه عن السلطان وتنصيبه ، وشارات الملك وألقابه وعلاماته ، ومهام السلطان وحياته الخاصة وأوضاعه المالية . ثم الوزير ، وطريقة اختياره ، ومهامه ، واختصاصاته . والكاتب وأهميته فى مملكة غرناطة . والدواوين . والقضاء الذى كان يجرى على المذهب المالكي ، وقاضى الجماعة ، والشهود العدول . والحسبة وأهميتها وانتقالها الى الجانب الاسبانى باسمها ومدلولها ، والشرطة ومهامها وانواع العقاب ونظام الإدارة فى الأقاليم . ثم تحدثت عن الحياة الحربية فى مملكة غرناطة ، وبينت كيف كان لوقوع المملكة بين ثلاث دول مسيحية هى : قشتالة وأراجون والبرتغال ، أثر كبير فى جعل الشعب الغرناطى شعبا محاربا ، بالدرجة الأولى . حتى أن الأطفال - على حد قول ابن الخطيب - "كانت تدرب على العمل بالسلاح وتعلم المثاقفة ، كما يعلم القرآن فى الألواح " . ثم تحدثت عن التحصينات والمنشآت الدفاعية والجيش وعناصره ، والغزاة المغاربة ، وفرق الجيش المساعدة مثل الشعراء والوعاظ والجواسيس والأدلاء ، وملابس الجند وأسلحتهم وخططهم الحربية والبحرية وأهميتها فى مملكة غرناطة للدفاع ونقل الجنود والذخيرة والسلع ، وأهم أسلحة الأسطول وملابس رجاله وقادته وحركة الرباط الساحلى للجهاد فى سبيل الله ضد الاعداء .

اما الباب الثالث فقد خصصته للحياة الاقتصادية نى مملكة غرناطة ، وبدأت بغلاء المعيشة فى تلك المملكة وأسبابه ، ثم عرضت لمستوى المعيشة والأسعار وبينت كيف كانت هذه الأسعار تزيد يوما بعد يوم نظرا لوعورة أراضى المملكة وامتلأتها بالمهاجرين الذين كانوا يلجأون اليها من المدن والقواعد الأندلسية الأخرى التى كانت تسقط فى يد الإسبان ، ونتيجة للصراع المحتدم بين غرناطة وإسبانيا المسيحية وما كان يمثل من عبء كبير على المملكة ، بالاضافة الى التزامها بدفع جزية ثقيلة الى قشتالة ، تذكر بعض المصادر أنها كانت تمثل نصف دخل المملكة .

ثم تحدثت عن الادارة المالية ، وكيف كان بعض السلاطين يباشرون الأوضاع المالية بأنفسهم . ثم ذكرت صاحب الأشغال الخراجية ، والوكيل ، وكاتب الزمام أو كاتب الجبهة ومتولى الخفارة والمشرف وخدام الجباية ، كما أنه باستقراء الأحداث التاريخية ودراستها فى غرناطة . نجد أن الوزراء العظام كان لهم اشراف على الشئون المالية واختصاص بمعرفتها .

اما بخصوص الضرائب فقد قسمتها الى ضرائب شرعية نص عليها فى القرآن او ورد ذكرها فى السنة مثل الزكاة والضريبة على الأراضى الزراعية والعشور . وضرائب غير شرعية كانت تفرضها ظروف الحياة فى المملكة فقد أدرك الشعب أنه لابد من وجود أموال كافية لدى الدولة لتكوين جيش يزود عن حياضه واقامة تنظيمات ادارية ودفع رواتب الموظفين وأداء الجزية الى قشتالة . ومن هذا المنطلق كان سلاطين غرناطة يمكنهم إقناع الفقهاء بوضع الفتاوى التى تحلل جباية هذه الضرائب غير الشرعية من الشعب . غير أنه وأن كانت المصادر الاسلامية للأسف لم تحتفظ لنا بأسماء الكثير من تلك الضرائب وقيمتها فقد احتفظ الملكان الكاثوليكيان بعد سقوط غرناطة بنفس تلك الضرائب التى كانت معروفة فى غرناطة الإسلامية . كما ابقوا على اسمائها مع تحريف بسيط . من هنا فقد أمكننا الاستعانة بهذه المسميات لرسم صورة للضرائب فى غرناطة .

ثم تناولت الحديث عن سكة غرناطة ، وذكرت أنه كان لديهم الدرهم الفضى الذى كان يضرب على النمط الموحدى المربع ، والدينار الذهبى . وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) يظهر الدينار الغرناطى فى أشكال ثلاثة . الدينار الذهبى والدينار الفضى والدينار العينى من النحاس . وتختلف قيمة كل واحد منها عن الآخر وقد قام السلطان أبو الحسن على فى هذا القرن بضرب دنائير من الفضة ، والنحاس والبرونز لها قيمة الدنائير الذهبية مما دفع بالبعض الى الاعتقاد بأنها كانت دنائير مزيفة ضريت من هذه المعادن ثم تغطس فى حمام من الذهب إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أنها كانت دنائير صحيحة كانت تتداول بقيم شرعية ، وأن كانت تعتبر دون الذهبية فى القدر ، كما هو الحال الآن فى عملتنا الورقية . وقد أجاز الفقهاء ذلك . وفى الأيام الأخيرة من المملكة النصرية كان الغرناطيون يتداولون العملات الاسبانية بصفة عادية .

ثم تحدثت عن الحركة التجارية الداخلية والخارجية فى مملكة غرناطة وعوامل أزدهارها وتقدمها وكيف أشتهر أهل غرناطة بحسن معاملتهم حتى صار أهلها موضع ثقة جميع تجار البلاد التى كانت تتعامل معهم ، حتى قيل فى هذا الصدد ان كلمة الغرناطى كانت أكثر ضمانا من عقد مكتوب . وعرضت لدور التجار المسيحيين فى الحركة التجارية فى المملكة والعلاقات التجارية بين غرناطة والدول المعاصرة مثل أراجون وقشتالة والمدن الايطالية التى لعب تجارها دورا مؤثرا ومهما فى الإقتصاد الغرناطى .

اما الزراعة فقد أحرز فيها الشعب الغرناطى تقدما هائلا وساعد على ذلك خصوبة التربة وملائمة المناخ ووفرة مياه الأنهار والأمطار ونشاط الشعب وذكائه وتوصله الى معرفة أحوال الطقس وتمكنهم من وضع الكثير من المؤلفات والتقاويم عن الزراعة ومواعيدها . ثم تحدثت عن أنواع الملكية الزراعية وأهم المنتجات الزراعية . والرعى وتربية الحيوان سواء بغرض الحصول على اللحوم والألبان مثل البقر والضأن والطيور المنزلية . أو لنقل الانتقال ، وخدمة الحركة التجارية مثل البغال

. ثم كانت هناك تربية النحل و دود القز وصيد السمك من سواحل المملكة الطويلة الغنية بالأسماك حتى تذكر المصادر أنه فى بعض المناطق كان " حوت هذا السواحل أغزر من رمله " .

اما الصناعة فقد احتفظت غرناطة بالكثير من الصناعات الأندلسية التقليدية القديمة وساعدها على ذلك توفر المواد الخام من معادن وأخشاب ونباتات وأعشاب طبية وحرير . وكانت أهم الصناعات فى المملكة صناعة النسيج التى ظلت مزدهرة بها حتى القرن التاسع الهجرى (١٥م) . وانتقلت منها الى الممالك الأسبانية المسيحية والدولة البيزنطية . وصناعة الأبسطة والسجاد ، والصناعات الجلدية والأوانى الفخارية والخزف والزجاج وصناعة الأسلحة والتطعيم والصناعات المعدنية والغذائية .

اما الباب الرابع والأخير فقد خصصته للحياة الفكرية فى مملكة غرناطة فبدأته بالحديث عن إهتمام أهل الأندلس بالعلم . ونظام التعليم ومناهج الدراسة وبرامجها . وأوردت نصا طريفا ورد فى مقدمة ابن خلدون يشير الى أن غرناطة قد عرفت الطريقة التربوية التى يطلق عليها علماء التربية " الجشتالت " وهى التى يبدأ فيها فى الهجاء برسم الكلمات والجمل قبل الحروف ، أى الانتقال من الكل الى الجزء .

ثم تحدثت عن أثر غلاء المعيشة فى غرناطة فى انصراف الناس الى معاشهم وكيف دفع هذا الغلاء الى هجرة العلماء والطلبة الى البلاد الأخرى ولا سيما مصر حيث المساجد الكثير المزودة بالأروقة لاقامة الطلبة الغرباء ، علاوة على الجرايات والمنح التى كانت تصرف لهم لمساعدتهم بالاضافة الى رخص المعيشة فى مصر الملوكية التى أخذت تتبوأ مركز الصدارة فى العالم الاسلامى آنذاك بعد انتصارها على الخطر الصليبي ممثلا فى حملة لويس التاسع على دمياط عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م

وكذلك على الخطر المغولى فى موقعة عين جالوت فى عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م وذكرت
أهم العلماء الذين رحلوا الى مصر فى هذا العصر .

كما عرضت للعلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس والأثر الغرناطى فى الحضارة
المرينية ، والعلاقات الثقافية بين غرناطة والدولة الحفصية فى تونس والدولة الزيانية
فى تلمسان ، وأهم العلماء فى كل فرع منها مثل علوم الدين وعلوم اللغة والادب
والعلوم الاجتماعية والعقلية .

وفى النهاية لا يسعنى الا ان أتوجه بعظيم الشكر والعرفان الى أستاذى الجليل
الدكتور أحمد مختار العبادى ، فقد كان لسيادته الفضل الاكبر فى تشجيعى ، كما
فتح لى سيادته باب مكتبته العامرة وأمدنى بما احتاجه منها ، كما زودنى سيادته
بنصائحه وتوجيهاته ومؤلفاته الخاصة ، ولم يبخل على بوقت أو جهد على الرغم من
كثرة مشاغل سيادته يعيننى على فهم نص غمض على معناه أو ترجمة آخر صعب
على فهمه . فجزاه الله عنى وعن العلم خير الجزاء .

دراسة حول مصادر ومراجع البحث

تعددت مصادر البحث ومراجعها ما بين معاصر او شبه معاصر ومراجع حديثة .
وفيما يلي عرض لاهم المصادر والمراجع التي رجعت اليها مرتبة بحسب اهمية ما ورد
بها من اخبار خاصة بهذا البحث .

١- الوثائق الرسمية :

تعتبر الوثائق الرسمية من أهم مصادر دراسة التاريخ وقد رجعت الى عدد كبير
منها مثل كتاب " الوثائق العربية الدبلوماسية في ارشيف تاج أراجون " (١) التي
جمعها ألكون ولينارس . و " تاج أراجون وغرناطة " (٢) التي جمعها اندرس
خيمينيث سولر . وكتاب " وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع (٣) للمستشرق
الاسباني الراحل لويس سيكودي لوثينا . وكتاب " المراسلات الدبلوماسية بين
غرناطة وفاس في القرن الرابع عشر (٤) لجسبارريميرو وقد جمعها من مخطوطة
ويحانه الكتاب ونجعة المنتخب لابن الخطيب (٥) ، وتتناول العلاقات بين الدولتين
في هذه الفترة المهمة من حياة مملكة غرناطة . وكتاب " وثائق عربية من البلاط
النصرى الغرناطى " (٦) لجسبارريميرو كذلك . و " وثائق عربية زناتية " من
ق١٢-١٥ لآنخل جونثالث بالنثيا (٧) وكتاب " احباس مساجد مدينة غرناطة

(١) Alarcon y linares : Los Documentos arabes diplomaticos del Archivo de la Corona de Aragon (Madrid - Granada 1940 .

(٢) Gimenes Soler, Andres : La Corona de Aragon y Granada (B. A. B. L. B.) 1905 - 1908 .

(٣) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطة من القرن التاسع (مريد ١٩٦١) .

(٤) Gaspar Remiro, M. : C orrespondencia diplomatica entre Granada Y Fez en el Siglo XIV (Granada 1916) .

(٥) مخطوط الاسكوريال رقم ١٨٢٥ .

(٦) Gaspar Remiro, M. : Documentos Arabes de la Corte Nazari De: انظر Granada (Madrid 1911) .

(٧) Ángel Gonzales Palencia : Documentos Árabes Del Cenete siglos XII-XV (Al Andalus Vol V 1940 fasc 2, pp 301-382.

وقراها (١) بالإضافة الى بعض الوثائق التى نشرت كملاحق فى نهاية بعض الكتب والابحاث نذكر منها : تلك الوثائق التى ألحقها ايزابيل البارث دى ثينفويحوس كامبوس فى دراستها " حول الاقتصاد فى مملكة غرناطة النصرىة " (٢)

لدينا كذبك الكتب التى اهتمت بجمع النقوش الجدارية وشواهد القبور وقد رجعت الى بعض منها مثل : جسبار ريمىرو " نقوش الحمراء (٣) وليفى بروفنسال « النقوش العربىة فى أسبانيا » (٤).

بالإضافة الى الزيارات الميدانية للآثار الباقىة من عهد بنى نصر فى غرناطة وما حولها.

٢- كتب الرحلة :

كذلك فقد افدت فائدة كبرى من كتب الرحالة الذين قاموا بزيارة غرناطة ورأوا عن كثب شعبها وتركوا لنا اوصافا جميلة لملاسه واعياده واحتفالاته وعاداته وتقاليده. من هؤلاء الرحالة نذكر ابن بطوطة (٧٧٩هـ/١٣٧٨م) (٥)، الذى قام

(١) Ma de Carem Villanueva Rico: Habices de las Mezquitas de la Cuidad de Granada y sus Alquerias (Madrid 1961).

(٢) Isabel Alvarez de Cienfeigos Campos: Sobre la economia en el Reino Nasri Granadino (M. E. A. H.) Vol. VII, 1058 fasc I.

(٣) Gaspar Remiro, M.: Las Inscripciones de la Alhambra (Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino ano I, núm I, Granada 1911.

(٤) E. Levi Provencal: Inscriptions Arabes D'Espagne (Leyde - Paris 1931).

(٥) Defremery et San- تحفة النظر فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار نشر وترجمة: guienti (Paris 1922).

بزيارة غرناطة عام ٧٥٢هـ / ١٣٥١م وقضى بها ما يقرب من عام وترك لنا وصفا قيما لزوايا المدينة وأربطة الصوفية بها كما وصف فاكهة المملكة وصناعاتها والظروف السياسية التي كانت تعيشها مملكة غرناطة في ذلك العصر. وهناك الرحالة المصرى عبد الباسط (١) والرحالة الالماني خيرونيمو مونزر Münzer (٢) الذى زار غرناطة عام ١٤٩٤م بعد سقوطها بعامين فى يد الملكين الكاثوليكين. والرحالة الايطالى اندريا نافاجيرو (٣) الذى زار اسبانيا عام ١٥٢٦. والرحالة الالماني كريستوف فييتز الذى زار غرناطة عام ١٥٢٩ (٤)، وغيرهم .

٣- المصادر المعاصرة وشبه المعاصرة :

نما لا شك فيه ان اعظم المصادر لدراسة تاريخ مملكة غرناطة فى تلك الحقبة المتأخرة من تاريخ الاندلس هى المؤلفات والاشعار والمنظومات والاراجيز المتعددة التى كتبها الوزير والمؤرخ الغرناطى لسان الدين بن الخطيب (٧١٣-٧٧٦هـ / ١٣١٣-١٣٧٤م) فهذه المؤلفات لاهميتها العلمية ولقلة المصادر الاخرى المعاصرة تعتبر مصدرا اساسيا لكل ما نعرفه عن تاريخ وحضارة المغرب والاندلس فى تلك

(١) انظر رحلته في : G. Levi Della Vida: II Regno Di Granata Mel 1465-66 Nei Ricordi Di un Viaggiatore Egiziano. (A. Andalus Vol. I, fasc 2 1933 pp 307.

(٢) انظر : Jeronimo Münzer: Viaje por Espana y Portugal (B. R. A. H.) t. LXXXIV, 1924.

(٣) Andrea Navagero: Viaje a Espana Del Magnifico Senor Andres Navagero (1524-1526) Trad. José María Alonso Gamo (Valencia 1951).

(٤) انظر : Christoph Weiditz: Das Trachtenbuch von Seinen Reisen nach Spanien (1529).

الفترة. كذلك كان لتولى ابن الخطيب منصب الوزارة فى عهد ابى الحجاج يوسف الاول وابنه محمد الخامس الغنى بالله اعظم الاثر فيما وضعه من مؤلفات . كذلك اتاح له منصبه كوزير فرصة الاطلاع على الوثائق والمراسلات الرسمية المحفوظة بقصر الحمراء واستخدام مادتها فى مؤلفاته التاريخية .

ومن اهم هذه المؤلفات كتابه المعروف باسم الاحاطة فى اخبار غرناطة (١) وهو عبارة عن تراجم للملك وامراء وعلماء غرناطة وجميع الذين وفدوا عليها من المغرب والمشرق. ويذكر ابن الخطيب ان حبه لوطنه غرناطة هو الذى دفعه الى تأليف كتاب الاحاطة فى اخبار غرناطة، كما فعل ابن عساكر فى تاريخ دمشق، والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ، وابن عبد الحكم فى تاريخ مصر.

وقد افادنى هذا الكتاب فائدة كبيرة نظرا لما يحتويه من معلومات وسير وأخبار مهمة لا ترد فى الكتب الاخرى. فقد ذكر ابن الخطيب موقع غرناطة ووصفها وميزاتها وسبب تسميتها بهذا الاسم، ثم لمع من اخبارها وتاريخها وتراجم لرجالها، ومن وفد عليها، مما امدنى بمادة غزيرة سواء فى الجانب السياسى او الجانب الحضارى.

ومن مؤلفات لسان الدين بن الخطيب التى افادتني فى موضوع رسالتى أيضا نذكر كتاب «اللمحة البدرية» الذى يتحدث فيه عن مملكة غرناطة وصفات اهلها وعاداتهم وتاريخ ملوكها، ومن عاصرهم من ملوك الدول المجاورة وأهم الأحداث فى عهدهم ، وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة عام ١٣٤٧هـ .

وهناك ايضا كتاب «مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس» وهو عنوان اطلقه ناشره الاستاذ الدكتور احمد مختار العبادى على

(١) نشره الأستاذ محمد عبد الله عنان فى أربعة أجزاء (القاهرة ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧).

مجموعة من رسائل ابن الخطيب رضى :

١- خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف .

٢- مفاخرات مالقة وسلا .

٣- معيار الاختبار فى ذكر المعاهد والديار .

٤- رحلة ابن الخطيب فى بلاد المغرب من كتاب نفاضة الجراب فى غلالة الاغتراب وقد افادنى هذا الكتاب كثيرا فى دراسة الاحوال الاقتصادية فى مملكة غرناطة . ولاهن الخطيب ايضا كتاب «الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه من شعراء المائة الثامنة» نشره الدكتور احسان عباس (بيروت ١٩٦٤) وقد افادنى كثيرا فى دراسة الحياة الفكرية فى غرناطة .

وهناك ايضا «اعمال الاعلام فيمن بويح قبل الاحتلال من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام» وهو تاريخ عام للاسلام ويتضمن ثلاثة اقسام: قسم خاص بتاريخ المشرق الاسلامى لا يزال مخطوطا ، وقسم خاص بتاريخ اسبانيا الاسلامية والمسيحية نشره المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال، وقسم ثالث خاص بتاريخ المغرب نشره الاستاذان الدكتور احمد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكتانى. وقد افادنى هذا الكتاب وخاصة القسم الخاص بتاريخ اسبانيا. وهو عبارة عن تاريخ عام للاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى عصر المؤلف فى ق ٨ الهجرى كما أنه يحتوى على مختصر لتاريخ الممالك الاسبانية المسيحية المعاصرة مثل قشتالة واراغون والبرتغال .

ومن مؤلفات ابن الخطيب التى رجعت اليها ايضا كتاب «نفاضة الجراب فى غلالة الاغتراب» وهو يصور حياة ابن الخطيب فى فترة نفيه الى المغرب وقد ذكر فيه مشاهداته فى تلك البلاد ، واحداثها السياسية. وقد قام الاستاذ الدكتور احمد مختار العبادى بنشره (القاهرة ١٩٦٧) حيث زوده بالكثير من الحواشى والتحقيقات

والدراسات القيمة التي أفدت منها كثيرا في هذه الرسالة وخاصة في دراسة العلاقات بين غرناطة وفاس .

وهناك أيضا كتاب «كناسة الدكان بعد انتقال السكان» ويشتمل على مجموعة من الرسائل السلطانية على لسان سلطان غرناطة موجهة الى سلطان فاس. من املاء لسان الدين بن الخطيب ، ومنها يستطيع المؤرخ ان يتتبع التغيرات الدبلوماسية للسياسة الغرناطية وتطور العلاقات بين غرناطة وفاس، وقد نشره الدكتور محمد كمال شبانة (القاهرة ١٩٦٦).

كذلك فقد اصدر الدكتور محمد الشريف قاهر ديوان ابن الخطيب المسمى «الصيب والجهام والماضي والكهام» وقد افدت منه كثيرا في دراسة بعض جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية في المملكة .

واخيرا نذكر لابن الخطيب الرجز المسمى «برقم الحلل في نظم الدول» ويتناول تاريخ الدول الاسلامية ومن بينها مملكة غرناطة ، وهذا الكتاب طبع في تونس، وكثير من المؤرخين يخلطون بينه وبين كتاب الحلل المرقومة في اللمع المنظومة وهو كتاب اخر لابن الخطيب عبارة عن ارجوزة من الف بيت في اصول الفقه (١).

ومن المصادر التي افادتني فائدة كبرى في هذه الرسالة الكتب التي وضعها عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ-١٣٣٢-١٤٠٦م) وان كان ابن خلدون قد ولد في تونس فانه يعود الى اصل أندلسي ، وترجع اهمية كتاباته الى انه كان شاهد عيان لاحداث ذلك العصر فقد سافر الى الأندلس في عام ٧٦٤هـ/١٣٦٣م في مهمة رسمية تتعلق بالعلاقات بين المغرب وقشتالة حيث التقى بملكها بدرو القاسي في اشبيلية مقر اجداده وعرض عليه الملك الأسباني ان يبقى هناك وان يرد عليه كل

(١) راجع : د. احمد مختار العبادي : مؤلفات لسان الدين بن الخطيب في المغرب في مجلة Hes- périss 3-4 Trimestres Année 1959

املاك اسرته، ولكنه اعتذر - ورحل الى غرناطة وبقي هناك فترة التقى خلالها بصديقه ابن الخطيب. ومن اهم الكتب التى صنفها ابن خلدون كتاب : «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر» (طبع هذا الكتاب فى سبعة اجزاء بالقاهرة (عام ١٢٨٤هـ) وقد افدت كثيرا منه وخاصة فى الجزء الاول المعروف بالمقدمة ، (قام بنشرها الاستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى فى أربعة اجزاء) ، واستفدت كثيرا من هذه المقدمة فى دراسة خطط غرناطة من وزارة وقضاء وشرطة وحسبة ... الخ. اما الجزء الرابع والسابع فقد خصص فيهما ابن خلدون اجزاء طويلة للحديث عن تاريخ اسرة بنى نصر وعلاقتها بدول المغرب.

هذا وقد ترجم المستشرق الفرنسى Guadefroy - Demombynes الجزء الخاص ببنى الاحمر الى الفرنسية واسماه «تاريخ بنى الاحمر ملوك غرناطة (١) ولابن خلدون كذلك كتاب بعنوان «التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا» يتضمن اخباره ورحلاته الى المشرق والمغرب. نشره الاستاذ محمد بن تاويت الطنجى (القاهرة ١٩٥١) وقد افادنى فائدة كبيرة فى ربط الاحداث التاريخية فى العالم الاسلامى شرقا وغربا فضلا عن معلوماته المفيدة عن المدن الغرناطية وتحديد مواقعها .

كذلك نشير الى اخيه يحيى بن خلدون الذى عاش فى كنف بنى عبد الواد بتلمسان والى فى تاريخهم كتاباً بعنوان «بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد» نشره الفريد بل. وقد افادنى هذا الكتاب فى دراسة العلاقات السياسية والادبية بين غرناطة وتلمسان فى عهد بنى عبد الواد .

كما افدت كثيرا من مؤلفات الامير النصرى اسماعيل بن الاحمر

M. Gaudefroy - demonbynes : Histoire des Benou L'Ahmar, rois (١) de Grenade, (Journal Asiatique, 9^e serie, t. XII Paris 1898).

(ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) نذكر منها «نشير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان» الذى ضمنه اشعارا لبعض سلاطين بنى الاحمر ووزرائهم فى جزء منه. وقد نشره د. محمد رضوان الدايدة (بيروت ١٩٦٧). وكتاب «مستودع العلامة» الذى رجعت اليه فى الفصل الخاص بنظم الحكم.

ثم هناك كتاب «نزهة البصائر والابصار» (١) للقاضى ابنى الحسن النباهى يتناول فيه تاريخ اسرة بنى نصر، وقد نشره المستشرق الالماني جوزيف مولر فى كتابه المعروف باسم «نخب من تاريخ المغرب» (٢). وله ايضا «كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» المعروف بتاريخ قضاة الاندلس، نشره المستشرق الفرنسى بروفنسال (القاهرة ١٩٤٨) وقد أفادنى كثيرا وخاصة فى الفصول الخاصة بالقضاء والحسبة والحياة الاجتماعية والاقتصادية.

كما رجعت الى كتاب الحلة السيرة لابن الابرار (ت ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م) والحلة السيرة تعنى الثوب المخطط كناية عما به من ادب وشعر وتاريخ. وقد تناول فيه اخبار المغرب والاندلس منذ عهد الفتح الاسلامى الى منتصف القرن السابع الهجرى. وقد رجعت الى الطبعة التى حققها الدكتور حسين مؤنس فى جزأين (القاهرة ١٩٦٣) وهى مزودة بكثير من الدراسات والتحقيقات التى أفدت منها فى الاحداث التى سبقت قيام مملكة غرناطة.

كذلك كان من الكتب التى استخدمت مادتها فى هذه الرسالة كتاب «الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» المنسوب الى ابنى العباس احمد بن ابنى زرع (ت فى النصف الاول من ق ٨ هـ / ١٤ م) والكتاب

(١) مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٥٣.

(٢) انظر: Beitrage Zur geschichte Der Westlichen Araber (Munchen: 1866).

يتناول تاريخ المغرب الاقصى من سنة ١٤٥هـ الى سنة ٧٢٦هـ اى أنه يشتمل على تاريخ الأدارسة ودولة زناتة ثم دولتى المرابطين والموحدين ، واخيرا دولة بنى مرين ، وقد رجعت الى طبعة فاس سنة ١٣٠٥هـ واستفدت من الكتاب فى دراسة العلاقات بين مملكتى ، غرناطة وفاس وتطورها .

ومن المصادر المهمة التى رجعت اليها ايضا كتاب «البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب» لأبى العباس احمد بن عذارى المراكشى (كان حيا سنة ٧١٢هـ) وهو تاريخ عام للمغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى بداية عصر بنى مرين ويقع فى عدة اجزاء رجعت الى الجزء الثالث منها الذى نشره امبروسى اويشى ميراندا ومحمد بن تاويت الطنجى ومحمد ابراهيم الكتانى (تطوان ١٩٦٠) ويتحدث عن تاريخ الموحدين وقد اسهب المؤلف فى ذكر دولة الموحدين والدويلات التى قامت على انقاضها بعد هزيمة العقاب ومنها دولة بنى الاحمر فى غرناطة.

ثم هناك كتاب «المغرب فى حلى المغرب» لابن سعييد المغربى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٧٤م) وهو كتاب تضافرت على كتابته اسرة غرناطية من المؤرخين هى اسرة بنى سعيد فى مدة استغرقت مايزيد عن مائة عام وكان ابو الحسن على هذا هو اخر افراد هذه الاسرة الذى اكمل هذا الكتاب واخرجه فى صورته النهائية وقد نشر الدكتور شوقى ضيف بعض اجزاء من المغرب فى حلى المغرب بنفس العنوان فى مجموعة «ذخائر العرب» ، وترجع اهمية كتب ابن سعييد الى انه كان معاصراً للاحداث ، وقد استفدت منه كثيراً فى وصف مدن مملكة غرناطة وفى تراجم رجالها من سياسيين وادباء وغيرهم.

ولابن سعييد كذلك كتاب يسمى اختصار القدر المعلى فى التاريخ المحلى .».

اختصره ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل وقام الاستاذ ابراهيم الابيارى بتحقيقه (القاهرة ١٩٥٩) وقد افادنى هذا الكتاب فى الجانب السياسى.

(٤) الموسوعات :

ومن الموسوعات المهمة التى امدتنى بالكثير من المعلومات كتاب «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» لاجمى المقري (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) وعلى الرغم من ان الكتاب غير منظم فى سرد المعلومات الا أنه يعتبر من أهم المصادر فى تاريخ المغرب والاندلس اذ احتفظ لنا بالكثير من النصوص التى فقدت اصولها. وقد رجعت الى طبعة الشيخ محى الدين عبد الحميد فى عشرة اجزاء وقد افادنى كثيرا فى كل فصول الرسالة.

ومن الكتب التى وضعها المقري ايضا وافدت منها كثيرا كتاب «ازهار الرياض فى اخبار القاضى عياض» وقد توفى القاضى عياض موضوع هذا الكتاب (عام ٥٤٤هـ) وكان قاضيا لمدينة سبتة على عهد المرابطين . غير ان المقري لم يقصر الكتاب على اخبار القاضى عياض فقط بل تناول احداثا مهمة فى الاندلس لم ترد فى كتابه الآخر نفح الطيب.

ومن الموسوعات العامة التى رجعت اليها كذلك كتاب «صبح الاعشى فى صناعة الانشا» لابي العباس احمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، والكتاب كما هو واضح من عنوانه يتحدث عن صناعة الانشا والمراسلات السلطانية ، وقد تضمن اخبارا مهمة عن غرناطة نقل معظمها عن العمرى كما وصف لنا الطريقة التى كانت تتبع فى ديوان الانشاء فى غرناطة، والكتاب يقع فى اربعة عشر جزءا (مجموعة تراثنا بالقاهرة).

٥- الكتب الجغرافية :

من الكتب الجغرافية التى افادتنى كثيرا فى هذه الرسالة كتاب «المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس» عن «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» للشريف الادريسي (ت ١١٥٤هـ / ١١٥٤م) وعلى الرغم من ان هذا الكتاب يرجع الى فترة

متقدمة عن موضوع دراستى الا انه قد احتفظ لنا بالكثير من المادة الجغرافية الخاصة بغرناطة وقد نشره دوزى ودى خوية (ليدن ١٨٦٦). وكتاب «معجم البلدان فى معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر فى كل مكان» لياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) وهو مرتب على حروف المعجم ويقع فى ثمانية اجزاء فى اربعة مجلدات (القاهرة ١٩٠٦) و «مراسد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع» للبغدادى (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) القاهرة ١٩٥٤، وكتاب مسالك الأبصار فى ممالك الامصار» لابن فضل الله العمرى «ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م» وقد احتفظ لنا بالكثير من اخبار الزراعة والصناعة والمعلومات الجغرافية عن مملكة غرناطة. وقد نشر الجزء الخاص بافريقية والمغرب والاندلس الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب بتونس^(١). وكذلك كتاب «الروض المعطار فى خبر الاقطار» للحميرى (ت فى اواخر القرن التاسع الهجرى» وقد امدنا بالكثير من المعلومات عن غرناطة العاصمة ومدن المملكة وقراها. (نشر المستشرق ليفى بروفنسال - القاهرة ١٩٣٧).

٦- المراجع العربية الحديثة :

اما المراجع العربية الحديثة فهي كثيرة ومتنوعة وبأتى فى مقدمتها بلا شك الكتب والبحوث القيمة التى وضعها اساتذتى الذين تخصصوا فى هذا الميدان امثال: الاستاذ الدكتور احمد مختار العبادى والاستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد والاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم وغيرهم، وقد اوردت ثبثا باسمائها فى اخر الرسالة .

(١) ترجم الكتاب الى الفرنسية المستشرق الفرنسي

Gaudefroy - Demombynes : Masalik al Absar Fi Mamalik Al Amsar (Paris 1927).

٧- المصادر والمراجع الاسبانية والاجنبية :

اما بخصوص المراجع الاسبانية والاجنبية، فقد رجعت الى الكثير منها، نذكر من اهمها المدونات التاريخية للملك اسبانيا مثل المدونه العامة الاولى لتاريخ اسبانيا (١) الذى كتب فى عهد الملك الفونسو العاشر (العالم El Sabio) وتحت اشرافه. وكذلك مجموعة المدونات المعاصرة للملك قشتالة التى ارخت لعهدهم على طريقة السنوات حتى عهد الملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابيلا (٢) ، ومجموعة المدونات الاسبانية التى نشرها J. de Mata Carriazo فى ثمانية اجزاء (٣) وحوليات مملكة أراجون للمؤرخ المعاصر ثوريتا (٤) واستطعت عن طريق الدراسة المقارنة بينها وبين المصادر الاندلسية المعاصرة ان اخرج بحقائق تاريخية ثابتة.

اما المراجع الاسبانية الحديثة فهى ايضا كثيرة وأثبتتها فى قائمة المراجع وحسبى ان اشير هنا الى كتاب استاذى الدكتور احمد مختار العبادى : مملكة غرناطة فى عصر محمد الخامس (٥) ومختصر تاريخ اسبانيا لاجوادويليه (٦) وتلك الابحاث والدراسات القيمة التى قام بها لويس سيكو دى لوثينا وليوبولدو توريس بالباس

(١) Primera Cronica General, Publicada por Ramon Menendez Pidal (Madrid 1906).

(٢) Cronica de los Reyes de Castilla desde don Al Fonso El Sabio hasta los Reyes Catolicos don Fernando y Dona Isabel. (Biblioteca de Autores espanoles, edicion Don Cayetano Rosell. (Madrid 1955).

(٣) Coleccion de Cronicas espanolas ed J. de Mata Carriazo, 8 Vol 1940-1946.

(٤) Zurita "Jeronimo": Los Anales de la Corona de Aragon (Zaragoza 1688).

(٥) Dr. Ahmad Mujtar El Abbadi: El Reino de Granada en la época de Muhammad V (Madrid 1973).

(٦) Aguado Bleye: Manual de historia de Espana (Ladrid 1947).

وجومث مورينو وماريا خيسوس روبيرا وغيرهم والسو، نشرت فى المجلات العلمية المتخصصة مثل الاندلس Al Andalus وأرابيكا Arabica وهيسبريس Hesperis وغيرها والتي أدرجتها فى ثبت المصادر والمراجع .

ومن الكتب الفرنسية نذكر «كتاب اسبانيا الاسلامية على عهد النصريين» لراشيل ارييه وقد قسمته الى جزء سياسى وآخر حضارى والتي أفدت منه فائدة عظيمة ^(١) الى جانب أبحاثها المختلفة عن غرناطة فى عصر بنى نصر.

Rachel Arée : L'Espagne Musulmane Au Temps des Nasrides ^(١)
(Paris 1973)

مملكة بنى نصر فى غرناطة ٦٢٩-٨٩٧ هـ / ١٢٣٢ - ١٤٩٢ م

مقدمة سياسية

قيام الدولة وتوطيد اركانها :

اهتز عرش الموحيدين بعنف من تحت سادته من بنى عبد المؤمن على عهد الخليفة الناصر بعد الهزيمة التى منوا بها فى العقاب^(١) Las Navas de tolosa أمام الجيوش الاسبانية والاوربية المتحالفة فى (١٥ صفر ٦٠٩ هـ / ١٦ يوليو ١٢١٢ م) "فضعفوا واختلفوا، فثارت الشوار وكثرت الغوار ، واشتعلت للفتن النار ، وطوت البلاد طي" برود الكفار"^(٢) . وبدأ نجمهم فى الافول ، وضعفت سيطرتهم على ممتلكاتهم الواسعة ، فلم يكن عجيبا ازاء كل هذا أن ينفرط عقد الاندلس ، وان ينتهز بعض أصحاب المطامع هناك هذه الفرصة ، ويعلموا استقلالهم عن السلطة الموحدية فى مراكزهم . وسارت الامور فى الاندلس من سيء الى اسوأ ، وأخذت قواعده تخرج من قبضة الموحيدين واحدة بعد الأخرى ، ينتزع بعضها ابن هود^(٣) ، وينتزع النصارى البعض الآخر.

(١) عن تلك الموقعة انظر على سبيل المثال :

ابن عذارى: البيان المغرب ، نشر امبروسى ويلى ميرانده الرباط ١٩٦٢ ج٣ ص ٢٤٠-٢٤٣ ، كذلك الحميرى: صلة جزيرة الاندلس نشر ليفى بروفنسال (القاهرة ١٩٣٧) ص ١٣٧-١٣٨ ، ابن ابي زرع : روض القرطاس (فاس ١٣٠٥) هـ ص ١٧٢ ؛

A. Huici Miranda : De Alarcos a las Navas de Tolosa, en las grandas batallas de la Reconquista pp 217-327, Aguado Bleye: Manual de Historia de Espana, tomo 1, p 645, The Encyclopaedia of Islam. Art: Navas de Tolosa by : Lévi Provencal.

(٢) ابن الخطيب: اعمال الاعلام (القسم الثانى) بيروت ١٩٥٦ ص ٢٧٠ نشر ليفى بروفنسال .

(٣) عن ابن هود وثورته انظر ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب (نشر شوقى ضيف (القاهرة ١٩٦٤) ج٢ ص ٢٥١-٢٥٢: ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٢٥٥ وما بعدها ، ابن خلدون العبر ج٤ ص ١٦٨ ، ابن الخطيب: الاحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ج٢ ص ٩٠ ، اعمال الاعلام ص ٢٧٨ .

وأخذت حوادث الاندلس آنذاك تقدم لذوى الطموح من القادة والزعماء كثيرا من
فص الظهور والمغامرة .

فى تلك الاثناء ظهر محمد بن يوسف بن نصر وكان من أولئك القادة الشجعان ،
أشاد المؤرخون بشجاعته وجهاده فى مغاورة ^(١) العدو ، وقالوا بان هذه الصفات
عند الاندلسيين كانت هى الاساس عند اختيار حكامهم وملوكهم فى هذه الفترة
العصيبة ^(٢) .

نشأ محمد بن يوسف هذا فى وقت تفاقمت فيه الاحوال فى الاندلس ، واشتدت
الفتن ، فتزعم الأمر ، وانعقدت عليه الآمال فى جمع الشمل ورأب الصدع ، والتف
حوله الاصحاب والانصار ، أولا فى أرجونة موطن أسرته ، حيث بوع له بعد صلاة
الجمعة يوم ٢٦ رمضان عام ٦٢٩هـ / ١٢٣١ م ثم مالبت دعوته ، أن سرت فى
الجهات المجاورة لأرجونة ^(٣) .

وفى اول رمضان ٦٣٤هـ / ٢٩ ابريل ١٢٣٧ م هاجم اهل غرناطة - بقيادة ابن
خالد - عتبة بن يحيى المغيلى والى ابن هود على المدينة ، واقتحموا عليه القصبه
والقصر وقتلوه ^(٤) . ثم دخلوا فى طاعة ابن الاحمر وبعثوا اليه ببيعتهم ^(٥) . ولبنى
ابن الاحمر دعوتهم وتوجه الى المدينة فدخلها عند مغيب شمس يوم من أيام شهر
رمضان عام ٦٣٥هـ / ابريل ١٢٣٨ م ، والمؤذن يؤذن لصلاة المغرب . ونزل بجامع
القصبه ثم أم الناس لصلاة المغرب ، وبعد الصلاة توجه الى قصر باديس والشموع

(١) انتقلت كلمة مغاور بمعناها ولفظها الى اللغة الاسبانية باسم: *Almogavar* وتعنى المحارب الذى يغير على
الحدود أو قرصان البحر انظر : د. احمد مختار العبادى " دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس (الاسكندرية ١٩٦٨) ص
٣٧١ ح ١ وكذلك :

Corminas: Diccionario Critico etimologico de la lengua
Castillana, Vol. 1, Berne 1954, Leopoldo de Eguilaz:
Glosario etimologico de las palabras espanolas p 233.

(٢) المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ٢٠١ .

(٣) ابن خلدون : العبرجاء ص ١٦٩-١٧٠ .

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب ج٣ ص ٣٣٦ ، مؤلف مجهول : اللخيرة السنية ص ٦٠ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج٢ ص ٦٥ اللوحة البدرية ص ٣٥ .

بين يديه ونزل به ، ومنذ تلك اللحظة أصبحت غرناطة ، عاصمة دولته ، ومقر حكومته ^(١) . وأختار لمقره برجاً زيرياً قائماً على ضفة نهر حدره Darro اليسرى فوق تل تربته حمراء شديدة الشبه بتربة رباط شالة ^(٢) ، أو مدينة مراكش ، التي لها لون صداً الحديد الأحمر . ولهذا كان هذا الحصن يعرف من قديم بالقلعة الحمراء أو بالحمراء دون تحديد وليس ثمة علاقة بين اسمى ابن الأحمر والحمراء ، والامر لا يعدو أن يكون مجرد مصادفة وتشابه اسماء فالأول يرجع الى لون شعر جده ، والثانى الى لون تربة أرضه ، ولكن لم يلبث الاسمان ان ارتبط كلاهما بالآخر بعد ذلك حتى صار بنو الأحمر والحمراء قلباً وقالباً فاتخذوا من اللون الأحمر شعاراً لهم فى كل حياتهم ^(٣) .

لم يسكد ابن الأحمر يستقر فى عاصمته الجديدة ، حتى توجه الى المرية ليفتحها من يد حاكمها أبى عبد الله محمد بن الرميمى ^(٤) . وقام بحصار المدينة فلما طال أمده ، اتفق الطرفان على عقد الصلح بينهما على ان يسلم ابن الرميمى المدينة لابن الأحمر ويسمح له بركوب البحر بأمواله وأهله وولده وقد تولى عقد هذا الصلح محمد بن مفضل بن مهيب اللخمى ، الذى منحه الغالب بالله امتيازاً باعفائه من دفع الضرائب على ممتلكاته فى ١٠ شوال عام ٦٣٥هـ / ٢٥ مايو ١٢٣٨ جزءاً له على دوره الايجابى فى حل هذه المشكلة ^(٥) .

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٥ ، اللوحة البدرية ص ٣٥ .

(٢) شالة : هى الجبهة الملكية لبنى مرين وتقع بجوار مدينة سلا على وادى ابى الرراق خارج مدينة الرباط عاصمة المغرب حالياً .

(٣) انظر الفصل الخاص بالسلطان .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يحيى الرميمى . وأصل بنى الرميمى من بنى أمية أمراء الاندلس وخلفائه ، وينسبون الى ربيعة من أفعال قرطبة ، وكان ابن الرميمى قد ولد على ابن هود برسيه - أحد ثوار الاندلس بعد هزيمة العقاب - فاستوزره ولقبه بنى الوزاريين وصرف اليه سياسته ، وآل أمره معه الى ان اغراه ، بأن يحصن قلعة المرية ويجعلها له عدة ، وهو يهوى ذلك لنفسه " ، وانتهى الامر بينهما الى قيامه بقتل سيده بسبب النزاع على جارية وبيعة فى ٢٤ - جمادى الأولى عام ٦٣٥ / ٢١ يناير ١٢٣٧ انظر : ابن سعيد : المغرب ج ٢ ص ١٩٨ - ١٩٩ ترجمه رقم ٤٨٣ ، ابن هذرى : البيان المغرب ج ٣ ص ٣٣٥ و ٣٣٧ ، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٦٩ ، مؤلف مجهول : الذخيرة السنية ص ٦٠ ، المقرئ : تلح الطيب ج ١ ص ٤٢٢ ، ج ٥ ص ٧٧ ، ج ٦ ص ٢٠٨ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (منظرط الاسكوريال) لوحة رقم ٤٠ - ٤١ .

وفى مالمقة حاول عبد الله بن ذنون الاستقلال بالمدينة بعد موت ابن هود . ولكن الاهالى بحكم جوارهم لابن الاحمر ثاروا ضده ، ومنعوه من القيام بهذا الأمر ، ويعثوا بسفارة الى ابن الاحمر فى عام ١٢٣٩/٦٣٦ المبايعته ، أما ابن ذنون فانه بعد ان قبض عليه وسجن وصودرت أمواله وعذب ، انتحر فى السجن (١) .

وكان استيلاء محمد بن الاحمر على هذين الميناءين الهامين : المرية ومالمقة من اكبر العوامل التى ساعدت على تدعيم قيام هذه الدولة الناشئة لما لهما من أهمية عظيمة فى المجالين التجارى والبحرى .

ولقد واجهت ابن الاحمر الذى لقب بالشيخ العديد من العقبات الداخلية - والخارجية التى هددت دولته وهى ما تزال فى دور التكوين . ففى الداخل كانت هناك مشكلة اصهاره من بنى اشقيلولة (٢) ، الذين عاونوه فى ارساء دعائم دولته ثم مالبثوا ان انقلبوا عليه وثاروا ضده . وكذلك مشكلة نقص المال الذى كان فى حاجة ماسة اليه لتوطيد اركان دولته وتقوية دعائمها . فقد كان هناك سيل عارم من المهاجرين الى مملكة غرناطة من القواعد والمدن الاندلسية التى كانت تسقط فى يد الاسبان ، وكان لابد له ان يقوم بالكثير من المشروعات الاقتصادية التى تفى بحاجة السكان الذين اصبحت غرناطة تكتظ بهم ، كما انه كان بحاجة الى المال ليتمكن من دفع رواتب الموظفين فى الجهاز الادارى الذى كان ضروريا لتنسيق الاحوال فى مملكته الناشئة . كذلك كان لابد لتلك المملكة من جيش قوى يحمى حدودها من هجمات الاعداء ، وما كان يستتبع ذلك من اقامة القلاع والحصون والأسوار .

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ج٣ ص ٣٤٥ ، النباهى : المرقبة العليا : ص ١١٣-١١٤ .

(٢) اختلف المؤرخون فى أصل بنى اشقيلولة ، فبينما تشير بعض المصادر إلى انهم أسرة من اصل عربى تنسب الى قبيلة قحطبان (الاحاطة) مخطوط الاسكوريال) لوحة ٢١٤) احدى بطون القبيلة العربية كندة ، نجد ان بعض المصادر الاخرى تشير الى ان بنى اشقيلولة أسرة من المولدين من أهل أرجونة ويذكرون أن اشقيلولة Ashkilula ليس اسما عربيا ، وإنما من أصل اسباني . كذلك اختلفت المصادر فى كتابة اسم اشقيلولة فالبعض يكتبها بكسر الالف والبعض يفتحها ، وهناك من يكتبها بدون الف ، أنظر : ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، نشر د . احمد مختار "الهدى ص ٣٣١ ج ٧ ، اعمال الاعلام، ص ٢٨٧-٢٩١ .

ولكنى يحصل ابن الأحمر على الاموال اللازمة لكل هذا ، لجأ الى عدة وسائل منها مصادرة اموال المشرفين وممتلكاتهم مبيتدنا بمحمد بن عروس المشرف على المرية^(١). كذلك لجأ الى ملوك المسلمين فى الدول المجاورة مثل ملوك الدولة الحفصية فى تونس يبايعهم فى مقابل الحصول على مساعداتهم المالية^(٢). وربما كانت حاجته الى المال هى التى دفعته الى محاولته الفاشلة لاحتلال مدينة سبسة سنة ١٢٦٠/٦٥٩ التى كانت تشتهر بغناها نظرا لكونها ميناء الحرير والكتان ومقصد السفن والتجار من جميع انحاء العالم^(٣).

وفى الميدان الخارجى كانت هناك مشكلة الاسبان الذين وجدوا فى محمد بن الاحمر قوة لها منظرها ومن ثم قرروا القضاء على حركته ، ولجأ هو امام هذا الخطر الداهم الى الاستعانة ببنى مرين فى المغرب ، ليعضدوه فى صراعه مع مملكة قشتالة. ولما تبين له أنه لن يستطيع أن يصمد امام عدااء هذه المملكة آثر مهادنتها وعقد السلم معها فى عام ١٢٤٣/١٢٤٥ لمدة عشرين عاما، على أن يحكم ابن الاحمر مملكته وأراضيه باسم ملك قشتالة فرناندو الثالث ، وأن يؤدى له جزية سنوية مرتفعة، وأن يعاونه فى حروبه ضد اعدائه من المسلمين والمسيحيين ، فيقدم له عدداً من الجنود كلما طلب منه ذلك ، وان يشهد اجتماع مجلس البلاط القشتالى بوصفه: اميرا تابعا للعرش القشتالى^(٤). ووضع هذا الاتفاق موضع التنفيذ حينما شارك ابن الاحمر ملك قشتالة فى حصاره لاشبيلية حتى سقطت فى ٣ شعبان ٦٤٦/نوفمبر ١٢٤٨^(٥).

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ ص ٣٤٥ وحول المشرف انظر الفصل الخاص بالحكم المولى لى الاتايم .

(٢) ابن الخطيب : الاطاحة (القاهرة) ج٢ ص ٦٢ ، اللوحة ص ٣١ .

(٣) انظر Antonio Ballesteros: Sevilla en le siglo XIII PP 105-106.

(٤) انظر Prieto y Vives: De Como debio nacer el rieno d Granada p 14.

(٥) La formacion del rieno de Granada p 13., Aguado Bleye: Manual de Historia de Espana t. 1, p 592.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ ص ٣٨٥ .

وفى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٧٢/٦٧١ توفى محمد الاول بن الاحمر على أثر سقوطه من جواده، وكان قد عاد من فوره بعد موقعة استطاع فيها ان يرد جمعا من الخوارج الذين حاولوا القيام ضده (١) .

وكان محمد بن الاحمر (الشيخ) قد أخذ البيعة لولده محمدا قبل وفاته فأضفى بذلك على اسرته مبدأ الملكية الوراثية (٢) .

اعتلى محمد الثانى العرش (جمادى الثانية ٦٧١/ديسمبر ١٢٧٢ - شعبان ٧٠١/مايو ١٣٠٢) وعرف باسم الفقيه لانتحاله طلب العلم أيام أبيه (٣)، ولاشتغاله بالفقه زمنا فى صباه (٤) . ولانه كان يقرأ الكتاب بين أهل بيته ويطالع كتب العلم (٥) . وهو الذى رتب رسوم الملك للدولة ووضع ألقاب خدمتها، ونظم دواوينها وجبايتها ، هذا الى جانب اعتنائه بالجيش وخاصة فرق الفرسان (٦) . - وكان قوى العزم واسع الافق بعيد الهمة ، سياسيا بارزا ، موفور الدهاء طويل الحنكة . أدبيا عالما ، يقرض الشعور ويجالس العلماء والادباء والأطباء والمنجمين والحكماء والكتاب والشعراء (٧) .

وواجهت الفقيه ثلاث مشكلات معضلات: الخطر الاسبانى الذى فغرفاه لالتهام مابقى من بلاد الاندلس . ولكنه تمكن من الانتصار عليهم فى عدد من المواقع، وأنتهز فرصة وفاة ملكهم سانشو الرابع (١٢٩٥-١٣١٢م) وتولية ابنه فرناندو الرابع الذى تصفه المصادر بعدم الجدارة لصغر سنه ، ونازل مدينة قيجاجطة Quesada

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج٢ ص ٦٦ ، اللوحة ص ٣٦ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج٢ ص ٦٥ ، اللوحة ص ٣٦ .

(٣) ابن خلدون : العبر ج٧ ص ١٩١ .

(٤) الزركلى : الاعلام ج٣ ص ٩٧٤ .

(٥) ابن خلدون : العبر ج٤ ص ١٧٢ .

(٦) النباهى : نزهة البصائر والابصار فى:

Muller: Beitrage zer Geschichte der Westlichen araber (Munchen 1866) p 117.

(٧) الصندى: الوافى بالوفيات ج١ ص ٢٠٦ ابن الخطيب : اللوحة ص ٣٨ ، الاحاطة : عتار) ج١ ص ٥٦٥ .

من أعمال جيان Jaen واستولى عليها عنوة مع كثير من الحصون ،واسكن بها جيشا من المسلمين ^(١) .

وفى عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩ م نازل مدينة القبداق Alcaudete من أعمال قرطبة وتمكن من افتتاحها بعد حصار وقتال شديدين ، وباشر العمل فى خندقها بيده فنزل الناس عن دوابهم وشاركوه العمل ^(٢) .

ثم كانت هناك مشكلة المرينيين الذين استعان بهم الفقيه تنفيذاً لنصيحة والده ليشدوا من أزوه فى جهاده ضد المسيحيين ، فاذا بهم يطمعون فى الأندلس بدورهم . ولكى يدفع هذا الخطر الداهم لمحجده يتحالف تارة مع اراجون او قشتالة ضد بنى مرين ثم لاتلبث أن تعود المياه الى مجاريها بين غرناطة وفاس . ولكن سرعان ما تعاود الفقيه الشكوك فيدير ظهره لبنى مرين ويتحالف مرة أخرى مع دول اسبانيا المسيحية وهكذا ^(٣) .

وأخيرا كانت هناك فتنة اقربائه من بنى اشقيلولة التى بدأت فى عهد أبيه واشتدت فى عصره ، وانتهى الأمر بهجرتهم فى عام ٦٨٧ هـ الى مدينة القصر الكبير فى شمال المغرب جنوب سبتة بأموالهم ورجالهم وأولادهم ^(٤) .

وتوفى محمد الفقيه فى شهر شعبان عام ٧٠١هـ / مايو ١٣٠٢ أثناء الصلاة بعد أن تمكن من تدعيم دولته داخليا وخارجيا ^(٥) . خلف الفقيه ولده أبو عبد الله محمد (شعبان ٧٠١/مايو ١٣٠٢ - شوال ٧٠٨ - اوائل ١٣٠٨) وقد قمرس على

(١) ابن الخطيب : الاطاحة (مخطوط الاسكوريال) لرحات ٤٩-٥٦ وكذلك :

Melchor`Antuna: Conquista de Quesada y Alcaudete por Muhammad II de Granada, en Religion, Cultura 1932 XIX pp 338-351, XX, pp 61-70, 386-395., Aguado Bleye: Op. cit p 706, Dr. A.M. Al Abbady. El Reino de Granada en la epoca de Muhammad V, p 9.

(٢) ابن الخطيب : الاطاحة (هناك) ج١ ص ٥٧٠ ، اللوحة ص ٤١-٤٢ .

(٣) انظر التلخيصات لى: ابن خلدون : المعبر ج١ ص ١٧٢ ، ج٢ ص ٨٩ ، ١٩١ ، ٢١٦ ، ابن الخطيب : اللوحة ص ٤٤ مؤلف مجهول : الذخيرة السنبة ص ١٥٩-١٧٠ .

(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام (القسم الثانى) ص ٢٩٠-٢٩١ ، ابن خلدون : المعبر ج٢ ص ٢١٦ .

(٥) ابن الخطيب : اللوحة ص ٤٥ .

شئون الحكم فى عهد ابيه ، وياشر الامور بين يديه ، وأصيب بالعمى نظرا «لمواصلة السهر ومباشرة انوار ضخام الشمع ، اذ كانت تتخذ له من جذوع الشجر فى اجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل ومضى الهزيع» (١) .

وفى عام ٧٠٥هـ / ١٣٠٥ م افتتح مدينة سبتة من يد اصحابها من بنى العزفى وبعث بهم الى غرناطة مما أدى الى تدهور العلاقات بين غرناطة وفاس (٢) ، وفى عهده تحالف كل من فرناند والرابع ملك قشتالة وخايمى الثانى ملك اراجون لغزو مملكة غرناطة فى وقت واحد ، على أن تقوم الجيوش القشتالية بمهاجمة مدينة الجزيرة الخضراء من الجنوب ، بينما تهاجم الاساطيل الارجونية مدينة المرية من الشرق ثم يتقابل الجيشان فى غرناطة العاصمة (٣) .

وحينما علمت غرناطة بهذا العدوان المشترك على اراضيها ثارت ثائرة شعبه وسرعان ما اشتعلت نار الفتنة فى عيد الفطر عام ٧٠٨ هـ بقيادة ابى الجيوش نصر بن محمد الفقيه ، ووثبوا بالوزير ابن الحكيم الرندى فقتلوه ونهبوا داره ، واعتقلوا السلطان محمدا وأجبروه على التنازل عن العرش ثم قاموا بنفيه الى المنكب Almunecar ، وتربع ابو الجيوش نصر على عرض غرناطة، وفى المنكب اصيب السلطان المخلوع بالمرض فأعيد الى غرناطة حيث توفى عام ٧١٣هـ (٤) .

يصف لنا ابن الخطيب فترة حكم ابى الجيوش نصر فيقول " كانت ايامه كما شاء الله ايام نحس مستمر شملت المسلمين فيها الازمة" (٥) . اذ سرعان ما سخط عليه الشعب ، واضطربت الامور فى غرناطة ، فانتهاز فرناندو الرابع ملك قشتالة هذه الفرصة وقام باحتلال الجزيرة الخضراء فى ٢١ صفر ٧٠٩ هـ ثم حاصر جبل الفتح حتى ارغمه على التسليم فى اواخر عام ٧٠٩ هـ / ١٣١٠ م ، وفى نفس الوقت الذى كان

(١) ابن الخطيب : اللعة ص ٤٧-٤٨ .

(٢) ابن الخطيب : اللعة ص ٥٣ ، ابن خلدون : العبر ج٧ ص ٢٢٨-٢٢٩ ، النهاى : نزهة البصائر والابصار فى Muller : op. cit., p 119-122.

(٣) د. احمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٠٨ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج١ ص ٥٥٢-٥٦٤ ، اللعة ص ٥٤-٥٥ .

(٥) ابن الخطيب : اللعة ص ٥٧ .

يحاصر فيه ملك قشتالة جبل الفتح ، كان خايى الثانى ملك أراجون يحاصر ثغر المرية فى أول ربيع الأول من هذا العام ، بإشارة من ملك قشتالة حتى يشغل القوات الغرناطية . وتكثرت المرية التى تعرضت لأقسى هجوم عرفتته فى تاريخها ، من الصمود ومن هزيمة جيش أراجون بقيادة شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلاء ^(١) . "وما كاد أهل الاندلس يتنشقون ريح العافية حتى نجم شهاب الفتنة ونشأت ريح الخلاف " حينما أعلن الرئيس أبو سعيد فرج بن اسماعيل صاحب مالقة الثورة والعصيان على السلطة المركزية ، عندما بلغه أن السلطان أبا الجيوش نصر قد عقد السلم مع ملك قشتالة ، والتزم له بدفع الجزية . وقدم أبو سعيد ولده أبا الوليد اسماعيل للملك . وبعد فترة وجيزة تمكن أبو سعيد من الاستيلاء على المرية وبلش وبعض القواعد الجنوبية . وبلغت هذه الأنباء إلى العاصمة وكان أهلها ساخطين على أبى الجيوش نصر ، فثاروا عليه فى ٢٥ رمضان ٧٠٩ هـ ولكن خانهم التدبير ، وبرز السلطان إلى باب القلعة فلاذ الناس بديارهم وفر الداعون إلى الثورة إلى مالقة حيث حرضوا الرئيس أبا سعيد على السير إلى العاصمة فأجابهم إلى مطلبهم ، وفى الطريق اطاعته المدن والحصون التى مر بها ، والتقى مع أبى الجيوش نصر ، ودارت الدائرة على الأخير . فتوجه أبو الجيوش إلى وادى آش مع أهله، وولده ، واستمر الحال بين حرب وهدنة إلى أن توفى الأخير فى عام ٧٢٢ هـ - وورى مقبرة السبيكة ^(١) .

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (مثنان) ج١ ص ٥٥٢-٥٦٤ ، اللسعة ص ٦٢ ، ابن القاضى : درة البحال ج١ ص ٧١ وما بعدها ، د . احمد مختار الصباي : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٠٩-٤١١ . ولزبد من التفصيلات

انظر:

Geronimo Zurita: Los anales de la Corona de Aragon I, p 435, Cronica de D. Fernando IV, Cap. XVII, Gimenez Soler: El Sitio de Almeria (1309) pp 386-392, Sanchez Albornoz: La Espana Musulmana, I I, p 386, Levi Provencal: Un Zagal hispanique sur l'expedition aragonaise de 1309 Contra Almeria, Al Andalus, Vol. VI, fasc 2, 1941.

حيث أورد بروكسبال زملا شهابيا اندلسيا لشاعر يدهى القيسى، ورد فى مخطوط بعنوان "مفتاح الدين فى المجادلة بين النصارى والمسلمين" وكذلك

I.S. Allouche: La relation du Siege d'Almeria en 709, dans Hesperis (1933) t. XVI, p 122-138.

ولى ابو الوليد اسماعيل بن فرج (٧١٣-٧٢٥ هـ / ١٣١٤ - ١٣٢٥ م) مقاليد الأمور فى غرناطة خلفا لابي الجيوش نصر ، وكان كما تصفه المصادر على سيرة حسنة اشتد فى اقامة الحدود ، وإراقة المسكرات ، واعتنى بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحظر تجلى القينات للرجال فى الولائم والاحتفالات وقصر طربهن على جنسهن ، وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم ليقضوا حقهم فى المعاملة وهى شواشى صفر (٢) . وفى عهده قام القشتاليون بهجوم ضخم على غرناطة نفسها بجيش تحت قيادة دون بدور Don Pedro ودون خوان Don Juan الوصيان على عرش الفونسو الحادى عشر ، ولكن هذا الهجوم انتهى بمقتل الاميرين القشتاليين فى مروج غرناطة عام ٧١٩ هـ / ١٣١٩ م . وتذكر المصادر الاسبانية ان هذين الأميرين ماتا ميتة طبيعية فى هذه المعركة ، حيث أن بدرو مات بالسكتة القلبية بينما توفى خوان متأثرا بالحر والعطش ، وهو ما يخالف الواقع (٣) . ويطلق على هذه المعركة اسم موقعة المرج (٤) .

ثم ماليت ان توفيت الملكة ماريا دى مولينا Maria de Molina جسة الملك القاصر الفونسو الحادى عشر والوصية على العرش ، وأدى موتها الى قيام منازعات بين أمراء قشتالة مثل دون خوان مانويل Don Juan Manuel ودون فيليب (٥) . فانتهز ابو الوليد اسماعيل الفرصة وقام بالاستيلاء على بعض المدن القشتالية مثل بسطة Baza ، وأشكر Huescar حيث استخدم الغرناطيون المدفع لأول مرة عند منازلتهم لهذه المدينة الاخيرة (٦) .

(١) ابن الخطيب : اللعة ص ٥٧ - ٦٤ ، النباهى : نزهة البصائر فى : Muller Op; Cit., p 123-125.

(٢) ابن الخطيب : اللعة ص ٧١ ، النباهى : نزهة البصائر فى Muller : Op. Cit. p 128

(٣) د. العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤١١-٤١٢ وكذلك : Gimenez Soler: La expedicion a Granada de los infantes, Don Juan y DOn Pedro en 1319, R.A.B.M., 1904, PP 24-36 & DR. A.M. Al Abbadi: Op. Cit. p12.

(٤) يقول ابن الخطيب :

لله يوم المرج لا بعدت به ، أبدى الزمان وشفته بئان

(ابن الخطيب : ديران الصيب والجهاى ص ٥٩١)

(٥) انظر Cronica de D. Alfonso XI Cap XXVII, XXIX ,

(٦) ابن الخطيب : اللعة ص ٢٧ ، ابن خلدون : العبر ج٧ ص ١٨٨ وكذلك

J. Zurita: Anales 11, P 31, 99.

وانظر كذلك التعليق القيم الذى كتبه استاذنا الدكتور احمد مختار العبادى عن الاسلحة النارية فى:

Hesperis 1959, 3-4, trimestres p 264 .

وبعد عودة السلطان اسماعيل منتصرا في تلك المعارك قتل بباب قصره عام ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م بيد ابن عمه محمد بن اسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة لنزاع بينهما^(١).

ترجع على عرش غرناطة أبو عبد الله محمد الرابع بن اسماعيل (٧٢٥-٧٣٢ هـ / ١٣٢٥ - ١٣٣٣ م) وتصفه المصادر بأنه كان عذب الشرائع ، حلوا ، شجاعا ، فارسا ، مقداما ، مغرما بالصيد ، يحب الادب ، الشعر^(٢) . وفي عهده قامت الفتنة بين وزيره محمد بن احمد بن المحروق ، وشيخ الغزاة أبي سعيد عثمان بن ابي العلاء مما دفع هذا الاخير الى أن يخرج غاضبا الى ساحل المرية ، وجمع حوله الانصار "قاعضل الداء وغامت سماء المحنة" واستدعى محمد بن فرج بن اسماعيل عم السلطان من تلمسان حيث كان لاجئا هناك ، وقام بدعوته في صفر ٧٢٧ هـ^(٣) وانتهاز القشتاليون هذه الفرصة ونازلوا ثغر بيرة Vera على حدود غرناطة الشمالية الشرقية ، واستولوا على عدد من الحصون التي تجاوره. فقد تمكن الفونسو الحادي عشر ملك قشتالة في حملته عام ١٣٢٧ م من الاستيلاء على Olvera , Ay- amonte, Alhaquin , Torre, Pruna^(٤).

ومن ناحية البحر استطاع اسطول قشتالي يقوده الفونسو خويره Alfonso Jofre de Tenorio ان يحرز النصر على الاسطول الغرناطي في مياه المرية ومالقة^(٥).

ورأى السلطان الغرناطي ان من الأفضل التفاهم مع الخارجين عليه ، وانتهى الأمر الى عقد هدنة مع شيخ الغزاة أبي سعيد الذي استقر بوادي آش باسم السلطان

(١) ابن الخطيب : اللوحة ص ٧٤ ، الاطاحة (هتان) ج ١ ص ٣٩٥-٤٠١ .

(٢) ابن الخطيب : اللوحة ص ٧٧ ، الاطاحة ج ١ ص ٤٥٠ ، النباهي : نزهة البصائر في. Muller: p 132

(٣) ابن الخطيب : اللوحة ص ٨٠ ، الاطاحة (هتان) ج ١ ص ٥٤٣-٥٤٤ ، اعمال الاعلام ص ٢٩٦-٢٩٨ ، ابن خلدون

: المعبر ج ١ ص ١٧٤ حيث يذكر ان محمد بن فرج استدعى من شلوانية وليس من تلمسان وقد أورد القلقشندي في

صبح الأملش (ج ٥ ص ١٨) نقلا عن العمري ان شلوانية كانت "معدة لارسال من يغضب عليه السلطان من اقاربه".

(٤) انظر Cronica de D. Alfonso XI, Cap LVII y LVIII, PP 207-208

(٥) انظر Cronica de D. Alfonso XI, Cap LIX, p 209

وتحت طاعته ، وعاد الامير محمد بن فرج الى العدة . ثم عبر السلطان البحر بنفسه في ١٤ ذى الحجة ٧٣٢ هـ الى المغرب ليستصرخ بنى مرين واجتمع مع سلطانهم في فاس حيث استقبله أحسن استقبال ، وأكرم وفادته ، وأجابه الى ماطلب ، وأرسل ولده الى الاندلس " وحباه بما لم يحب به ملك تقدمه من مقربات الخيل ، وخطير الذخيرة ، ومستجاد العدة " ونازل الجميع جبل الفتح بقيادة الامير المريني ابي مالك ، ونجحوا في الاستيلاء عليه في ١٢ ذى الحجة عام ٧٣٣/١٣٣٣^(١) وبعدها هذا الفتح العظيم اعتزم السلطان محمد الرابع العودة بجنده الى غرناطة ولكن سرعان ما اغتاله في الطريق جماعة من المتأمرين عليه ، بتحريض بنى العلاء ، الذين توجهوا منه خيفة ، فقرروا التخلص منه ، وخلفه على عرش غرناطة ابو الحجاج يوسف الاول^(٢) .

عصر القوة والازدهار :

بدأ بتولية ابي الحجاج يوسف الاول (٧٣٢-٧٥٥ هـ / ١٣٣٣ - ١٣٥٤ م) عصرا ذهبيا في مملكة غرناطة ، فعلى عهده أسست المدرسة اليوسفية أو النصرية على يد حاجبه ابي النعيم رضوان عام ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م ، واهتم بإنشاء المصانع^(٣) ، وتحصين البلاد فاقام الحصون نذكر منها على سبيل المثال حصن البيبول Boul^(٤) ، وجدد حصن جبل فارة بالملاقة^(٥) ، وبأمر منه ادار ابو النعيم رضوان السور العظيم حول رض البيازين^(٦) . كما اضاف كثيرا من التشييدات الى قصر

(١) ابن الخطيب : للمحة ص ٨٠-٨١ ، أعمال الاعلام من ٢٩٥-٣٠٤ ، رقم الحلل ص ١١٨ ، وابن بطوطة : الرحلة ، ج٤ ، ص ٣٥٦ .

(٢) ابن الخطيب : للمحة ص ٨٣ ، الاحاطة (عنان) ج١ ص ٥٤٨-٥٤٩ ، ابن خلدون : المعبر-ج٧ ص ٢٦٣ ، ٣٧٢ ، ٢٦٤ ، النباهي : نزهة البصائر في Muller p 133

(٣) يقول ابن الخطيب في رفاة يوسف الاول :

تبكى عليك مصانع شيدتها بيض كما تبكى الهديل حمام

- ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) نسخة جاينجوش لوحات ٣٨٧-٣٨٩ .

(٤) ابن الخطيب : خطرة الطيف في : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والاندلس تحقيق د. مختار العبادي ، الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص ٣١ .

(٥) ابن الخطيب : للمحة ص ٩٦ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج١ ص ٥١٧ .

الحمراء نذكر منها باب الشريعة وبرج قمارش والحمامات السلطانية وقصر متشوقة وبرج الشريعة ومصلى البرطل (١) .

واهتم السلطان ابو الحجاج يوسف الاول بأحوال شعبه، فكان يقوم برحلات لتفقد احواله (٢) .

ومن الاحداث الجسام فى عهد هذا السلطان ذلك الخطب العظيم والنكبة الفادحة التى اجتاحت المشرق والمغرب على حد سواء، وهو الوباء العظيم أو الوباء الاسود الذى تفشى فى حوض البحر المتوسط عام ٧٤٩-٧٥٠/١٣٤٧-١٣٤٨ وراح ضحيته عدد عظيم من علماء الاندلس ورجال الدين والسياسة والأدب نذكر منهم الرئيس ابا الحسن بن الجياب استاذ ابن الخطيب. وقد اعطانا لسان الدين فى رسالة اسماءها " مقنعة السائل عن المرض الهائل (٣) " وصفا لظهور هذا المرض وملابساته واعراضه، وانتشاره بصورة سريعة، ثم تحدث عن كيفية علاجه والوقاية منه. كذلك تحدث شاعر المرية الكبير ابن خاتمة (٧٢٤-٧٧٠هـ) عن هذا المرض فى رسالة اسماءها " تحصيل غرض القاصد، فى تفصيل المرض الوافد " (٤).

وقد تمكن ابو الحجاج يوسف من عقد اتفاق سلام مع قشتالة فى عام ١٣٣٤/٧٣٤ (٥) لكن هذا الاتفاق سرعان ما تحطم وبدأ الصراع بين غرناطة والمغرب من ناحية، وقشتالة تساندها اراجون والبرتغال من ناحية أخرى حول السيطرة على جبل طارق. وبدأت المعارك فى ربيع ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠ م وعلى الرغم من انتصار المسلمين فى بداية الأمر الا ان الموقف المحلى عن هزيمتهم فى ساحة طريف

(١) د. السيد هيد العزيز سالم: المساجد والقصور بالاندلس ص ١١٠-١١١ .

(٢) انظر : ابن الخطيب : خطرة الطيب ورحلة الشتاء والصيف فى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والاندلس ص ٢٥-٣٥ .

(٣) ترجمت هذه الرسالة الى الالمانية مع تحليل لتصرفها فى مجلة اكاديمية العلوم البالارية : Bayeri sche Academie der Wessenschaft 1863 .

(٤) ابن خاتمة : مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٨٥ (فهرس الغزيرى) .

(٥) انظر التلصاحيب لى : Gimenez Soler: La Corona de Aragon y Granada, (1907) p 200 .

فى ٧ جمادى الاولى عام ٧٤١ / اكتوبر ١٣٤٠ ، وتسمى هذه الموقعة فى المصادر العربية باسم موقعة طريف اما المصادر الاسبانية فتطلق عليها اسم موقعة نهر سلاو La batalla del rio salado نسبة الى نهر مجاور لمدينة طريف كما يطلق عليها ايضا اسم موقعه الملوك الأربعة La batalla de los Cuatro reyes^(١) .

واتبع ملك قشتالة هذا النصر بالاستيلاء على قلعة يحصب ويأغو كما حاصر الجزيرة الخضراء التى سقطت فى يده عام ٧٤٤هـ / ١٣٤٤م . ثم عقدت معاهدة سلام بين قشتالة وغرناطة والمغرب مدتها عشر سنوات^(٢) .

وتوفى يوسف الاول قتيلا بيد رجل مرور فى أول شوال ٧٥٥ / اكتوبر ١٣٥٤^(٣) وخلف يوسف الاول ولده محمد الغنى بالله (٧٥٥-٧٦٠ ، ٧٦٣-٧٩٣ هـ / ١٣٥٤-١٣٥٩ ، ١٣٦٢-١٣٩١م) وفى عهده توطدت العلاقة بين غرناطة وفاس: ولكن لم يلبث ان راودت أبا عنان فارس سلطان المغرب فكرة غزو الاندلس والسيطرة على مضيق جبل طارق ، فرأى ان يتحالف مع بدرو الرابع ملك أراجون لتنفيذ ذلك^(٤) لكن وفاة السلطان ابي عنان الفجائية فى عام ٧٥٩ هـ / ديسمبر ١٣٥٨^(٥) اوقفت كل هذه المشاريع وقام سلطان المغرب الجديد ابو سالم بالتحالف مع قشتالة وغرناطة ، وكانت الحرب بين قشتالة وأراجون فى تلك الفترة على اشدها . وقام

(١) انظر: د. احمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤١٨-٤١٩ وكذلك Cronica de Alfonso oncenno, ed. Rosell p 323 & Canellas: Aragon y la empresa del Estrecho. pp 28-32, Miguel Cuartero: El Salado, revista "Ejercito" num. 13, Febrero 1941, Creasy: Las batallas decisivas en la historia del mundo p 287.

A. Canellas: Op. cit., documento n. 17.

(٢) انظر :

(٣) ابن الخطيب : اللوحة ص ٩٧ .

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٣٠٤ ، د. احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٢٤ وكذلك : Capmany: Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos reyes de Aragon y diferentes principes de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta el siglo XV p 18, Capmany: Memorias sobre la marina, Comercio y artes de Barcelona, tomo III, p 202, t. IV p 121.

(٥) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٢٩٩ .

محمد الخامس بمساعدة حليفه ملك قشتالة باسطول حربى عبارة عن عشر شوانى بجميع بحارتها واسلحتها ، وسمح له باستخدام القواعد البحرية الغرناطية ^(١) . وفى تلك الاثناء وقع انقلاب فى مملكة غرناطة انتهى بخلع محمد الخامس وتولية اخيه ابنى الوليد اسماعيل الثانى مكانه فى رمضان ٧٦٠هـ / ١٣٥٩م ^(٢) ، واستطاع محمد الخامس ان يفر الى المغرب وان يلجأ الى سلطانه أبى سالم المرىنى ^(٣) .

ولكن سرعان ما قام انقلاب آخر فى غرناطة أودى بالسلطان ابنى الوليد اسماعيل الثانى فى شعبان ٧٦١هـ / يونيو ١٣٦٠ م وخلفه زوج أخته وابن عمه وقاتله ابو سعيد محمد البرميجو El Bermejo الذى تحالف مع ارجوان ضد قشتالة التى كانت تربطها علاقة طيبة مع محمد الخامس ^(٤) . فقام بدرى الاول ملك قشتالة بعقد الصلح مع اراجون ليتفرغ لقتال غرناطة ^(٥) . وارسل فى طلب محمد الخامس ليساعده فى استرداد عرشه ، فعبر السلطان الغرناطى المخلوع الى رندة التابعة لبنى مرىن ^(٦) . وانتهى الامر باسترجاع محمد الخامس لمملكته بمساعدة حليفه بدرى القاسى بعد حروب ومعارك ابدى فيها الملك القشتالى ^(٧) .

(١) انظر : Lopez de Ayala: *Cronicas de los Reyes de Castilla* 1, p 286.

Zurita: *Los anales de la Corona de Aragon* 11, p 244 .

(٢) انظر التفضيلات لى : د . احمد مختار المهادى : فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة . صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلاميه بمؤيد المجلد السابع ١٩٥٩ .

(٣) ابن خلدون : المعبر ج٧ ص ٣٠٦ ، ٣٠٩ . المقبرى : نفع الطب ج٧ ص ٢٣-٢٥ ، ازهار الرياض ج١ ص ٢٠٣-٢٠٧ .

(٤) انظر : Bleda: *Cronica de los Moros de Espana*, p 537, Ayala: *Op. cit.*, I p 326 .

Ayala : *Ibid.*, I p 326.

(٥) انظر :

(٦) ابن الخطيب : نفاضة الجراب : ص ١٨٤ ، ٢٨٥ .

(٧) ابن الخطيب : اللحة ص ١١٧ وكذلك

Bleda: *Op. cit.*, p 538,

Ayala : *Op. cit.*, I p. 340.

وانتهز محمد الخامس فرصة اشتعال الحرب الاهلية فى قشتالة وقام بعقد حلف مع ملك البرتغال فرناندو الاول ، وسلطان المغرب عبد العزيز بن ابي الحسن المرينى (٧٦٨-٧٤٤هـ / ١٣٦٦-١٣٧٢م) على ان يقوم ملك المغرب بالهجوم على قشتالة من جهة غاليسيا شمالا ^(١) . بينما يهاجم سلطان غرناطة مدينة الجزيرة الخضراء جنوبا بمعاونة اسطول المغرب ^(٢) ، ونجحت الخطة وسقطت الجزيرة الخضراء فى ايدى المسلمين عام ٧٧٠هـ / ١٣٦٩ ، وقام السلطان محمد الخامس بتدمير حصونها واسوارها خوفا من سقوطها فى يد العدو مرة أخرى ^(٣) .

وانتهت تلك الاحداث بعقد صلح دائم بين قشتالة وأرجوان وغرناطة والمغرب فى عام ٧٧١هـ / ١٣٦٩-١٣٧٠ م حيث تبودلت السفارات الودية والهدايا بينهم ^(٤) .

عصر الاضمحلال والسقوط:

بعد وفاة السلطان محمد الخامس فى عام ٧٩٣هـ / ١٣٩١م تعاقب على عرش غرناطة عدد من السلاطين الضعاف، وقاست المملكة الكثير من الدسائس والفتن والمؤامرات حول العرش . وفى عام ٨٢٢هـ / ١٤١٩م ثار الامير محمد التاسع بن نصر المعروف بالأيسر على سلطان غرناطة الشرعى محمد الثامن بن يوسف الثالث الملقب بالصغير واستطاع ان ينتزع العرش منه بمساعدة بنى السراج ^(٥) ، ولكن محمد الصغير خلعه واستعاد منه الملك عام ٨٣١هـ / ١٤٢٧م. ثم مالبت ان ثار الايسر مرة أخرى وتمكن من هزيمة الصغير واستعادة العرش منه عام ٨٣٤هـ / ١٤٣٠م

Ayala: Op. cit., 11 p 7-10

(١) انظر :

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج٢ ص ٥٦-٥٨ .

(٣) ابن خلدون: العبر ج٢ ص ٣٢٧-٣٢٨ .

(٤) د. احمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ٤٤٦-٤٤٧ .

(٥) بنو السراج ينسبون فى الاصل الى قبيلة قضاة اليمنية . وقد عهد اليهم الامويون حراسة سواحل الملم بهجابه Pechina فى شرق الاندلس . وظهر اسم هذه الاسرة بوضوح حينما لعبت دورا بارزا فى السياسة الغرناطية فى القرن التاسع الهجرى (١٥ م) انظروا : الحميرى: الروض المعطار ص ٣٧، د. احمد مختار العبادى: فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بطنجة ١٩٥٩ .

بمؤازرة سلك قشتالة خوان الثانى، وسلطان ترنس ابى فارس الحفصى . وكان خوان الثانى منذ عام ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م - حين توجه اليه سفراء السلطانين المتنازعين : الأيسر والصغير لكسب تأييده - قد عزم على شن الحرب ضد غرناطة لانتزاعها نهائيا من ايدى المسلمين ، ولكن نزاعه مع أرجوان وناقارا اضطره الى ارجاء خطته^(١) على انه انتهى اخيرا الى عقد الهدنة مع اراجون وناقارا وساءه، ان سلطان غرناطة محمد الأيسر لم يف بوعوده له من اعلان الخضوع لقشتالة بعد انتصاره على غريمه محمد الصغير ، وكان خوان الثانى قد بعث بسفيره-لوى الفونسو- Lope Al-fonso الى بلاط غرناطة كى يستحث سلطانها على اعلان تبعته لقشتالة ، وتسليم بعض الحصون والقلاع اليه^(٢) . ولما رفض الأيسر هذا الأمر وقعت بعض الحروب بين الجانبين. ولم تمض بضعة اعوام اخرى حتى دبرت مؤامرة جديدة انتهت بتولى امير يدعى أبا الحجاج يوسف بن المولى العرش، وتسميه المصادر الاسبانية Abenalmao . وكان أميرا وافر الثراء، أرسل الى ملك قشتالة خوان الثانى يطلب مساعدته فى تولى العرش ، ويتعهد له بأن يحكم باسمه ، وتحت طاعته ، وان يحارب معه ضد اعدائه، وان يؤدى له جزية سنوية، وان يشهد اجتماعات مجلس البلاط القشتالى، فأجابه خوان الى دعوته وعقدت معاهدة بين الجانبين تحمل هذه الشروط^(٣) .

ولم يستمر يوسف فى الحكم طويلا اذ ان هذه التبعية الاقطاعية التى عقدها مع المسيحيين جعلته غير محبوب لدى أهل غرناطة ، فقاموا بالثورة ضده، ووضعوا محمد التاسع على العرش للمرة الثالثة . وقد طالبت هذه الفترة من حكم محمد

(١) انظر Luis Seco de Lucena: Las Campanas de Castilla Contra Granada: en el ano 1431 pp 79-120 .

صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بدمشق ، المجلد الرابع - العددان ٢-١ / ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

(٢) انظر: Ibid., Alvar-Garcia de Santamaria: Cronica de don Juan II de Castilla. Vol. C. pp 163-164 .

(٣) محمد عبد الله عنان: وثيقة اندلسية : قشتالية من القرن التاسع الهجرى . صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بدمشق العددان ٢-١ / ١٣٧٣ / ١٩٥٤ ص ٣٨-٤٥ .

التاسع حتى الشهور الاولى من عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥ ، نعم الغرناطيون خلالها بنوع من السلام اكثر من عشر سنوات . ثم مالبت ان عزل محمد التاسع على يد محمد الأحنف . وفى بداية عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨ عاد محمد التاسع الى الحكم للمرة الرابعة ولقد بلغ من اضطراب الاوضاع الداخلية فى مملكة غرناطة انه قد تعاقب على عرشها خلال القرن التاسع الهجرى (١٥م) اثنا عشر سلطانا ، ونتيجة للشورات المتكررة والانقلابات السياسية شهدت غرناطة اعتلاء هؤلاء السلاطين عشرين مرة بسبب عودة بعضهم الى العرش اكثر من مرة (١) .

وفى الوقت الذى كانت تحاك فيه تلك المؤمرات وهذه الدسائس ، وتذكى هذه الصراعات نار الحرب الاهلية بين أمراء غرناطة الذين كان يناصر كل فريق منهم مجموعة من مراكز القوى (ان جاز التعبير) من أمثال بنى السراج الذين كانوا يؤيدون مغتصبى العرش وبنيفاش حماة السلطان الشرعى (٢) . فى هذا الوقت عرفت اسبانيا المسيحية نهضة حربية وسياسية كبرى ، وتوجت تلك النهضة بزواج الملك فرناندو الثالث ملك ارجوان بايسابيل ملكة قشتالة عام ١٤٦٩ ، وبهذا اتحدت الدولتان بعد ان ظلتا فى نزاع وحروب مستمرة . وكان هذا يعنى بداية النهاية لمملكة غرناطة الاسلامية، فقد كان بقاء هذه المملكة فى الواقع يعود الى حد كبير الى استغلالها لهذا النزاع بين المملكتين . وبدأ هذان الملكان يعملان على انتهاء الوجود الاسلامى من شبه الجزيرة نهائيا ، ولما شعر سلطان غرناطة يومئذ ابو الحسن على (٦٦٦هـ - ٩٨٠ / ١٤٦١-١٤٨٥ م) بهذا الأمر امتنع عن دفع الجزية لقشتالة (٣) .

وبدأت المناوشات بين الجانبين واستطاع القشتاليون الاستيلاء على الحمة -Al-hama (٤) فى فبراير عام ١٤٨٢ م . وزاد من سوء موقف غرناطة اشتعال الحرب

(١) انظر التفصيلات فى:

L.S. de Lucena: Panorama Politico del Islam granadino durante el siglo XV (M.E.A.H.) vol IX, '1960, fasc 1, p 7-18.

Luis Seco de Lucena : Ibid. p 6

(٢) انظر

(٣) د. احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاتدلس ص ٤٦٢-٤٦٣ .

(٤) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ٦ وما بعدها ، وانظر كذلك :

Perez de Hita: Guerras Civiles de Granada I, p 252 (Madrid 1913).

الاهلية بين ابنائها ، فقد كان للسلطان ابي الحسن ولدان من ابنة عمه وزوجته عائشة ، هما ابو عبد الله محمد (Boabdil) ويوسف . ولكنه اتخذ رومية زوجة عليها كانت تدعى ايسابيل دى سوليس Isabel de Solis اعتنقت الاسلام واتخذت ثريا اسما لها . وملك هذه الرومية على السلطان حياته فصار لا يرى الا بعينها ولا يفكر الا برأيها . واغضب هذا الأمر زوجه وأم اولاده - عائشة ، فغادرت الحمراء الى ريبض البيازين ، وأقامت هناك بصحبة ولديها ثم قام الاميران بعد ذلك بالفرار الى وادى آش وأعلنوا الثورة ضد والدهما . وقامت بين الفريقين حروب وخطوب راح ضحيتها الامير يوسف . وما لبثت غرناطة العاصمة ان انضمت الى الأبن الآخر ابي عبد الله (Boabdil) وطردت ابا الحسن منها فلجأ الى مدينة بسطة (١) .

وفى عام ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م وقع السلطان ابو عبد الله محمد أسيرا فى يد الاسبان بعد هزيمته فى موقعة اللسانة Lucena ثم اطلقوا سراحه وعاد الى غرناطة بعد ان أملوا عليه كل شروطهم ، وهناك قام بمواصلة الحرب ضد والده ابي الحسن الذى سرعان ما توفى ، وخلفه اخوه أبو عبد الله محمد بن سعد الملقب بالزغل عام (٨٩٠ / ١٤٨٥) (٢)

وانتهز الاسبان فرصة هذه الفتن التى اشتغلت بين الزغل وابن اخيه وقاموا بالاستيلاء على بعض المدن مثل رندة ولوشة ومالقة . ووجد زعماء المسلمين انه درءا للاخطار المحدقة ببلادهم ، فانه من الافضل اقتسام مابقى من غرناطة بين العم وابن اخيه . وبعث الاسبان الى الزغل يعرضون عليه وعلى قادته مالا جما مقابل تسليم ما تحت يده من أراضٍ ، فضعفت نفسه ، ووافقهم على رأيهم ، ورحل الى فاس ، وهناك قام سلطان المغرب محمد الشيخ بوضعه فى السجن ثم صادر امواله وسمل عينيه . وهكذا اصبح ابو عبد الله محمد وحيدا فى الميدان ، وبعث اليه فرناندو يطالبه بتسليم غرناطة ، ولكنه رفض وصمم على القتال (٣) .

(١) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ١٢ ، المرقى : نفع الطيب ج ٦ ص ٢٦٢ وكذلك

Luis del Marmol : Historia de la rebelion y Castigo de los Moriscos del reino de Granada 2^o ed (Madrid 1798) Vol. 1, Cap XII.

(٢) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ١٠ وما بعدها ، عبد الحميد العبادى : المجلد فى تاريخ الاندلس ص ١٩٢ ، د . العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٦٥-٤٦٦ .

(٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٣٧ وما بعدها ، على مظهر : محاكم التفتيش ص ١٤-١٥ .

وفى عام ١٧٩٦هـ / ١٤٩١م قام فرناندو بحصار غرناطة وافساد زراعتها ، واقام امامها مدينة اسمها Santa Fé (شتتفى) وتعنى الايمان المقدس ، ليتخذها قاعدة لعملياته العسكرية (١) .

ونلاحظ ان غرناطة فى الفترة الاخيرة من وجودها قد لجأت الى طلب المساعدة من مصر ففى عام ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م بعث سلطان غرناطة محمد الايسر بسفارة الى سلطان مصر الظاهر جقمق. كذلك وصلت الى القاهرة سفارة غرناطية على رأسها الفقيه الاندلسى ابو على بن محمد بن الازرق ، الذى حاول ان يقنع الاشرف قايتباى (٧٣هـ / ١٤٦٨م - ٩٠١هـ / ١٤٩٥م) بضرورة العمل على نجدة الاندلس (٢). لكن مصر المملوكية لم يكن فى مقدورها الاقدام على مثل هذا العمل وذلك : لمخلولة البحر مع بعد المسافة، والاحتياج الى كثرة المراكب ، ولم يكن للملك مصرر عناية بأمر البحر لأنهم اصحاب خيل ، فقوتهم برية وليست بحرية (٣) .

ومع ذلك نلاحظ ان الاشرف قايتباى قد بعث بسفارة الى الملكين الكاثوليكين فى عام ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م يهددهما فيها باضطهاد مسيحي المشرق اذا لم يوقفوا اعمالهما العدائية ضد غرناطة . ولكن هذه السفارة لم تؤت الثمار المرجوة منها ، وسقطت غرناطة فى يد الملكين الكاثوليكين فى عام ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م ، ونظرا لتوتر العلاقات الاسبانية المصرية فى هذه الآونة حرص هذان الملكان على ارسال سفارة الى مصر حيث قابلت السلطان قنصوة الغورى عام ٩٠٧هـ / ١٥٠١م ، وكان على رأسها السفير Pedro Martir de Angleria الذى نجح فى ازالة هذا التوتر السياسى (٤) .

(١) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ٣٨ .

(٢) د. عبد العزيز الازهرانى: سفارة سياسية من غرناطة الى القاهرة سنة ٨٤٤هـ - مجلة كلية الاداب - جامعة القاهرة - المجلد السادس عشر مايو ١٩٥٤ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر : Dr. A.M. Al Abbady : Algunos aspectos de las relaciones: historicas hispano - Egypcias, Boletin de la embajada de Egipto en

الباب الأول

غرناطة : أرضها وشعبها

الفصل الأول

وصف مملكة غرناطة

الوصف الجغرافى ، أنهار غرناطة ، الجبال فى مملكة
غرناطة ، مناخ غرناطة ، غرناطة العاصمة ، أرباض
غرناطة وأحيائها ، العمارة الدينية فى غرناطة ،
العمارة المدنية فى غرناطة ، مقابر غرناطة .

الباب الاول أرضها وشعبها الفصل الاول وصف مملكة غرناطة

الوصف الجغرافى:

شهد حوالى منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) مولددولة اسلامية صغيرة فتية فى جنوب الاندلس ، قدر لها ان تحمل راية الكفاح ضد اسبانيا المسيحية قرابة قرنين ونصف من الزمان ، هذه الدولة هى مملكة غرناطة .

وغرناطة أو اغرناطة (بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح النون وألف وطاء مهملة وهاء فى الآخر)^(١) ، اسم قديم يرجع الى ما قبل الفتح العربى وقد اختلف المؤرخون فى اصله ، فبينما ذهب فريق منهم الى انه مشتق من الكلمة الرومانية Granata أى الرمانة^(٢) ، وانها سميت كذلك لكثرة حدائق الرمان بها^(٣) . او انها انشئت على البقعة التى زرع فيها الرمان لأول مرة فى اسبانيا أو لان المدينة كانت تقع على تلين فتشبه بهذا الرمانة المشقوقة^(٤) ، او ان البلد سسمى

(١) البغدادى مراد الاطلاع على اسماء الامكنة والباق ج٢ ص ٩٩٠ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج٥ ص ٢١٣ .

(٢) المقرئ : نفع الطبيب ج١ ص ١٤١

(٣) انظر : Encyclopaedia Britannica: Art Granada, By L.S.F.

(٤) انظر : Prescott: Ferdinand and Isabella, p 169, note.

هذا وهناك رواية مؤداها ان ابا الحسن على سلطان غرناطة (٨٦٦-٨٩٠هـ / ١٤٦١-١٤٨٥م) عندما علم بتأمر القزوينى المسيحية الاسبانية ضد مملكته ، امتنع عن دفع الاتاوة التى كانت غرناطة تؤديها للملك اسبانيا فى كل عام وقال لرسول الملك فرناندو " قل لمولاي ان سلاطين غرناطة الذين اعتادوا اداء الاتاوات قد ماتوا ، وان دار الضرب بغرناطة لا تطيع الا ذهبا أوفضة ، وانما سيوقا ورماحا . وقد أثارت هذه الاجابة غضب الملك فرناندو ، لمصاح قائلا : Granada, le arrancaré los granos uno a uno. أى غرناطة ، غرناطة ، سوف انتزع حباتك واحدة واحدة

ويلاحظ ان هذا المعنى هنا مجازى لان كلمة Granada تعنى بالاسبانية الرمانة ، ولهذا فهو يقصد بانتزاع حباتها اى حصونها واحدا بعد الآخر . انظر : د. احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٦٣ وكذلك

Miguel Lafuente Alcantara: Historia de Granada, t. 111 p. 357 (Granada 1845) & Prescott: Op. Cit. p 182 .

كذلك لحسنه (١) ذهب عدد آخر من المؤرخين الى ان اسم غرناطة يرجع الى اصل قوطى وانه مؤلف من كلمتين "ناطة" (٢) ، وهو اسم لريض قديم كان يقع على مقربة من البيرة Elvira و"غار" وهو المقطع الذى اضافه المسلمون اليها ويعنى كهفا أو واديا عميقا ، فصارت "غرناطة"، وذكروا ان كلمة "غار" بالعبرية معناها " الغريب" ويفسر ذلك الهجرة اليهودية القديمة الى تلك المنطقة (٣) . او ربما كانت كلمة "غرناطة" تتكون من مقطعين " Kurn " قرن بمعنى تل ، " nattah " بمعنى الغريب فيصبح اسم المدينة " تل الغرباء " (٤) .

كذلك كان يطلق على غرناطة ايضا اسم "دمشق الاندلس" وذلك لان أهل دمشق قد نزلوا بها وسموها باسمها "لشبهها فى القصر والنهر والدوح والزهرة والغوطة الفيحاء ، وغزارة وكثرة الأشجار " (٥) .

كما عرفت غرناطة فى بعض الاحيان باسم "غرناطة اليهود" أو "أغرناطة اليهود " وذلك لأن طارق بن زياد عندما تم له فتح غرناطة وجد بها يهودا فضمهم الى قصبتهفاصبحت تعرف بهذا الاسم (٦) .

(١) ياقوت الحميرى، معجم البلدان ، المجلد الثالث ج٦ ص ٢٧٩ (القاهرة ١٩٠٦)
(٢) يذهب الكاتب الاسبانى القديم Hurtado de Mendoza الى ان كلمة "ناطة" قد تعنى اسم ابنة الكونت " يوليان" التى جلبت الى هذا الغار فعرف بـ"غرناطة" كذلك قيل ان كلمة "ناطة" Naath كانت اسما لزوجته باديس بن حموس ثالث ملوك غرناطة من الاسرة الزيرية . انظر:

Luis Seco de Lucena:Guide to Granada p 102-103.

Simonent: Descripcion del Reino de Granada p 40

Encyclopaedia Britannica, Art Granada by L.S.F.

(٣) انظر: (٥) انظر على سبيل المثال: الحميرى ، الروض المعطار ص ٢٣ ، المقرئ : نفع الطيب : ج١ ص ٢٥ ، ٢٦ ، ١١٨ ، ١٤١ ، Leopoldo Torres Balbas: Damasco y وكذلك: ج٣ ص ١٥١ وكذلك: ج٣ ص ١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٤٢

Granada (Al Andalus Vol IV 1941) FASC. 2 PP 461-469.

وفى هذا يقول المقرئ : (نفع الطيب ج١ ص ٢٥-٢٦)

رائعة الرسامة	لاسيما غرناطة الغراء
وحسبها هذا فخامة	وهى التى دعيت دمشق
اذ أظهر الكثر انهزامه	لنزول اهلها بها
باب نفى الفتح انهيامه	وأنت جيسوش الشام
اذا شبهتها فى اللخامة	فسلوا بها عن جلق

(٦) ابن الخطيب: اللحة ص ١٦ ، الحميرى : الروض المعطار ص ٢٣ .

كانت مملكة غرناطة عند نشأتها تشمل القسم الجنوبي الشرقى من الاندلس فيما وراء نهر الوادى الكبير الى الجنوب حتى شاطئ البحر المتوسط ومضيق جبل طارق ، ويحدها من الشمال ولايات جيان وقرطبة واشبيلية ، ومن الشرق ولاية مرسية وشاطئ البحر المتوسط ومن الغرب ولاية قادس وأرض الفرنيترة ^(١) ، وكانت تضم بين جنباتها ثلاث ولايات كبيرة هي :

غرناطة: فى الوسط تمتد نحو البحر وأهم مدنها غرناطة العاصمة ، وادى آش Guadix وبسطة Baza، وحصن اللوز Iznalloz ولوشة Loja والحامة Alhama وأرجة Orgiva والمنكب Almunecar وشلوبانية Salobrena وأشكر Huescar **المرية:** وكانت تقع فيما بين مرسية والبحر وأهم مدنها ثغر المرية Almeria وبيرة Vera ، والمنصورة Almanzora وبرشان . Purchena وبرجة Berja ودلاية Dalias وأندرش Andarax

مالقة: إلى الشرق من غرناطة وأهم مدنها ثغر مالقة Malag وبلش مالقة Velez Malaga، وقمارش Comares وأرشدونة Archidona وانتقيرة Antequera ورندة Ronda ومريلة Marabella وكان ينضم اليها جبل طارق Gibraltar والجزيرة الخضراء Algeciras وطريف Tarifa

انهار غرناطة:

حبت الطبيعة مملكة غرناطة بعدد من الانهار التى كانت تفيض على بساطتها فتزيد من خصوبتها وتساعد فى قيام الزراعة وأهمها :

نهر شنيل: Genil أو Xenil وكان أهل الاندلس يطلقون عليه اسم نهر سنجيل اشتقاقا من اسمه اللاتينى Singilis ويبلغ طوله نحو ٢١١ كم. ، وهو احد فروع نهر الوادى الكبير ، ينبع بكميات كبيرة من المياه صيفا عندما تذوب الثلوج .

(١) الفرنيترة هي بسطة قرطبة واشبيلية وطليلة وجيان آخذة من جوف (شمال) الجزيرة من الغرب الى الشرق والفرنيترة معناها بالاسبانية الحدود الفاصلة بين دولتين .
انظر: ابن خلدون : العبر ج٢ ص ١٧٩ .

وقد ولع الشعراء بوصف هذا النهر وتغالوا في هذا الى ابعد الحدود ومثال ذلك:

كأنا النهر صفحة كتبت أسطرها والنسيم منشئها

لما أبانت عن حسن منظره مالت عليه الغصون تقرؤها (١)

بل وفضلوه على النيل بزيادة حرف الشين على حروف النيل ، وتعنى ألفا في العدد ، فكانهم قدروه بالف نيل (٢). وكان لأهل غرناطة شغف عظيم بالجلوس على ضفاف هذا النهر، يقضون الأمسيات في أنس وسمر خاصة في الربيع والصيف . كما كان موضع مدح الرحالة الاجانب (٣) .

نهر حدرة : Darro (١١ ك.م) كان يشق غرناطة آتيا من الشرق ويلتقى بنهر شنيل خارج المدينة ثم يمر بالفحص بين بساتين ومزارع وكرمات الى ان ينتهى الى غرناطة فيدخلها من باب الدفاف (٤) ، وكانت تقع عليه خمس قناطر هي : قنطرة ابن رشيق ، وقنطرة حمام جاش ، والقنطرة الجديدة ، وقنطرة الفود ، وقنطرة القاضي (٥) التي مازالت اثارها باقية الى اليوم (٦) .

نهر وادي المنصورة: Rio de Almanzora, Guadal manzor

وكان يسمى ايضا وادي بيرة لأن مياهه كانت تصب في البحر المتوسط عند بلدة بيرة Vera (٧) .

(١) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ج٢ ص ١٠٣ ، اختصار القلح المحلى ص٢.

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة (عنان) ج١ ص ١٢٤ ، المقرئ: نفع الطيب ج١ ص ١٤٢ ، د. العيادي: دراسات ص ٢٢٥ .

ولى هذا يقول ابن الخطيب : "وما لمصر تلخر بنيلها ، وألف منه في شنيلها" ويقول ابن زمرك (المقرئ: نفع الطيب ج١ ص ١٠٥ ، أزهار الرياض ج٢ ص ١٨١) شنيلها مد منه نيل والشين ألف لستنيل

(٣) انظر: G. Levi Della Vida: II Regno di Granata p 315

(٤) العمري: مسالك الابصار ص ٣٧ .

(٥) القلشندي : صبح الاعشى ج٥ ص ٢١٥ .

(٦) انظر: Leopoldo Torres Balbas : El Puente de Cadi y la Puerta de los Panderos en Granada (Al Andalus 1934, vol II, fasc 2 p 357)

(٧) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣٤ ح وكذلك: Simonet: Discripcion del Reino de Granada, p 111.

الجبال فى مملكة غرناطة:

كانت الجبال الوعرة تخترق مملكة غرناطة من كل صوب ، وبالإضافة إلى ميزة هذه الجبال الدفاعية فانها كانت تحتوى على الكثير من المعادن ومن بينها الذهب والفضة والرصاص والحديد والتوتيا والمرقشيتا^(١) واللازورد^(٢) وأهم هذه الجبال:

جبل شلير: وهو تحريف للاسم اللاتينى القديم Mons Solarius, Solorius أى جبال الشمس و ذلك لشدة لمعانه لانعكاس الشمس على قممه المغطاة بالثلوج الناصعة صيفاً وشتاءً، ويجمد عليه حتى يصير كالحجر الصلد^(٣)، تتفجر منه العيون وتتعدد على سفحه الجئات والبساتين^(٤)، ولقرية من غرناطة كان يؤثر فى بردها، ويعرف هذا الجبل اليوم باسم سييرا نيفادا Sierra Nevada أى الجبال المشلجة^(٥)، ويبلغ ارتفاعه

(١) المرقشيتا او المرقشيطا: حجر ذو خواص طبية يغلب على الظن انه الهزموت ، وذكر ابن سينا انه يوجد على انواع مختلفة ذهبى وقضى ونحاسى وحديدى ، وكل صنف يشبه الجواهر الذى ينسب اليه فى لونه. انظر: ابر الحسن على بن يوسف الحكيم: اللوحة المشبكة فى ضوابط دار السكة ص ٢٦ ح ٩ .

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٠٤ ، اللوحة البدرية ص ١٣ .

(٣) ابن غالب: فوحة الأتلس ص ١٤ ، ابن سعيد: بسط الارض ص ١٠٠ ، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤ ، ١١٢ .
المقرى: نفع الطيب: ج ١ ص ١٤٢ ، ١٦٦ .

(٤) ابن الخطيب: الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٠٣ .

(٥) د. العيادى: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٨٠ ح ٢ وكذلك : Simonet: Op. Cit p. 47
هذا ويقول الشاعر عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله الأزدى (ت ٧٥٠هـ) فى وصف جبل شلير وقد كساه الثلج (ابن الخطيب: الاحاطة: الاسكوريال) لوحة ٢٢٧).

وشيوخ جليل القدر قد طال عمره	وما عنده علم بطول ولا قصر
عليه لباس ابيض باهر السن	وليس بثوب احكمته يد البشر
وطورا تراه كله كاسيا به	وكسوته فيها لأهل النهى عبر
وطورا تراه عاريا ليس يشتكى	لحر ولابرد من الشمس والقمر
وكم مرت الايام وهو كما ترى	على حاله لم يشك ضعفا ولا كبر
فلذاك شلير شيخ غرناطة التى	لهجتها فى الأرض ذكر قد انتشر
بها ملك تسامى المراقى أطاعه	كبار ملوك الأرض فى حالة الصغر
تولا ، رب العرش منه بعصمة	تقيه مدى الايام من كل ما ضرر
ويقول ايضا: (المقرى: نفع الطيب ج ١ ص ١٠٢)	
شلير لعمرى أساء الجوار	وسد على وحيب النضا
هو الشيخ أبرد شئ يرى	إذا لبس البرنس الأبيض

١٤٨١ متراً وتسمى قمته حتى الآن مولاي ابى الحسن Cerro de Mullacen^(١).
جبل طارق : يمثل هذا الجبل موقعاً استراتيجياً مهماً، فهو همزة الوصل بين
 عدوتي المغرب والأندلس، ويتحكم فى مضيق المجرى حيث كانت ترد إلى الأندلس،
 عبره، المعدات والجنود للمشاركة فى الجهاد ضد العدو، ولهذا قام صراع طويل بين
 الجانبين الاسلامى والمسيحي حول هذا الجبل^(٢).

وينسب هذا الجبل إلى طارق بن زياد " اذ كان أول ما حل به من المسلمين من بلاد
 الأندلس عند الفتح " وإذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة فى البحر بان كأنه
 سرج قال أبو الحسن على بن موسى بن سعيد : أقبلت عليه مرة مع والدى فنظرنا
 إليه على تلك الصفة، فقال والدى أجز : انظر إلى جبل الفتح راكبا متن لج.
 فقلت :

وقد تفتح مثل الأفنان فى شكل سرج^(٣).

ويعرف هذا الجبل ايضا باسم جبل الفتح نسبة إلى مدينة الفتح التى انشأها الموحدون
 على سفحه لتكون مركزاً لعملياتهم الحربية فى الأندلس. وكان يطلق عليه قبل الفتح
 الإسلامى الاسم الغنيقى Mons Calpe ومعناه تجويف، اذ كان هذا الاسم يطلق
 أصلاً على مغارة كبيرة فى هذا الجبل عرفت فيما بعد باسم مغارة القديس ميخائيل
 San Miguel أما اليوم فيطلق عليه اسم Gibraltar^(٤).

جبل الفخار : وهو أحد شعب جبال سييرا نيفادا. ويسمى اليوم Monte
 Alfacar^(٥)

(١) العمرى، مسالك الابصار ص ٣٥ ح ١
 (٢) انظر تفاصيل ذلك فى العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٤٠٣-٤٧٠ .
 (٣) المقرئ، نفع الطيب ج ١ ص ١٥٢-١٥١ .
 (٤) انظر : ابن مرزوق؛ المحدث الصحيح (نشر ماريا خيسروس بيجيرا) الجزائر ١٩٧٥ ص ٢٦٣-٢٦٤ ، ابن بطوطة :
 الرحلة ج ٤ ص ٣٥٥ ، ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ٢٣٤ ج ٥ .
 (٥) ابن الخطيب : الاطاعة (هناك) ج ١ ص ١٢٧ ح ٥ .

جبال البشرات: وتعرف أيضا باسم جبال الشارات^(١) ويطلق عليها اسم جبال Alpuarras.

مناخ غرناطة :

يصف المؤرخون غرناطة بأنها « شامية في أكثر أحوالها ، قريبة إلى الاعتدال »^(٢) إلا أنها كانت شديدة البرودة شتاءً ، مما كان يؤدي إلى تجمد المياه وتراكم الثلج^(٣).

ويشير ابن الخطيب إلى ذلك قائلاً :

"ولكنها والله بردها يطفئ حر الحياة، ويمنع الشفاة عن رد التحيات"^(٤).
غرناطة العاصمة :

كانت غرناطة مدينة مستديرة تقع على سفح جبل شلير Sierra Nevada ، ويخترقها نهر شنيل Genil أحد فروع الوادي الكبير ، وكانت عبارة عن مساحة غاصة كلها بالأبنية ومحاطة بسور فتحت فيه عدة أبواب عند الطرق التي تبدأ من المدينة وتصلها بغيرها ، وكانت هذه الأبواب عادة تسمى باسم المنطقة أو المدينة التي يؤدي

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١١٧ .

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق ص ١٠٢ ، اللوحة ص ١٢ .

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق ص ١٠٣ وفي برده غرناطة يقول القاضي أبو بكر بن شبرين (الاطاحة ج ١ ص ١٠٤ ، ابن بطوطة: الرحلة ج ٤ ص ٣٩٩) :

يسر كنيبا او ينجير طريدا	رعى الله من غرناطة متبراً
مسارحها بالبرد عدن جليدا	تبرم منها صاحبي عندما رأى
وما خير ثغر لا يكون برودا	هي الثغر صان من أهلت به

ويقول ابن صدره:

وشرب الحميا وهو شئ محرم	أحل لنا ترك الصلاة بأرضكم
أرق علنا من شلير وأرحم	فرارا إلى نار الجحيم لانها
فلى مل هذا اليوم طابت جهنم	لئن كنت ربي مدخلى في جهنم

انظر : الحميري: الروض المعطار ص ١١٢ ، القلقشندي: صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٥ ، د. العبادي : الاعباد في ملكة غرناطة : صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بدير المجلد ١٥ / (١٩٧٠).

(٤) ابن الخطيب : معيار الاختيار في مشاهدات ص ٩١ .

إليها الطريق ومنها باب البيرة وباب الكحل وباب الرخاء وباب المرضى وباب المصرع وباب الرملة^(١) وباب الدباغين وباب الطوابين وباب الفخارين وباب الخندق وباب الدفاف وباب الأسدر^(٢) وباب مسرور^(٣)، وكانت شوارع المدينة متعرجة وملتوية، تعرف باسم الدروب^(٤)، أو الزنقات^(٥)، مثل زنقة القرن^(٦) ورنقة المحرب^(٧) وزنقة المسرينى^(٨). وكانت الأسواق فى العادة تقع إلى جوار مسجد المدينة الجامع، وخصصت إحدى هذه الأسواق لتجارة الأقمشة وأدوات الترف، وتسمى القيسارية^(٩). وهى عبارة عن شوارع ضيقة مسقوفة فتحت فيها أبواب الدكاكين فى ظل بوائك محمولة على أعمدة رخامية رشيقة، وكان هناك سوق يقع بالقرب من باب الرملة الذى بطل على الساحة المسماة بالرملة حيث كانت تقام الأعياد الشعبية^(١٠).

أرياض غرناطة وأحيائها :

يذكر العمرى (ق ٨ هـ / ١٤ م) أنه كان بغرناطة أربعة أرياض رئيسية هى^(١١) :

ربض البيازين، إلى الشمال من المدينة، قرب باب الدفاف وكان أكثر الأرياض أهمية وتكديساً بالسكان، فما كمدنية كبيرة مستقلة لها مسجدها الأعظم وإداراتها حيث

(١) كان هذا الباب قد تهدم بين عامى ١٨٧٣-١٨٨٤ ثم أعيد بناؤه فى عام ١٩٣٥ انظر:

Leopoldo Torres Balbas: La Puerta de Bibramba de Granada (Al Andalus Vol IV 1936, fasc 1, p 195-198.

(٢) القلشندي: صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٤ ولزبد من التفاصيل انظر:

Luis Seco de Lucena : Las Puertas de la Cerca de Granada en el siglo XIV (Al Andalus Vol VII, 1942, fasc 2 pp 438-458.

(٣) المراكشي: الذيل والتكملة . السفر الخامس ، القسم الأول ص ٢٢٤ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٤٩١ .

(٥) انظر: Luis Seco de Lucena: Documentos Arabes Granadinos I, (Al Andalus Vol VIII, 1943, fasc 2 pp 415-429.

(٦) لويس ميكرودى لوئينا: وثائق عربية غرناطية ص ٩٧ .

(٧) لويس ميكرودى لوئينا : نفسه ص ١٠٧ .

(٨) لويس ميكرودى لوئينا : نفسه : ص ٦٩ ، ٧٢ .

Dozy, II, p 432

(٩) القيسارية: وجمعها قيسار، هى السوق التجارية العامة . انظر

(١٠) برونسبال: محاضرات فى ادب الاندلس وتاريخها ص ٦٧ .

(١١) العمرى: مسالك الابصار (نشر حسن حسنى عبد الزهاب) ص ٤١ .

كان له قضاته وحكامه، وقد ذكر الرحالة الإيطالي اندريا نافاجيرو - Andrea Nav- agero إن هذا الريض قد أخذ اسمه من أهل بياسة الذين لجأوا إليه بعد سقوط مدينتهم في أيدي المسيحيين^(١). بينما يرى بعض المؤرخين أن كلمة البيازين جاءت بسبب اشتغال بعض سكان هذا الحى بتربية البزاة التى كانت تستخدم فى الصيد، وقد امتدح الرحالة المصرى عبدالباسط هذا الريض عند مروره به^(٢) ويعرف هذا الريض فى الاسبانية باسم Albaicin ثم كان هناك ريض الفخارين، ويقع إلى الجنوب الشرقى خارج الأسوار قرب نهر شنيل وبجانب باب بنفس الأسم^(٣). وريض باب الرمله وريض نجد قرب نهر شنيل إلى الشرق من غرناطة بالقرب من جبل السبيكة، وكان به كثير من الحدائق، ويطلق ابن بطوطة على هذا الريض اسم ريض الأجل^(٤).

وكانت هناك أرباض أخرى فى غرناطة لكنها تقل فى الأهمية عن هذه الأرباض الأربعة التى ذكرها العمرى، وبعض منها كان جزءاً من الأرباض المذكورة. وقد ورد ذكرها فى الوثائق الرسمية التى صدرت بعد الاسترداد، وجاء اسمها الاسباني فى هذه الوثائق محرفاً عن أصله العربى، نذكر منها : ريض أبو العاصى Abulaci الذى كان يقع بين المسجد الأعظم وشارع البيرة فى وسط المدينة، ويشير ابن الخطيب إلى أن هذا الريض أخذ اسمه من رجل قام بتأسيس مسجد وحمام فيه^(٥).

(١) انظر: Simonet: Descripcion de Reino de Granada p 238
(٢) انظر: G. Levi Della Vida: II Regno di Granata Nel 1465-66 Nei Ricordi di Un Viaggiatore Egiziano p. 314
(٣) انظر: Luis Seco de Lucena: Documentos arabes granadinos 11 Al Andalus IX 1944 p 136.

(٤) انظر: ابن بطوطة: الرحلة جاء ص ٣٧٣ (الطبعة الفرنسية)، وكذلك Luis Seco de Lucena: De Toponimia granadina (Al Andalus XVI 1951 pp 49-64 .

وذكرنا اسم هذا الريض باقليم نجد الشهير فى شبه الجزيرة العربية ، انظر Emilio Garcia Gomez: Elogio del Islam Espanol (Madrid 1934), p 108 n. 155.

(٥) انظر: J.F. Riano: La Alhambra (Rev. de Espana, XCVII, (Madrid 1884), pp 189-190, Manuel Gomez Moreno: Guia de Granada (Granada 1892) p 322, Leopoldo Torres Balbas: Estructura de las Ciudades hispanomusulmanas : La Medina, Los Arrabales y los Barrios, Al Andalus Vol XVIII, 1953 fasc J. P 148-177.

ثم يقابلنا ريبض البيضا^(١)، وريبض مسورور^(٢)، وريبض اخشارش^(٣)، وريبض اليعفور^(٤)، وريبض القراقين^(٥).

ونلاحظ أن الناس كانوا يتجمعون في الأرباض والأحياء أما بحسب عقيدتهم الدينية فكانت هناك احياء لليهود وأخرى للمستعربين. واما بحسب اصلهم كأحياء غمارة وزناتة في غرناطة. ولكن الأكثر شيوعاً كان الخضوع للنشاط التجاري أو الصناعي للسكان، كثل ريبض الفخارين وريبض القراقين وهكذا. وكانت هناك أرباض أخرى تأخذ اسمها من الموقع الجغرافي مثل ريبض العقطة وفحص اللوز. وأحيانا أخرى كان الريبض يأخذ اسمه من إحدى المنشآت القريبة مثل ريبض باب الرملة. كما كان بغرناطة ريبض آخر يدعى ريبض المصلى أو الشريعة، الذي كانت تقوم فيه الصلوات في الهواء الطلق^(٦).

العصارة الدينية في غرناطة :

لم يكن المسجد الجامع في غرناطة، كغيرها من البلاد الاسلامية، بيت عبادة فحسب، ولكنه كان المركز الذي تدور حوله الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية في المدينة، وتتركز حوله الحياة الاقتصادية، وتعقد فيه الاجتماعات العامة الكبيرة وتنظر فيه القضايا وتعطى الدروس وتبارك الاعلام قبل الذهاب إلى الحرب، ومن فوق منبره كانت تقرأ النشرات الرسمية والخطابات التي تتضمن أخباراً هامة، كالانتصارات الحربية، ولم تكن في العادة تقام منازل ملاصقة للمسجد^(٧). ويصف العمرى مسجد غرناطة الجامع بأنه كان " من ابداع الجوامع وأحسنها منظراً، وهو

Ibid.

(١) انظر :

(٢) لويس سيكودي لوثينا: وثائق عربة غرناطية ص ٤٧، ٤٨.

(٣) لويس سيكودي لوثينا : نفسه ص ١١ .

(٤) لويس سيكودي لوثينا : نفسه ص ٦٩ .

(٥) لويس سيكودي لوثينا : نفسه ص ١٠٧ .

Leopoldo Torres Balbas : Op. Cit., p 152-153.

(٦) انظر :

(٧) ليوپولدوتوريس بلباس: الابنية الاسلامية ص ٩٩-١٠٠ .

محكم البناء لا يلاصقه بناء، تحف به دكاكين الشهود والعطارين، قد قام سقفه على أعمدة حسان والماء يجرى داخله^(١).

وفضلاً عن المسجد الجامع كان بغرناطة عدد آخر من المساجد مثل مسجد الحمراء الأعظم الذي بنى فى حوالى عام ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥^(٢) وعدد من المساجد الصغيرة فى الأحياء المختلفة وعدد كبير من المصليات^(٣)، نذكر منها مسجد أبى العاصي^(٤) ومسجد رضى البيازين^(٥)، ومسجد القيسارية^(٦)، ومسجد ابن جرج^(٧)، ومسجد حمزة^(٨)، ومسجد الجوزة^(٩)، ومسجد الفخارين^(١٠)، ومسجد ابن عذرة^(١١)، ومسجد المنصورة^(١٢)، ومسجد المرابطين^(١٣)، ومسجد دار القضاء^(١٤)، ومسجد القاضي^(١٥)، ومسجد ابن سحنون^(١٦)، ومسجد التائبين^(١٧)، وجامع شيشون بربض البيازين^(١٨).

(١) القلقشندي، صبح الاعشى ج٥ ص ٢١٤ وانظر: Leopoldo Torres Balbas

La Mezquita Mayor de Granada (Al Andalus Vol. X, 1945 fasc 2 pp 409-432.

(٢) انظر: Leopoldo Torres Balbas : La Mezquita Real de la Alhambra y el Bano Frontero, Al Andalus Vol x (1945) fasc I PP 196-214.

(٣) ليوبولد توريس بلباس : المرجع السابق ٩٩-١٠٠.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عتان) ج١ ص ٤٩١.

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٦٥، ابن حجر: الدرر السمر الاول ص ١٨٨-١٨٩.

(٦) المقرئ: نفع الطيب ج٣ ص ٤٥٠.

(٧) ابن الأبار: التكملة السفر الاول ص ٣١٧.

(٨) ابن الأبار: المصدر السابق ص ١٤٩، المراكشي : الذيل والتكملة السفر الخامس القسم الثاني ص ٥٨٨.

(٩) انظر: Luis Seco de Lucena : Escrituras de donacion Arabigogranadinas.

صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدرسة المجلد الخامس العددان ١-٢ ١٣٧٧-١٩٥٧، الوثيقة رقم ٤ ص ٧٧.

(١٠) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٠٧.

(١١) ابن الخطيب : نفسة لوحة ١٠٧.

(١٢) ابن فرحون: الديباج ص ٢٩٧.

(١٣) المراكشي: الذيل، السفر السادس ص ٤٢٩.

(١٤) المراكشي : الذيل، السفر السادس ص ٣٦٩.

(١٥) نفسه ص ٣٦٩.

(١٦) لويس سيكودي دى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٨٢.

(١٧) لويس سيكودي دى لوثينا: نفسه ص ١٠٨.

(١٨) لويس سيكودي لوثينا: نفسه ص ٨٦، ١٠١.

وجامع الجرف بربض البيازين^(١) ومسجد زاهر^(٢). وفى عهد بنى نصر اشتهر أهل غرناطة باستخدام الرخام، فأخذوا فى تشييد مصليات ترتكز على أعمدة كما هو الحال فى مسجدى البيازين والحمراء، ومن المميزات التى أنفردت بها صحنون المساجد الأندلسية تجميل صحنونها بالجنان وحدائق الفاكهة^(٣).

وكانت مآذن المساجد عبارة عن أبراج مربعة بسيطة تتكون من طابقين، الأسفل ينتهى اعلاه بشرفة والأعلى اصغر حجماً وأقل ارتفاعاً من الأول ويتوجه كذلك سور محيط بالمئذنة أعلاه مزخرف بكرات معدنية مختلفة، ويستقل المسجد عن المئذنة دائماً ويفصل بينهما صحن^(٤).

هذا وقد بقيت من عصر سلاطين بنى نصر مئذنتان : الأولى مئذنة مسجد تحول إلى كنيسة سان خوان دى لوس رييس San Juan de los Reyes بغرناطة والأخرى مئذنة مسجد ببلدة رندة تحول إلى كنيسة باسم سان سباستيان، أما مئذنة غرناطة فتتكون من برج مربع الشكل بداخله نواة مربعة صماء. ويدور بين هذه النواة الوسطى والجدار الخارجى للمئذنة أحدور صاعد يماثل أحدور الخير الدأ. وتزدان أوجهها الأربعة من الخارج بعقود صماء تتداخل فيها الخطوط المستقيمة بالمنحنيات أقيمت من الآجر، وتمتد خواصر هذه العقود من رؤوسها فتتقاطع فيما بينها مؤلفة شبكات من المعينات يختلف رسمها فى كل وجه عن الآخر ويدور بأعلى الشبكات أقرىزان بارزان أحدهما يعلو الآخر يحصران بينهما شريطاً عريضاً تكسوه شبكة من أشكال متعددة الضلوع

(١) لوس سبكدى لوثينا : نفسه ص ٦٣

(٢) لوس سبكدى لوثينا : نفسه ص ٤٤

وانظر: Luis Seco de Lucena : El barrio del Cenete, las alcazbas y las Mezquitas de Granada (Cuadernos de la Alhambra Vol 2, 1966, pp 43-51.

(٣) بالباس: الانبهة الاسبانية الاسلامية ص ١٠٣. هذا وقد اباح الامام عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى (ت ١٥٧هـ) غرس الاشجار فى صحنون المساجد وملهب الاوزاعى الشامى هو أول ملهب انتشر فى الاندلس، وقد انتشرت معه عادة غرس اشجار النارج واللبين فى صحنون المساجد. وظلت هذه العادة قائمة بعد انتشار الملعب المالكى فى هذه البلاد. انظر: د. احمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٩٤ ح ٣.

(٤) بالباس: المرجع السابق ص ١٠٤.

نجمية الشكل ذات ١٦ رأساً أما المئذنة الأخرى بمدينة رندة فمقاييسها متواضعة، وهى على شكل مربع أيضاً^(١).

العمارة المدينة فى غرناطة

قصر الحمراء

كما أن قصر الفاتيك كان جزء لا يتجزأ من تاريخ البابوية فإن قصر الحمراء جزء لا يتجزأ من تاريخ بنى الأحمر فى غرناطة، بل هو قطعة من هذا التاريخ يدل بما يحويه من بدائع الصنع والفن على مدى تقدم الحضارة فى فترة من فترات التاريخ الأندلسى كما أنه يعد بلامنازع من أهم بل من أعظم آثار المسلمين بالأندلس وقد دارت حوله القصص ونسجت حوله الأساطير، كما شهدت قاعاته ألواناً من الترف والنعمة والجمال إلى جانب الحوادث والأحداث الجسام.

كانت الحمراء فى القرن الرابع الهجرى (١٠ م) قلعة متواضعة تقع على الجانب الأيسر لنهر حدة، وقد جاء ذكرها فى الحروب الأهلية التى قامت فى إقليم غرناطة بين العرب والمولدين فى عهد أبى محمد بن عبد الله بن محمد سابع الأمراء الأمويين بالاندلس (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) إذ اتخذها سوار ابن حمدون القيسى قاعدة وحصناً وملاذاً له ولرجالاه بعد أن انضم إليه عرب المناطق المجاورة، وقد تمكن العرب فى "وقعة المدينة" من وضع السيف فى رقاب المولدين وقتلوا منهم أحد عشر ألفاً^(٢). وعندما تولى باديس بن حبوس زعيم البربر حكم غرناطة فى أوائل القرن الخامس الهجرى - اتخذ هذه القلعة قاعدة لملكه، وأنشأ سوراً ضخماً حول التل الذى تقع عليه تلك القلعة وأنشأ فى داخله قصية اتخذها مقراً له ومركزاً

(١) د. السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر - المجلد الثامن - العدد الاول - إبريل - مايو - يونيو ١٩٧٧ ص ١٢٨ وكذلك:

Torres Balbas: Ars Hispnie, t. IV, P 144.

(٢) ابن الأبار: الحلة السيرة ج ١ من ١٤٧ وما بعدها (تحقيق د. حسين مؤنس)، ابن عذارى: البيان المغرب ج ٢ ص ٢٠٢.

لحكمه، ثم تطورت بمرور الزمن واصبحت قصبة غرناطة وحصنها المنيع^(١).

ولما دخل محمد بن الأحمر غرناطة في عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م لم يتوان لحظة عن العمل بهمة ونشاط، على تدعيم مركزه وتثبيت سلطانه، وحماية نفسه وأسرته فاستقر رأيه على إنشاء حصن يحتمى به ويلوذ إليه، فركب من المدينة إلى الاطلال المحيطة بها والمرتفعات القريبة منها، يستكشف طبيعة أرضها، ويختبر قوة مناعتها، عله يجد من بينها مكاناً يصلح لهذا الغرض فاستقر به المطاف في نهاية الامر إلى موقع الحمراء في منطقة "السبيكة" في الجانب الشمالي الشرقي من مدينة غرناطة، ووضع ابن الأحمر في هذا الموضع المرتفع اساس حصنه الجديد "قصبة الحمراء" ثم أمر بإقامة البناء والعمل على اتمامه بسرعة. ولم يغب عن ذهنه توفير الماء اللازم لقصره^(٢). فأمر بعمل سد على نهر حذرة الذي كان يجري في الجهة الشمالية تحت أقدام التل الذي شيدت عليه القلعة لتؤخذ منه المياه وترفع إلى الحصن بواسطة سواقي^(٣). وكان ابن الأحمر أثناء إقامة الحمراء يقف بين العمال يشجع جهودهم ويباشر أعمالهم ويكافئ اجتهادهم^(٤).

واتخذ ابن الأحمر من هذا القصر قاعدة للملكه، وأنشأ فيه عدداً من الابراج المنيعة منها برج الطليعة Torre de la Vela وبرج التكريم Torre de Homenage ، وأنشأ له سوراً ضخماً يمتد حتى مستوى الهضبة وفي عهد محمد الثاني المعروف بالفقيه استكمل الحصن والقصر الملكي واتم جزءاً من أسوار الحمراء في أواخر القرن السابع. ولما تولى محمد الثالث قام ببناء المسجد الجامع بالقصر. على أن العصر الذهبي لعمليات الإنشاء والتشييد في قصر الحمراء كان في عهد السلطان يوسف

(١) انظر: Leopoldo Torres Balbas : La Alhambra de Granada antes del siglo XIII (Al Andalus Vol. V, 1940) p 173 .

(٢) ابن الخطيب : اللعة ص ٣١ .

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب ج٣ ص ٢٤٥ د. بلع: غرناطة وقصر الحمراء ص ٧٩ .

(٤) انظر: S.P. Scott: History of the moorish empire in Europe V. 2P (1904).

الأول وولده محمد الخامس، فالى الأول ينسب إقامة السور الذى يحيط بالحمراء، بأبراجه وبوابته العظمى المعروفة بباب الشريعة أو باب العدل، وقصر البرطل، وبرج الأسيرة، وبرج الشرفات أو الأسنة وبرج مخدع الملكة، وقصر الريحان، وبرج قمارش، وقصر السلطان، والحمامات السلطانية، وعندما تولى محمد الخامس الغنى بالله، أتم وأصلح ماكان قد انشئ فى عصر أبيه، ثم قام بتشييد مجموعة قصر السباع وقاعة الملوك أو العدل، وقاعة بنى سراح، وقاعة الأختين^(١).

هذا وتختلف آراء المؤرخين حول اسم الحمراء فقليل ان الأسم جاء من اسم قلعة الحمراء القديمة التى بنى فوقها قصر ابن الأحمر، وقيل كذلك ان اطلاق اسم الحمراء على قصر غرناطة الملكى يرجع إلى إحمرا ابراجه الشاهقة أو الى لون الأجر الذى بنيت منه الأسوار الخارجية أو إلى لون التربة التى بنيت عليها والتى تميل إلى الاحمرار بسبب كثرة أكسيد الحديد بها^(٢). وقد سميت لهذا السبب بتل السبيكة Monte de la Asabica وفى ذلك يقول الشاعر الغرناطى ابن مالك

الرعينى :

تر الأرض منها فضة فإذا اكتست بشمس الضحى عادت سبيكتها ذهب^(٣)

(١) لمزيد من التفصيلات انظر:

د. السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور بالاندلس (اقرأ العدد ١٩٠ أكتوبر ١٩٥٨ ص ١٠٦-١٢٦، د. محمد عبد العزيز مرزوق، قصر الحمراء المكتبة الثقافية العدد ٩١، د. عبد الرحمن زكى، غرناطة وآثارها اللاتنة المكتبة الثقافية - العدد ٢٧٦ وكذلك:

Leopoldo Torres Balbas: Ars Hispaniae Vol. IV, La Alhambra (Madrid 1953), G. Marcais : L'architecture musulmane d'Occident, E. Lambert: Art musulman d'Occident des origines a la fin du XV^e siecle (Paris 1966) pp 142-147.

(٢) د. محمد عبد العزيز مرزوق : قصر الحمراء ص ٢٢ .

(٣) المقرئ: نفع الطيب ج١ ص ١٦٥ .

كذلك يقول ابن جعفر الالبهى عند رحيله من غرناطة:

ولما وقفنا للرداع وقد بدت قباب بنجد قلت علت ذلك الوادى
نظرت فألفيت السبيكة فضة لحسن بياض الزهر فى ذلك النادى
فلما كستها الشمس عاد ليجتها لها ذهباً فاعجب لاكسيرا الهادى
(المقرئ : نفع الطيب ج٢ ص ٤٣١)

ومن هنا نرى إنه ليست هناك صلة بين اسم الحمراء وبنى الأحمر، فالأمر لا يعدو أن يكون مجرد مصادفة وتشابه أسماء، فالأول يرجع إلى لون تربة أرضه، والثاني إلى لون شعر جدهم، ولكن لم يلبث الاسمان أن ارتبط كلاهما بالآخر بعد ذلك حتى صار بنو الأحمر والحمراء قلباً وقالباً فاتخذوا اللون الأحمر شعاراً لهم في كل حياتهم^(١).

قصر جنة العريف :

شيد هذا القصر في أواخر القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، ثم جدد على يد السلطان أبى الوليد اسماعيل (٧١٤ هـ - ١٣١٤ / ٧٢٦ هـ - ١٣٢٥ م)، ويقع على ربوة عالية على مقربة من قصر الحمراء في ركن منعزل في شمال شرقي الهضبة ويطل على قصر الحمراء، وتبدو من ورائه قمم جبال سبيرا نيفادا. وقصر جنة العريف عبارة عن قصر صغير جميل اختلطت أصوله الإسلامية بما أنشأه الأسبان بعد سقوط غرناطة، وتجوّز إلى هذا القصر من مدخل متواضع يؤدي إلى ساحة فسيحة قد أقيم على جانبها رواقان طويلان ضيقان، وفي وسطها بركة ماء وقد غرست حولها الرياحين والزهور الساحرة، حتى كانت "المثل المضروب في الظل الممدود، والماء المسكوب، والنسيم العليل". وقد اتخذ ملوك غرناطة من هذا القصر مضيفاً أو متنزهاً يرتادونه للراحة والاستجمام^(٢).

قصر شنيل : Alcazar Genil

ويعرف أيضاً بقصر السيد، يقع على الضفة اليسرى لنهر شنيل ويرجع تاريخ بنائه

(١) انظر الفصل الخاص بالسلطان.

(٢) انظر: المقرئ: ازهار الرياض ج١ ص ١٩٥، د. السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور بالاندلس ص

١٢٤-١٢٥، محمد عبد الله عنان: نهاية الاندلس ص ٢٩٩، د. زكي محمد حسن: فنون الاسلام ص ١١٩ وكذلك Emilio Lafuente Y Alcantara: Inscripciones arabes de Granada (Madrid 1859) pp 189-191 & Antonio Almagro Cardenas. Inscripciones arabes de Granada y apuntes arqueologicos sobre su Madraza (Granada 1879) p 170

إلى الأمير الموحدى أبى اسحاق بن الخليفة أبى يعقوب يوسف (٦١٥ هـ / ١٢١٨ م)، ويفهم من النصوص أن هذا القصر كان يستخدم كقصر للمضيافة فى عهد الدولة النصرية، وقد نزل به "الانفانت" فيليب Don Felipe أخو الملك الفونسو العاشر ملك قشتالة عندما ثار عليه واضطر إلى اللجوء إلى غرناطة^(١).

كما أقام سلاطين بنى نصر فى غرناطة العاصمة وإنحاء أخرى من المملكة عدداً آخر من القصور مازال أثر من بعضها باقياً إلى اليوم. ففى عهد محمد الثانى الفقيه، أقيم فى ريبض البيازين قصر فخم كان يحتوى على نافورة رخامية وصالة مربعة جميلة من سبعة أمتار مليئة بالزخارف الجميلة^(٢).

وغير بعيد عن هذا القصر، يوجد منزل Los Girones الذى يعود إلى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى)، ويتكون من صالة مزخرفة بخليط من المرمر والكلس بألوان لامعة متعددة^(٣).

وفى حى القصبة القديمة فى البيازين توجد اطلال قصر نصرى يرجع إلى منتصف القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) هو قصر دار الحرة، عبارة عن صحن محاط بالأروقة تفتح عليها الصالات، تحتفظ واحدة منها إلى اليوم ببقايا زخرفية حائطية. كذلك يوجد فى نفس الحى أطلال منزل آخر جدد فى القرن الخامس عشر الميلادى فى داخل دير Santa Catalina de Zafra^(٤). كما توجد على بعد كيلومترين من غرناطة على طريق Zubia اطلال أحد المنازل الريفية التى تسمى اليوم Cortigo de Cobertizo وإلى الجنوب من نفس الطريق توجد Darabenaz التى كانت تقع فى داخل Cortigo de la Marquesa وهى ليست إلا

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج١ ص ١٢٥ من وحاشية ٢ وص ٣٢٤ وكذلك:

Emilio Lafuente y Alcantara : Op. Cit., p 101-102.

M. Gomez Moreno: Granada en le siglo XIII (Cuadernos de la انظر: ٢)
Alhambra N° 2 (Granada 1966) pp 26-33.

M. Gomez Moreno: Op. Cit. pp 34-35.

Leopoldo Torres Balbas: Ars Hispaniae IV, PP 150-155.

(٣) انظر :

(٤) انظر:

تلك المزرعة الجميلة التي أهداها السلطان محمد الثاني إلى النبيل القشتالي دون نونيوجو ثالث دى لارا الذى ثار ضد الملك الفونسو العالم^(١).

مقابر غرناطة :

كان يطلق فى غرناطة على المقبرة اسم الروضة وكانت غرناطة - كغيرها من المدن الأندلسية - تمتاز بوجود المقابر خارجها أى خارج أسوارها فى الغالب بينما كان سكان المدن الأوربية المسيحية يدفنون موتاهم داخل الأسوار فى ذلك الحين^(٢). وكانت توضع أعلى المقبرة شواهد جنائزية تبين اسم المتوفى وتاريخ وفاته^(٣). وكانت أهم المقابر فى غرناطة : مقبرة الفقيه سهل بن مالك .

كانت هذه المقبرة أكثر مقابر المدينة أهمية، وقد تأسست فى ق ٧ هـ / ١٣ م^(٤)، ويطلق ابن الخطيب على هذه المقبرة : مقبرة البيرة، وجبانة باب البيرة، وروضة الفقيه سهل بن مالك^(٥).

كانت هذه المقبرة تقع فى ضواحي باب البيرة، وفى القرن التاسع الهجرى (الخامس

(١) انظر: R. Mangano Martos: Darabenaz, una alqueria nazari en la vega de Granada, Al Andalus Vol XXVI, 1961, Fasc 1 pp 201-218, De nuevo sobre Darabenaz, Al Andalus, Vol XXVI, 1961, fasc 2 pp

(٢) انظر: Leopoldo Torres Balbas: Aspectos de las Ciudades Hispanomusulmanas. صحيفة المعهد المصرى الاسلامى بميد، المجلد الثانى، العددان ٢-١ ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ٧٧-٩٨.

(٣) انظر: R. Revilla Vuelva : Catálogo de las antigüedades que se conservan en el patio árabe del Museo Arqueológico nacional, (Madrid 1932) , pp 152-157, E. Lévi - Provençal : Inscriptions arabes d'Espagne, M. Ocana jimenez : Repertorio de inscripciones árabes de Almería (Madrid 1964) introd. y nos 111 - 112 - 113.

Leopoldo Torres Balbás : Cementarios Hispan omusulmanes (Al Andalus Vol (٤) XXII 1957 fasc 1, pp. 183 .

(٥) ابن الخطيب : الاطالة (الصحافة) ج ١ ص ٢٩٤ ، ج ٢ ص ١٨٢ ، ١٩٥ ، ٢٥٠ ، (عثان) ج ١ ص ٢٩٤ ، ٤٥٢ ، ٥٠٨ ، الحميرى : الروض المطار من ٢٤ ، القرى : نفع الطيب ج ٨ ص ٣٧٥ .

عشر الميلادي) كان جزء منها مزروعاً بأشجار الزيتون، أما الباقي فكان خالياً من الاشجار، وقد أعجب الرحالة الألماني منزر بهذه المقبرة بسبب اتساعها، وذكر إنها كانت أكبر مرتين من كل نورمبرج Nuremberg، وإنها كانت مورعة في سهول مختلفة^(١)، وقد عثر في هذا المكان في عام ١٦٣٠ على مقابر كثيرة للمسلمين عند حفر بعض الأساسات^(٢).

مقبرة البيازين^(٣):

كانت هذه المقبرة تشغل الجانب الشرقي، داخل أسوار روض البيازين، وكانت تشمل حسب مذكره "مونزر" جزءاً كبيراً من سفح الجبل فوق المدينة... وعلى القمة كان يوجد برج شديد الارتفاع، كانت توجد فيه مقابر ملوك غرناطة^(٤). وقد أطلق على هذه المقبرة بعد ذلك اسم الروضة، ذكرى لبعض الأضرحة الخاصة ببعض العظماء^(٥). ويفهم من الوثائق القريبة من حركة الاسترداد، إنه كان يوجد مسجد بنفس الأسم "مسجد الروضة"^(٦).

مقبرة السبيكة:

يحدد لنا مونزر موقع هذه المقبرة الواسعة فيقول: "نصعد إلى الحمراء عن طريق جبل عال جداً، وعلى سفحه تظهر لنا على الطريق، مقبرة كبيرة، أكبر ست مرات من ميدان نورمبرج، نصعد مسافة طيبة، ثم ندخل في مكان كان مخصصاً للأسرى المسيحيين^(٧)".

(١) انظر: Munzer : Viaje por Espana y Portugal p 20

(٢) انظر: M. Lafuente Alcántara : El libro del viajero en Granada (Granada 1943) p. 26.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوجه ٣٥٩ .

(٤) انظر: Munzer : Op. cit., p 91

(٥) انظر: Leopoldo Torres Balbás : Op. cit., p 185

(٦) انظر: M. Gómez Moreno : Guía de Granada p 488

(٧) Munzer :Op. cit ., p 87

كانت المقبرة تشغل سفح السبيكة، بين السجن وباب الرمان حالياً. وفي أحد أضرحة مقبرة السبيكة دفن محمد الأول ومحمد الثالث ونصر، كما دفن على منحدرات هذا التل الحاجب رضوان الذي اغتيل عام ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م^(١).

مقبرة الغرباء :

يشير ابن الخطيب إلى دفن أحد الفقهاء في هذه المقبرة في عام ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م وذكر إنها تقع أمام روض لمجد^(٢).

مقبرة باب الفخارين :

يذكر ابن الخطيب أن شخصاً قد دفن في هذه المقبرة في شهر ذي الحجة عام ١٣٤٩ / ٧٥٠ - ١٣٥٠ م، التي كانت تقع في أسفل سفح الربوة^(٣).

مقبرة العسال : (٤)

من العقود الخاصة ببيع قطعة أرض بها بستان في غرناطة عام ٨٩٦ / ١٤٩١ ذكرت مقبرة العسال كحد شرقي لهذا البستان^(٥).

(١) ابن الخطيب : الاطالة (ننن) ج ١ ص ٦٢ وكذلك : Luis Seco de Lucena : El Há'yib Ridwan (Al Andalus, XXI, 1956, p 294) & Leopoldo Torres Balbás : El Cementario Real de Los Nazaries en Mondujar (Al Andalus 1942, Vol VII fasc 2 pp. 269 - 281 .

(٢) ابن الخطيب : الاطالة (ننان) ج ١ ص ٢٩٢ وكذلك : E. Lévi - Provençal : Le Voyage d'Ibn Battuta dans le royaume de Grenade , en Mélanges Marçais (Paris 1950) p. 221, Luis Seco de Lucena : De Topoinia granadina (Al Andalus Vol XVI, p. 51)

(٣) ابن الخطيب : الاطالة (ننان) ج ١ ص ٢٠١ وكذلك : Luis Seco de Lucena : De Toponimia Granadina (Al Andalus XVI, 1951 , p. 62 .

(٤) ابن الخطيب : الاطالة (ننان) المجلد الثالث ص ٢٧٢ .
(٥) انظر : Luis Seco de Lucena : De Toponimia Granadina pp. 69 - 71 .

مقبـرة Socaster :

تبعاً لما ذكره Gomez - Moreno يذكر ابن الخطيب إن هذه المقبرة كانت تقع في غرناطة بجانب سور القصبة القديمة بالقرب من الباب الجديد أو Arco de Los Pesos وقد بقيت من هذه المقبرة بعض البساتين^(١). وإن كنت لم أعثر على ذكر لهذه المقبرة بين مؤلفات ابن الخطيب.

(١) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Cementarios Hispanomusulmanes p. 184 .

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة

الشعب الغرناطي - ملابس أهل غرناطة - الحلى
وأدوات الجمال والزينة - الأطعمة والأشربة في مملكة
غرناطة - المرأة الغرناطية - العادات والتقاليد -
النظافة والحمامات - المنزل الغرناطي - أثاث المنزل
الغرناطي - اللهجة الغرناطية - الأعياد والاحتفالات -
أهل الذمة في غرناطة ...

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية فى مملكة غرناطة

الشعب الغرناطى - ملابس أهل غرناطة - الحلى وأدوات الجمال والزينة والاطعمة والأشربة فى مملكة غرناطة - المرأة الغرناطية - العادات والتقاليد - النظافة والحمامات - المنزل الغرناطى - أثاث المنزل الغرناطى - اللهجة الغرناطية - الاعياد والاحتفالات فى مملكة غرناطة - أهل الذمة فى غرناطة

الشعب الغرناطى :

ازداد عدد السكان فى مملكة غرناطة ازدياداً كبيراً بسبب سيل المهاجرين اليها من مسلمى بلنسية ومرسية وجيان واشبيلية وقرطبة وغيرهم من قواعد الاندلس التى كانت تسقط فى يد الاسبان^(١). وكذلك بسبب هجرة مدجنى^(٢) قشتالة وارجون إلى غرناطة، بعد أن انزل عليهم فقهاؤها وأدباؤها جام غضبهم وانتقدوا بقائهم فى البلاد التى سقطت فى يد الاسبان^(٣). مثال ذلك أبو بكر بن الفخار الجذامى (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) الذى كتب كتاباً بعنوان "الجواب المختصر المروم، فى تحرير سكنى المسلمين فى بلاد الروم"^(٤). كما أن ابن خلدون يوجه تهمة الخيانة إلى الذين يفضلون العيش كمذجنين بدلاً من هجرتهم إلى البلاد الاسلامية^(٥).

وقد حرص سلاطين بنى نصر على أن يحصلوا من ملوك قشتالة وارجون فى كثير من المعاهدات والاتفاقيات بينهما على السماح للمذجنين بالهجرة إلى

(١) ابن الخطيب: للمعة ص ٢٧، القرى : نفخ الطيب ج ٦ ص ٢٥٧.

(٢) المدجنون وبالايبانية Mudéjares هم سكان المدن والقواعد الاندلسية التى كانت تسقط فى يد الاسبان، ويظلون تحت الحكم المسيحى الجديد.

(٣) انظر على سبيل المثال :

J. Ribera y M. Asin: Manuscritos Arabes y Aljamiados de la Biblioteca de la Junta (Madrid 1912) pp. 259-260.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١١٦ - ١١٧ وكذلك :

Fernandez y Gonzales: Mudéjares de Castilla P 154.

A. Vives : Formacion del reino de Granada P. 11.

(٥) انظر

غرناطة مع عائلاتهم، وإلا يمنعوا من اراد منهم ذلك "مرفوعاً عنهم الاعتراض من غير شيء يلزمهم إلا الغرم المعتاد على ماجرت به العادة من غير زيادة^(١)".

بجانب هؤلاء كان هناك البربر، وقد اخذوا يتوافدون منذ ذلك العهد على غرناطة لمعاونتها في حروبها ضد اسبانيا المسيحية^(٢).

كما يحدثنا ابن الخطيب عن وجود عناصر سودانية كانت لهم رابطة خارج مالقة^(٣) كذلك يروى ابن بطوطة الذي زار غرناطة في أواسط القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) انه التقى هناك بجمالية من المتصوفة الذين وفدوا من الهند وبلاد الفرس وخراسان للمرابطة في سبيل الله^(٤).

كذلك يفهم من النصوص انه كانت هناك أيضاً جماعات من الأفارقة السود وكان هؤلاء قد عبروا إلى الاندلس رفقة الجيش الاسلامي منذ حركة الفتوح الاولى، ويبدو أن هجراتهم قد توالى بعد ذلك على الاندلس من مناطق مالي وماحولها^(٥).

أما فيما يتعلق بتعداد السكان في المملكة فمن الصعب تحديد ذلك بصورة محددة، وإن كانت بعض هذه المصادر تعطي رقماً مبالغاً فيه يتراوح ما بين أربعة إلى خمسة ملايين نسمة^(٦).

كذلك نلاحظ ان هناك تبايناً واضحاً بين تقدير تعداد هؤلاء السكان - على أساس الناحية الدينية - بين المصادر المسيحية والاسلامية. فبينما تتحدث المدونات

(١) انظر

M. Alarcón: Los Documentos Árabes P. 146 &

A.J. Soler: La Corona de Aragón y Granada (B.R.A.B.L.B.) (1907) N° 27 pp 151-153

(٢) ابن الخطيب : اللوحة ص ٢٧ - ٢٨، الاطالة (عنان) ج ١ ص ١٤٢.

(٣) ابن الخطيب : الاطالة (الاسكروال) لوجه ٤٢٣.

(٤) ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٧٢ - ٣٧٣، د. العبادي : الاعياد في مملكة غرناطة ص ١٤٧. وكذلك

L. Lévi Provençal: Le Voyage d'Ibn Battûta dans le royaume de Granada P. 216.

(٥) يقول ابن الخطيب : (دوران الصيف والجهام ص ٢٣٨) ح ٧

وحديثهم كلامهم يشبه الخطأ ف عند اندلجار خط الضياء

M. Lafuente Alcántara: Historia de Granada t 111 p. 99.

(٦) انظر

الاسبانية انه عندما عقد المجمع الدينى فى بلنسية فى عام ١٣١١م فان السفراء الاسبان أكدوا للبابا كليمنت الخامس Clemente V أن عشر سكان غرناطة فقط كانوا مسلمين من الأصل، وأنه بين مائتى ألف من سكان غرناطة، لم يكن يوجد سوى خمسمائة من أصل عربى خالص أما الباقي فقد كانوا من نسل الذين تحولوا عن المسيحية إلى الإسلام^(١).

وعلى العكس من ذلك يؤكد ابن الخطيب أن سكان غرناطة كانت انسابهم عربية، ثم يعدد لنا أسماء القبائل التى ينتسبون إليها^(٢).

كذلك نجد أن السيدات الغرناطيات كن يحتفظن بالعادات العربية، فيذكر ابن سعيد انه كان يطلق على سيدات غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات، لمحافظتهن على العادات العربية^(٣). كما اننا نلاحظ ان الشاعر الغرناطى الشهير ابو البركات بن الحاج (ت ٧٧٣/١٣٧١-١٣٧٢) عندما أوقع الطلاق على زوجته أم العباس بنت أبى عبدالله محمد بن ابراهيم الكنانى يصفها بالعربية الحرة^(٤).

ولكن مما لاشك فيه أن كلا الجانبين يببالغ فى دعواه، فبالنسبة للجانب الأول نرى أنه ربما اراد السفراء أن يوضحوا أن العنصر المسيحى قد أصبح هو الغلبة الغالبة فى غرناطة وذكروا اجبار الاسرى المسيحيين على اعتناق الاسلام، هذا الموقف ربما اراد به السفراء دفع البابا والمسيحيين للوقوف ضد الاسلام والمسلمين. كذلك يببالغ ابن الخطيب كثيراً فى أن الشعب الغرناطى كانت غالبية العظمى من أصل عربى^(٥).

ولكن يمكن القول بأن العنصر الغرناطى فى هذا العصر لم يكن سوى استمرار للعنصر الاندلسى فى العصور الاسلامية السابقة، ومع ذلك فان حب الانتماء إلى

القبائل العربية الارستقراطية قد تغلغل بين الاندلسيين، وورثه الأبناء عن

(١) انظر : Soler : Op. Cit., p 353 & F. Simonte : Hist. de los Mozárabes de Espana ، P788.

(٢) ابن الخطيب : الاطلة (عنان) ج ١ ص ١٤١.

(٣) المقرئ : نفح الطيب ج ٦ ص ٢٥.

(٤) المقرئ : نفح الطيب ج ٧ ص ٣٩٩ - ٣٤٠.

(٥) انظر : Dr. M. Al Abbady: El Reino de Granada en la Época de Muhammad V. p: 140.

الآباء. فملوك بنى نصر أنفسهم يرجعون نسبهم إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج وأحد انصار النبي عليه الصلاة والسلام في دار الهجرة^(١).

كذلك نجد ابن الخطيب يتفاخر بانتسابه إلى الأصل العربي، وأجداده الذين ينحدرون من العرب القحطانية واليمينية^(٢). كما نلاحظ أن أسرة "المفرج" وكان رجالها يعملون في البلاد النصرى في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى)، يفتخرون كذلك بانتسابهم إلى الأصل العربى^(٣). ولم يكن هذا شيئاً غريباً، ولكنه يتكرر دائماً في كل الدول والممالك، التى كان يصيبها الضعف والوهن والانحلال. وقد أدرك ذلك ابن خلدون فقال "وأهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم منذ اعصار بعيدة بفناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة أهل العصبية من البربر فبقيت انسابهم العربية محفوظة والذريعة إلى العز من العصبية والتناصر مفقودة"^(٤).

غير اننا نلاحظ من دراسة الوثائق الغرناطية المتأخرة إن الشعب الغرناطى فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى)، كان شعباً أندلسياً أصيلاً، فأسماء كثير من الأشخاص الذين يظهرون فى تلك الوثائق لاتتم عن أصل عربى من قريب أو بعيد، وكذلك القابهم لاتدل على أصول مشرقية، وبهذا كان الغرناطى فى هذا العصر لايحافظ على نسبه ليثبت أنه يرجع إلى قرش أو أى قبيلة عربية عريقة أخرى، وإنما كان يقرر صراحة أنه وأسلافه يرجعون إلى أصل أندلسى، وكان يفخر قبل كل شيء بأنه أندلسى مسلم. وهكذا نجد ألقاباً أندلسية تنسب إلى المدن والأقاليم فى تلك البلاد مثل الانجرونى نسبة إلى الانجـرون Lanjarón والدلائى نسبة إلى دلالة Daliás، والحمامى نسبة إلى الحامة Alhama

(١) انظر الفصل الخاص بالسلطان.

(٢) انظر ترجمة ابن الخطيب لنفسه فى الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات ٤٢٥-٤٩٩.

(٣) انظر :

Luis Seco de Lucena: Notas para el estudio de Granada bajo la dominación musulmana. Acerca de algunas familias ilustres arábigo - granadinos, los Mufarrig, Cortesanos de la dimastia nasri en (M. E.A.H.) Vol I (1952) PP. 27-49.

(٤) ابن خلدون : المقدمة (طبعة بيروت) ص ٣١

والمالقي نسبة إلى مالقة Malaga وهكذا^(١).

ويصف لنا ابن الخطيب الشعب الغرناطي بأن "صورهم حسنة، معتدلة أنوفهم، بيض ألوانهم، مسودة غالباً شعورهم، متوسطة قدودهم، فصيحة السنتهم، عربية لغاتهم يتخللها غرب كثير وتغلب عليها الإمالة"^(٢).
ملابس أهل غرناطة :

كان أهل غرناطة يميلون إلى الأناقة في الملابس، ويستهنون الإبتذال فيه^(٣). وقد تأثرت ملابسهم في البداية بملابس البلاد المسيحية المجاورة، فيحدثنا أبو محمد البسطي أنه قد شاهد محمد الأول بن الأحمر يوم دخوله غرناطة (في عام ١٢٣٨/٦٣٥ م) و"عليه شاية ملف"^(٤) مضلعة^(٥) تشبه هذه التي كان يرتديها فلاحو قشتالة^(٦). كذلك يذكر ابن سعيد الذي كان معاصراً لمحمد الأول عند حديثه عن غرناطة وأهلها أنه "كثيراً مايتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزي النصارى المجاورين لهم"^(٧). وقد لاحظ ذلك ابن خلدون وعلمه بأن المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده فيقول : "كما هو الحال في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت

(١) لويس سيكودي لوينا : الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بدمشق. المجلد السابع والثامن ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ص ٨٥-١٠٨، وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع

الهجري/الخامس عشر الميلادي (دمشق ١٣٨٠/١٩٦١) ص ٩م

(٢) ابن الخطيب : اللوحة ص ٢٧، الإحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٠.

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٢٥٢، ابن خاتمة ص ١٣٦ حيث يقول :

نحرم من الاثواب ارفعها تنسل أعز محل ترتقى لالتماسه
ولاتيغ في أمر اللباس تواضعاً لعنوان ليل المرء حسن لباسه

(٤) جوخ

(٥) مؤلف مجهول : الذخيرة السنية ص ٦٠، ابن الخطيب : اللوحة ص ٣٥، الإحاطة ج ٢ (القاهرة) ص ٦٥ وعن الشاهة
أنظر : Dozy: Vêtements pp. 212-213

(٦) أنظر : Rachel Arfe ; Quelques Remarques sur le Costume des Musulmans

d'Espagne au temps de Nasrids P. 245.

(٧) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٧.

حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء» (١) .

ويمكننا الاستعانة بالمصادر المسيحية لرسم صورة للملابس الشعب الغرناطي في تلك الفترة ، ففي داخل جماعة المدجنين بقشتالة ، استمرت عناصر الملابس التقليدية الاسلامية ، يقدمها لنا كتاب الشطرنج Libro del Ajedrez وهو عبارة عن مخطوط من عصر الملك الفونسو العاشر (٢) . نرى فيه ان اتباعه من المسلمين كانوا يرتدون الجبة ، وهي عبارة عن جلباب واسع بأكمام طويلة ، غنية بالوشى (وعرف مسيحيو اسبانيا هذا الطراز من الملابس تحت اسم Aljuba) (٣) .

اما العامة فقد قنعوا بجبة من الصوف أو القطن في المدن ، أو شاية بسيطة من الصوف الخشن في الريف ، وكانت ملابس السفر هي " البرنس " (انتقلت هذه الكلمة الى الاسبانية فصارت Albornoz) وهي عبارة عن معطف من الصوف مزود بغطاء للرأس . وفي حالة ارتداء جبة من الحرير كان المسلمون يضيفون اليها " ياقة " وأكمام مزودة بشرائط من قصب أو حرير (٤) .

ولما بدأت قوات الغزاة المغاربة في العبور الى الاندلس تأثرت طرق الزى في غرناطة بالزى المغربى ، ففي الشتاء كانوا يرتدون الملف المصبوغ شتاء ، وكان يختلف باختلاف الدرجة الاجتماعية والثروة (٥) . أما في الصيف فكانوا يرتدون

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٤٧ (طبعة بيروت)

(٢) تحتفظ مكتبة ديسر الاسكوريال بهذا المخطوط الذي وضع في اشبيلية عام ١٢٨٣م ويتكون من ٩٧ ورقة
" Juegos de ajedrez, dados y tablas, ١٥٠ صورة واسمه بالكامل, Cote No ١ - ١ - 6)
ordenados por mandados de D. Alfonso el Sabio .

J. Guerrero Lovillo : Miniatura gotica - castellana siglos XIII y XIV, Madrid 1956
pp 23-24 & Rachel Aré : Le costume de Musulmans de Castille au XIIIe sècle
d'après les miniatures du libro del Ajedrez, dans Mélanges de la Casa de Velázquez,
t. II, p 61 n I.

(٣) انظر - D. Juan Manuel " El Conde Lucanor ed . E. Julia (Madrid 1933) p 126.

(٤) انظر : Rachel Aré : op. Cit., pp 62-63.

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٠ ، اللحة ص ٢٧ .

اقمشة من " الكتان والحرير والقطن والمرعزي ^(١) وازينة الافرنسية والمقاطع التونسية والمآزو المشفوعة فتبصرهم في المساجد ايام الجمع كأنهم الازهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الالهوية المعتدلة » ^(٢) .

ونلتقى بابن زمرك يتغنى في شعره بهدية قدمها له السلطان محمد الخامس عبارة عن : رداء صنهاحي من لون احمر قان موشى بزخارف من الطيور ^(٣) .

وكانت مصانع المملكة تنتج الاقمشة المختلفة منها : الموشى المذهب " في المربة ومالقة ، و " الملبد المختم " في غرناطة وبسطة ^(٤) . كما كانوا يتخذون الفراء من حيوان بحري يسمى " السمور " وحيوان آخر يسمى " القنلبة " وهي عن الاسبانية Conejo بمعنى الارنب ^(٥) .

وتظهر لنا بعض رسوم قصر الحمراء التي ترجع الى القرن الثامن الهجري - (١٤م) نماذج لاسلوب الملابس في مملكة غرناطة ، فكان رجال الطبقة العالية يرتدون علاوة على القميص - الدراعة ، وهي قميص مستوى غير مشقوق ، مزود بأكمام طويلة . كما ان الفقهاء الذين يبدو انهم يعقدون اجتماعا في رسوم سقف صالة التريبونال في الحمراء يرتدون دراعات من ألوان خضراء وحمراء . وفي داخل احدى القباب الجانبية لصالة الملوك لمجد فارسا مسلما وعلى رمحه تظهر قريسة يرتدي جلبابا بقلنسوة بأكمام قصيرة وواسعة ، وفي رسوم البرطل تظهر بعض الشخصيات التي ترتدي برنسا ^(٦) من صوف ابيض ^(٧) .

(١) المرعزي من جلد المازر ، وقد كان مسموحا للفرناطين بارتداء ملابس من جلد الحيوانات ما عدا النمس . انظر :
Mulejares de castilla p 394, Dr. Al Abbadi El Reino de Granada p 142 n. 4.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عثان) ج ١ ص ١٤٠ - ١٤١ ، اللوحة ص ٢٧ .

(٣) المقرئ : ازهار الرياض ج ٢ ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٤) المقرئ : نفح ج ١ ص ١٨٧ .

(٥) المقرئ نفح ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٥ ، Dozy : Supp aux Dic II p. 414 .

(٦) عن البرنس انظر Dozy : Vêtements pp 79-80 .

(٧) د. جمال محرز : الرسوم الجدارية الاسلامية في البرطل بالحمراء ص ٢٤ (مترجم ١٩٥١) .

وافراد العامة الذين يظهرون فى الحرس وحملة القسى على الحائط الشرقى من منزل البرطل ، يرتدون شاية بأكمام طويلة يأتى جانب منها فوق الزنار ، وسراويل^(١) من لون ابيض تصل الى الكعب^(٢) .

كذلك كانت هناك الحلل الديباجية والجلابيب^(٣) ، والمسوح والدلوق وكانتا من ملابس الشيوخ^(٤) والقميجة (القميص) و قميجة شقة (قميص من الكتان)^(٥) ، والطيلسان الذى كانوا يلقونه على الكتف أو الكتفين مطويا طيا ظريفا^(٦) .

وكان لاصحاب الحرف ملابس خاصة بهم فالازدى فى مقامة العيد يصف لنا ملابس القصاب فيقول : " الى ان مررت بقصاب ، مجزرة ، قد شد فى وسطه مجزرة مبرزة ، وقصر اثوابه حتى كشف عن ساقيه ، وشمر عن ساعديه ، حتى أبدى مرفقيه " ^(٧) .

ثم ظهر التأثير المسيحى من جديد فى أردية الرجال والنساء فى غرناطة فى خلال النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى (١٥م) فتقابلنا الملوطة^(٨) Malluta التى يكثر ذكرها فى الوثائق الغرناطية والمدونات الاسبانية . وهى عبارة عن صدار يشبه

(١) انتقلت كلمة سروال أو سراويل الى اللغة الاسبانية فأصبحت Zaraguelles والى البرتغالية فأصبحت Cereulas
عن سروال انظر : Dozy : op. Cit. p 203 .

(٢) أنظر : Rachel Arie : L'Espagne Muaulmane Au Temps Des Nasrides (1232-1492) (Paris 1973) p 384-385 .

(٣) ابن الخطيب : مفاخرة مألقة وسلافي مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٦١ .

(٤) الأزدي : تحفة المغرب ص ١٠١ .

(٥) لويس دي سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٢١م .

(٦) العمري : مسالك الابصار ص ٤٢ ، القلشندي : صبح الاعشي ج ٥ ص ٢٧١ .

(٧) الأزدي : مقامة العيد ، تحقيق د. أحمد مختار العبادي : صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمريد ، المجلد الثاني : العددان ١-٢ / ١٣٧٣ / ١٩٥٤ ص ١٦٩ .

(٨) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٤٣ ، والملوطة : كلمة مأخوذة عن الاغريقية وانتقل رسمها الى الاسبانية Marlota انظر : وثائق عربية غرناطية لم تنشر ص ١٧٧ ،

Dozy : vêtements pp 349-351 & Robert Ricard : Espagnol et portugais " marlota " , Recherches sur le vocabulaire hispanomauresque, dans bulletin hispanique, t. LIII, 1951

الجلباب بغير أكمام ومن المحتمل أن تكون مزودة بغطاء للرأس . هذا وقد ورد في الوثائق ان ملوطة من الديباج صنعت في قشتالة في عام ١٤٨٥م لأبى عبد الله بن الأحمر الأخير أسير الملكين الكاثوليكيين ^(١) .

ويبدو ان مسلمى غرناطة قد احتفظوا بملابسهم بعد سقوط بلادهم في يد الأسبان ، ويظهر هذا واضحا في الرسوم البارزة على جدران المصلى الملكي في كاتدرائية غرناطة ، حيث نرى الرجال في دراعاتهم الواسعة ذات الأكمام الطويلة وسراويلهم التي تصل الى رصع الساق وتوصل بالاخفاف الجلدية وعلى رؤسهم عمامات ذات أشكال شتى ^(٢) .

غطاء الرأس :

أما عن لباس الرأس فيحدثنا ابن سعيد انه لاحظ في عصره ان من النادر ان يرى اندلسى بعمامة في المشرق والمغرب ^(٣) . اما ابن الخطيب فيذكر ان بعض السلاطين كانوا يلبسون العمامات ^(٤) ، وانها " كانت نقل في زى أهل هذه الحضرة " غرناطة " الا ما شذ في شيوخهم وقضاتهم والجند الغربي منهم ^(٥) "

(١) انظر : Cuentas de Gonzalo de Baeza : Tesorero de Isabel la Católica t. I ، Madrid 1951, ed. A. de la Torre P. 88 (1477-1491)

(٢) انظر : Rachel Arfe : Acerca del Traje Musulmán en España desde la Caída de Granada hasta la expulsión de los moriscos, Revista del Instituto de Estudios Islamicos en Madrid (1965-1966) vol XIII, 103-117.

(٣) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٧ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٤٠٠ مثال ذلك ان السلطان اسماعيل بن فوج كان يضع العمامة على رأسه عندما وقع تحت طعنات قتله .

(٥) ابن الخطيب : اللوحة ص ٢٨ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٢ . ويذكر ان الكرسوطي انشده وهو يحاول لوث العمامة ، ويستعين على اصلاح العمل واحكام اللياقة :

أمعما قمرا تكامل حسنه أربي علي الشمس المنيره في البها

لا تلتبس بمن لديك زيادة فاليد لا يمتار من نور السها

(ابن الخطيب : الاحاطة (المجلد الثالث) عنان ص ١٣٠-١٣٤) .

وعندما صحب لسان الدين بن الخطيب سلطانه يوسف الاول فى زيارته لمدينة قنتورية Cantoria ^(١) ، فان قاضى المدينة ابن ابى خالد كان يضع العمامة على رأسه عند استقباله للمضيف الملكى ^(٢) .

وتوضح لنا رسوم البرطل ورسوم صالة التريبونال فى الحمراء الاشكال المختلفة للعمامة الغرناطية فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) ، فمن بينها عمام تغطى الكتف وتدور حول الرقبة على الطريقة المغربية ، وعمائم لا تغطى الا الرأس، ويمكن وضعها بطريقة القبعة ، وعمائم كروية ^(٣) . كما كانت هناك عمام موشاة ^(٤) .

ولم تكن العمام الخاصة برجال المشرق معروفة للاتدلييس " وان رأوا فى رأس مشرقى داخل الى بلادهم شكلا منها اظهروا التعجب والاستظراف ، ولا يأخذون انفسهم بتعليمها ، لأنهم لم يتعادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم وكذلك فى تفصيل الثياب " ^(٥) .

ومن أغطية الرأس كان هناك ايضا الطيلسان ^(٦) ، الذى كان لا يضعه على رأسه الا الاشياخ المعظمون ^(٧) من ذلك نرى ان ابن مالك الازدى (ت ٧٣٠ هـ)

(١) قنتورية بلدة صغيرة من اعمال المرية تقع على نهر المنصورة قريبا من برشانة .

(٢) ابن الخطيب : خطرة الطيف فى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٣٦-٣٧ .

(٣) انظر : Arie : Quelques Remarques sur le Costume des Musulmans d'Espagne au temps de Nasrids p 253-254 .

(٤) ابن الأحمر : نثر فرائد الجمان ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، المقرئ : نفع ج ١٠ ص ٨٩ ، ازهار الرياض ج ٢ ص ١٣٤ حيث يقول ابن زمرك فى وصف عمامة مطرزة :

وعمامة التقوي التي من فوقها شمس الهدي
يا حسنها اذا اوسلت من كف غيث الندي
وكان وشي رقومها بالبرق طرز عسجدا
وبطرزه لون السماء وجهه قمر بسدا

(٥) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٨ .

(٦) انظر صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٧١ ، Dozy : Vêtements p 278-280 .

(٧) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٨ .

كان " لا يتعمم بل كان يتطليس على طاقية ^(١) . " والطاشور " وهو نوع يشبه الغفارة ، وفي الغالب ان يكون متصلا به غطاء للرأس ^(٢) .

اما لباس الرأس الأكثر شيوعا في غرناطة فكان عبارة عن قلنسوة من الصوف تسمى " غفارة " ^(٣) من لون احمر أو اخضر ، وكان اللون الاصفر مخصصا لليهود الذين لم يكن يسمح لهم اطلاقا بوضع العمامة على رؤسهم . ومع ذلك فقد كان بعض الناس يتخذون اللون الاصفر على الرغم من استنكار ذلك ^(٤) .

كذلك نلاحظ ان المسلمين من ابناء الطبقة الراقية الذين تقدموا نحو فرناندو الكاثوليكي يوم تسليم غرناطة ، كانوا يغطون رؤسهم بقلنسوات عالية لها حرف أو مشققة ^(٥) .

وكان المدجنون في قشتالة يفضلون - كما يظهر في كتاب الشطرنج - كأبناء دينهم الغرناطيين ارتداء الطيلسان الذي كان يضعه علماء الدين على الرأس ، كما ظلوا محافظين على العمامة ^(٦) .

(١) ابن حجر العسقلاني : الدور ، السفر الرابع ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) ابن الاحرر : نثر لرائد الجمان ص ٢٥٤ . Dozy : Suppl. II, p 18 .

(٣) غفارة أو غفيرة وجمعها غفائر ، لباس يغطي العنق والفا ، وتطلق الغفارة كذلك على لباس علي قدر الرأس بلبس تحت القلنسوة وتعدي منه شيء علي الفا انظر : Dozy : Vêtements p 312-317 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (لوحة ٢٤٤ - ٢٤٩) مخطوط الاسكوريال .

(٥) انظر : Aré : op. cit. p. 258 .

(٦) انظر : Rachel Aré : Le Costume de Musulmans de Castille auXIIIe siècle d'après : les miniatures du libro del Ajedrez p 74

ملابس السيدات : -

لا تعطينا المصادر العربية تفصيلات واسعة عن ملابس السيدات في غرناطة وتذكر ان من بين ملابسهن كان هناك السروال ^(١) الازار ^(٢) والعمامة ^(٣) .

ولكننا من ناحية أخرى نجد ان بعض الكتاب والرحالة الاوربيين المتأخرين يضعون لنا صورة سريعة للملابس المدجنات في غرناطة بعد سقوطها بفترة قصيرة ، ويمكننا ان نستشف منها عرض سريع لتلك الملابس التي نستطيع القول انها كانت تشبه الى حد كبير ملابس مسلمى غرناطة بنى نصر ، وقصر المدة لا ينبئ بحدوث تطور كبير في تلك الملابس .

من هؤلاء الكتاب والرحالة نذكر Gines Pérez de Hita ^(٤) ، و Luis de Marmol ^(٥) والرحالة الايطالي Andrea Navagero ^(٦) الذي زار غرناطة في عام ١٥٢٦ ، والرحالة الالماني Christoph weiditz ^(٧) الذي زار غرناطة في

(١) يحكي ان ابا الهركات بن الحاج كان جالسا في دهلوز بيته مع بعض الاصحاب ، فدخلت زوجته من الحمام وهي بغير سروال لقرب الحمام من البيت فانتكشفت ساقها ، فدخل خلفها وغاب ساعة ثم خرج وانشد :

كشفت عن ساق لها فرأيتها متعلا كالجهر الهراق

لا تعجبوا ان قام منه فهاضتي ان القمامة يوم كشف الساق

(المقرئ : نفع الطوبى ج ٧ ص ٤٠٨) .

(٢) الازدي : مقام العبد ص ١٦٩ .

(٣) يقول ابن خالقة في وصف ملابس سيدة (دهران ابن خالقة ص ١٠٢)

ريحانة كساها الخضر قد اطلعت كأنها القطن في خضر من الورق

تكللت همه حمراء وانتقبت تحكي الهلال كسته حمرة الشلق

(٤) انظر : Guerras civiles de Granada I, pp LXXX - LXXXIII, II, pp 181 y sigs .

(٥) انظر : Historia de la rebelión y Castigo de los Moriscos, pp. 189-202

(٦) انظر : Viaje a Espana del magnifico señor Andrés Navajero, embajador de la República de venecia ante el Emperdor carlos v, traducción de José Ma- Alonso gamo

(٧) انظر : Christoph weiditz : Das Trachtenbuch von seinen Reisen nach Spanien (1529) Láms LXXIX-LXXXVI .

عام ١٥٢٩ - . والرحالة الالماني الطبيب خيرونيمو مونزر ^(١) .

وعندما زار الاخير غرناطة (عام ١٤٩٤) بعد سقوطها بعامين فى يد الملكين الكاثوليكيين ، لاحظ ان السيدات الغرناطيات كن يلبسن جميعا سراويل من الكتان ، والسروال مسترسل به طيات تربط بزنا (حزام) عند السرة . ومن أعلى كن يلبسن قميصا طويلا من الكتان ثم ثوبا من الصوف أو الحرير حسب مكانتهن الاجتماعية . أما ملابسهن الخاصة بالخروج فكانت تتكون من قماش ابيض من الكتان أو القطن أو الحرير الذى يغطى الوجه والرأس ولا يسمح بظهور أى جزء منه سوى العينين ^(٢) .

وفى عام ١٥٢٦ ذكر الرحالة الالماني Johanne Lange ان السيدات والفتيات فى غرناطة كن يرتدين وشاحا من لون ابيض ، يغطى الجسم والرأس من جوخ يصل الى بطن الساق وحجابا للوجه ^(٣) .

كذلك يذكر الرحالة الايطالى اندريا نافاجيرو الذى زار غرناطة عام ١٥٢٦ ان السيدات المسلمات كن يلبس قمصانا اطول قليلا عن السرة وبعد ذلك السراويل التى كانت عبارة عن قماش مكبوس يدخل فيها القميص قليلا وفوق القميص كن يلبسن معطفا قصيرا مطرزا هو وأكمامه بالحرير ، وكانت غالبا ماتكون من لونين ويلبسن فوقها عباة بيضاء من القماش ، كانت تغطيهن حتى الأرض بطريقة تخفى شخصياتهن . كما كانت ربة القميص موشاة ، وخاصة لدى سيدات الطبقة الراقية ، بزخارف من الذهب ، وحيانا كانت العباة البيضاء اللاتى يلتفن بها تحمل زخارف هندسية من الذهب فى كل نواحيها ، كما كن جميعا يضعن قبعات سوداء على رؤوسهن ^(٤) .

Münzer, jeronimo : viaje por España y Portugal (1494 -1495) Traducción de (١) José López Toro .

Mun zer : op. p 107

(٢) انظر :

Christoph weiditz : op. cit. , p 146 & Dr. Ahmad Mujtar Al Abbady : Op. cit. p (٣) 145 & Rachel Arfe : Acerca del traje Musulmán en España desde la Caída de Granada hasta la expulsión de los moriscos p 103-117

Andrea Navagero : Op. cit. p 73-74

(٤) أنظر :

غطاء القدم : -

تحدثنا الوثائق والمدونات الخاصة بهذا العصر ان سيدات غرناطة كن يضعن فى أرجلهن " الموق " وهو خف غليظ يلبس فوق خف أدق منه (وجمعه أمواق)^(١) ، كما كان أهل الاندلس يتخذون نعلا من الحلفاء يسمونها " البلغة "^(٢) .

ويظهر النساء والرجال فى كتاب الشطرنج وهم يضعون فى أرجلهم حذاء مكشوفاً اسود كان استخدامه شائعاً فى قشتالة^(٣) . كما يظهر الفرسان والنبلاء ورجال العامة فى صور البرطل بالحمرء وهم يلبسون الاخفاف^(٤) .

وقد لاحظ الرحالة الالماني لانج Johanne Lange ان سيدات غرناطة كن يلبسن فى أرجلهن جوارب سميكة كثيرة التجاعيد^(٥) .

كذلك يذكر الرحالة الايطالى اندريا نافاجيرو Andrea Navagero ان النسوة فى غرناطة كن يلبسن فى القدم أمداساً صغيرة مطرزة بالحرير وجوارب مجمعة تجعل الركبة ضخمة جداً^(٦) .

وتحدثنا الوثائق المتعلقة بتسليم غرناطة للملكين الكاثوليكيين ان الرؤساء العرب كانوا يلبسون فى أرجلهم احذية طويلة من الجلد ، كما ان المقاتلين الذين تركوا المدينة كانوا يلبسون احذية من الجلد تسمى ربحية التى كان استخدامها شائعاً خلال العصور الوسطى المتأخرة^(٧) .

(١) ابن الخطيب : معيار الاختبار فى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٩٦ .

(٢) المراكشي : الدليل السمر السادس ص ٤٤٩ .

(٣) انظر : Rachel Arfe : le Costume de Musulman de Castille au XIIIe siècle d'apres les miniatures du libro del Ajdrez p 63- 64 .

(٤) د. جمال محرز : الرسوم الجدارية الاسلامية فى البرطل بالحمرء ص ٣٤ .

(٥) انظر : Rachel Arfe : Acerca del traje Musulmán en España desde la Caída de Granada hasta la expulsion de los moris cos pp 103 - 117 .

Andrea Navagero : Op. cit. p 73 . (٦) انظر : .

(٧) انظر : Dozy Suppl. I, p 567 & R. Brunschvig : Berberie , t. II, p 282 .

وعند الخروج كان الرجال والنساء يضعون في أرجلهم نعالاً سميكاً من الفلين (قرق) (١)، أو أحذية غير مرتفعة بدون كعب، كانت تترك رقبة القدم مكشوفة تماماً وتسمى سباط (٢).

وفي داخل المنزل اكتفى الغرناطيون بأحذية بيتية مصنوعة من الجلد (٣) وأخفاف رشيقة من الجلد الناعم من ألوان مختلفة، وأحياناً تكون مطرزة بالفضة والذهب، كما كانت تبطن بالحرير وتسمى شاربيل (٤).

وفي الحمام كانت هناك "القباقيب" التي كانت تصنع من خشب الجوز (٥).

وكما تأثرت الملابس في مملكة غرناطة في بعض عصورها بالآثار الأسبانية، نجد أنه في بعض الأحيان كانت الملابس الإسلامية محط إعجاب المسيحيين الأسبان، ففي رسالة بعث بها السلطان محمد الثامن (في ٣٠ مايو ١٤١٨) إلى الملك الأراجوني الفونسو الخامس، يعدد بين الهدايا القيمة التي بعث بها إليه موشاة، جلباباً من الحرير، دراعه، برنساً قلائس موشاة بالحرير، ومالوطة موشاة بالذهب (٦). كذلك فإنه يقابلنا في قائمة جرد محتويات خزانة الملابس الخاصة بهذا

J. Oliver Ásin : Quercus en la España

(١) انظر :

musulmana (Al Andalus vol XXIV , 1959, fasc I pp 125 - 181 .

وقرق يضم القاف الأولي - أوردها دوزي في معجمه وقال أنها :

تشبه الصندوق ، وكان في غرناطة ريش يسمى ريش التراقيين انظر :

Simonet p 131 , Dozy II , p 334 .

Dozy : Suppl, t. I, p 625

(٢) انظر :

(٣) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية لم تنشر ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بباريس ، المجلد الرابع ، العددان ١-٢ ١٩٥٦/١٣٧٥ ص ١٧٧ .

(٤) حول هذا الاسم الذي اشتق إلى الأسبانية فأصبح :

Servillas, Serbillas, Xerbillas, Xervillas

Dozy : v^etements p 224, suppl. t. I, p 742

انظر :

Dozy : Suppl. t. I p 303

(٥) المقرئ : تقع ج ٨ ص ٢٣٦ .

A. Jimenez Soler : La corona de Argón y Granada pp 340-341 .

(٦) انظر :

الملك الاراجونى اسماء لبعض الملابس الاسلامية^(١) . كما ان الرحالة التشيكي البارون ليون دى روزميتال Leon de Rosmihal الذى زار اسبانيا عام ١٤٦٦ ، يقرر انه استقبل فى برجس فى قصر لاحد السادة وهناك كانت نساء هذا القصر وانساته مرتديات الملابس " على الطريقة الاسلامية " ^(٢) .

الحلى وأدوات الجمال والزينة :

تجمع المصادر على اهتمام الشعب الاندلسى بالحلى وتقديره لها ، فيذكر ابن الخطيب ان السلطان ابا الحجاج يوسف الاول كان " جماعة للحلى " ^(٣) ، كما ان هذا الملك اهدى الامير المرينى عبد الحق بن على " مركوبين ثقيلى الحلية " ^(٤) كذلك يذكر ان الاحجار الكريمة من ياقوت ، وزبرجد ، وزمرد ، ولؤلؤ كانت كثيرة لدى العائلة المالكة وأبناء الطبقات العالية ^(٥) .

وبحدثنا ابن الخطيب عن اهتمام النساء فى عصره بالزينة فيقول : وقد بلغن من التفان فى الزينة لهذا العهد ، والمظاهر بين المصبغات ، والتنافس فى الذهبيات والديبايجيات والتماجن فى اشكال الحلى الى غاية بعيدة " وكانت الحلى لديهن هى القلائد والدمالج والخللاخيل والشنوف من الذهب الخالص عند سيدات الطبقة الراقية ، ومن الفضة عند سواهم " ^(٦) .

وكانت المدجنات فى قششالة لهن غرام واضح بالحلى وتذوق لها ، فيظهرن فى

C. Bermis Madrazo : Modas moriscas en la sociedad
Cristiana espanola del siglo XV y principios de XVI en
(B. R. A. H.) t. CXLIV (1959) pp 199- 226 . (١) انظر :

A.M. Fabié : viajes por España de Jorge de Eginghen,
de Baron Leon de Rosmihal de Blatna, de Francis co
Guicciardini y de Andres Navajero (Madrid 1877) pp. 157 y sigs . (٢) انظر :

(٣) ابن الخطيب : اللحة ص ٨٩ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوجه ٢٦٠ .

(٥) ابن الخطيب : اللحة ص ٢٩

I.S. Allouche : La Vie économique
et sociale á Grenade au XIVe Siecle p II

(٦) ابن الخطيب : اللحة ص ٢٩ .

كتاب الشطرنج وهن يتزين بالقلائد والخواتم والدمالج^(١).
ولقد بلغ من اتقان المسلمين فى الاندلس لصناعة الحلى أننا نجد بعضهم يعمل
لدى ملوك اسبانيا ، وقد احتفظت لنا الوثائق المعاصرة باسماء ثلاثة من المدجنين
كانوا يعملون بتفويض من الملك الفونسو العالم هم Mahomat و Abrahem و
Hamet^(٢).

وقد عثر على مجموعتين من الحلى الذهبية فى اقليم المرية ، ومندوجر فى اقليم
غرناطة فى المدافن الملكية لبنى نصر ، وتم عرضهما فى متحف مدريد الاثرى ،
وكلا المجموعتين تشهدان على المهارة الفائقة التى كان يتمتع بها صناع الحلى
الغرناطيين^(٣).

ويشير ابن الخطيب الى مدى ثراء سيدات غرناطة لا متلاكهن الحلى والمجوهرات
ويقارنهن بسيدات مكناش اللاتى كن يضطرون الى استئجار الحلى فى احتفالات
الزواج أو الاعياد والمناسبات^(٤).

وفى عقود الزواج فى الفترة الاخيرة لدولة بنى نصر يأتى ذكر الحلى الذهبية
والفضية التى كانت قماً صناديق الطبقة المتوسطة^(٥).

وبعد سقوط غرناطة سمح للمسلمين الذين هاجروا الى المغرب بحمل جواهرهم
وحليهم من الذهب والفضة^(٦). وفى القرن السادس عشر كان الأدب الاسبانى يصور

(١) انظر : Libro del Ajedrez, fol. 18r. , 54 r , R. Arfe : le costume de Musulman de Castille p 65 .

(٢) انظر : A. Ballesteros y Baretta : Los joyeros moros de Alfonso el Sabio (Al Andal- us Vol VII (1942) fasc 2 pp 475 -477 .

(٣) انظر : F. Janer : De las joyas arabes de oro que se conservan en el Museo Arqueológico Nacional, en Museo Espanol de Antigüedades, t. IV, pp 525-536, M. Gomez Moreno , El Cementario real de los Nazaries en Mondujar (Al Andalus Vol VII (1942) fasc 2 p 281 .

(٤) ابن الخطيب : نقاضة الجراب ص ٣٢ - ٣٢٥ .

(٥) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية وثيقة رقم ٦٦ ص ١٠٤ - ١٠٦ .

(٦) انظر : M. Gaspar Remiro , Emigración de los moros granadinos allende el Estrecho , Revista del centro de Estudios Historicos de Granada y su reino t. II, (1912) pp 1-13

المواطن الموريسكى بشعر معصب باكليل من اللؤلؤ ونحر مزين بقلادة من الذهب ، واصابع تحمل الخواتم ، ومعصم مزين بدمالج من الذهب ^(١) .

وتظهر الوثائق ان السيدات المدجنات فى قشتالة كن يصبغن الاظافر بالحناء ^(٢) . ولقد ظلت هذه العادة متبعة لدى المسلمين حتى القرن السادس عشر عند زيارة السفير الفينيسى Andrea Navagero لدى بلاط الملك كارلوس الخامس ، لغرناطة عام ١٥٢٤ م ^(٣) .

وكانت الغرناطيات تتمتعن بالشعر المرسل الاسود ^(٤) كما كان اهل الاندلس يتعهدون شعورهم بصباغته بالحناء أو السواد عندما يغزوه المشيب ^(٥) . وفى كتاب الشطرنج تظهر السيدات وهن يمسكن شعورهن بواسطة " وقاية " ^(٦) بسيطة أو " منديل " مخطط ^(٧) .

وكانت الذؤابة لا يرخيها الا العالم ، ولا يصرفونها بين الاكتاف ، وانما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى ^(٨) .

وكان السلطان اسماعيل الثانى يرسل شعره على شكل ضفائر يدخل بينها خيوطا من الحرير تصل الى الوسط ^(٩) .

(١) انظر : G. Pérez de Hita : Guerras Civiles de Granada

(Biblioteca de Autores españoles, Madrid 1944) , t. III

P 679 , J. Martínez Ruiz : La Indumentaria de los moriscos según Pérez de Hita y los documentos de la Alhambra, en Cuadernos de la Alhambra, 3, Granada 1967, pp 55-124 .

(٢) Libro del Ajedrez, fol 18 r y 54 r & R. Aré, l'Espagne Musulman au Temps de Nasrides p 390 .

(٣) انظر : Andrea Navagero : op. cit. , p. 74 . ولاحظ الاسبان قد حرموا على الموريسكيات الصباغة بالحناء عندما تشددوا في معاملتهم للموريسكيين انظر : J. Caro Baroja : Los Moriscos del reino de Granada (Madrid 1957) p 129 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٥ ، اللوحة ص ٢٩ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٣٥٣ ، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٤٦ .

(٦) كان اهل غرناطة يقرنون لما يجعله المرأة على رأسها تحت مقنعتها من حرير كان أو غيره كنهرش ، ويقال له ايضا الفخارة أو الرقاية أو الرقية وهي في الاسبانية Cambuj انظر الاخواني ، الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في الفن العاصم ص ٥٥ وكذلك : Simonet. p 80 y Dozy II, p 491 .

Aré : Op. cit. p. 65 .

(٧) انظر :

(٨) المقرئ : نفع الطبيب ، ج ١ ص ٢٠٨ .

(٩) ابن الخطيب : اللوحة ص ١١٧ .

نفاضة الاغتراب ص ١٠٣ .

ونجد ان كثيراً من الغرناطيين كانوا يطلقون ذقونهم ويحدثنا ابن الخطيب ان من أشد العقوبات التي كانت توقع على الجنود عند خيانتهم او اتهامهم بالتولي يوم الزحف هو قص ذقونهم ^(١) .

كذلك فان بين الاشخاص العشرة الذين يظهرون في سقف صالة التريبونال في الحمراء ، ثمانية لهم ذقون . وكان السلطان ابو الوليد اسماعيل " كبير اللحية عظيمها " ^(٢) ، كما كان السلطان ابو الحجاج يوسف الاول " كث اللحية " ^(٣) .

وكان الغرناطيون يتعهدون ذقونهم بالصباغة والاهتمام ، فنجد ان خالد ابن ابي خالد البلوى قاضى قنتورية Cantoria ، المعاصر لابن الخطيب كانت له ذقن مصبوغة بالحناء والكتم ^(٤) .

الاطعمة والاشربة في مملكة غرناطة :

كان الطعام الغرناطى مستمداً من التقاليد الخاصة بالطعام الاندلسى الاسلامى ^(٥) . وكان القمح هو الغذاء الاساسى في غرناطة ^(٦) . ولهذه اضطر السلاطين الى استيراده في بعض السنوات ، وقبول الهدايا منه من الدول الاجنبية في سنوات اخرى ^(٧) . ويضيف ابن الخطيب ان الفقراء وأهل البادية والعمال كانوا يقتاتون الذرة وخاصة في فصل الشتاء ^(٨) . وقد امتدح ابن خلدون ذلك قائلاً : "

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٣ .

(٢) النباهي : نزهة البصائر والابصار في 128 Muller : p

(٣) النباهي : نزهة البصائر والابصار في 131 Muller : p

(٤) د . العبادي : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ٣٦ .

(٥) انظر علي سبيل المثال ، مؤلف مجهول : كتاب الطبخ في المغرب والاندلس في عصر الموحدين لتحقيق امروزيو أدبي ميراند (مدريد ١٩٦٥) وكذلك رسالة لمؤلف مجهول ترجمت الى الاسبانية بعنوان :

Sobre la cocina hispano Magrebi

رسالة غير مطبوعة توجد في مكتبة مدرسة الدراسات العربية بمدريد (14 caja / note) عبارة عن ترجمة للاسبانية

لكتاب فضلات الخوان في طبياط الطعام والالوان لابي الحسن علي بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن ابي بكر بن رزين التجيبي الاندلسي الذي يرجع الى اصل مرسى ، وكان معاصراً للسلطان محمد الاول بن الاحمر .

(٦) ابن الخطيب : اللوحة ص ٢٨ .

(٧) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ج ٣ ص ١٧٤ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٧ .

(٨) ابن الخطيب : اللوحة ص ٢٨ ، الاحاطة (عثان) ج ١ ص ١٤٣ ، ٣٦٩ .

وأهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان أخذتهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ماتنال من أولئك ، ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا ينذر (١١) .

بعد القمح والشعير يأتى الارز ، وقد أحبه الاندلسيون مطبوخا باللبن (١٢) . كذلك عرف أهل الاندلس نوعا من الشعيرة كانوا يطلقون عليه اسم " الفدوش " (١٣) . ثم نجد أن القاضى الغرناطى ابا عبد الله بن الأزرق الذى لجأ الى مصر فى نهاية القرن التاسع الهجرى (١٥م) قد أثاره الحنين الى غرناطة وطعامها وشرابها فوضع قصيدة حول هذا الموضوع (١٤) . تحدث فيها عن بعض انواع الأطعمة الغرناطية مثل العدس ، طوابق الكبش ، والبيض المقلو بالزيت ، والفراريج المشوية ، والشريد (١٥) وهى عبارة عن خبز مفتت ومغموس فى حساء اللحم ، والخضروات ، والارز باللبن ، والرقاق ، والكسكس ، وهو عبارة عن برغل يطبخ على البخار ثم يسقى بالحساء على اختلاف انواعه ، وقد عرف الكسكس فى الاندلس منذ وقت طويل (١٦) .

كذلك كان هناك طبق مفضل يسمى " المروزية " كان يتكون من الدجاج والخل والزيت والعناب واللوز والكمثرى ويضاف اليه اللوز المقشر المدقوق (١٧) . وطبق آخر اساسه اللحم يسمى " تفايا " كان لونه اخضر أو ابيض تبعا لما يوضع فيه من الكزبر الطازج أو الجاف (١٨) وطبخة متبللة اساسها اللحم والخل والفلفل والكزبر اليابس والبصل والملح والثوم والبيض تعرف باسم " سكباچ " (١٩) . ثم كانت هناك الامعاء المحشوة التى كانت تسمى باسم " مركاس " (٢٠) .

(١) ابن خلدون : المقدمة (طبعة بيروت) ص ٨٨ .

(٢) المقرئ : نفع ج ٤ ص ٢٧٩ .

(٣) انظر : Dozy, II, p 245 .

(٤) المقرئ : نفع الطيب ج ٤ ص ٢٧٧ - ٢٨١ .

(٥) انظر : مؤلف مجهول : كتاب الطبخ ص ١٨١ - ١٨٣ ، المقرئ : ازهار الرياض ج ٢ ص ١٢٩ .

(٦) انظر وصفه في مؤلف مجهول : كتاب الطبخ في المغرب والاندلس ص ١٨٤ .

(٧) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٢٧ .

(٨) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٨٥ - ٨٧ .

(٩) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٩٤ .

(١٠) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٢١ .

"والعصبان " وهى نوع من الطعام يصنع ايضا من الامعاء التى تقطع الى أجزاء صغيرة وتحشى باللحم والارز والتوابل (١) .

ومن الاطعمة فى غرناطة جاء ايضا ذكر " اللحم المعروف بالمبرد " (٢) وهو اللحم المعالج بالتوابل والحلوى . و " بيضا مقلوا مجعولا فى خل " و " شريحة " و " جوزا " و " قسطلا فى النار مشوطا " و " دجاجة محمرة ببيض (٣) ، والفسول (٤) والفسول المقلو المملح الذى كانوا يطلقون عليه اسم زرياب ، نسبة الى المغنى زرياب الموصلى (٥) . و " الجشيشة الملوكية " وهى ان يؤخذ القمح فينقى ويطحن فى طاحونة اليد ثم ينفض من نخالته ويؤخذ منه قدر فيجعل فى برمة ، ويصب عليه الماء ثم يطبخ . فاذا نقص الماء عنه يعاد بلبن حليب مرة بعد مرة ، فاذا نضج عدل بلحم قليل ، وصب عليها من دسم الدجاج المطبوخة ثم يعاد عليها الدسم ، وتكون رقيقة بحيث يمكن تناولها (٦) ، وكان هناك طبق يعرف بـ " الهرسة " وكان يتكون من الارز ولحم صدور الدجاج أو لحم الغنم وشحم الغنم المذاب والقرفة (٧) كذلك عرفوا الباذنجان المحشو (٨) .

كما كانوا يأكلون نوعا من الارانب يطلقون عليه اسم " قنلية " وهى كلمة لاتينية كانت تطلق على حيوان أدق من الارنب المعتاد وأطيب طعما (٩) . وكان هناك كذلك الارنب البرى المطبوخ بالفرن ويتبل بالتوابل والزيت والخل والبصل والبيض (١٠) .

(١) ابن الاحرار : نفير فوائد الجمان ص ٢٥٤ ، Dozy : II, 133

(٢) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٦٥١ .

(٣) الازدى : تحفة المغرب ص ١١٠ .

(٤) الازدى : تحفة المغرب ص ١١٠ .

(٥) المقرئ : نفع الطيب : ج ٢ ص ٨٨ ، د. عبد العزيز الاخوانى : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي فى الفن العامة ص ٣٥ وكذلك : Dozy : Suppl. I, p 590

(٦) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ١٩٣ .

(٧) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٨) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٥١ .

(٩) الازدى : تحفة المغرب ص ١٦٤ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٨٤ ، Dozy : II, p 414

(١٠) مؤلف مجهول : كتاب الطبخ ص ٤٣ .

ثم كانت هناك الطيور مثل الدجاج ، واليمام وطائر يسمى شفينين^(١) والعصافير^(٢) وكانت تضاف الى الفروج نوعا من الصلصلة مكون من الثوم والملح والفلفل والقرفة وغيرها تسمى المثومات أو الثومية^(٣) .

وعرف الغرناطيون الاسماك المختلفة التى كانوا يطلقون عليها اسم " الحوت " وكانوا يقدمون منها اطباقا مختلفة^(٤) .

كذلك كان لديهم نوع من القنائف يضاف اليها الجبن فى عجينة ثم تقلى فى زيت الزيتون ، وكانت تعرف باسم المجبنات^(٥) .

وعرف عن أهل غرناطة تناولهم للفاكهة والخضروات بكميات كبيرة، وتذكر المصادر ان اسعارهما كانت رخيصة فى بلاد المملكة^(٦) . وفى تقويم غرناطى مجهول المؤلف من القرن التاسع الهجرى (١٥م)^(٧) ، نجد يوصى بأكل الثوم كل صباح فى يناير ثم شرب الماء بعد ذلك^(٨) وفى ابريل يؤكل الفجل والزيتون والخيار الذى كان موجودا على اصناف^(٩) . وكان الغرناطيون ينعمون بالفاكهة الطازجة التى كانت المملكة تنتجها بوفرة . ففى الربيع والصيف كان هناك البطيخ^(١٠)

(١) انظر : Dozy , l, p 771

(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٤٢ .

(٣) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٤٦ ، المقرئ نفع الطيب ج ٤ ص ٢٧٠ وكذلك Dozy : l, p 167

(٤) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ١٧٢ وما بعدها

(٥) مؤلف مجهول : المصدر السابق ص ٢٠٠ وما بعدها ، نفع ج ١ ص ١٧٢ .

ويقول ابو البركات بن الحاج البليغى (ت ٧٧٣ هـ) فى المجبات (النباهى : الرقبة العليا ص ١٦٤ - ١٦٧) :

ومصرفة الخدين مطوية الحشا على الجبن والمصفر يؤذن بالخوف

لها بهجة كالشمس عند طلوعها ولكنها فى الحين تغرب فى الجوف

ويقول ابن الازرق فى المجبنات ايضا (المقرئ : نفع الطيب : ج ٣ ص ٤٥٥ ، ازهار الرياض ج ٣ ص ٣١٩) .

ورب محبرة تهـدت كأنها الشمس فى حلالها

فأعجب لخال الأنام من قد أحبها منهم قلاهما

(٦) ابن الخطيب : اللحمه ص ١٤ .

(٧) انظر :

J. Vázquez Ruiz : Un calendario anónimo granadino del siglo XV

فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلاميه بمديره العدان (٩ - ١٠) (١٩٦١-١٩٦٢) ص ٢٣-٦٤

IBID. p 40

(٨) انظر :

IBID. p 58

(٩) انظر :

IBID. p 58.457

(١٠) انظر :

والبرقوق (العين) ^(١) والمشمش ^(٢) ، والرمان ثم كان هناك تين مالقة الشهير ^(٣) .

ويذكر ابن الخطيب انهم كانوا " يدخرون العنب سليما من الفساد الى ثلثي العام الى غيره من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز الى غير ذلك مما لا ينقطع مدده الا بفصل يزهد في استعماله " ^(٤) .

ومن انواع الحلوى لدى الشعب الغرناطي نذكر : عجينا من الدقيق والماء يقلى في زيت كثير ويسمى اسفانج ^(٥) أوزلابية ^(٦) . ونوعا آخر عبارة عن خبز مفتت ويندق وعسل يسمى زيزين ^(٧) ، والعصيدة التي كانت تتكون من العسل والزيت والسمن ولباب الخبز واللوز المقشر المدقوق ومع البيض ثم يرش عليها مسحوق السكر وانواع الدسم والادهان ^(٨) . والقرص (جمع قرصة وقد انتقلت الى الاسبانية فصارت Alcorza والى البرتغالية فصارت Alcorca ^(٩) .

كذلك كانوا يعدون انواعا مختلفة من المربى مثل السفرجل والتفاح ^(١٠) والبنفسج والنانج وغيرها ^(١١) .

أما عن المشروبات التي كان يتناولها الغرناطيون فكانت اللبن ، والماء المعطر بخلصة زهر الورد أو البرتقال وشراب السفرجل والتفاح ^(١٢) والتمر هندي والجوز والعناب وغيرها ^(١٣) .

(١) انظر : IBID. p 61

(٢) انظر : IBID. p 63

(٣) المقرئ : نفع الطيب : ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٤) ابن الخطيب : اللوحة ص ٢٨ - ٢٩ .

(٥) المقرئ : نفع الطيب ج ٤ ص ٢٨٠ .

(٦) مؤلف مجهول : كتاب الطيب ص ٢١٦ وكذلك Dozy : l, p 598

(٧) المقرئ : نفع الطيب ج ٤ ص ٢٨٠ وكذلك Dozy : l, p 579

(٨) مؤلف مجهول : كتاب الطيب ص ١٩٤ .

(٩) مؤلف مجهول : كتاب الطيب ص ٢٠٦ وكذلك Dozy : 11, p 328

(١٠) انظر : J. Vázquez : Op. cit. pp 23-64

(١١) مؤلف مجهول : كتاب الطيب ص ٢٤٨ وما بعدها

(١٢) انظر : J. Vázquez : Op. cit. p 36, p 60

(١٣) انظر امثلة اخرى في : مؤلف مجهول : كتاب الطيب ص ٢٣٥ وما بعدها .

كما كان البعض يتناول الخمر على الرغم من تحريمها دينيا ^(١) .
المرأة الغرناطية :

يصف ابن الخطيب المرأة الغرناطية فيقول : " وحريمهم حريم جميل موصوف
 باعتدال السمن وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفة
 الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة الا ان الطول يندر فيهن " ^(٢) .

ولقد تأثرت الحياة الاجتماعية للمرأة الغرناطية بدرجة كبيرة بالشعوب الاسبانية
 المسيحية ، بحكم الجوار وكنتيجة للاتصال المتبادل بين كلا الجانبين ^(٣) . فنرى ان
 كثيرا من العادات والتقاليد المسيحية قد انتقلت الى غرناطة ، في الوقت الذي
 كانت فيه تلك العادات مجهولة تماما في بقية ارجاء العالم الاسلامي يومئذ فعلى
 سبيل المثال نجد ان الحرية التي تمتعت بها المرأة الغرناطية كانت تسمح لها بالحضور
 الى الحمامات العامة ، وزيارة الصديقات ، والخروج للشراء دون ان يصحبها أحد .
 وكانت حمامات النساء في غرناطة مكانا للاجتماع والتسامر ، وكان يائعون ادوات
 الزينة والعطور والمساحيق يستفيدون كثيرا من ترددهن الى هناك ^(٤) . وكثير من
 النصوص تذكر انه في الاحياء الشعبية كان الرجال والنساء يلتقيان في الاماكن

(١) راجع الفصل الخاص بالعادات والتقاليد .

(٢) ابن الخطيب : اللوحة ص ٢٩ ، الاطاحة (عنان) ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣) من ذلك ما يذكره أسقف هيتا Arcipreste de Hita في كتابه :
 Libro del buen Amor من ان Garci Fernández de Garena

لد أفتان بامرأة مسلمة فحرب معها الى غرناطة واعتنق الاسلام تاركا ديانتها المسيحية الكاثوليكية

ليتزويج منها . انظر : Ménendez Pidal : poesía Juglaresca y Juglares p 168 & Fernandez y Gonzalez : Mudéjares de Castilla p 229.

كذلك يحدثننا ابن الخطيب كيف ان شريفا غرناطيا يدعى ابا بكر عتيق بن مول كان يعمل في البلاط القشتالي اعجب بانه
 احد الزعماء هناك فلهبت معه الى غرناطة (الاطاحة الاسكوريال) لوائح ٢٩٢ - ٢٩٣) .

من هاتين الروايتين نستنتج مدى سهولة الاتصال بين الجانبين الغرناطي والاسباني مما يساعد على انتقال مظاهر الحضارة
 بينهما انظر : Al Abbodi : el Reino de Granada en la epoca de Muhammed V, p. 145,n. 3.

(٤) انظر : Dr. Ahmad M. Al Abbaday : Op. cit., P 146

العامّة وفي أماكن الصلاة وحفلات العرس منذ العصر المرابطي^(١) .

أما بخصوص الحجاب فيبدو أن النسوة لم يكن لديهن اهتمام كبير في ارتدائه منذ وقت طويل . فنجد أن المحتسب ابن عبد الرؤوف يلوم بشدة السماح للزوجة بالسفور في وجود رجال ليسوا من المحارم^(٢) . وكانت النسوة في الأحياء الشعبية يقفن على أبواب المنازل سافرات الوجه^(٣) . وفي عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م صاحب لسان الدين بن الخطيب السلطان أبا الحجاج يوسف الأول في رحلة تفتيشية زارا خلالها وادي آش ، وهناك ترك النساء النقاب وتزاحموا لمشاهدة الركب السلطاني عند مروره بالمدينة " واختلط النساء بالرجال ، والتف أرباب الحجاب بربات الرجال ، فلم نفرق بين السلاح والعيون الملاح ، ولا بين حمر البنود وحمر الخدود " ^(٤) ، وفي المرية تزاحم النساء لاستقبال السلطان^(٥) ، وفي رندة كانت النسوة " يسفرن عن الخد المعشوق " ^(٦) ، وكانت برشانة " على وجوه نسوانها طلاقة وفي السنتهن زلافة " ^(٧) . كذلك فقد فتن الشاعر الغرناطي أبو الحسن علي العبدري (ت ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) أزاء جمال صديقتة عندما رفعت حجاب الحرير الذي كان يخفي وجهها^(٨) كما أننا نلاحظ أنه قد جاء في قانون يوسف الأول ما يفهم منه سفور النساء واختلاطهن بالرجال في مملكة غرناطة عندما يقول : " أن الحفلات التي تعقد

(١) رسالة ابن عبد الرؤوف في ثلاث رسائل اندلسية ص ٧٤ وكذلك :

Hist. Esp. mus. t. III, pp 402 - 403

(٢) رسالة ابن عبد الرؤوف ص ٨٣ .

(٣) نفسه ص ١١٣ .

(٤) ابن الخطيب : خطرة الطيف في مشاهدات ص ٥٠ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٤٤ .

(٦) ابن الخطيب : معيار الاختيار في مشاهدات ص ٩٦ .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٦ .

(٨) ابن الخطيب : الأحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٣١ ، ابن الأحمر ، نثير الفرائد الجمان ص ٣٢٤ - ٢٥ وفي هذا يقول :

أسافرة القناع سحرت لما	أمطت الحز عن بدر التمام
وتيمت القلوب بفتح طرف	كحيل ، مما يفيق من المنام
فعمرو أببك ما بالثرم بعد	عين الجفن المكحل بالظلام

بمناسبة عيدى الفطر والاضحى ، كثيرا ما كانت سببا فى احداث فوضى واضطراب ، الامر الذى كدر أمن الكبار وسرورهم ، حتى استحالت هذه الاضطرابات الى حماقات دنيوية ، كأن تكون جماعات من الرجال والنساء يتجولون فى الشوارع وتصادفهم القاذورات ، نتيجة تقاذف الشباب بالبرتقال والليمون الحلو ، وياقات من الزهور ، بينما افواج الراقصين والراقصات والمغنين تعكر صفو الآمنين برنين القيشارات والاعواد " (١) .

ولكن على الرغم من كل هذا ، لم تختف من غرناطة كلية التقاليد الاسلامية التى كانت تفرض العزلة على المرأة ، فكثير من نساء العائلات المتدينة كن يستخدمن الحجاب ، ويتعبدن عن الحياة العامة . يروى لنا ابن الخطيب كيف ان الفقيه ابو البركات بن الفخار الجذامى (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) " كان يتخذ رومية مملوكة ، لا يشتمل منزله على أحد سواها ، فاذا انس منها الضجر للحصر وتمادى الحجاب ، اعتقها ، وأصحابها الى أرضها " (٢) .

كذلك فقد جاء فى قانون يوسف الاول انه " محافظة على قدسية المساجد ، فانه يمنع اختلاط الاشخاص من الجنسين من مختلف الاعمار : فالشيوخ لهم الصفوف الاولى من المسجد ، يتلوهم الاطفال ، وفى الصف الاخير يكون النساء ، أما الكهول والشبان فعليهم ان يمشوا فى اماكنهم حتى يغادر النساء جميعهن المسجد ، وسيخصص مكان منزو للفتيات الشابات ، واللاتى يلزمهن وضع الخمار على وجوههن ، وأن يرتدين الملابس المناسبة " (٣) .

ولقد تمتعت المرأة الغرناطية بمركز مرموق فى الوسط الادبى والعلمى ، وتلقت نصيبا عاليا من العلم ونبغت منهن بعض الشخصيات فى ميادين العلوم المختلفة ويصفهن ابن سعيد بقوله " يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات

(١) انظر : M. Lafuente Alcantra : Historia de Granada, t. III pp 166 - 167 .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) المجلد الثالث ٩١ - ٩٥

(٣) انظر : M. Lafuente Alcantra : Op. cit. pp 166 - 167

لمحافظتهن على المعاني العربية " (١) .

من بين هذه السيدات تقابلنا أم السعد بنت عصام بن أحمد الحميرية القرطبية (ت بمالقة سنة ٦٤٠ هـ) التي كانت اديبة شاعرة (٢) . وزينب بنت مكى التي سمع عنها العلم الكثير من أهل ذلك الزمان (٣) . وأم العلا سيدة بنت عبد الغنى العبدرية (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م) التي لجأت الى تونس مع والدها ، واعتنى والدها بتربيتها وتنشئتها وتعليمها ، واخيرا انقطعت لتدريس البنات ، وكانت آية في حفظ القرآن ، مليحة الخط ، نسخت مرارا بخطها " احياء علوم الدين للغزالي " ، وقد خصصت جميع ما تتقاضاه من اجر لفقراء أسارى المسلمين وفك عراهم من قيد النصارى (٤) .

تقابلنا كذلك أم الحسن بنت القاضي ابي جعفر الطنجالي (ت ٧٥٠ / ١٣٤٩) - اصلها من لوشة ، وكانت تحيد قراءة القرآن ، وتشارك في الطب وتنظم ابياتا من الشعر (٥) .

ويذكر ابن الخطيب ان احد قضاة لوشة كان له زوجة فاقت العلماء في معرفة الاحكام والنوازل ، وكان زوجها يستشيرها في مجلس قضائه فيما استشكل عليه فتشير عليه بما يحكم به (٦) .

كذلك حصلت المرأة في مملكة غرناطة علي مركز اجتماعي مرموق، فكانت منهن

(١) المقرئ : نفح الطيب ج ٦ ص ٢٥ ، ج ٥ ص ٣٩٩ - ٤٠٠ .

(٢) ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، المجلد الثاني ، ترجمة رقم ١٢١٨ ص ٧٤٨ (مدريد ١٨٨٧)

(٣) ابن حجر : الدور ، السفر الاول ص ٦٦ ترجمة رقم ١٧٥ .

(٤) ابن الابار : المصدر السابق ج ٢ ص ٧٤٨ ترجمة رقم ١٢١٩ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ٣٢٤ ، حسن حسني عبد الوهاب : شهيرات التونسيات (تونس ١٣٥٣ هـ) ص ٧٣ - ٧٤ . وكذلك R. Brunscvig : Berberie I, 175 .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (حنان) ج ١ ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ، ابن حجر العسقلاني : الدور ، السفر الاول ، ص ١٨٣ - ١٨٤ ترجمة رقم ٤٧٣ .

(٦) نفح ج ٦ ص ٣٠ وقد كتب اليه أحد اصحابه مداعبا بقوله :

بلوشة قاض له زوجة واحكامها في الوري ماضية

فياليت له يكن قاضيا وباليته كانت القاضية

قاطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت : ناولني القلم ، فناولها ، فكتبت بديهة :

هو شيخ سوء مزدري له شيوب عاصية

كلا لئن لم ينتسه لنسفعا بالناصية

الزوجات المفضلات للسلطين أو المحظيات المدلات اللاتى كن يستطعن توجيه سياسة الدولة. مثال ذلك تلك المؤامرات التى كانت تحاك على يد مريم أم اسماعيل والزوجة المفضلة للسلطان يوسف الاول فى عام ١٣٥٦/٧٦٠ ضد السلطان الشرعى محمد الخامس الغنى بالله (١) وكذلك الدور المهم الذى لعبته فاطمة ، زوجة السلطان أبى الحسن على وام أبى عبد الله محمد الاخير ، لتحصل على حرية ابنائها بعد هزيمة اللسانة (٢) .

العادات والتقاليد :

كان الغرناطى يعشق بلده ويتغنى بمحاسنها وجمالها الى درجة التعصب والمغلاة فى اظهار فضائلها ومميزاتها حتى انه لا يتخرج عن المساس بالبلاد الاخرى ، وهذا الاستعلاء من جانبهم وعدم مراعاتهم لشعور الغير كان من بعض خصائصهم . وكم من مؤلفات ورسائل وضعها ادباء غرناطة وشعراؤها يشيدون فيها بمآثرها ومفاخرها . من ذلك هذه الرسالة التى وضعها ابن الخطيب بعنوان " مفاخرة مالقة وسلا " واستخدم فيها اسلوب الحوار فى المقارنة بين المدينتين ، وفيها يظهر انحيازه الى وطنه (٣) . كما وضع محمد بن ابراهيم بن عبد الله الانصارى المعروف بابن السراج (ت ٧٣٠ هـ) كتابا اسماء " السر المذاع فى تفضيل غرناطة على كثير من البقاع (٤) " . وعن مدن المملكة الاخرى نذكر كتاب أحمد بن خاتمة (ت بعد سنة ٧٧٠ / ١٣٦٩م) " مزىة المرية على غيرها من البلاد الاندلسية " (٥) .

وكان الغرناطيون يحرصون على المحافظة على عاداتهم المروثة فيروى " ان الرئيس ابا عبد الله بن زمرك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب يستأذنه فى حملة مسائل ، مما يتوقف عادة على اذن الوزير ، وكان معظمها

(١) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٣ - ١٥ ، ١١٤ .

(٢) انظر : A. de la Torre : Los Reyes Catolicos y Granada p 156 - 159 .

(٣) نشر مولر هذه الرسالة فى كتاب Muller : (Marcus Joseph) : Beitragezer Geschichte der westlichen araber (munchen 1866)

ثم اعاد نشرها الاستاذ الدكتور / أحمد مختار العبادى فى كتابه " مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى المغرب والاندلس ص ٥٧ - ٦٦ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٤٠ - ١٤١ ، Pons Boigues : Ensayo Bio - Biblio - grafico sobre los Historiadores Geografos arabigo - espanoles (Madrid 1898) p 319

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٩١ ، الزركلى : الاعلام ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢ .

فيما يرجع الى مصلحة الرئيس ابي عبد الله فقال الشريف ^(١) : فامضاها كلها له ، عدا واحدة منها تضمنت نقص عادة مستمرة ، فقال له ذى الوزارتين (السان الدين ابن الخطيب) : لا والله يارئيس ابا عبد الله ، لا اذن لك فى هذا لأنّ ما استقمنا فى هذا الدار الا بحفظ العوائد " ^(٢) .

ويصف ابن الخطيب اهل غرناطة بأن " طاعتهم للأمرأ محكمة ، واخلاقهم فى احتمال المعاون الجبائية جميلة وأخلاقهم أبية فى معانى المنازعات " ^(٣) كذلك يذكر الرحالة المصرى عبد الباسط انه رغم ذلك فانهم " من شأوا سلطنته ابقوا ، ومن أبوه أخرجه " ^(٤) . كذلك كان العامة فى الاندلس " يشورون بالقاضى ان جانب العدل ، وبالحاكم ان ولج فى معصية ظاهرة ، حتى انهم يدخلون عليه قصره حتى يخرجوه من بلدهم " ^(٥) .

وكان بعض اهل غرناطة يتشبهون بالمشاركة فى ذلك العهد ، مثال ذلك خالد بن عيسى البلوى قاضى قننورية ، والمعاصر لابن الخطيب الذى كان يتشبه بالمشاركة " شكلا ولسانا . ^(٦) .

كذلك كان البعض يتشبه بالروم ، من هؤلاء نذكر الوزير ابن الحاج المهندس (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤) الذى نقم عليه العامة التشبه بالروم فى الاكل والحديث وكثير من الاحوال والهيئات وتطريز المجالس بأمثالهم وحكمهم ^(٧) .

وانتقلت بعض العادات المسيحية الاسبانية الى غرناطة مثال ذلك انه عند وفاة نصرين ابراهيم بن ابي الفتح الفهرى ، " حمل سريرته الجملة من فرسانه وابناء ^(١١) هو ابو يحيى بن عاصم صاحب كتاب الروض الارض فى ترجمة شمس العصر ، من ملوك بنى نصر .

^(٢) المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ٥٩ .

^(٣) ابن الخطيب : اللحة ص ٢٧ .

^(٤) انظر : G. Levi Della Vida : II Regno Di Granata Nel

1465-1466 Nei Ricordi Di Un Viaggiatore Egiziano (Al Andalus Vol. I Fasc 2 (1933)

P 314)

^(٥) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٤ .

^(٦) ابن الخطيب : خطرة الطيف فى مشاهدات ص ٣٦ ، ابن القاضى : جلوة الالتباس ص ١١٦ - ١٢١ ، أحمد بابا التنبكى : نيل الاهتاج ص ١١٥ ، الحسن السائح : البلوى : الرحالة الاندلسى المجهول بمجلة دموع الحق العدد العاشر - السنة الخامسة صفر ١٣٨٢ / يوليو ١٩٦٢ ص ٣٨ - ٤٠ .

^(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عتان) ج ٢ ص ١٣٩ - ١٤١ .

نعمته " (١) .

وكان الرجال يطلقون لحاهم (٢) ، ويتعدونها بالحناء والكتم (٣) . فسعد زيارة السلطان ابي الحجاج يوسف الاول لمدينة قنتورية خرج قاضيها ابن ابي خالد المذكور لاستقباله وهو يرتدى احسن ملابس و " رمى من البياض طيلسانا وصبغ لحيته بالحناء والكتم ، ولاث عمامته واختتم " (٤) .

وكان مسلمو غرناطة على صلة وثيقة بأحكام الشرع ، يحرصون على تطبيقها والتزام مبادئها ، يحدوهم حماس بالغ فى نصر الاسلام وظهره على اعدائه ، فان الحروب المتوالية مع نصارى الاندلس بعثت فى نفوسهم الحمية جيلا بعد جيل ، وادركوا ان بقاءهم فى تلك البلاد غدا رهنا ببقاء الاسلام والتزام احكامه ، وكانوا يميلون الى العطف على آل البيت عطفاً شديداً ، نذكر من ذلك السلطان اسماعيل ابن فرج الذى " اعتنى بأهل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبذل فى فداء بعض اعلامهم ما يعز بذله ، ونقل منهم بعضاً من حرف خبيثة " (٥) .

وكان أهل غرناطة سنيين على مذهب الامام مالك بن انس امام دار الهجرة وكانت الأهواء والنحل فيهم معدومة " (٦) .

وكانت طريقة الفقراء على مذهب أهل المشرق فى الدورة التى " تكسل عن الكد وتخرج الوجه للطلب فى الاسواق فمستقبحة عندهم الى النهاية ، واذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب ، سبوه وأهانوه ، فضلا عن ان يتصدقوا عليه ، فلا تجدد بالاندلس سائلا الا ان يكون صاحب عذر " (٧) .

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ٣ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٢) انظر على سبيل المثال النباهى : نزهة البصائر والابصار فى 128 , 119 pp Muller .

(٣) ابن الخطيب : خطرة الطيف فى مشاهدات ص ٣٦ - ٣٧ والكتم نبات يخضب به .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٣٦ - ٣٧ .

(٥) ابن الخطيب : اللمعة ص ٧١ .

(٦) ابن الخطيب : اللمعة ص ٢٧ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٠ .

(٧) (المقرى : نلح الطيف ج ١ ص ٢٠٥ .

وكان لأهل غرناطة احتياطات وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال وقد ينسبون الى البخل بسبب ذلك ^(١) .

وانتشرت في المجتمع الغرناطي في هذا العصر عادة اهداء بواكير ^(٢) الفاكهة والزهور التي اشتهرت بها الأندلس مثل الرمان وحب الملوك (الكرز) والعنب والبنفسج وغيرها ، الى بعضهم البعض ^(٣) . كما انتشرت طريقة اللغاز في تعبيرات ذلك العصر فيروى ابن الخطيب كيف انه قد أهدى باكورة رمان الى أستاذه أبى الحسن بن الجياب فقال له " نعم بالهدنة زمانك " أى " نعمت الهدية زمانك " ^(٤) وذاعت في غرناطة في هذا العصر رسائل كانت تبعث الى المقام النبوى الشريف ينشئها الكتاب عن سلاطينهم ويحملها ركب الحجيج الى المدينة المنورة ^(٥) .

وكان الناس يؤمنون بالاولياء والصالحين وأهل التصوف وأصحاب الكرامات إيماناً راسخاً ، حتى أن السلطان محمد الاول بن الأحمر توجه الى المتصوف أبى مروان اليجانسى فى وادى آش فى لحظة حرجة فى صراعه مع نصارى شبه الجزيرة طالبا منه ان يعينه بدعواته المجابة ^(٦) . كذلك كان السلطان محمد الخامس يعتقد فى الصالحين وكراماتهم ^(٧) ، كما كلف الناس بقبر الولي محمد بن أحمد الانصارى (ت قبل عام ٧٥٠ بيسير) ، " فأولوا حجارته من التعظيم ، وجلب أوانى المياه

(١) المقرئ : نفع الطيب : ج ١ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ حيث يروى نقلا عن ابن سعيد ان الأخير قد مرع والده على قرية من قرى الأندلس فى ليلة زاد بها وهطل مطرها . فنزلا فى بيت شيخ من أهلها من غير معرفة سابقة وانه قد رحب بهما وأمر ولده ان يعطى ابن سعيد كساء ثقبلا يدفع عنه البرد ، ولما أصبح ابن سعيد وجد الغلام متنبها وبده فى الكساء حرصا منه وخوفا من ان يهرب الضيف بهذا الكساء .

كذلك يؤثر عن أبى حيان الغرناطي انه أوصى بعض تلاميذه قائلا : " احفظ دراهمك ودع يقال عنك بخيل وتحجج الى الأراذل " .

انظر : سعيد اعراب : أبى حيان الغرناطي . مجلة البحث العلمى . السنة الاولى - العدد الثالث جمادى الثانية / رمضان ١٣٨٤ ، سبتمبر / يناير ١٩٦٤ ص ٢٤١ - ٢٤٧ .

(٢) انتقلت كلمة باكورة الى الاسبانية قصارت Albacor

انظر : Dozy : 1, p. 106

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣١٦ ، المقرئ : ازهار الرياض ج ٢ ص ١٢٩ ، نفع الطيب : ج ٩ ص ١٧٢ ، ج ١٠ ص ٨٥ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣١٦ .

(٥) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب: ديوان الصيغ والجهاج ص ٣٢٠ - ٣٢٥ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٩ ص ٥٨ - ٨٣

(٦) الازدى : تحفة المغترب ص ٦٨ - ٦٩ .

(٧) المقرئ : نفع الطيب ج ١٠ ص ١٢٦ .

للمداواة ، ما لم يولوه معشاره أيام حياته " (١) .
ولما كانت غرناطة معروفة بكثرة انتاجها من العنب (٢) ، من أنواع مختلفة وخاصة هذا الذى كان بلا بذور (٣) ، فقد اعتادوا على حفظه فى عصير دون تخمير لاستعماله بقية العام (٤) . غير ان هذا لم يكن ليمنع الكثير من الغرناطيين من القيام بتخمير هذا العصير وتحويله الى نبيذ . ويفهم من النصوص والقصائد الشعرية المعاصرة ان تعاطى الخمر كان أمرا منتشرا فى غرناطة على الرغم من كل التحريمات (٥) .

وفى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) نجد ان الشاعر ابا الوليد اسماعيل بن محمد الشقندى يتغنى فى رسالته عن فضائل الاندلس بنبيذ مالقة الذى كان موضع اعجاب اهل الاندلس منذ اجيال بعيدة (٦) ، حتى " صار يضرب المثل بالشراب المالحى " ، وقيل لأحد الخلقاء وقد أشرف على الموت : اسأل ربك المغفرة ، فرفع يده وقال : يارب اسألك من جميع ما فى الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية (٧) .

كذلك يروى ابن الخطيب فى احاطته أن طبيبيا غرناطيا يدعى محمد الخزرجى المعروف " بلا أسلم " (٨) " (ت بعد ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩) كانت له خمر مخبأة فى كرم كان له بالمرية ، فسرقتها جماعة من اللصوص فعمد الى الجرة وملأها بخمر آخر وجعل فيها شيئا من العقاقير المسهلات واشاع بان الخمر العتيقة التى كانت له لم تسرق وانما هى باقية بموضع كذا فعمد اليها اولئك اللصوص وأخذوا فى تناولها

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (هتان) المجلد الثالث ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) ابن الخطيب : اللعة ص ٢٨ .

(٣) انظر : F. Simonet : Descripción del Reino de Granada p 186 .

(٤) ابن الخطيب : اللعة ص ٢٨ - ٢٩ .

(٥) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢١ - ٢٥ ، ١٥٢ .

(٦) المقرئ : نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٧) المقرئ : نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠٦ وكذلك : E. García Gomez : Elogio del Islam Espanol, III .

(٨) عرف بهذا السم لانه كان دائما يعارض تشخيص زملاءه من اطباء قائل لا لهم لا أسلم . (ابن الخطيب الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٥٢ وكذلك : Dr. A. Mujtar Al Abbady : Op. cit. p 155 n. 6 .

فعادت اليهم بالاستطلاق القبيح المهلك فقصدوا اليه وعرضوا عليه ما أصابهم فاشتراط عليهم ان يردوا له ثمن ما أخذوه ثم يبدأ فى علاجهم فجمعوا له اضعاف ما كان يساويه خمره وسلموه له فشرع فى هذا العلاج حتى تم شفاؤهم " (١) . كما اننا نجد ان ابن الخطيب عند حديثه عن بعض الشخصيات من عليه القوم وترجمته لهم فانه يمتدحهم بالصفات الطيبة بالاضافة الى اعجابهم بالنبيذ وتعاطيهم له (٢) . مثال ذلك القاضى ابو بكر محمد بن الاشبرون (على عهد محمد الفقيه) الذى " لقى سكران من الجنند قد افراط فى القحة ، واشتد فى العريدة ، وحمل على الناس فأفرجوا عنه ، فاعترضه بنفسه وقبض عليه واستبصر فى حده وبالف فى نكاله (٣) . وجاء فى الاحاطة ان محمد بن محمد الانصارى (احد كتبة الفقيه ، ت فى حدود ٦٩٠ هـ) كان معاقرا للخمر حتى زعموا انه قاء يوما بين يديه فأخر عن الرتبة " (٤) كذلك أقام القاضى ابو الحسن الصغير الحد على سفير غرناطى شرب الخمر ، وأعرض عن شفاعة الشافعين " (٥) .

ويبدو ان تعاطى الخمر قد تفشى فى هذا العصر بين سكان المملكة لدرجة ان السلطان محمد الخامس أصدر قرارا هاجم بشدة هذا الامر ، ودعا الغرناطيين الى ضرورة الابلاغ عن اماكن بيع الخمر فقال : " ومن اتخذت بجواره خمر فاشية ، أو نشأت فى جهته للمنكر ناشية ، فنحن نقلده العهدة ، ونطوقه القلادة ، ووراء تنبيهنا على ما خفى عنان الشكر لمن اهداه ، واخصاد سعى من ابلغه وأداه ، ما نرجوا ثواب الله عليه ، والتقرب به اليه ، فمن اهدانا شيئا من ذلك فهو شريك فى أجره ، ومقاسم فى مثوبته ، وحسبنا الله ونعم الوكيل " (٦) . ولم يكتف محمد الخامس بهذا وإنما كان يشتد " فى اقامة الحدود ، واراقة العسكرات " (٧) . كذلك نجد المحتسب عمر الغرسيفى (فى نهاية ق ٩ م / ١٥ هـ) يوصى

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٥٢ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢١ - ٢٥ .

(٣) ابن الخطيب : اللوحة ص ٤٠ - ٤١ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٣٧٠ .

(٥) السلاوى : الاستقصا ج ٣ ص ١٠١ .

بتأديب السكارى والمخمورين الذين يمشون فى الاسواق^(١) ، بل ويحرم على المسلمين نقل آلات الخمر الخاصة بأهل الذمة^(٢) .

ثم كانت هناك آفة أخرى بدأ انتشارها فى غرناطة خلال هذه الفترة وهى آفة تعاطى الحشيش^(٣) . وتؤيد المساجلات الشعرية التى دارت بين شعراء غرناطة فى ذلك العهد حول تفضيل الحشيش على الخمر هذا رأى^(٤) . ولاشك ان الحشيش قد بدأ انتشاره فى المشرق ، ثم انتقل الى غرناطة بعد ذلك فى بداية القرن الثامن الهجرى ، ويبدو ان المغرب الاسلامى والاتدلس كانا فى مأمن من تلك الآفة حتى القرن السابع الهجرى والدليل على ذلك تلك الملاحظة التى ابداهها الرحالة الغرناطى

(١) ثلاث رسائل اندلسية فى آداب الحسبة والمحاسب ص ١٢٣ والترجمة ص ٣٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٢ .

(٣) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٨٣ ، العبادى فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة كما يصلها شاهد عيان .

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩-١٩٥٩ ص ٥١-٥٢ .

(٤) من ذلك قول الشاعر الغرناطى ابن الرحيد (ت ٧١١هـ / ١٣١١ م) :

وخضراء بل لا تفعل الخمر لعلها لها وثبات فى الحشا وثبات

تزوج ناراً فى الحشا وهى جنة وتهدى للبهذ العيش وهى نبات

انظر : ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ٢٠ ، ابن القاضى : درة المجال ج ١ ص ٣٠٥-٣١٦

وهناك إبهات أخرى قبلت فى هذا المضمار تنسبها المراجع المغربية الى الشاعر الغرناطى محمد الجبر الرعيتى المعروف بابن خميس وكان أحد رجال الوزير ابن الحكم الرندى جاء فيها :

دع الخمر واشرب من مذامة حيدر	معتقة خضراء لون الزبرجد
هى البكر لم تنكح ماء سحابة	ولا عصرت بالرجل يوما ولا باليد
ولا عبت القسوس يوما بكأسها	ولا قروا من دنها نفس ملحد
ولا قول فى تحمى منها هند مالك	ولا حد من الشافعى واحمد
ولا اثبت النعمان تنجس عينها	فخذها بعد مشرفى مهنسد
وليهما معان ليس للخمر مثلها	فلا تسمع فيها كلام المنسد
(ستهدى لك الايام ما كنت جاهلا	رباتيك بالاخبار من لم تزود)

(ابن القاضى : درة المجال ج ١ ص ١٦٣-١٦٤)

وقول ابن الخطيب يعرض بين يتناول الحشيش : (دهران الصبب والجهام ص ٣١٥)

أنى ابن سليمان وفى الفكرة فترة يخبر أن العقل جد مغيب

فلقت أطن السهد اعجم عتمه ولكنها فى الاصل من كنية الاب

أبن سعيد المغربي حينما زار مصر خلال القرن السابع الهجرى اد عاب على المصريين أكلهم للحشيشة مبينا أن امثال هذه العادات القبيحة لا توجد فى بلاده^(١).

ويروى لنا ابن الخطيب رواية طريفة تبين مدى انتشار الحشيش فى غرناطة بين ابناء الطبقة الارستقراطية فى عصره فيذكر انه فى عصر السلطان ابي سعيد البرميجو " حدث صاحب شرطته ، وهو لا بأس به ، قال : اطرته باجتنايب الناس الخمر فى ايامه ، وتحت استداده ، وطهارة بلده من قاذوراتها ، فقال لى فى الملاء المشهود ، والحشيش كيف حالها ؟ قلت ما عثرت على شئ منه . فقال هيهات ، انزل الى بيت فلان وفلان وفلان ، وعد كثيرا من الساسة والاولاد والصفاعين ^(٢) ، رسم مكانهم وينسبهم نسبة الاصمعى افخاذ العرب وبطونهم ، ويصف الناصح والغاش منهم بصفته ، وربما دعا بعض مشيختهم بالعمومة قال وانصرفت الى ما ذكر فوالله ما أخطأت شيئا ممارسمة ، ولا فقدت شيئا مما ذكره لغشيانه بيوتهم وانخراطه فى جملة متنايبهم ، يقول فهو والله استاذى فى الشرطة ^(٣) " .

وكانت رسائل الحسبة المعاصرة تحرص على شن الحرب على تلك الآفة ، وتنص على ان المحتسب كان " يجب عليه ان يمنع أهل الاذية جملة ، كالحشاشين ، المنتحلين لذوات السموم لاختلاف انواعها " ^(٤) .

هكذا كانت الحياة فى غرناطة كغيرها مسجد وحانة ، وقارئ وزامر ، ومتهجد يرتقب الفجر ومضطجع فى الحداثق ، وساهر فى تهجد وساهر فى طرب ، وتخمة من غنى ومسكنة من املاق وشك فى دين ، وايمان فى يقين .

وتميزت طقوس الجنازة فى غرناطة بالبساطة كما كان فى غيرها من بلاد العالم الاسلامى . وعند الوفاة كانت السيدات يلطمن الخدود ويشققن الجيوب ويلطخن

(١) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ٢١ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٣ ص ١١١

(٢) الصفاعين : جمع صفعان ومصفغانى وهو المهرج الذى يصفع كثيرا

(٣) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٨٣ وكذلك :

(٤) بروفنسال : ثلاث رسائل اندلسية ص ١٢٣

الوجه بالسواد . ولهذا فاننا نلاحظ ان الفقهاء قد قاموا بتحريم السيدات من اتباع
مواكب الجنائز^(١) لتلافى السرقات التى كانت تحدث اثناء سيرهن فى الاسواق
ونلاحظ ان اللون الابيض كان لون ثياب الحزن فى العصر الاموى^(٢) . ولكن هذه
العادة قد اختلفت بمرور الزمن فيذكر ابن عذارى ان اللون الازرق كان لون الحداد فى
عصر الموحدين^(٣) . أما تحت حكم بنى نصر فكان الاندلسيين يرتدون اللون القاتم
مثل الازرق^(٤) والاسود^(٥) تعبيراً عن الحزن . ولكن يبدو ان اتخاذ اللون الابيض
قد عاد مرة أخرى فقد ذكر الرحالة الالماني خيرونيمو مونزر الذى زار غرناطة فى عام
١٤٩٤ بعد سقوطها فى يد الملكين الكاثوليكين ، انه قد اتيح له ان يشهد احتفالاً
بدفن مسلم فى مقبرة البيرة ، فذكر ان السيدات كن يرتدين الملابس البيضاء كما
لاحظ عادة غريبة هى اللقاء فروع من الرياحين ذات رائحة عطرية على المقابر^(٦)
وكانت المقابر تقام بطريقة متقشفة ، حيث كان الدفن يتم فى حفرة ضيقة توضع
فيها الجثة ، ويوجه الرأس الى مكة ، ويقرأ المقرؤن ما تيسر من آى الذكر
الحكيم^(٧)

(١) المصدر السابق ص ١٢١

(٢) هند وفاة عهد الرحمن الثالث ارتدى بمالكه ملابس بيضاء حدادا عليه (نفع ج ١ ص ٣٦٤) .

(٣) ابن عذارى : البيان ج ٣ ص ٢٠٥

(٤) ابن الخطيب . الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١١٣ . المقرئ . نفع الطيب ج ٧ ص ٣

ويقول الشاعر ابو البركات بن الحاج :

حزنت هليلك العين بامغنى الهوى فالدمع منها بعد بعدك مارقا

ولذلك ما ظهرت بلسون ازرق او ماترى ثوب الماتم ازرق

(٥) ابن الخطيب الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٤٥ ، المقرئ ازهار ج ٢ ص ١٥٥ . Dr. Ahmad Mujtar Al Abbady Op cit. p 143

ويقول ابن زمرك

لأندلس نكل عليك مردود له ليست سود المسوح نواحيها

(٦) انظر Munzer Viaje por Espana y Portugal (B.R.A.H.) t. LXXXIV p.91

(٧) ابن الزبير صلة الصلة ص ١

النظافة والحمامات :

كان الغرناطيون " أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وفيهم من لا يكون عنده ، الا ما يقوت يومه ، فيطويه صائما ويتعاق صابونا يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها^(١) . وفي القرن التاسع الهجري (١٥م) عندما زار الرحالة الالماني خيرونيمو مونزر غرناطة دهش لنظافة الغرناطيين الشديدة^(٢) .

ولقد اهتم الاندلسيون باقامة الحمامات ، وزود الامراء وابناء الطبقة الارستقراطية مساكنهم الفاخرة بالحمامات الخاصة ، بينما كانت هناك حمامات عامة للطبقات الرقيقة الحال ، مثال ذلك الحمام الذي انشأه السلطان محمد الثالث ووقفه على مسجد الحمراء^(٣) .

وعندما زار غرناطة الرحالة المصري عبد الباسط فى عهد السلطان ابي الحسن على دهش لتنظيم الحمامات فى الحامة على الطريق بين مالقة وغرناطة ، وذكر انها كانت تدر عليها دخلا كبيرا وقد خصص حمام للنساء وآخر للرجال حيث " يدخل الداخل اليهما للاغتسال من غير اجرة^(٤) . وكان المرضى والمعلون يقصدون اليها من كل فج فيلزمون المقام بها الى ان تستقل عليهم ويشفوا من امراضهم " ^(٥) .

(١) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٨ .

(٢) انظر : Munzer : Op. cit. pp 84, 95 .

(٣) انظر :

(٤) ابن الخطيب : اللصة ص ٥٠ .

G. Levi Della Vida : II Regno di Granata Nei

(٥) انظر :

Ricordi di Un Viaggiatore Egiziano, (Al Anadalus Vol. I, (1933) p 313 .

(٥) الادريس : نزهة المشتاق ص ٢٠٠ ، هذا ومدينة الحامة هذه ، التى اشتهرت بمياهها المعدنية وحماماتها . احتلها ماركيز قانس خدرا وراثا الكثيرون بمقطوعات شعرية ، واورد المؤرخون الاسبان امثلة من هذا الشعر مثل المقطوعة التى قيلت على لسان ملك غرناطة وفيها يقول فى مطلعها :

Ay de mi Alhama أى " ولى على الحامة " راجع :

Perez de Hita : Guerras Civiles de Granada I, p 252 (Madrid 1913) & Prescott : History of the reign of Ferdinand and Isabella (London 1895) p 186 .

انظر كذلك : مؤلف مجهول : نبذة العصر فى اخبار ملوك بنى نصر ص ٦ وما بعدها (العرائش ١٩٤٠) نشر القريد البستاني وكارلوس كيروس ، د . أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤٦٤ حاشية (١) .

هذا وعن حمامات الحامة انظر :

R. Manzano Martos : El baño termal de Alhama de Granada

(Al Andalus. Vol. XXIII (1958) Fasc 2 pp 408-417 & L. Torres Balbás : Ars Hispaniae Vol. IV p 156, p 158 .

ومن حمامات غرناطة نذكر ايضا حمام أبى العاصى ^(١) ، وحمام باب الفخارين ^(٢) . وتروى المصادر انه كان فى كل مدينة أو قرية فى المملكة حمامات عامة ^(٣) .

وكان الحمام يتكون من : مدخل ثم ثلاث أو أربع حجرات ، ويتم الدخول الى الحمام من باب منخفض يؤدى الى ممر ضيق متعرج ويلى ذلك فى كثير من الاحيان صحن صغير يلحق به مرحاض ، ويلى هذا الممر حجرة ضيقة طويلة مغطاة بقبر دائرى تسمى " البيت البارد " يتم فيها خلع الملابس ، ويلى " البيت البارد " قاعة وسطى أعظم منها حجما واهمية فى وسطها فضاء مربع مغطى بقبة ويسمى " البيت الوسطانى " ثم نصل الى " البيت الساخن " وهى حجرة ضيقة طويلة ، وفى الحائط الذى يقبع فى صدر هذه الحجرة قدر كبير من النحاس الاحمر ، تخرج منه انابيب رصاصية تحمل الماء الساخن الى احواض من الرخام أو الحجر أو الطوب الاحمر تسمى صهاريج ^(٤) . وتستخدم الشموع لاضاء الحمامات ليلا أما نهارا فكانت هناك فتحات تسمح بدخول الضوء ثقفل بزجاج ملون ^(٥) .

وفى اسبانيا المسيحية حُرّم على المدجنين الذهاب الى الحمامات ايام الجمع وفى الاعياد الاسلامية ^(٦) . بل اننا نجد ان فى قشتالة فى عهد الفونسو العالم ، أبطل المسيحيون الحمامات العامة ، حتى انه كان يرى فى العصور الوسطى المتأخرة فى كثرة الحمامات سببا فى ضعف الاخلاق والتخلف ^(٧) .

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٤٩١ .

(٢) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٣٠، ١٣١ .

(٣) الادريسى : نزهة المشتاق ص ١٧٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، الحميرى : الروض المعطار ص ٤٤ ، ٧٤ ، ١٢٧ ، ١٩٢ .

(٤) ليوپولدو توريس بالباس : الابنية الاسبانية الاسلامية . تعريب عليه ابراهيم العنانى - مجلد المعهد المصرى للدراسات الاسلامية . مدريد . العدد الاول ، السنة الاولى ١٣٧٢ - ١٩٥٣ ص ١٠٨ - ١١١ وعن مزيد من التفصيلات حول حمامات غرناطة الاسلامية انظر :

Leopoldo Torres Balbás : La acrópolis musulmana de Ronda,

Al Andalus Vol. IX (1944) fasc 2 pp 475-477 & Leopoldo Torres Balbás :

Gibraltar, llave y guarda de Espana, Al Andalus Vol VII (1942) fasc I pp 206-210.

(٥) ليوپولدو توريس بالباس : المرجع السابق ص ١١١ .

J. Ma-Sanz Artibucilla : Los Banos moros de Taragona

(٦) انظر :

Al Andalus Vol IX (1944) pp 218-226

Pulgar : Crónica de los reyes Católicos Vol. II Cap CXXVII, p 11 .

(٧) انظر :

بيد انه ما لبث ان انتقلت عادة اقامة الحمامات الى اسبانيا المسيحية ، وأن دراسة خرائط القرى القشتالية التى فيها حمامات لتدل اقوى دلالة على انتقال هذا التقليد الاسلامى اليها ، وكانت حمامات بعض هذه القرى فيها ماء ساخن ، ونصت اللوائح البلدية فى تلك القرى على انه يجب على صاحب الحمام ان يقدم لرواده الماء الساخن والصابون والمناشف ^(١) . وكانت الحمامات هناك بصفه عامة ملكا للملك ، وان كانت هناك بعض الحمامات التى كانت ملكا للأفراد ^(٢) .

المنزل الغرناطى : -

يذكر ابن الخطيب ان مبانى غرناطة كانت متوسطة ^(٣) . وقد اشار الرحالة الاجانب الذين قاموا بزيارة غرناطة فى نهاية القرن الخامس عشر واولى السادس عشر ، الى ضيق شوارع المدينة ، وصغر حجم منازل المسلمين بها . ويذكر خيرنيمو مونزر ان هذه المنازل كانت تحتوى على غرف صغيرة ، يشبهها باعشاش العصافير ، بينما كان المنزل المسيحى يشغل أكثر من أربع أو خمس غرف ^(٤) .

كما ابدى الرحالة البلجيكى انطوان لالانج Antoine Lalang صاحب Montigny الذى زار اسبانيا عام ١٥٠٢ م ، دهشته من حجم منازل غرناطة الصغير ^(٥) . كذلك فان اندريا نافاجيرو Andrea Navagero السفير الفينيسى لدى الملك كارلوس الخامس ، قام بجولة فى ارجاء اسبانيا عام ١٥٢٤ م ولاحظ ان المسلمين لديهم عادة الحياة المكثفة ^(٦) .

(١) د . لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا ص ٩٢ وكذلك :

Americo Castro : Espana en su historia pp 83-91

Leopoldo Torres Balbás : Los Banos publicos

(٢) انظر :

en los fueros municipales espanoles, Al Andalus

Vol XI (1946) fasc 2, pp 443-445.

(٣) ابن الخطيب : اللحة ص ٢٨ .

Munzer : Op. cit. p 95 .

(٤) انظر :

Vayages des Souverains des pays - Bas dans

(٥) انظر :

collection des chronique belges publiées par Gachard,

Bruxelles 1876, t. I, p 208.

Andrea Navagero : Op. cit. : p 73-74 (valencia 1951).

(٦) انظر :

هذا وقد قام ليوبولدو توريس بالباس باعادة ترتيب تسع منازل من قصبة
غرناطة فوجد ان أياً من هذه المنازل لم تكن مساحته تزيد عن أكثر من خمسين متراً
مربعاً (١)

وقد لاحظ مونزر ان المنازل الاسلامية فى غرناطة كانت مهدمة من الخارج جميلة
نظيفة من الداخل (٢) .

وكانت واجهة المنزل تتكون من حائط مرتفع به باب بسيط يغلق بمصراعين من
الخشب مزود بمطرقة ، ونوافذ صغيرة . وكانت منازل الاغنياء تتكون فى اغلب
الاحوال من طابقين . وكانت النسوة يستطعن مشاهدة الشارع دون ان يلمحن أحد
من الفضوليين بفضل الشماسات (Ajimez) وهو نظام دخل الى الاندلس فى القرن
الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) (٣) .

وكانت هذه الشماسات تزيد من ضيق الشوارع الصغيرة وظلامها ونجد انه فى
عام ١٤٩٨ أزيلت بعض الشماسات لتوسيع الشوارع عند مرور الملكين
الكاثوليكين كما حدث فى شارع البيرة (٤) .

وكان يوجد فى الغالب فى وسط المنزل صحن مربع Patio ، كان يسمح بدخول
الضوء والهواء الى حجرات المنزل ، وتقوم النسوة بالجلوس فيه فى مأمن من نظرات
الفضوليين (٥) ، اما اذا كان المنزل يطل على منظر ريفى او على الحدائق مثلما كان
الحال فى منازل البرطل بالحمراء ، لم يكن هناك داع لوجود الصحن أصلاً (٦) .

(١) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Plantas de Casas árabes en la Alhambra

(Al Andalus Vol II, 1934 pp 380-387.

Munzer : Op. cit. p 95.

(٢) انظر :

(٣) انظر : Leopoldo Torres Balbas : Ajimeces (Al Andalus Vol . XII, 1947, fasc I, pp 415-427 .

(٤) ليوبولدو توريس بالباس : الابنية الاسبانية الاسلامية ص ١٢٤ .

(٥) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Los edificios hispano-musulmanes p. 121.

(٦) انظر : Leopoldo Torres Balbas : Las Casas del Partal de La Alhambra de Granada (Al Andalus Vol. XIV, 1949, pp 180-197 & Leopoldo Torres Ballás: Plantas de Casas Árabes en la Alhambra (Al Andalus Vol II 1934, fasc 2, p 381 .

وكان الصحن يحاط من ناحيتين فقط بالاروقة ذات الاعمدة من الرخام أو القرميد كانت تحمل السقف ^(١) ، يتوسطه حوض مربع أو مستطيل ونافورة ترطب الحرارة في ايام الصيف ^(٢) . وتحت الاروقة كانت تفتح حجرات وصالة ضيقة مستطيلة تشتمل على حجرتين للنوم عند نهاياتها ^(٣) .

ويذكر ابن سعيد (ق ٧ هـ / ١٣) ان البلاط القاشاني الكثير الالوان والزخرفة حل محل الرخام الكثير الالوان الذي كان المشاركة يرخفون به منازلهم ^(٤) .

ويفهم من النصوص ان بعض البيوت في غرناطة كان يدخلها الماء المعد للشرب ، ففي عقد بيع منزل ذكر " ومن حق الدار ان الماء المشروب يدخلها ^(٥) كذلك كان السقاؤون يتولون تزويد المنازل بالماء ^(٦) .

هذا وقد انتقلت الى اللغة الاسبانية بعض اسماء اقسام المنزل نذكر منها :
 الغرفة Azotea والسطح والطابق Tabique والاسطوان بمعنى الدهليز Zaguan
اثاث المنزل الغرناطي :

تميزت المنازل الغرناطية ، كغيرها من بلاد العالم الاسلامي بالبساطة في التأثيث وتلقى الوثائق الغرناطية ، وقوائم الممتلكات الموريسكية التي نشرت حديثا ^(٧) ، كثيرا من الضوء على مظاهر الحياة اليومية والمنزلية في مملكة غرناطة .

(١) انظر : J. Bemúdez Pareja : Los restos de la Casa de la

Placeta de Villamena en Granada (Al Andalus, Vol. XII, 1947, pp 161-164.

Leopoldo Torres (٢) في مאלقة كان يوجد احيانا بئر خاصة في وسط الصحن أنظر :

Balbás : Palacios y Viviendas (Ars Hispaniae IV pp 146-156)

(٣) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Restos de una Casa árabe en Granada (Al Andalus : Vol X, 1954 fasc I, pp 170-177. .

(٤) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٨٧.

(٥) انظر : Luis Seco de Lucena : Documentos arabes granadinos I, Al Andalus Vol. VIII (1943) fasc 5 pp 415-429..

(٦) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٠٥ ح ١ .

(٧) انظر على سبيل المثال : Almohadas y Galzados Moriscos, en Revista de Dialectologia y Tradiciones populares t. XXIII, Madrid 1967, Guadernos 4-3, pp 283 - 313.

عند الاغنياء كان يوجد بساط من الصوف الناعم أو الحرير يزين حوائط حجرات الاستقبال والسكن يسمى " حائطي ^(١) ". وسجاجيد تغطي الارض ^(٢) وكانت توضع مقاعد طويلة قليلة الارتفاع ملاصقة لجدران الحجرات حيث كان يتم تناول الطعام على المناضد الصغيرة التي كانت تسمى " تيفور ^(٣) ".
 اما بخصوص ادوات الفراش فكانت تتكون من حشية (مرتبة ^(٤)) ، وملاء سرير (آزار ^(٥)) مطرزة ، ووسائد (مخدات ^(٦)) مكففة من الحرير أو التفاتاه عند ذوى اليسار ، ومن التيل لدى الطبقات الوسطى ^(٧) ، و " لحاف ^(٨)) وبطانية من الصوف ^(٩) .
 ولم يكن يوجد فى المنزل صوان حقيقى ، فكانت ادوات المائدة وأنية الطعام والادوات المنزلية الاخرى توضع فى صناديق صغيرة من خشب الصنوبر ^(١٠) ، أو فى تجاويف محفورة فى الحائط ، كما نرى فى مدخل صالة الاختين بالحمراء وفى جنة العريف ؛ حيث كان يوضع فى هذه التجاويف آوان من الفخار (قلل) مليئة بالماء حتى يبرد ^(١١) .

Dozy : Suppl. I, p 337 .

(١) انظر :

(٢) تقابلنا فى الوثائق اسما مختلفة للسجاد مثل " القטיפه " وهى سجادة من الصوف أو الحرير (وثائق عربية غرناطية وثيقة رقم ٩٢) وتليس " وهى سجادة غليظة من ألوان مختلفة (وثائق عربية غرناطية ص ٨٨) وسجادة (وثائق عربية غرناطية ص ١٤٣ وثيقة رقم ٩٢) انظر كذلك :

Dozy : I, p 367, 150 & Simonet : Glosario p 526.

Dozy : II, p 48

(٣) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٤٤ وثيقة رقم ٩٢ ،

والتيلفور أو الطيلفور كلمة كانت تدل فى غرناطة الاسلامية على ضرب من الموائد الصغيرة وقد انتقلت هذه الكلمة الى الاسبانية فصارت Ataifor ، كذلك كان هذا اللفظ يدل فى العصور الوسطى على الصحن الكبير العميق الذى يقدم فيه الطعام ولا سيما اللحم . انظر : (لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية لم تنشر ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية مدريد (١٩٥٦) ص ١٧٧ ح (١) ، د. العبادى : مشاهدات ص ١٤٥ .

Dozy II, p 7

(٤) تقابلنا فى الوثائق عدة اسما للحشية منها مضربة (وثائق عربية غرناطية ص ١٤٣)

ومطرحة (وثائق عربية غرناطية Dozy, II, p 32) وهى عبارة عن مرتبة من الجلد .

Dozy I, p 19 ,

(٥) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية لم تنشر ص ١٧٧

Almohade

(٦) انتقلت هذه الكلمة الى الاسبانية فصارت

Almohadas y Galzados moriscos p 303-306.

(٧) انظر :

Dozy II, p 519 Alifafe

(٨) جاءت منها الاسبانية

Dozy : II, p 217.

(٩) انظر :

Almohadas y Galzados moriscos p 303 .

(١٠) انظر :

G. Marcais : L'architecture musulmane d'Occident pp 351-352.

(١١) انظر :

أما الملابس فكانت توضع فى صناديق كبيرة من الخشب تسمى " تابوت " (١) وقد تم عمل قائمة فى شقوية Segovia لمتاع الملكة ايزابيلا الكاثوليكية بعد وفاتها وجاء فيها ذكر خزانة صغيرة محلاة بالاصداق وصناديق فاخرة مزخرفة بالصدق والعاج جئ بها من غرناطة فى غنائم الحرب (٢) .

وفى مساكن الطبقة المتوسطة كان المغزل وآلة النسيج من الادوات المألوفة هناك (٣) .

أما فى المطبخ فكانت توجد قمرات تملأ بالماء ، والاطباق وادوات المطبخ الفخارية ، والقصور النحاسية ، والمناخل ، والمقلاة ، والسلال ، والمناديل التى كانت تبسط على الخبز عندما يحمل إلى القرن العمومى (٤) . وجرار من الفخار كانت تحتوى على زيت ، وخل ، ودقيق وبعض الاحتياجات الاخرى (٥) ، و " الدقوشة " التى كانوا يضعون فيها الزيت المخصص للوقود (٦) .

وكان سكان غرناطة يضيئون منازلهم بالشمع أو شحم الغنم ، اما القناديل فكانت من الفخار (٧) . وكانت عمليات التسخين تتم عن طريق فرن من الحجر أو الرخام عند الاغتياء أو من الفخار لدى الفقراء فوق هيكل وركيزة توضع عليها اوانى الطبخ ، مجهز بالفحم الخشبي (٨) . وفى القرن السادس عشر عشر فى منازل الموريسكيين الذين هاجروا الى الخارج على المغرفة أو الماشاة المخصصة لاشعال النار (٩) وكانت معروفة منذ وقت طويل لدى مسلمى الاندلس (١٠) .

(١) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٤٣ وثيقة رقم ٩٢ . .

(٢) انظر : Leopoldo Torres Balbás : El ambiente mudéjar en torno a la Reina Católica y el arte hispanomusulman en Espana y Bereberia durante su reinado, en Curso de Conferencias sobre la política africana de los reyes católicos. Madrid 1951, t. II, p. 119.

(٣) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٤٣ .

(٤) انظر : Almohadas y Galzados moriscos p 307 .

(٥) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٨٨ وثيقة رقم ٤٧ أ . وكذلك : Almohadas y Galzados moriscos p 303

(٦) الازدى : تحفة المغرب ص ١٠٩

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج١ ص ٥٥٣ ، الازدى : مقامة العيد : تحقيق أ.د. العبادى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بدمرد ، المجلد الثانى العدد ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ١٦٩ .

(٨) أنظر : Leopoldo Torres Balbás : Los braseros de la Alhambra (Al Andalus II, 1934, pp 389-390 & Dozy : II, p 491.

(٩) انظر : Dozy II, p 208.

(١٠) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٨٨ وثيقة رقم ٤٧ أ .

وكذلك : Almohadas y Galzados moriscos p 303

اللهجة الغرناطية :

يذكر ابن الخطيب ان اهل غرناطة كانت " فصيحة السنتهم ، عربية لغاتهم يتخللها عرف كثير وتغلب عليها الامالة "(١) فالى جانب اللغة العربية الفصحى ، التى كانت تستعمل فى تحرير المراسلات الرسمية والظواهر السلطانية ، وفى قرض الشعر وصياغة النثر ، وجدت فى الاندلس لهجة عربية مصبوغة بكلمات رومانسية ، تظهر فى الزجل والرسائل العادية والعقود المحررة (٢) وقد دخلت هذه الكلمات الرومانسية والترقيق والتفخيم الى اللهجة المغربية الأندلسية لمجاورة هذه البلاد للقرنج (٣) . وادرك ذلك ابن خلدون فقال : " فلأن البعد عن اللسان (العربى) انما هو بمخالطة العجمة فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الاصلى أبعد ، لان الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الاولى التى كانت للعرب ومن الملكة الثانية التى للعجم فعلى مقدار ما يسمعون من العجم ويربون عليه يبعدون عن الملكة الاولى واعتبر ذلك فى امصار افريقية والمغرب والاندلس وكذلك اهل الاندلس مع عجم الجلالة والافرنجة وصار اهل الامصار كلهم من هذه الاقاليم اهل لغة اخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر "(٤) . ويذكر ابن سعيد " ان كلام اهل الاندلس الشائع فى الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه اوضاع العربية ، حتى لو ان شخصا من العرب سمع كلام الشلويني (٥)

(١) ابن الخطيب : اللوحة ص ٢٧ ، الاطاحة (هناك) ج ١ ص ١٤٠ والامالة لهجة من لهجات العرب وترتل بها احدى قراءات القرآن الكريم .

(٢) عن اللهجة الغرناطية انظر : حسن حسنى عبد الوهاب : الجسامة فى ازالة الرطابة فى لغة التخاطب فى الاندلس وتونس لبعض علماء القرن التاسع (القاهرة ١٩٣٥) ، د. عبد العزيز الاهواني : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي فى فن العامة ، مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الثالث ، القاهرة ١٩٥٧ وكذلك :

Simonet : Glosario de veces ibéricas y latinas usadas entre los Mozarabes (Amestardam 1967), Arnold steiger : contribucion a la fonetica del Hispano - Arabe y de los Arabismos en el Ibero - Romanico y el siciliano (Madrid 1932), G.S. colin : les voyelles de disjonction dans l'arabe de Grenade au xve siecle, dans Memorial Henri Basset paris 1928, p. 211, G.S. Colin : les trois inter-denales de l'arabe hispanique, dans Hesperis, 1930, p 91, G.S. Colin : Un document nouveau, sur l'arabe dialectal d'Occident aux XIIe siecle, Hesperis 1931, t. XII fasc I, pp 1-32, Luis Seco de Lucena : un nuevo texto dialectal en arabe dialectal granadino en Al Andalus Vo XX (1955) fasc 1, pp 153-175.

(٣) نفع الطيب : ج ٣ ص ٢٩٥ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٥٨ - ٥٥٩ (طبعة بيروت) .

(٥) هو عمر بن محمد بن عبد الله الازدى الاندلس ، الاشبيلي ، النحوى ، المعروف بالشلويني (ت ٦٤٥ هـ) كان اماما فى النحر ، وله مصنفات كثيرة مثل كتاب التوطئة فى النحر ، وشرح كتاب سيهوية . انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٣ ترجمة رقم ١٣٣ ، السهرطى : بغية الرعاة ج ١ ص ٣١٧ .

أبى على المشار إليه بعلم النحو فى عصرنا الذى غريت تصانيفه وشرقت وهو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذى فى لسانه ، والخاص منهم إذا تكلم بالاعراب وأخذ يعجز على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ، ولكن ذلك مراعى عندهم فى القراءات والمخاطبات بالرسائل " (١) .

وكان أهل غرناطة يبدلون القاف كافا فكانوا يقولون "حك" و (حكة) لنوع من الوعية بدلا من "حق" "وحقة" (٢) . وتذكر المصادر ان أباحيان الغرناطى الذى هاجر الى مصر واستوطن بها كان ينطق القاف قريبة من الكاف على عادة أهل غرناطة ، على انه كان لا ينطق بها فى القرآن الا صحيحة (٣) . وكانوا يسقطون النون الأخيرة فى الكلمة فينطقون بين "بى" . ويقلبون الالف ياء مثل "بيب" بدلا من "باب" و "ميل" بدلا من مال "تيب" بدلا من "تاب" (٤) .

كذلك كانت لهم اصطلاحات خاصة بهم مثل قامرة " بمعنى مخزن غلال " (٥) وسلوقية (نوع من الابراج أو الخنادق التى تقع خارج الاسوار (٦) " وزنقصة أى " الشوارع الضيقة " (٧) .

وتنفرد اللهجة الاندلسية بصيغة التصغير فى أسماء البلاد كما جاء فى بقيقا تصغير "بقير" (٨) كذلك تظهر (Un ون) فى صيغة المؤنث فهى تبدو فى أسماء الاعلام من النساء مثل عيسونة وهذا الاسم مكون من عيسى مضاف إليه (ونة) (٩) . كذلك كانوا يصغرون الأسماء من وزن (فعل) على (فعيل) ومن وزن (فعلال) وفعليل وفعلول) على صيغة (فعيل) من ذلك قولهم جميل (جمل) وكليب (كلب) وفليس (فلس) وفريس (فريس) (١٠) كما كان أهل غرناطة يستخدمون ميم الجمع مع المفرد (١١) .

(١) المقرئ : نفح الطيب : ج ١ ص ٢٠٦ .

(٢) حسن حسنى عبد الوهاب : الجمانة ص ٢٣ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ج ٣ ص ٢٩٥ ، ابن حجر : الدرر السمر الرابع ص ٣٠٢ - ٣١٠ ترجمة رقم ٨٢٢ .

(٤) انظر الجمانة ص ٢٣ ، Luis Seco de Lucena : Op. cit. , p 164 .

(٥) ابن الخطيب : مفاخرات مالقة وسلاقي مشاهدات ص ٦٠ ، Simonet : Glosario p 79 .

(٦) انظر : Dozy : Suppl. I, p 676 .

(٧) انظر : Luis Seco de Lucena : Documentos Arabes Granadinos I, Al Andalus Vol. VIII 1943 fasc 2, p. 415-429 .

(٨) لويس سيكودى لوثينا : الوثائق العربية الغرناطية وقبعاتها التاريخية ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بدير ، المجلد السابع والثامن ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ص ٨٥ - ١٠٨ .

(٩) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى ص ١٦ م (١٠) حسن حسنى عبد الوهاب : الجمانة فى ازالة الرطانة ص ٢٨ .

(١١) القلشنى : صبح الاعشى ج ٧ ص ٣٩ .

وكذلك اضافة un على الاسماء كصيغة للتفخيم أو التعظيم مثل خالد خلدون وزيد زيدون وغالب غلبون الخ .

وقد اثبت ابن هشام اللخمي في كتابة عن لحن العامة ^(١) في الاندلس عددا من الالفاظ الاعجمية التي دخلت الى لغة العامة هناك من جيرانهم اصحاب اللغتين الاعجميتين الاسبانية والبربرية المغربية . فذكر من ذلك كلمة سفنرية ^(٢) بمعنى جزر وهي من الاسبانية Zanahoria ، وصرياقة ^(٣) بمعنى السوط وهي في الاسبانية Zur- ringa وقبلق ^(٤) بمعنى السلحفاة وهي في الاسبانية Galapago . كما كانوا يقولون لما تجعله المرأة على رأسها تحت مقنعتها من حرير أو غيره كنبوش ^(٥) من الاسبانية Cambuz . كما يقولون لما يتعجله الانسان من الطعام قبل الغذاء "مرندة" ^(٦) وهي تقابل في الاسبانية merienda وتطلق عندهم على طعام خفيف يؤكل ما بين الغذاء والعشاء .

هذا وقد دخلت بعض الالفاظ المشرقية الى اللهجة الغرناطية كذلك . من ذلك ما وصف به ابن الخطيب السلطان محمد بن اسماعيل بانه كان " حرفوشا على عرف المشاركة " ^(٧) ومنه ايضا ما ذكره ابن الخطيب عند قوله :

حصحص الحق يا خوند فدعنى اما راودت يوسف عن نفسه ^(٨)

وقد وضعت في هذا العصر الكثير من المؤلفات التي تتحدث عن لهجة اهل غرناطة ، نذكر منها كتاب " القواعد العامة في لحن العامة " لابي القاسم بن جزي الكلبي الغرناطي (ت في معركة طريف عام ٧٤١ هـ) ^(٩) كما وضع محمد بن

(١) انظر دكتور عبد العزيز الاهواني : المصدر السابق .

(٢) د. عبد العزيز الاهواني : المصدر السابق ص ٣٨ .

(٣) د. عبد العزيز الاهواني : المصدر السابق ص ٤١ .

(٤) د. عبد العزيز الاهواني : المصدر السابق ص ٥٣ .

Dozy : Suppl. I, p 22, 660

Dozy : Suppl. I, p 651

Dozy : Suppl. II, p 392

& Simonet : Op. cit., p 73 .

Dozy : II, p 491 & Simonet p 80

Dozy : II, p 585 & Simonet p 360

(٥) د. عبد العزيز الاهواني : المصدر السابق ص ٥٥ وكذلك :

(٦) د. عبد العزيز الاهواني : المصدر السابق ص ٥٩ وكذلك :

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٣١ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٧ ص ١٩ وكلمة حرفوش تعني الرعاع وزعر العامة الذين يعيشون على النهب والسرقة والمشاركة في المزامرات .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٥٢ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٩ ص ١٧٨ وكلمة خرنند لفظ تركي أو فارسي راصله خد أو ند بضم الخاء ومعناه السيد أو الامير ويخاطب به الذكور والاناث ومثال ذلك السلطانة شجرة الدر التي كان امراء المماليك يخاطبون بها بهذا اللقب . راجع (المقرئ) : كتاب السلوك ج ١ ص ٤٠١-٤٠٢ نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة ، د. احمد مختار العبادي : مقدمة كتاب نقاضة الجراب ص ٢٠ ح ٢ .

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) المجلد الثالث ص ٢٠-٢٣ ، ابن حجر : الدرر السفر الثالث ص ٣٥٦ ترجمة رقم

٩٤٢ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ص ٢٩٥-٢٩٦

على بن هانى (ت ٧٣٣هـ) كتابا فى لمن العامة (١).

الاعیاد والاحتفالات فى ملكة غرناطة :

كان الشعب الغرناطى يعشق الحياة ومباهجها ، وكانت الحياة لديه سلسلة من الاعیاد المتصلة ، وكان الغناء ذائعا يكثر فى المنتديات والاماكن العامة حيث يجتمع الشباب ، ولم تنس غرناطة مرحها حتى فى ايام محنتها . وكان احتفال الغرناطيين بالاعیاد عظيما ولكن فى حدود الاعتدال (٢).

وكغيرهم من المسلمين كان الغرناطيون يحتفلون بعيدى الفطر فى اليوم الاول من شوال والاضحى فى اليوم العاشر من ذى الحجة من كل عام . كما كانوا يحتفلون بليلة القدر فى ٢٧ من رمضان فى المساجد والارطة والقصور والمساكن المتواضعة حيث تقام الصلوات وتتلئ الايات البينات من الذكر الحكيم ، ويستمعون الى وعظ اهل التقوى والورع ، الى جانب الاناشيد وحلقات الذكر التى كان يصاحبها العزف على بعض المزامير المسماة بالشبابا أو اليراعة ، وفى اخر الليل كانت تقدم الاطعمة والحلوى ويظل الاحتفال حتى مطلع الفجر (٣).

وفى هذه الاعیاد كان الشعراء يوجهون قصائدهم (العیديات) الى السلاطين وكبار رجال الدولة . فنجد ان الشاعر ابن زمرك قد وضع الكثير من العیديات فى مدح السلطان محمد الخامس الغنى بالله (٤) . كما ان ابن الجياب قد نظم قصيدة بهذه المناسبة يمتدح فيها كرم وسخاء الوزير ابن الحكيم الرندى (٥).

وفى عيد الاضحى كان المسلمون من كل الطبقات الاجتماعية ، يحتفلون بهذه المناسبة بذبح الاضاحى . وقد كان هذا الامر يمثل كثيرا من الاعباء المالية لرب الاسرة - وخاصة فى الطبقات الدنيا - الذى كان يجب عليه ان يشتري لزوجته وأولاده ملابس جديدة وان يزيد من كميات الطعام والشراب بالاضافة الى اعباء الحياة الاخرى . فيقابلنا اديب قروى (فى النصف الاول من ق ٨ هـ ١٤م) هو ابن المربع الازدى (٦) فى مقامة العيد (٧) يوجه رسالة الى حاكم مالقة ابى سعيد فرج

(١) انظر Pons Boigues : Op. cit. pp 319-320 .

(٢) ابن الخطيب : اللحة ص ٢٨ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٣ .

(٣) انظر : Dr. A.M. Al Abbady : Op. cit. p 157-158

(٤) انظر : E. García Gómez : Cinco poetas p 219

(٥) القرى : أزهار الرياض ج ٢ ص ٣٤٢ - ٣٤٤ .

(٦) انظر ترجمة حياته فى ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٢٦ - ٢٣٠ .

(٧) د. أحمد مختار العبادى : مقامة العيد لابی محمد عبد الله الازدى ، صورة من صور الحياة الشعبية فى غرناطة ،

صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد ١٩٥٤ ص ١٥٩ - ١٧٣ (فى القسم العربى) وموجزا لها فى

(القسم الاسبانى) ص ١٦٨ - ١٦٩ وانظر ترجمة المقامة الى الاسبانية فى F. de la Granja : La Maqama:

de la fiesta de Ibn al - Murabi al Azdi, dans Etudes d'Orientalisme d'ediee a la mé-

moire de levi Provencal (Paris 1962) , t. II, pp 591 - 603.

يهدف الحصول على خروف لعيد الاضحى . فيحكى لنا فى اسلوب طريف الحاح زوجته فى الحصول على مطالب هذا العيد . وتعطينا هذه المقامة صورة من صور الاحتفالات بالاعیاد فى الوسط الشعبى الاندلسى فى عهد بنى نصر .

وفى عيد الاضحى ايضا كانوا يعدون طبقا مكونا من اللبن والقمح ذكرى للطبق الاول الذى قدم للسيدة آمنة بنت وهب والدة الرسول عليه الصلاة والسلام يعد ان وضعته (١) .

كذلك كانت هناك مناسبة دينية أخرى يحتفل بها فى غرناطة هى يوم العاشر من محرم " عاشوراء " وقد قدم الشاعر ابن زمرك قصيدة الى السلطان محمد الخامس يشكره فيها على هديته بمناسبة يوم عاشوراء (٢) .

وفى يوم ١٢ ربيع من كل عام كان يحتفل بالمولد النبوى الشريف ويرجع الفضل فى هذا الاحتفال الى قاضى سبته ابو العباس احمد بن القاضى محمد بن احمد اللخمى العزفى السبتي (ت عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م (٣) ، فقد رأى ان مسلمى سبته والاندلس دأبوا على المشاركة فى الاحتفال بالاعیاد المسيحية ، فدفعه هذا الى التفكير فيما يشغل عن هذه البدع فوجه الانتظار الى الاهتمام بالاحتفال بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام .

وقد حدث بعد هذا ان تولى ابو القاسم محمد العزفى إمارة سبته (٤) . فعمل على تحقيق دعوة والده حيث احتفل بالمولد النبوى فى عام ٦٤٨/١٢٥٠ . حتى وفاته عام ٦٧٧/١٢٧٩ (٥) . واكمل كتاب والده الذى وضعه فى مدح الرسول عليه

(١) انظر : P. Longás : Vida religiosa de los Moriscos, p. L.

وهى رواية عن العادات الموريسكية التى ورثوها عن مسلمى غرناطة .

(٢) انظر : E. García Gómez : Cinco poetas p 220

(٣) المقرئ : ازهار ج ١ ص ٢٤٣ وانظر ترجمته فى " برنامج ابن ابى الربيع " الذى جمعه ابو القاسم ابن الشاط . نشر وتحقيق د. عبد العزيز الازهوانى ٤١ - ٤٢ .

(٤) ابن عدري : البيان المغرب ج ٣ ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

(٥) يصف لنا كتاب ابن عدري ، البيان المغرب (ج ٣ ص ٤٠١-٤٠٢) احتفال ابى القاسم العزفى بالمولد النبوى فى سبته فيقول : ومن مآثره العظام ، قيامه بمولد النبى - عليه السلام - من هذا العام فيطعم فيه اهل بلده الران الطعام ، ويؤثر على اولادهم - ليلة يوم المولد السعيد - بالصراف الجديد من جملة الاحسان عليهم والانعام ، وذلك لاجل ما يطلقون المعاضير والصنائع والحوانيت (يقصد تسريح اطفال الكتائب والمصانع والتاجر) يمشون فى الازقة يصلون على النبى عليه السلام ، وفى طول اليوم الملكور يسمع المسمعون لجميع اهل البلد مدح النبى عليه السلام ، بالفرح والسرور والاطعام للخاص والعام ، جار ذلك على الدوام ، فى كل عام من الاعوام .

السلام واسماء " الدر المنظم فى مولد النبوى المعظم ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف
وكسرم " (١) ثم ما لبث هذا الاحتفال ان انتقل الى غرناطة منذ عهد السلطان يوسف
الاول (قتل عام ٧٥٥ هـ) ، حيث كانت تلقى فى هذه المناسبة القصائد المتعلقة
بهذا المقام . وفى عهد ولده محمد الخامس صار " يحتفل فى الصنيع فى ليلة المولد
والدعوة وانشاد الشعراء ، اقتداء بملوك المغرب " (٢) .

وكان الاحتفال يستمر اياما وليال يتلى فيها القرآن الكريم ، وينشد الشعراء
" العيديات " وتنحر الذبائح وتقام الولائم (٣) .

وفى ليالى الاحتفال بالمولد التى كانت تقام خارج غرناطة كان الناس ينسلون
من كل مكان " حيث توقد الشموع ويحرق العود ويراق ماء الورد " (٤) فقد " كان
فى غرناطة اماكن مباركة مشهودة وزوايا مؤملة مقصودة ينفر اليها الجمهور فى
الليالى التى تقوم بها للبرسوق وتوفى من تعظيمها حقوق وخصوصا ليلة ميلاد
رسول الله صلوات الله عليه ابتداء البركة لديه فهى بحيث ذكر من المواسم التى
يتتدب اليها الناس ويتسابق منهم الانواع والاجناس " (٥) .

وكان مسلمو غرناطة يحتفلون كذلك بعدد من الاعياد النصرانية اهمها ثلاثة
هى : عيد الميلاد (فى ٢٥ ديسمبر حسب التقويم الاوربى) ، وعيد رأس السنة

(١) ابن خلدون : التعريف ص ٣٠٩ ، المقرئ : ازهار الرياض ج ٢ ص ٣٧٠ ، الوثائق : مجموعة دوريات تصدرها مديرية
الوثائق الملكية بالرباط (الرباط ١٣٩٦/١٩٧٦) ص ٢٧١ ح (١) .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٤١٢ ، التعريف ص ٨٥ . والدعوة : الدعاء الى الطعام أو الوليمة وانظر على سبيل
المثال القصائد التى القيت فى هذا الاحتفال فى : ابن الخطيب : ديوان الصيغ والجهام ص ٣٦٧ ، ٣٨٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٩ ،
٥٧٥ المقرئ : نفع ج ١٠ ص ٣٩ - ٤٣ ، ازهار الرياض ج ٢ ص ٤٢ ، ٥٥ ، ١٠١ ومنها القصيدة التى وضعها ابن
زمرك يمتدح فيها محمد الخامس لاقامته احتفالا متناسبة مولد النبي عليه الصلاة والسلام ويصف فيها هذا الاحتفال جاء
قيسها :

فأقيمت ميلاد الرسول بليلسة	اوضحت فيها للجهاد سبيلا
حيث القباب البيض جللت الربا	ازهار روض ما اكتسبن ذهولا
ومراقد النيران تذكى حولها	فنبهر مشعلها ربا وسهولا

(٣) المقرئ : ازهار ج ١ ص ٢٤٥ .

(٤) الازدى : تحفة المغرب ص ٧٨ .

(٥) انظر : M. Gaspar Remiro : Correspondencia; (Revista del Centro de estudios his-
toricos de Granada y su reino, aˆno II, núm 3 pp 163-164.

وعيد العنصرة ، وهو الذى يوافق مولد القديس خوان ، هذا الى جانب عدد من الاعياد الاخرى التى ورثتها اسبانيا المسيحية عن العصور الوثنية السابقة ، وربما كان هذا الامر راجعا الى اختلاط المسلمين بالمسيحيين والاحترام الذى كانوا يكتونه للسيد المسيح وتعاليمه (١) .

وقد اهدى الفقيه السبتي ابو القاسم العزفى نقداً شديداً لاحتفال الاندلسيين بهذه الاعياد المسيحية ، كما عاب فى نفس الوقت على تحريض نسوة الاندلس لأزواجهن على الاسراف فى النفقات فى سبيل الاستعداد لهذه الاعياد (٢) .

ثم كان هناك الاحتفال بعيد العصير (٣) ، الذى كان يقام عند جنى محصول العنب وعصره ، حيث كان الشعراء ينشدون قصائدهم مبتدئين بمدح عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت هذه القصائد تتناول ايضا مدح السلطان بشئ من المبالغة حتى انه فى عام ١٣٦٦/٧٦٨ " أبى (محمد الخامس) ان يرسل العنان فى مدح مقامه ، مبالغة فى توقيير جانب المصطفى صلى الله عليه وسلم واعظامه (٤)

وفى هذا العيد كان اهل غرناطة يتركون منازلهم ويتوجهون الى حدائق الكرم لبضع ايام وهم يرتدون أجمل ملابسهم ويقبلون جميعا رجالا ونساء واطفالا على الرقص والموسيقى والغناء ، ونظرا لقرب الحدود مع قشتالة وتوقع قيام الاعداء بغزوات مفاجئة كان الغرناطيون يضطرون الى حمل اسلحتهم معهم طوال هذا العيد (٥) .

وفى هذا يقول النويرى السكندرى ان " جارى عادة المسلمين بهما (اى

(١) انظر : G. Perez de Hita : Guerras civiles de Granada, t I, p LXXV (Prólogo) y p. : 77 & Dr. A.M. Al Abbady : Op. cit. 149.

(٢) انظر : F. de la Granja : Fiestas Cristianas en Al Andalus (Al Andalus Vol. XXXIV : fasc I, pp 1-53. (1969)

(٣) كانت كلمة عصير تطلق فى غرناطة على عصير العنب وعلى التين الرطب ايضا ، وفى هذا يذكر ابن الخطيب فى وصفه مدينة الحامة " وعصيرها لا يلقى بالاكل " وكانوا يقرلون لعصير العنب أو ما يعصر " مصطار " وهى فى الاسبانية mosto انظر : الجهرالى : العرب ص ٣٦٩ مشاهدات ص ٩٣ ح ١ ، الاهوانى : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام ص ٤٤ ، كذلك : Dozy I, 652 .

(٤) المقرئ : ازهار الرياض ج ٢ ص ٥١ .

(٥) ابن الخطيب : اللسان ص ٢٩ ، الاطالة (هنا) ج ١ ص ١٣٨ .

بغرناطة) وبأعمالها يحاربون النصارى والنصارى تحاربهم ايضا فتارة لهم وتارة عليهم فتغنم كل طائفة من الطائفة المغلوبة فاذا وقع بينهم الصلح يصير المسلم يحرق فى أرضه والنصراني يحرق فى أرضه المجاورة لارض المسلم بينهما حد الزرع لا يعارض الواحد الآخر " (١) .

وفهم من النصوص ان الاحتفال بعيد العصير ظل قائما بين الموريسكيين بعد سقوط غرناطة (٢) .

وتروى المصادر انه فى وقت صباغة الحرير فى نارجة (من اعمال مالقة) " كانوا يضربون فى بطن الوادى وبين مقطعاته خياما ، وبعضهم يغنى ويطرب فى مكان يقال له الطراز (٣) .

وكان اهل مدينة الحامة " فى ايام الربيع يدخلون اليها مع نسائهم واولادهم باحتفال فى المطاعم والمشارب والتوسع فى الانفاق (٤) .

كذلك كان الغرناطيون يحتفلون بعيدين موسمييين عرفا باسمهما الفارسي هما عيد النيروز (٥) وهو اول السنة الفارسية الذى يتفق واعتدال الربيع والمقصود السنة الجديدة بعد جنى المحصول ودفع الضرائب .

وكان الاندلسيون يقومون فى عيد النيروز بعمل دمي على شكل حيوانات على الرغم من تحريم الفقهاء لذلك . وقد كشفت الحفائر الاثرية التى اجريت فى المرية وفى حمراء غرناطة عن دمي من الفخار والخزف المطلق على شكل حصان او احد ذوات الاربع برأس صغير ورقبة طويلة مما يثبت بقاء هذه العادة فى غرناطة

(١) النويرى السكندرى : كتاب الامام بما جرت به الاحكام لوجه ١٨٠ يمين .

(٢) انظر : P. longas : Vida Religiosa de los Moriscos p. L.

(٣) المقرئ : نصح الطيب ج ١ ص ١٦٧ .

(٤) الادريسي : صفة المغرب ص ٢٠٠ .

(٥) النوروز أو النيروز : معناه اليوم الجديد من شهر " فروردين " فى التقويم الفارسي ، وهى تتألف من كلمتين فارسييتين هما " نو " بمعنى جديد و " روز " بمعنى يوم فيكون معناه : اليوم الجديد انظر : ابن مسكويه : تجارب الامم ، تحقيق Caatani ، ص ٢٥ ، ٢٤٨ ، ٤٠٧ ، ٤٩٩ .

النويرى : نهاية الأرب ج ١ ص ١٨٥ ، وما بعدها . طه ندا : النوروز فى الادب الاسلامى ، الاعياد الفارسية فى العالم الاسلامى . مجلة كلية الادب جامعة الاسكندرية المجلد ١٧ عام ١٩٦٣

وكذلك : Ency of Islam : Art Nawruz

النصرية (١) .

العيد الفارسي الاخر الذي كانوا يحتفلون به في غرناطة هو عيد المهرجان الذي يجرى في يوم ٢٤ يونيو ، فتشعل نار كبيرة ويأخذ طبقة العامة في اللعب في المدن والقري (٢) وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر) نجد ان الفقيه عمر الغرسيقي يطلب من المحتسبين في غرناطة ان يتشددوا مع الصبية الذين كانوا ينشرون المياه في الشوارع والاسواق يوم المهرجان فتتحول بذلك الى طرق موحلة (٣) .

كذلك كانت تقام الاحتفالات في غرناطة بمناسبة الانتصارات العسكرية أو مولد الامراء (٤) واعذار ابناء السلطان وزواجهم (٥) . تم فيها الولائم (٦) ، وتلقى فيها القصائد (٧) . وقد حضر ابن خلدون في غرناطة حفلا اقيم بمناسبة اعذار ابناء السلطان محمد الخامس دعى اليه " الخلفاء من نواحي الاندلس (٨) " .

وعند الاحتفال بالاعیاد كان الناس في غرناطة ينظفون اجسامهم ويرتدون احسن ملابسهم ويأخذون زينتهم (٩) . ويستمر الاحتفال حتى ساعة متأخرة من الليل حيث تتجمع الجماهير في الشوارع رجالا ونساء ينشرون الماء المعطر ويتقاذفون البرتقال والليمون الحلو وباقات الزهر وكانت هذه الاعمال تزعج الاتقياء . وكان " أهل التحايل بالاباطيل على الناس كالحساب ، والكهنة ، والعشابين ، والمهانين ،

(١) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Animales de juguetes (Al Andalus Vol. XXI, fasc : 2, 1956) pp 373-375

(٢) انظر : E. Lévi Provencal : L'Espagne, Musulmane au Xe siècle p 172, n. 1, Dozy (القاهرة) ص ٢٢٣ .
11, p 621, Henri Perés : La poésie Andalouse en arabe classique au XI siècle p 304.

(٣) ثلاث رسائل اندلسية ص ١٢٤ .

(٤) ابن الخطيب : ديوان الصيب ص ٥٧٩ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة ج ٢ (القاهرة) ص ٢٢٣ .

(٦) المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ١٣٤ .

(٧) انظر على سبيل المثال : نفع الطيب ج ٢ ص ٧٤ - ٨١ ، ج ٩ ص ١٦٥ - ١٦٨ ، ج ١٠ ص ١٣ - ١٦ .

(٨) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٤١٣ .

(٩) انظر : Pérez de Hita : Op. cit., I p 145 & Simonet: Descripcion del reino de Granada , p 188.

والمخنشين يقومون بعرض العابهم لتسلية الناس فى الاماكن العامة^(١) . كما كان الرواة ينشدون فى بعض الاحياء الشعبية بعض الروايات التاريخية التى كانوا يمزجونها بنبذ من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته^(٢) . وكان القرادون يحاولون دخول المساكن لعرض العابهم . ومن ثم فانه كان من واجبات المحتسب ان يمنع ذلك " لما فى ذلك من ترويع الحوامل والاولاد الصغار " ^(٣) . حتى اننا نرى انه فى القانون الذى اصدره السلطان ابو الحجاج يوسف الاول جاء فيه : " ان الحفلات التى تعقد بمناسبة عيد الفطر والاضحى ، كثيرا ما كانت سببا فى احداث فوضى واضطراب ، الامر الذى كدر أمن الكبار وسرورهم ، حتى استحال هذه الاضطرابات الى حماقات دنيوية ، كأن تكون جماعات من الرجال والنساء يتجولون فى الشوارع وتصادفهم القاذورات نتيجة تقاذف الشباب باليرتقال والليمون الحلو وياقات الزهور ، بينما افواج الراقصين والراقصات والمغنين تعكرو صفو الأمنيين برنين القيشارات والاعواد ، وما يتخلل هذا من الصيحات ، فهذه السخافات تمنع منعا باتا ، وتتخذ الاجراءات الكفيلة بتطبيق القانون ضدها حتى على مثل هذه العادات البدائية " ^(٤) ولم يكن الاحتفال بمثل هذه الاعياد يسير وفق نظام مرتب دقيق ^(٥) ، وانما كان الغرناطيون يحتفلون بها بطرق مختلفة منها :

١ - **الغروبسية** : كانت توجد فى غرناطة عدة ساحات لمصارعة الوحوش مثل ساحة باب الرملة وساحة باب الطوابين والقلعة الحمراء أمام برج الغدر Algodor (جمع غدير). ويروى ابن الخطيب انه كانت تقام فى هذه الاماكن دائرة خشبية فى الهواء تسمى الطبلبة Tabla ويأخذ الفرسان فى قذفها برماحهم اثناء ركضهم بخيولهم^(٦) . وهذا يذكرنا بلعبة " القيق " فى مصر على عهد المماليك ^(٧) .

وفى بعض المناسبات كانت تقام استعراضات عسكرية لقوات الجيش امام السلطان

(١) ثلاث رسائل اندلسية ص ١١٣ وكذلك : pp 251 E, García Gómez Cinco poetas musulmanes - 252.

(٢) ثلاث رسائل اندلسية ص ١١٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٢٣ .

(٤) انظر :

M. Lafuente Alcántra : Historia de Granadd t. III

(٥) بروفنسال : محاضرات فى اداب الاندلس وتاريخها ص ٧٢ .

Pérez de Hita : Op. cit

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٤١ وكذلك :

(٧) المقرئى : الخطوط ج ٢ ص ١١١ ، ابر المعاسن : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٦ .

وضيوفه من الاجانب^(١). وقد اعد لهؤلاء الضيوف قصر خاص لاقامتهم عرف باسم "قصر الضيافة"^(٢).

كذلك كان سباق الخيل بين وسائل اللهو المفضلة لدى الاستقراطية الغرناطية فى عهد بنى نصر^(٣). فنجد ان السلطان محمد بن اسماعيل كان "عارفا بسمات السقار وشيات الخيل"^(٤). وقد وضع الشاعر عبد الله ابن زمرك العديد من القصائد التى خصصها لوصف سباق الخيل التى كان السلطان محمد الخامس يحرس على مشاهدتها^(٥).

وفى اوائل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى)، برع الغرناطيون فى المبارزة فى الميادين الخاصة بذلك، وكان السلطان محمد الرابع يتردد الى هذه الاماكن، لاختير قوته مع الفرسان المهرة^(٦).

ثم كانت هناك لعبة العصى وكانت منتشرة سواء فى الجانب الاسلامى او الاسبانى فى تلك العصور. وفى اقليم جيان، كان السادة الاندلسيين يقبلون على لعبة العصى فى يوم القديس خايمى^(٧). وقد بعث السلطان محمد الثامن برسالة الى الملك الفونسو الخامس فى (٣٠ مايو ١٤١٨) ذكر فيها بين الهدايا المرسلة الى الملك الارجونى معدات مخصصة للعبة العصى^(٨).

وقد ترك لنا الرحالة الالماني خيرونيمو مونزر وصفا طريفا للعبة العصى التى حضرها يوم ٢٦ اكتوبر عام ١٤٩٤ عشية عيد الحواريين سان سيمون Simon وسان Judas، فى فناء الحمراء حيث يذكر أن Tendilla اول حاكم اسبانى لتلك القلعة، جمع ما يقرب من مائة فارس، قسمهم الى كوكبتين، الواحدة تهاجم الاخرى

(١) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ٣، د. احمد مختار العبادى : الاعياد فى مملكة غرناطة ص ٩.

(٢) انظر : د. العبادى : المرجع السابق ص ٩، Alarcon y Linares : Op. cit. p.140

(٣) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ١٤١.

(٤) ابن الخطيب : اللحة ص ٧٧، الاطلة (عنان) ج ١ ص ٥٤٠-٥٤١، اعمال الاعلام ص ٣٤١.

(٥) القرى : نفع الطيب ج ١٠ ص ٣٠-٣٦، ٤٤-٤٨.

(٦) ابن الخطيب : الاطلة (عنان) ج ١ ص ٥٤١.

(٧) انظر : Hechos del condestable D. Miguel Lucas de Iranzo ed. carriago, p 65

(٨) انظر : A. Giménez Soler : La corona de Aragón y Granada t. 4 de (B.R.A.B.L.) p 369.

بالعصى الطويلة والمدمبة ، ويتظاهر الآخرون بالفرار ويدافعون عن الكتف بواسطة درقات ثم يطاردون منافسيهم ، والكل يركب الخيول على الطريقة الزناتية (١) .
كذلك فانه كانت هناك لعبة خشنة شاعت فى هذا العصر بين الطبقات الشعبية فى الاندلس بحيث كان الشباب المسلح بالعصى والهراوات والمقارع يتجمع فى أحد الشوارع ، ثم يأخذون فى التضارب اشبه ما يكون بلعبة التحطيب فى الريف عندنا . وكثيرا ما كان الشباب المشترك فى هذه اللعبة يندفع الى درجة قذف الحجارة أو التقاتل ، مما كان يدفع بالمحتسب الى توجيه اللوم الى هؤلاء الشباب (٢)

٢ - الخروج الى الحدائق والمنتزهات :

اعتاد الغرناطيون الخروج الى الحدائق والمنتزهات فى أيام الأعياد ، وكانت غرناطة تعج بالكثير من هذه الحدائق الغناء نذكر منها :
عين الدمع ، أحد شعب جبال سييرا نيفادا بحيث تكثر فيها الرياض والبساتين والمروج والحدائق الغناء (٣) . مع اعتدال نسيم وعدوبة ماء قد اشرفت منها على ارجاء المدينة القصور الشاهقة ، (وكان لابن الخطيب قصر بها) التى تنافس ملاكها فى الانفاق عليها ، وتبارى العمال فى خدمتها ، حتى اضحت المنطقة نادرة المثال وتناولها الكتاب والشعراء بالوصف والنعت (٤) " .

(١) انظر : Munzer : Op. cit., p 108 .

(٢) ثلاث رسائل اندلسية فى الحسبة ص ١٢٤ وكذلك : É. Lévi Provençal : Glossaire du traite de his- ba d'Ibn Abdoun, Journal Asiatique, 1934, p 88.

(٣) ابن بطوطة ج ٤ ص ٣٦٩ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٦٤ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٦٤ وكذلك : Simonet : Descripcion p69.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٢٧-١٢٨ ، ديوان الصيب والجهايم ص ٣٣٠ ومن ذلك قول الفقيه ابى القاسم بن قرطبة :

ومل بنا نحو عين الدمع نثرها	حيث السرور بكأس الانس يسقنى
حيث المنى وفنون اللهب رائعت	والطير من طرب فيها تناجنسى
وجداول الماء يحكى فى اجنته	صوارى ما جردت فى يوم صلبن
وأعين الزهر فى الاغصان جاحظة	كأنها بهوى الغزلان تفرينسى

(انظر : ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٢٩)

وانظر قصائد أخرى ص ١٢٨ ، ٢٦٠ (وعين الدمع بالاسبانية) Aindamar

كذلك كان من بين منتزهات غرناطة المشهورة حوز مؤمل^(١) الذى يصفه ابن سعيد بانه " سيد منتزهات غرناطة^(٢) ، واللشنة والزاوية والمشايخ^(٣) ، ونجد^(٤) والملعب العيذى خارج السور وكان عن يمينه نهر شنيل وعن يساره الجنات^(٥) .

٣ - مصارعة الثيران :

وكانت كما وصفها استاذنا الدكتور احمد مختار العبادى^(٦) على طريقتين : الاولى كانت حربا بين الثور والاسد^(٧) . والطريقة الثانية كانت حربا بين الثور والانسان وكانت تتم بان يطلق الثور ثم تطلق عليه كلاب اللان المتوحشة ، وهى المعروفة فى اللغة الانجليزية باسم Bulldogs ، وواضح من اسمها - كلاب الثيران - انها كانت تستخدم فى مصارعة الثيران . فكانت تقفز على الثور وتأخذ فى نهش

(١) كتهه جايانجوس بالراء (Gayangos : Moh. Dyn. in Spain I, p. 351)

(٢) كتهه جايانجوس بالراء

وكذلك وردت فى مذكرات الامير عبد الله المسماه بكتاب البيان باسم " حوز مؤمل " (انظر ص ٢١٤) . وهو يقع فى جنوب غرب الحمراء وجنوب رضى البيازين ، ويشتهر برياض ومنتزهات (ومكانه اليوم Campo del principe) ، وقد كتب ابو جعفر بن عبد الملك بن سعيد الى حفصة الشاعرة اثر ليلة وصال باتا بها فى حوز مؤمل :

عشبة وارانا بهور مؤمل	رعى الله ليلا لم يوح يلمم
قضيبي من الريحان من فوق جدول	وغرد قمرى على الدوح والثنىسى
عناق وضم وارثاق وقبـ	ترى الروض مسرورا بما قد بدا له

(ابن سعيد : عنان المرقصات والمطربات ص ٦٧ - ٦٨)

(٢) المقرئ : نفع الطيب ج ٢ ص ٢١ .

(٣) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ١٠٣ .

(٤) المقرئ : نفع الطيب ج ٥ ص ٥٨ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٦) د. العبادى : الاعياد فى مملكة غرناطة ص ١٠-١١ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦-٧ ، وقد اعطانا الشاعر ابن جزى وصفا للسلطان أبى عنان فارس سلطان المغرب وقد اطل من برج يشاهد الحرب بين الثور والاسد فقال :

لله يوم بدار الملك مسرره	من العجائب مالم يجر فى خلدى
لاح الخليفة فى برج العلا قمر	يشاهد الحرب بين الثور والاسد

(المقرئ : نفع الطيب ج ٨ ص ٤٦ ، ازهار الرياض ج ٣ ص ١٩٤ - ١٩٥ .

جسمه وأذنيه ، وتتعلق بهما فى صورة القرط ^(١) . وكان هذا العمل التمهيدى يهدف الى الحد من قوة الثور وتهذيب حركته ، وهو ما يقوم مقامه اليوم عمل رماة السهام Banderilleros وطاعن الرمح Picador وذلك تمهيدا للقاء المصارع الذى كان فارسا مغوارا يصارع الثور على فرسه المدرب ثم يقتله فى النهاية برمحه ^(٢) .

٤ - الصيد :

كان من بين مظاهر الاحتفال بالاعیاد فى مملكة غرناطة ، الخروج فى رحلات للصيد ، وقد افتتن أهل الأندلس افتنانا كبيرا بهواية الصيد منذ عصر الدولة الأموية وملوك الطوائف ^(٣) . وورث الغرناطيون هذه الهواية ، وكان الصيد واحدا من اجمل وسائل اللهو لدى السلاطين . فالمؤرخون يمتدحون حب محمد الرابع للصيد وكيف انه كان " عارفا بسمات الصقار وشيأت الخيل ^(٤) " ، ويذكرون كلف محمد

(١) يذكر ابن الخطيب (الاحاطة : مخطوط الاسكوريال لوحة ٤٤١) انه " لما احتفل (محمد الخامس) لاهذار ولده ... أرسل جوارح الاكلب الفخام المجتلية من ارض اللان خلف فحول البقر الطاغية الشرس تمسكها من آذانها واجتباها حتى يتسكن منها الرجال وغير ذلك انظر ايضا : المقرئ : نفع الطيب ج ٩ ص ١٦٥ ، د. احمد مختار العبادى : الاعیاد فى مملكة غرناطة ص ١٤٢ . هذا وقد اعطانا الشاعر عبد الله ابن زمرك صورة لذلك عند قوله فى مدح سلطان غرناطة محمد الخامس ، ويفهم منه ان السلطان كان مصارعا للثيران :

وطاردت مقدم الصوار بهجارح يصاب منه الصماخ أو الابط
متين الشوى فى رأسه سهرية مقصرة عنهن ما ينبت الحظ
وقد كان ذا تاج فلما تعلقسا بسامعته زانه بينهما قرط

(الصوار : القطيع من البقر الوحشية ، انظر : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٤١ المقرئ نفع الطيب ج ٩ ص ١٦٨ . وكذلك مثل قوله :

وطاردت الصوار بكل ضار كما اتبعت عفرتها شهابا
ضربت به على الاذان منها فلم تستطع حراكا ولا اضطرابا
ومعصوب الجبين يتساج روق يروع خواره الاسد الغضابا
تعرف ان تحت الارض ثورا فرام يشق له الترابا

الروق : القرن . الخوار : بضم الخاء صوت البقر . انظر : المقرئ : نفع ج ١٠ ص ١٥٧ (ومثل قوله : (نفع ج ١٠ ص ١٦ ، ازهار ج ٢ ص ١٠٦)

سود ويبض فى الطراد تتابعت كالليل طارده بياض نهار
اثبت فيه الرمح ثم تركته خضب الجوانح بالدم الموار

(٢) د. احمد مختار العبادى : الاعیاد فى مملكة غرناطة ص ١٤٢ .

(٣) انظر :

Provençal : Hist Esp. Mus. Mus. t. III, pp 441-442

(٤) ابن الخطيب : للوحة ص ٧٧ الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٤٠

الخامس به ^(١) ، كذلك يشكر ابن زمرك السلطان على هدية من صيد كان قد صاده ولى العهد ^(٢) .

وتبين المصادر التاريخية المعاصرة وقطع الخزف والوثائق ولع سلاطين بنى نصر وشعبهم طوال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (١٤ ، ١٥ م) بالخروج للصيد وكانت مرتفعات المملكة وغاباتها تزخر بالحيوانات المختلفة التى كانت هدفا للصيد . ففي عام ١٤٩٤ دهش خيرونيمو مونزر من كثيرة الحيوانات التى صيدت مثل الدببة ، والخننازير الجبلية . (انتقل اسمها الى الاسبانية Jabali) والوعول ، والظباء من المناطق الجبلية التى تشرف على غرناطة ^(٣) .

وفى عام ١٤٩٩ اصدر فرناندو الكاثوليكي مرسوما بتحريم صيد الدببة والخننازير الجبلية والوعول فى الأراضى التى كانت تمتلكها غرناطة قبل ذلك فيما بين سيبريا نيفادا حتى لوشة وموكلين Moclin وحسن اللوز ^(٤) .

كذلك يظهر فى احدى القباب الجانبية لصالة التريبونال فارس غرناطى يطارد خنزيرا جبليا فى احد الادغال ، ويثبت رمحه فى الفريسة ، بينما كلبان عاديان ينهشان الحيوان ، ويتبعه خمس من الاتباع يقومون بنقل الخنزير الجبلى الميت على بغل ، ويتوجه الفارس بعد ذلك الى احدى القلاع . ويقوم فارسان غرناطيان بوضع ذلك الحيوان عند اقدام قائد القلعة ^(٥) .

ويروى ابن الخطيب أنه فى عهد محمد الثانى الفقيه خرج ولى عهده -أبو سعيد- للصيد، فقابله خنزير جبلى، فطرح نفسه عليه، فكبا به فرسه، واستقبله ذلك الخنزير،

E. García Góez : cinco Poetas Muslmanes p 219

(١) انظر ،

(٢) يقول ابن زمرك فى هذه المناسبة :

اضحى ولى العهد لمهلك صائدا شأن الملوك العلية العظما

ورمى البراة على القناة بصيده صيد الملوك شارد الاعداء

المقرى : ازهار الرياض : ج٢ ص ١٣٧ ، نفع ج١٠ ص ٨٣ ، ولعل كلمة القناة الواردة فى البيت الثانى تعنى اسم طائر أو نحر ذلك .

Munzer : Op. cit., p53.

(٣) انظر ،

E. Molina Fajardo : Caza en el recinto de la

Alhambra, en Cuadernos de la Alhambra, 3, 1967, pp 50-51.

Rachel Arfe : l'Espagne Musulmane Au Tempa des

(٥) انظر ،

Nasrides (1232-1492) (paris 1973) p 404 .

فاستل الأمير سيف، وعاجله بضربة تحت عينيه، أبانت نكبه، وأطارت محل سلاحه، وتلاحق به فرسانه وقد يشسوا من خلاصه، فرأوا ما مابهتوا له وعلم بذلك والده فسر سرورا عظيماً^(١١).

وبعد سقوط غرناطة مارس الفاتحون الاسبان صيد الخنازير الجبلية، ويزخر خيرونيسمو مونزر أن حاكم فتيانة قد دعاه لزيارته حيث كانت جدران قلعة المدينة مفروشة بجلود الخنازير الجبلية^(١٢).

ويزخرف سقف قاعة التريبونال صورة وعمل تطارده بعض كلاب الصيد، بينما فارس عربى يتنهياً لتسديد رمحه إليه. كذلك فإنه يوجد فى برج قمارش بالحمراء الذى أمر بإنشائه السلطان أبو الحجاج يوسف الأول، قطعتان من القيشانى تصوران وعلين. كما يوجد فى إحدى صالات متحف الحمراء وعاء نصرى من القرن الثامن الهجرى (١٤م) ترينه وعول برية^(١٣).

ولقد ظل صيد هذه الوعول قائماً فى غرناطة فترة طويلة بعد سقوطها، مما أوحى إلى الرسام الألماني Georges Hoefnagel فى القرن السادس عشر بهذا التصميم الرشيق لوعلين عند أقدام بوج قمارش^(١٤).

كذلك كانت قطعان الذئاب والثعالب الجائعة تطوف حول سور غرناطة بعد سقوطها فى يد الملكين الكاثوليكين بشهور قليلة^(١٥). وإن كانت المصادر العربية لا تروى لنا شيئاً عن صيد هذه الحيوانات.

يأتى بعد ذلك صيد الأرناب البرية، وتظهر فى لوحات صالة التريبونال والهرطل بالحمراء وعلى قطع الخزف المعروف فى متحف غرناطة الأثرى، رسوم الأرناب بأذان مفرطة فى الطول^(١٦). وكانت لحوم الأرناب تلقى إقبالاً كبيراً من سكان المملكة

(١١) ابن الخطيب: الاطاحة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٦، د. أحمد مختار العبادى: الأعياد فى مملكة غرناطة ص ١٢ Dr. A.M. Al Abbady: Op. Cit., P 150 - 151

(١٢) انظر: Munzer : Op. Cit., p 83.

(١٣) انظر: Rachel Arle : Op. Cit., p 404.

(١٤) يرجسد هذا المنظر فى: G. Braun & F. Hogemberg : Civitatis

orbis terrarum, Cologne 1576.

(١٥) انظر: Munzer : Op. Cit., p 40.

(١٦) انظر: Rachel Arie : Op. Cit., p 405

الغرناطية (١).

هذا وقد استمر صيد هذه الأرناب فى غرناطة طوال القرن السادس عشر الميلادى فقد شاهد السفير الفينيسى Andrea Navagero الأرناب فى مناطق جنة العريف عام ١٥٢٦ (٢).

كذلك كان الغرناطيون يقومون بصيد طائر الحجل (٣) والديوك البرية والبط البرى والحمام البرى، الذين كان يتم صيدهم بواسطة البزاة (٤). وليس اسم Albaicin الا تحريف من اسم ريش البيازين حيث كانت تتم تربية تلك البزاة (٥). ومن الطريف أنه كانت توجد أحياء بنفس الاسم فى كثير من مدن المملكة مثل الحامة وانتقيرة و Baena (٦).

وفى البرطل منظر يمثل أربعة بزاة تهم بالانقضاض على فرائسها، كما أنه يوجد فى إحدى القباب الجانبيه فى صالة التريبونال صور بها صقور وبزاة تستعد للانقضاض على طير طويل الساقين (٧).

ولم يكن استخدام البزاة فى الصيد معروفاً لدى قشتالة، ثم انتقلت إليها هذه الطريقة فى أعقاب غزو الملك سان فرناند وللواى الكبير (٨).

ومن الحيوانات الأخرى التى كان يتم صيدها فى الاندلس الغزال والأيل (٩) والحمار الوحشى والبقر الوحشى وسبع يعرف باللب Lobo أكبر بقليل من الذئب

(١) الأزدى : مجلة المغرب ص ١٦٤، القرى نفج ج١ ص ١٨٤.

Andrea Navagero : Op. Cit. p 75.

(٢) انظر :

Münzer : Op. Cit. p 53.

(٣) انظر :

E. Garcia Gómez : Cinco Poetas Musulmanes p 207.

(٤) انظر :

M. Asin Palacios : Contribución a la toponimia

(٥) انظر :

árabe de Espana (Madrid - Granada) 1944, p 46.

Rachel Arie : Op. Cit. p 406.

(٦)، (٧) انظر :

Infante Juan Manuel : Libro de la Caza, Cap XI & Arie : Ibid.

(٨) انظر :

(٩) الأيل : الرعمل الأكر.

فى نهاية القحة ^(١) . وقد يفترس الرجل إذا كان فارهاً ^(٢) .

ومن الأسلحة التى كانت تستخدم فى الصيد سهم من الحديد يطلق عليه اسم «السج» ^(٣) ، الرماح وشعلات النار تطلق على الفرائس ويرى فى رسوم البرطل بالحمراء مناظر للصيد حيث الفرسان فوق خيولهم يحملون السيوف والدرق والرماح، والأسود والكلاب والبزاة والخيام ^(٤) .

٥ - الموسيقى والرقص والغناء :

بالإضافة إلى ما سبق كان الغناء والرقص والموسيقى تمثل عنصراً مهماً فى الاحتفال بالأعياد فى مملكة غرناطة، ولقد ورثت غرناطة مجد الأندلس الموسيقى ^(٥) . وكان الشعب الغرناطى يعشق الموسيقى الجميلة ويميل إلى الطرب، كما كان الغناء فاشياً فى غرناطة وخاصة فى «الدكاكين التى تجمع صنائعها كثيراً من الأحداث» ^(٦) . وكان لسكان مالقة ميل عظيم إلى الموسيقى ^(٧) . وبذكر التجيبى صاحب المختار من شعر بشارين برد وكان فى رحلة إلى مالقة، انه كان حين يمرض فى تلك المدينة، كانت تخفق حوله فى أوتار الليل الميدان والطنابير والمعازف من كل ناحية ^(٨) .

وعلى الرغم من تحريم الفقهاء الأندلسيين للكثير من الآلات الموسيقية ^(٩) ، فان هذا التحريم كان من الناحية النظرية فقط. فبقراءة المصادر ودراسة الوثائق والرسوم المعاصرة، نرى أن الموسيقى فى عهد بنى نصر كانت عاملاً مشتركاً فى كل

(١) القحة : أراد بها الجرأة والأقدام على الناس.

(٢) المقرى : نفع الطيب ج١ ص ١٨٥ .

(٣) ابن هبل : حلية الفرسان ص ٢٢٠ .

(٤) د. جمال محرز : الرسوم الجدارية الإسلامية فى البرطل بالحمراء ص ٢٠ - ٢٢ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٤٢٨ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج١ ص ١٤٣ ، اللمعة ص ٢٨ .

(٧) هـ . ج . قارمر : تاريخ الموسيقى العربية. ترجمة د. حسين نصار، مراجعة د. عبد العزيز الأهراني ص ٢٢١ .

(٨) التجيبى : شرح المختار من شعر بشار : ١٥ - ١٦ (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

(٩) ثلاث رسائل أندلسية ص ٨٣ .

الاحتفالات، حتى أننا نرى يوسف الأول يأمر الناس في قانونه بمراعاة شرف الاحتفالات، فيقول: «وفى حفلات الزفاف، وفى الحفلات التى تعقد من أجل الأطفال لإختيار حظوظهم وفى الاجتماعات العائلية، التى من طبيعتها المرح والغبطة بالالات الموسيقية والاحتفالات الرائعة، حافظوا على أكبر قدر من شرف هذه الحفلات، حتى يكون الهدوء شاملاً، فلا يتحول أى مدعو إلى حالة سكر غير عادية»^(١).

ومما يدعو للأسف فقد كتاب للموسقى كان قد وضعه ابن الخطيب، وربما كان يمكن أن يقدم لنا بعض التفاصيل الدقيقة عن الآلات الموسيقية والغناء فى عصره^(٢).

وقد أورد لنا ابن خلدون فى مقدمته أسماء لبعض الآلات الموسيقية فى هذا العصر ووصفاً لها فذكر أن منها ما يسمونه الشباية (وبالأسبانية axabea) والغسيطة (Gáita) وهى قسبة جوفاء بابخاش فى جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوت ويخرج الصوت من جوفها على سداة من تلك الأبخاش ويقطع الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعاً على تلك الأبخاش وضعاً متعارفاً، حتى تحدث النسب بين الأصوات فيه^(٣). ... ثم هناك البوق، وهو آلة من نحاس أجوف فى مقدار الذراع يتسع إلى أن يكون انفراج مخرجه فى مقدار دون الكف فى شكل برى القلم وكذلك الآلات الوترية وهى كلها جوفاء مثل البريط والرياب والقانون^(٤). وكان العود أكثر الآلات الموسيقية شيوعاً، ليس فقط فى مملكة غرناطة^(٥). ولكن أيضاً بين جماعة المدجنين فى قشتالة، فكثير من صور الـ

M. Lafuente Alcántra : Historia de Granada t. III p 168 y sig.

(١) انظر : الأعياد فى غرناطة ، وكذلك

(٢) المقوى : أزهار الرياض ج ١ ص ١٩٠ .

(٣) حرم الصوفية هذه الآلة تحريماً قاطعاً. انظر الإحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٤، النباهى : المرقبة العليا ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢٣ - ٤٢٤ (طبعة بيروت) .

(٥) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهم ص ٤١٤ ، ابن حجر : الدور، السفر الثالث ص ٤٨٤ ترجمة رقم

E. Garcia, Gómez : cinco Poetas p 240 ، وكذلك : ١٢٩٦ ،

Cantigas وكتاب الشطرنج libro del Ajedrez تشهد على أن البلاط المسيحي في اسبانيا كان يدعو الموسيقيين المسلمين المدجنين الذين اشتهروا في القرن الثالث عشر بالعزف على العود^(١).

وفى رسوم البرطل بالحمراء نجد رجالا يحمل أحدهم عودا ومع آخر طبلة وسيدات معهن آلات موسيقية مثل القيثارة والدف والطبلة والمزمار^(٢).

وقد ظهر في الأندلس ما نسميه «الأغاني الشعبية» بلغة دارجة، وكانت تردد في الأعياد والأعراس والمواسم الخاصة بجمع العنب والزيتون، وفي غير ذلك من المناسبات، وكانت الصلة بين هذه الأغنيات «العامية» والأغاني «الأعجمية» صلة وثيقة في ألحانها وطرق أدائها^(٣).

وكانت الفرقة الموسيقية تتكون من المغنى تصحبه فرقة فيها عواد أو زامر وطبلة صغيرة وصاجات، يبدأ المغنى بالغناء ثم يردد الحاضرون^(٤). وكانت الحفلات الموسيقية تسمى زمرة (وبالأسبانية Zambra)^(٥). وتقام في أغلب الأحيان في حمى الحريم^(٦).

(١) أنظر: J. Ribera : Historia de la música árabe medieval y su influencia en la española (Madrid 1927), J. Guerrero Iovillo : La Cántigas, p 13 y n. 6, H. G. Farmer : The sources of Arabian Music (Leyde 1965), introd. XXII, Rachel Arfe : Op. Cit. p. 415.

(٢) د. جمال محرز : الرسوم الجدارية الإسلامية في البرطل بالحمراء ص ٣١ - ٣٣ .
(٣) د. احسان عباس : اغبار الغناء والمغنين في الأندلس ١٣٨ - ٥٣٩ هـ مجلة الأبحاث، السنة ١٦ الجزء الأول إدار ١٩٦٣ ص ١٧.

(٤) بروفنسال : محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها ص ٢٤ .
(٥) زمرة وبالأسبانية Zambra وتعنى مجموعة من الموسيقيين أو الحفل الذى تعزف فيه هذه الموسيقى ويرقص الراقصون وكانت عادة يتفرد بها مسلمو الأندلس ولم تعرف في إفريقيا والمشرق، ولازالت هذه الزمرات توجد إلى اليوم لدى شجر أسبانيا أنظر : J. Janier : Condición social de los Moriscos en España p 138, Dr.

A. M. Al Abbady : Op. Cit. p 153, n. I.

وقد قام الرحالة الألماني Weiditz برسم لوحة لموسيقى موريسكية Danza Morisca في أوائل القرن ١٣ أسماها رقصة موريسكية «أنظر الصورة».

(٦) بروفنسال : محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها ص ٧٢ .

وكان للموسيقى الأندلسية الغرناطية أثر كبير فى تطور الموسيقى فى البلاد الإسلامية والمسيحية المجاورة، فقد انتقلت هذه الموسيقى - على سبيل المثال - إلى تونس، وأصبحت الموسيقى فى هذا البلد امتداد للموسيقى الأندلسية حتى اليوم، حتى أنهم أعطوا لبعض الأغاني الشعبية التونسية إسم لحن غرناطة (١).

وفى الجانب الأسباني كان للموسيقى الغرناطية أثرها الكبير فى تطور الموسيقى الأسبانية القديمة، وخاصة فى قشتالة وغيرها منذ عصر مبكر ثم انتقل هذا الأثر إلى أوربا، وذاع أمر الموسيقى الأندلسية فى غرب أوربا فى العصور الوسطى وأدخل ملوك أسبانيا المسيحية الموسيقى الأندلسية الإسلامية إلى قصورهم الخاصة، مثال ذلك الملك بدور الرابع ملك اراجون الذى طلب فى عام ١٣٣٧ راوية مسلم من شاطبة يدعى Halezigua كان عازفًا ماهراً على الربابة. كما أن الملك دون خوان الثانى بعث فى عام ١٣٨٩ إلى بلنسية فى طلب اسرة مسلمة معروفة بالانشاد كان رئيسها يدعى Mazot ، الذى حمل معه زوجته وأمه وبعض المنشادات المسلمات، وبعد أن قاموا بتسليمة الملك عدة أيام دفع إليهم مبلغًا عظيمًا من المال وودعهم إلى بلادهم (٢).

٦ - الحشيش والخمر :

كان يصاحب الإحتفالات بالأعياد والمناسبات فى غرناطة شرب الخمر وتعاطى الحشيش، وقد أفضت القول عن هاتين الآفتين اللتين تفتشتا فى المجتمع الغرناطى فى هذا العصر، فى الفصل الخاص بالعبادات والتقاليد.

Hasan Husni Abd Al Wahhab : La Developpement de la
musique arabe en orient Espagne et Tunisie, p. 14
J. Ribera : La musica de la Cantiga p 75 - 76 , & Dr.
Dr. El Abbady : Op. cit. p 155 .

(١) انظر :

(٢) انظر :

٧ - وسائل التسلية الأخرى : -

لقيت لعبة « الشطرنج » إقبالا واسعا في أسبانيا الإسلامية منذ عهد بعيد ^(١) .
وكذلك في اسبانيا المسيحية، ففي عهد الملك القونسو العالم كان الشطرنج هواية
مفضلة لدى القشتاليين، وكان الملك وزوجته Dona Violante d'Aragón والفرسان،
وسيدات البلاط، والرهبان، والجنود، والنبلاء، والفلاحين، واليهود،
والمدجنين مولعين جميعا بالشطرنج ^(٢) . وفي عهد انريكي الرابع ملك قشتالة
ظهرت قصيدة شهيرة تقدم لنا رجلاً يدعى Fajardo المرسى يلعب الشطرنج مع
أحد ملوك غرناطة « الملك المسلم » ^(٣) .

وفي الجانب الفرناطي كان الأديب محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي (ق ٨هـ)
متخصصاً مشهوراً في الشطرنج ^(٤) . وقد حرم الفقهاء لعب الشطرنج لأنه كان يشغل
المسلم عن أداء شعائره دينه ^(٥) . ووضعوا المؤلفات التي تحض على هذا التحريم
مثال ذلك « كتاب استواء النهج في تحريم اللعب بالشطرنج لأبى بكر محمد بن
الفخار الجذامي (ت ٧٢٣هـ) » ^(٦) .

(١) ابن الخطيب : الإحاطة (عنان) ج ٢ ص ٥١٥ - ٥١٦ ،
Provencal : Hist . Esp. mus. t III p 443 .

(٢) انظر
R. Arfe : Le Costume des Musulmanes de Castille
p 59 y sig .

(٣) انظر
E. Buceta : Anotaci ones sobre la identificación del

Fajardo del romance "Jugando estaba el rey moro"

Revista de Filología española, 1931, XVIII, PP 24 - 33,

J. Torres : El Fajardo del romance del juego

del ajedrez, Revista Bibliográfica y Documental 1948,

II, pp 305 - 314, & Anfe : Op. Cit. (٤) ابن الخطيب : الإحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٨٢ .

(٥) ثلاث رسائل أندلسية ص ١٢٣ .

(٦) ابن الخطيب : الإحاطة (عنان) ج ٣ ص ٩١ - ٩٥ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٣٠٣ - ٣٠٥ .

أهل الذمة فى غرناطة

المسيحيون :

عاش المسيحيون فى غرناطة فى ذمة المسلمين، وشاركهم حلو الحياة ومرها، ولم يتعرض أحد منهم إلى اجبار على ترك عقيدة أو تقاليد. وكان هؤلاء المسيحيون يعتبرون أهل ذمة أو معاهدين لهم حقوق وعليهم واجبات مقدرة فى الشريعة الإسلامية، وذلك بعد فترة الاضطهاد الذى واجهوه ابان حكم الموحيدين (١).

وما يدعرو للأسف أن المصادر العربية لا تعطينا كثيراً من التفصيلات عن وضع المسيحيين الذين يطلق عليهم اسم المستعربين Mozárabes فى مملكة غرناطة ويقصد بهم المسيحيون الإسبان الذين استمروا فى البلاد بعد الفتح العربى الإسلامى. بل أن المؤرخ الأسباني Isidro de las Cagigas يذكر أن جماعة المستعربين كانت قد انقرضت فى مملكة غرناطة تماماً فى أواسط القرن الثالث عشر (٢)، فى الوقت الذى يؤكد فيه سيمونيت استمرار وجودهم فيها (٣).

على أية حال كان يعيش فى غرناطة فى ظل حكم بنى نصر عدد كبير من المسيحيين سواء أكانوا من المستعربين أو المترددى عليها من التجار والسفراء والأسرى والرحالة وغيرهم.

وكان هؤلاء المسيحيون يدفعون الضرائب المقررة التى يذكر أنها خصصت لتأسيس حمامات قريبة من مسجد الحمراء (٤). كما كان مسيحيو غرناطة يرتدون زناً يميزهم عن المسلمين (٥).

واتخذ بعض سلاطين بنى نصر الجوارى المسيحيات أمهات لأولادهم مثال ذلك

F. Simonet : Historia de los Mozárabes de Espana p 791

(١) انظر :

Isidro de los Cagigas: Los Mudéjares t. II, p. 428.

(٢) انظر :

F. Simonet : Op. Cit. p 791

(٢) انظر :

(٤) ابن الخطيب : اللوحة ص ٥٠ .

(٥) المقري : نفع الطيب : ج ٩ ص ١٩٧ - ١٩٨ .

محمد الفقيه الذى تزوج أمته شمس الضحى الرومية الأصل والمحب منها نصر وفرج ومؤمنة وشمس^(١). كما كانت والدته السلطان محمد بن اسماعيل رومية اسمها «علوة» و «كانت أحظى لداتها عند أبيه»^(٢). الذى تزوج مملوكة أخرى هى بهار^(٣). أما أبو الحجاج يوسف الأول فقد بنى بمملوكة تدعى بثينة أنجبت له ولده محمد الخامس^(٤). كما تزوج السلطان أبو الحسن برومية «كانت حظية عنده مقدمة فى كل قضية»^(٥).

وقد ذاع هذا التقليد بين طبقات الشعب المختلفة فنجد أن ابن خلدون قد تسرى عندما استقر فى غرناطة بجارية رومية اسمها «هند»^(٦). كما كان محمد بن أبى عبد الرحمن بن الفخار الجذامى (ت بمالقة عام ٧٢٣هـ) يتخذ جارية رومية مملوكة له «لا يشتمل منزله على سواها»^(٧).

ويذكر ابن الخطيب بين مقاطعات الفحص منطقة تسمى «الكنائس» ويفهم من هذا الإسم أنها كانت تضم بعض الكنائس فى هذا العصر^(٨).

وتروى المصادر أن بعض سلاطين غرناطة قد أحاطوا أنفسهم بحرس من المسيحيين، مثال ذلك محمد الخامس الغنى بالله الذى تبعه حرسه من المماليك فى ملجئه فى بلاد المغرب وأظهروا له هناك ولاء بلا حدود^(٩). ويذكر Hernando de Baeza كاتب الملكين الكاثوليكين، الذى كان يعرف اللغة العربية، وقضى وقتاً طويلاً من حياته فى غرناطة، أن سلاطينها قد اتخذوا فى أحيائهم كثيرة حرساً

Muller : p 119

(١) النباهى : نزهة البصائر والأبصار فى

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٤٦ .

Müller : p 132

(٣) النباهى : نزهة البصائر والأبصار فى

Müller : p. 135

(٤) النباهى : نفس المصدر فى

(٥) المقرئ : نفح الطيب ج ٦ ص ٢٦٠ .

(٦) ابن الخطيب : الإحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٥٠ بالمقرئ : نفح الطيب ج ٨ ص ٢٨٠ .

(٧) ابن الخطيب : الإحاطة (الاسكوريال) لوحة ١١٥ - ١١٧ .

F. Simonet : Historia de los Mozárabes p. 791

(٨) انظر :

(٩) ابن الخطيب : الإحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٤ ، المقرئ : نفح الطيب ج ١٠ ص ٤٤ ، أزهار ج ٢ ص ٥٥ - ٥٦

مسيحيًا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر (٩هـ) (١١) .

وقد سمحت السلطات في غرناطة لمسيحي المملكة بممارسة شعائرتهم الدينية فكان يوجد في El Campo Principe بجانب Torres Bermejas كنيسة منحت امتيازاً يحق لها بمقتضاها أن تضرب الأجراس لمدة نصف ساعة يوم الخميس المقدس El Jueves Santo قبل أن يبدأ الوعظ (٢) .

كذلك كانت غرناطة ملجأً صالحاً للنبلاء القشتاليين طوال التاريخ النصرى. فنجد على سبيل المثال أنه في أثناء النزاع الذي دب بين الفونسو العاشر وولى العهد دون فيليب Don Felipe و Don Nuno Gonzalez de lara لجأ الأخير إلى بلاط الحمراء، وقاما بمساعدة السلطان محمد الثاني في توطيد عرشه (٣) . كذلك فقد سمح سلطان غرناطة في عام ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م لنبيلين ما يورقيين هما Mossen Bernat Tagamanent و Pere Johan Alberti بالمبارزة في غرناطة (٤) . كما قام بعض الفرسان المسيحيين بزيارة غرناطة في (٩ هـ ١٥م) نذكر منهم الفرنسي Guillebert de Lannoy الذي حصل على تصريح مرور سهل له دخول المملكة النصرى، وذكر في روايته ذلك الإستقبال الفخم الذي لقيه في الحمراء على يد سلطان غرناطة (٥) .

ثم يقابلنا مارق فرنشسكى في القرن التاسع الهجرى (١٥م) يرجع أصله إلى Zamora يدعى Fray Alfonso de Mella كان قد حكم عليه بالإدانة على يد ثلاثة من رجال الدين المسيحي في عام ١٤٣٤ بسبب تفسير جرى للانجيل، ولما

Rachel Arfe : Op. Cit.

(١) انظر :

وانظر الفصل الخاص بالسلطان .

F. Simonet : Op. Cit ., p 788 y sigs , Arie : OP. Cit.

(٢) انظر :

E. Iafuente Alcántra : Inscripciones árabes de

(٣) انظر :

Granada p 101 - 102, Rachel Arfe : oP. Cit. p 67 - 68.

A. Giménez soler : La corona de Aragón y Granada, to.

(٤) انظر :

IV (B. R. A. B. L.), p 374. Arfe : Op. Cit.

J. García Marcadal : E spana Vista por los extranjeros, t. I, p 96 .

(٥) انظر :

انفجرت فى منطقة Durango فى جبال بسكايا فى الفترة ما بين عامى ١٤٤٣ ، ١٤٤٥ حركة هرطقة، لم يكن هذا الرجل بعيداً عنها وطورد الذين قاموا بها بلا رحمة على يد الملك ^(١) .فلجأ Fray وصحبه إلى غرناطة، ومن هناك كتب إلى خايمى الثانى ملك قشتالة، لا لكى يغتسل من التهم التى وجهها ضده وينفيها عن نفسه، ولكن ليعلنه بعثوره على ملجأ أمين فى قلب أمة متسامحة^(٢) .

ثم كان هناك التجار المسيحيون الذين - بالرغم من ضعف أهميتهم العددية - لعبوا دوراً هاماً فى الحياة الإقتصادية فى مملكة بنى نصر وكان هؤلاء التجار يمثلون جنسيات متعددة فمنهم الإيطاليين والقشتاليين والاراجونيين وغيرهم.

وسنفضل الحديث عنهم وعن دورهم فى الباب الخاص بالحياة الإقتصادية فى مملكة غرناطة.

يأتى بعد ذلك الاسرى المسيحيون الذين كانوا يقعون فى الأسر فى ميادين القتال. هؤلاء كان يتم نقلهم إلى البلاد الإسلامية، ويصبحون عبيداً، وعن أحوالهم فى المملكة النصرية، لدينا إشارات كثيرة جمعت من أفواه الأسرى أنفسهم بعد افتكاكهم، وكذلك روايات المؤرخين المسيحيين الذين عاصروا استرداد غرناطة على يد الملكين الكاثوليكين ^(٣) .

وكان هؤلاء الأسرى كذلك هدفاً لتجارة مربحة، كانت تتجاوز فى بعض الأحيان حدود المملكة النصرية ، فعلى سبيل المثال نجد أنه فى عام ١٣٢٨ باع الغرناطيون

(١) انظر : J. de Mata Carriazo : Precursores españoles de la Reforma. Los herejes de Durango (1442 - 1445) - en Actas y memorias de la sociedad de Antropologia, Etnografia y Prehistoria. Madrid 1925 p 69.

(٢) انظر : Dario Cabanelas : Un Francisco heterodoxo en la Granada nasri, Fray Alfonso de Mella (Al Andalus Vol. XV, fasc I, 1950, PP 233 - 247 , Arie : Op. Cit.

(٣) انظر : J. Cossio : Cautivos de Moros en el siglo XIII, (Al. Andalus, Vol VII, 1942, PP 49 - 112)

إلى تلمسان ستة من العبيد القطلانيين فى المرة (١). كذلك بيع مواطن من جيان يدعى Domingo Munoz فى وادى اش ثم نقل إلى المرية، حيث أعيد بيعه لأحد رعايا السلطان الغرناطى (٢).

وكان الأسرى المسيحيون يقومون فى غرناطة بأداء بعض الأعمال المتواضعة مثل: طحن الذرة، وغزل خيوط الكتان، والحلفاء، النعال، وتوزيع الأخشاب وتسخين حمام السيد (٣). كما لعب الأسرى المسيحيون دوراً مهماً فى حركة البناء والتشييد فى مملكة غرناطة، فنجد أن تشييد Torre de los Picos فى الحمراء تم بواسطة الأسرى (٤). كذلك فإن ابن الخطيب عندما يحدثنا عن تابوت الأمير دون بدور الذى وضع فى أحد أبراج الحمراء يقول: «دون بطرة وهو الذى وقعت عليه وقبعة المرح بظاهر غرناطة وسيقت جثته إلى البلد وجعلت فى صندوق خشب يبيع بعض الأبراج عن يمين الصاعد إلى الحمراء لصق باب يعقوب وأمرت بأن يتخذ لها تابوت جديد وينقلها نصارى السلطان المستخدمون فى المبانى حسبما يريده أساقفتهم» (٥).

وهذا النص يشير إلى وجود المسيحيين كسكان يعملون فى المهن اليدوية فى المملكة، كما يدل على التسامح الذى كانوا يلقونه فى حياتهم اليومية.

وفى الحقول كان الأسرى يعملون فى حرث الأرض وزراعتها وحراسة الدواب وإدارة الساقية والطاحونة، وكان يوزع عليهم قليلاً من القوت الضرورى من: الشعير، والذرة، وراتب يومية من الخبز يواقع رطل ونصف. وكان العقاب الشائع الذى يوقع عليهم هو الحرمان من الطعام والضرب بالسوط. وكان الأسرى يخضعون لرقابة صارمة، حيث تغل أرجلهم بالحديد، وفى الليل يؤتى بهم إلى كهوف كبيرة أو صغيرة

J. Ramos Loscertales : El Cautiverio en la Corona de Aragón durante los siglos XIII y XIV, XV pp 185 - 186.

(١) انظر :

J. Cossio : Op. Cit. p 71

(٢)

J. Cossio : Ibid, pp 74 - 76

(٣)

J. Cossio : Ibid, 80 - 81

(٤)

Dr. El Abbady : Op. Cit. p

(٥) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٣٣٤ وكذلك :

منخفضة جداً بحيث يوضعون فى المطبخ (السجن المظلم) mazmorra^(١). وكانت هذه السجون. مقسمة إلى زنانات مهيأة لأن تستقبل كل واحدة ١١ أو ١٣ أو ٢٦ أسيراً^(٢). وقد تم حفر هذه المطابق فى الصخر^(٣). ويذكر Bernáldez y Pulgar أن ماركيز قادس عشر على أسرى مسيحيين فى إحدى المطابق عندما قام بغزو الحامة عام ٨٨٧ / ١٤٨٢^(٤).

وليس من السهل تحديد عدد هؤلاء الأسرى، وذلك بسبب تبادلهم وافتدائهم المستمرة، ولكننا نجد أنه فى خلال المرحلة الأخيرة من حرب الإسترداد، أربعمئة أسير مسيحي حُرروا فى رندة عام ١٤٨٥^(٥)، وفى لوشة استردمئة وأربعة وأربعون أسيراً حريتهم فى عام ١٤٨٦، ويؤكد Bernáldez أن معركة وقعت فى عام ٨٩٥ / ١٤٨٩ أدت إلى خلاص ألف وخمسمئة أسير^(٦) وقد ذكر مونسر أن كثيراً من الأسرى المسيحيين كانوا يموتون جوعاً خلال حصار غرناطة، وأنه قد عُثر على أحد رجال الدين حياً بين الأموات، حيث شرح المصير الذى دفع هؤلاء الأسرى إلى تناول لحم الخيل والحمير الميتة^(٧).

كذلك فإن مطران جيان San Pedro Pascual وقع فى الأسر عندما كان يمارس مهامه فى أراجون عام ١٢٨٧، حيث سير إلى غرناطة، وهناك قام بتخفيف الآلام عن رفاقه من الأسرى، وبعث فيهم الإيمان من جديد، مما أثار سخط المسلمين فأطاحوا برأسه عام ١٣٠٠^(٨).

Dozy : Suppl., II, p 60.

(١) انظر؛

Leopoldo Torres Balbás : Las Mazmorras de la

(٢) انظر؛

Alhambra (Al Andalus Vol. IX, 1944, fasc I, pp 198 - 218.

(٣) ذكر مونزر أنه عند زيارته لمدينة مאלقة كان يوجد فى المدينة بعض المطابق من عهد النصريين انظر؛

Münzer : Op. Cit., p 115.

Bernaldez : Memorias p 116, Pulgar : Guerra de Granada p 10.

(٤) انظر؛

Bernaldez : Memorias p. 116.

(٥) انظر؛

Bernaldez : Memorias p 213.

(٦) انظر؛

Münzer : Op. Cit. p 87.

(٧) انظر؛

حيث يذكر أنه وجد سبعة آلأسير مسيحي فى غرناطة فى الأيام الأخيرة من حياة مملكة بنى نصر موزعون بين المطابق.

F. Simonet : Op. Cit. p 789.

(٨) انظر؛

وقد دفع طول الاسر عددا كبير من الأسرى المسيحيين إلى اعتناق الإسلام ليتخلصوا مما هم فيه. مثال ذلك نجد أنه في القرن الثالث عشر اعتنق خوان مارتينز Juan Martínez وأصله من سان مارتين دل بينو San Martin del Pino الإسلام مع ثلاثة عشر آخرين^(١).

كذلك فإن عددا من الرعاة والصيادين المسيحيين الذين أسره المسلمون على مرحلة من جيان، اختاروا ديانة سادتهم الجدد. كما أن أرشيف بلدية جيان يعطينا تفصيلات عن مراسلات متبادلة بين الحكام الغرناطيين لـ Arenas و Colomera من جانب ومجلس جيان من جانب آخر عام ٨٨٤ / ١٤٧٩، بخصوص هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام من الأسرى^(٢). وفي عام ٨٣٥ / ١٤٣١، تمكن خايمي الثاني ملك قشتالة من الحصول على شرط مفضل للمسيحيين في المعاهدة التي عقدها مع السلطان يوسف بن المول (ت ٨٣٦ / ١٤٣٢)، المطالب بعرش غرناطة يومئذ : هو أنه وخلفاءه يتعهدون بعدم دفع أى أسير إلى تغيير دينه^(٣).

وقد لعب تخليص الأسرى دوراً هاماً في سياسة دول شبه الجزيرة خلال المعاهدات التي عقدت بين ملوكها، مثال ذلك تلك المعاهدات التي عقدت بين أراجون وغرناطة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر والتي تنص على تبادل الأسرى، ففي جمادى الثانية عام ٧٢٤هـ / مايو - يونيو ١٣٢٤، اشترط اسماعيل الأول قبل اطلاق سراح الأسرى المسيحيين لديه، أن يتم تحرير رعاياه الأسرى لدى خايمي الثاني^(٤). وفي عام ٧٢٨ / ١٣٢٨ نصت بنود معاهدة السلام التي عقدت بين محمد الرابع وخايمي الثاني على تحرير الأسرى من الجانبين^(٥). وفي عام ١٤١٣ هدد فرناندو الانتقيرى Fernando de Antequera الذي أصبح ملكاً لأراجون بعد ذلك - يوسف

J. M^a Cossio : Op. Cit., p 73

J. de Mata Carriazo : Relaciones fronterizas pp 29 - 39

.Benavides : Memoria p 42.

Alarcón y Linares : Documentos árabes diplomaticos p 16

Alarcón y Linares : Op. Cit. p 58.

(١) انظر:

(٢) انظر:

(٣) انظر:

(٤) انظر:

الثالث (ت ٨٢٠ / ١٤١٧) أنه سوف لا يعقد هدنة معه إلا إذا استرد الأسرى المسيحيون في سجون غرناطة حريتهم السابقة (١).

وكانت قيمة الفدية التي تطلب لافتداء أسير مرتفعة إلى حد ما (٢). ومن ثم فقد نظمت الجماعات، واهتم رجال الدين بجمع الأموال لتخليص هؤلاء الأسرى. مثال ذلك أنه في السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر، نجح رئيس دير Silos في تخليص مائتين وخمسين أسير مسيحياً في غرناطة على مدى أربع سنوات (٣).

وفي الأقاليم القشتالية المتاخمة للحدود مع مملكة غرناطة، ظهر هناك الفكاكون Alhaqueques (من الكلمة العربية الفكاك) الذين كانوا حسب التعريف الموضح في قوانين الفونسو العاشر Código de las Siete Partidos أشخاص فضلاء أقسموا اليمين ليعملوا على افتداء الأسرى. وكان يجب على هؤلاء الفكاكين الإلمام باللغة العربية كي يتمكنوا من ممارسة مهنتهم في تخليص الأسرى من المسيحيين (٤).

وعلى الجانب الآخر نجد أن عدد الأسرى المسلمين في الأراضي المسيحية سواء في قشتالة أو أراجون أو البرتغال كان كبيراً أيضاً، فعلى سبيل المثال نجد أن موظفاً غرناطياً رفيعاً يدعى عيسى بن إدريس (تطلق عليه الوثائق الأراجونية Isca Abenedriz) وقع في الأسر في أراجون في عهد الملك خايمي الثاني ولم يستطع أن يسدد قيمة فديته التي قدرت بخمسة آلاف دويلة في عام ١٢٨٥ (٥). كذلك نجد أن مقاتلاً غرناطياً يدعى محمد بن محمد بن سهل ظل مدة طويلة في الأسر في يد المسيحيين (في ق ٨ هـ / ١٤ م) حتى دفعت له الفدية المطلوبة (٦).

M. Arribas Palau : Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragón pp 12 - 13.

(١) انظر:

J. Cossio: Op. Cit., p 75 .

(٢) انظر:

M. Férotin : Histoire de l'Abbaye de Silos, Paris 1897, p 110.

(٣) انظر:

Aré : Op. Cit., p 326.

(٤) انظر:

F.D. Gazulla : La redención de Cautivos entre los musulmanes, en (B.R.A.B.L.) t. XIII, Barcelona 1927 - 1928, pp 239 - 240.

(٥) انظر:

(٦) ابن حجر : الدرر، السطر الرابع ترجمة رقم ٤٨٤ ص ١٧٩ .

كما قام استيفان دوريا Stéphane Doria الجنوى فى عام ١٤٤٣ - ١٤٤٤ بافتداء عدد من رعايا السلطان الغرناطى كانوا قد وقعوا فى الأسر فى يد ملك البرتغال^(١). كذلك نجد أن أم العلا العبد ربه (ت ٦٤٧هـ) كانت كثيرة الجهد فى الأسرى^(٢) وفى عقد محرر فى (٧ شعبان ٨٩١ هـ / ٧ اغسطس ١٤٨٦) بخصوص افتداء أسير نجد اثنين من الفكاكين يقومان بافتداء أحمد بن أحمد البسطى^(٣). وفى وصية مؤرخة فى ٢١ ربيع الأول عام ٨٩٢ / ١٧ مارس ١٤٨٧ نجد هبة من ثلاثة عشر دينارا كانت مخصصة لافتداء أسير^(٤).

اليهود فى ملكة غرناطة :

عندما افتتح المسلمون غرناطة وجدوا بها عددا كبيرا من اليهود، فعهدوا إليهم بحراسة المدينة كى يتفرغوا لمتابعة تقدمهم فى الأراضى الأسبانية^(٥). حتى انها أصبحت تعرف بغرناطة اليهود^(٦).

وتحت حكم الزيريين كان اليهود يمثلون جماعة كبيرة من عناصر السكان فى غرناطة، لعبت دورا بارزا فى الحياة السياسية للولاية بفضل وزيرين يهوديين قديرين هما صمويل بن نغريله (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦ - ٧) وابنه يوسف وانتهى الأمر بظهور حركة ضد اليهود اسفرت عن اغتيال يوسف (عام ٤٥٩ / ١٠٦٦) مع أربعة آلاف يهودى^(٧). وتعرض اليهود فى عهد المرابطين لكثير من الاضطهاد بل لقد راودت يوسف بن تاشفين فكرة اجبارهم على اعتناق الإسلام. وفى عام ٥٤٣ /

(١) انظر: J. Heers : Le royaume de Grenade et la politique marchande de Gênes p 94, Arle : Op. Cit.

(٢) ابن الأبار، التكملة ج ٢ ص ٧٤٨ ، ابن القاضى : جلة الاقتباس ص ٣٢٤ .

(٣) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٠٠ - وثيقة رقم ٥٧ .

(٤) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٠١ - ١٠٣ وثيقة رقم ٥٨ .

(٥) ابن الخطيب : اللعة ص ١٦ ، الاطاعة (عنان) ج ١ ص ١٠٧ .

(٦) الحمصيرى، الروض المعمار ص ٢٣ وكذلك : E. L'evi Provencal : La Description d'Espagne d'Ahmad al Razi, Al Andalus Vol. XVIII, 1953, P67 .

(٧) انظر: H.R. Idris : Les Zirides d'Espagne, en Al Andalus, Vol. XXXI, 1964, fasc.1, p.133

١١٤٨ عندما تمكن الموحدون من الاستيلاء على اللسانة Lucena (مدينة اليهود) قسرا، تعرض اليهود لكثير من الاضطهاد، فهاجر عدد كبير منهم إلى الأراضى المسيحية وخاصة قشتالة وقطالونيا، وإلى البلاد الإسلامية فى المشرق والمغرب^(١).

وفى مملكة بنى نصر عاش اليهود كأهل ذمة، يمنحهم الإسلام حمايته مقابل تأديتهم الجزية، وقد استخدم السلطان محمد الثالث الجزية التى فرضها على اليهود فى تأسيس مسجد غرناطة الجامع وكذلك الحمامات^(٢).

وقد أجبر اليهود فى غرناطة على اتخاذ ملابس خاصة عبارة عن غفائر من صوف اصفر اللون بدلا من العمامة فى عهد ابن سعيد^(٣). كذلك يذكر ابن الخطيب ان السلطان ابا الوليد اسماعيل الأول (ت ٧٢٥ / ١٣٢٥) أجبر اليهود فى مملكته على حمل شارة خاصة، وارتداء ملابس تختلف عن ملابس المسلمين^(٤). ويشير قاضى الجماعة أبو الحسن النياهى إلى أن هذا السلطان أمر بان يخذ اليهود شواشى صفرا (أحبوش اليهود)، ليوفوا حقهم من المعاملة التى أمر بها الشارع^(٥).

لكننا نجد أنه على الرغم من هذه الإجراءات، فقد اتخذ السلطان محمد الخامس موقفاً لطيفاً من يهود قشتالة خلال حملاته على الحدود القشتالية، كما نجد أنه قام فى عام ٧٦٩ / ١٣٦٧ بعد غزوه لبيان بأخذ ثلثمائة اسيرة يهودية معه إلى غرناطة

(١) محمد بحر عبد المجيد؛ اليهود فى الأندلس (القاهرة ١٩٧٠) ص ٨٨ وكذلك :

J. Amador de los Ríos : Historia social, política y religiosa de los judíos en España y Portugal I, pp, 281 - 325.

(٢) ابن الخطيب : اللمعة ص ٥٠ ، ٧١ .

(٣) المقرئ؛ نفع الطيب ج ١ من ٢٠٨ ، ويلاحظ أن ذلك الأمر كان متبعاً فى البلاد الإسلامية الأخرى ففى مصر كان اليهود يلبسون عمامة صفراء (نفع ج ٣ ص ١١٣) وفى المغرب كانوا يجبرون على ارتداء ثوب وقلنسوة من لون أزرق (البيان المغرب ج ٣ ص ٢٠٥).

(٤) ابن الخطيب : اللمعة ص ٧١ .

(٥) انظر النياهى؛ كتاب الاكليل فى تفضيل النخيل فى Muller : Beitrage p 145 y N. 4 وعن لفظ أحبوش انظر (Dozy Ip 245) الذى يشير إلى أن هذه الكلمة تدل على حبس القليل وهى نوع من فصيلة الحبوب القرنية سوداء ومستديرة فى حجم اللؤلؤ ويقول ابن الخطيب (ديوان الصيغ والجهايم ص ٦٥٢) كان رؤوس القوم عند صلاتهم وقد أومات للأرض صغر شواشيها.

ليخلصهم من يد عدوهم أنريكي دى تراستمارا^(١) .

وابتداء من عام ٧٩٤ / ١٣٩١ انتشرت فى اسبانيا المسيحية موجة من الاضطهاد ضد اليهود بدأت فى اشبيلية ثم امتدت من قشتالة إلى قطلونيا وجزر البليار، ازاء هذا اضطر اليهود إلى الفرار إلى غرناطة، واستقبل محمد الخامس بالترحيب، الذين لمجحوا منهم فى الوصول إلى أرض المملكة^(٢) .

وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) أجبر اليهود مرة أخرى على حمل علامة مميزة عبارة عن قطعة من القماش الأصفر توضع على الرأس والرقبة للرجال (شكلة) وجلجل (جوس صغير) للنساء كما منعوا من ركوب الخيل^(٣) .

أما عن حياة اليهود فى غرناطة فتروى المصادر أنهم كانوا يتجمعون فى أحياء منفصلة بعيدة عن التجمعات الإسلامية، فى شوارع ضيقة، وأزقة، ومساكن من احجام صغيرة تتجمع حول الميادين الصغيرة^(٤) . وفى عام ٨٠٧ / ١٤٠٤ زار البحارة القشتاليين لـ PERO NINO، الذى كان يحارب ضد القراصنة فى البحر المتوسط، حى اليهود فى مالقة، ولمجحوا فى الاتفاق مع السلطان الغرناطى على السماح لهم بعمل محطة على الساحل الاندلسى^(٥) . وعندما قام الملكان الكاثوليكيان بطرد اليهود من غرناطة فى يونيو ١٤٩٢ بعد سقوط المدينة فى ايديهم، كانوا يحتلون القسم الرئيسى لربض انتقيرة Antequeruela الذى كان يقع بين الباب الملكى حاليا والأبراج الحمراء. وقام فرناندو بتخريب حى اليهود، وشيد فى مكانه مستشفى وكنيسة مكرسة للعدراء، التى كانت قبابها تبنى عندما زار

(١) انظر : Max L. Margolis y Alexander Marx : Historia del pueblo Judío p 447

(٢) انظر : The Jewish Encyclopedia : Art. Granada, M. L. Margolis Op. Cit., pp 441-442, Américo Castro : España en su historia p 522, Dr. A. Muqtar Al Abbady : Op. Cit. p 166.

(٣) ثلاث رسائل اندلسية ص ١٢٢ .

(٤) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Mozarabius y Juderias de las Ciudades hispanomusulmanas. (Al Andalus Vol. XIX (1954) fasc I, p 190

(٥) انظر : El Victorial Crónica de don Pero Nino, Conde de Buelna por su allérez Gu : tierra Diez de Gomes, ed Juan de Mata Carriazo Madrid 1940, Cap XXXVII, p 109 .

الرحالة الألماني خيرونيمو مونزر المدينة عام ١٤٩٤^(١). كذلك كان اليهود يعيشون في أحياء أخرى من غرناطة وخاصة في البيازين، الذي اخذ في احد شروط التسليم الذي وقع في سنتافى Santa Fé في ٢٥ نوفمبر ١٤٩١^(٢). وفي البشترات جاء ذكر عن وجود جماعة يهودية في قرارات التقسيم^(٣). وفي بسطة ووادي اش كانت توجد احياء يهودية حتى نهاية القرن الخامس عشر^(٤). كما كانت هناك جماعة صغيرة في رندة^(٥).

ويذكر خيرونيمو مونزر أنه كان يعيش في حي اليهود في غرناطة عشرون ألف يهودي قبل سقوط المدينة عام ١٤٩٢^(٦). وفي مالقة وقع اربعمئة وخمسون يهوديا من الجنسين في الأسر في يد المسيحيين عام ١٤٨٧^(٧).

وتذكر المصادر أنه كان على رأس يهود الاندلس في هذا العصر رئيس للجماعة يسمى ناجيد Nagid كان يقوم بتمثيل ابناء دينه لدى السلطات الحكومية^(٨).

وفي ظل حكم بنى نصر نبغ اليهود في ممارسة الطب وقاموا بعلاج مرضى المسلمين^(٩).

(١) انظر : Münzer : Op. Cit., p 95 - 96 , Felipe Torroba B. de

Quirós : Los Judíos Espanoles (Madrid 1967) p 211 .

(٢) انظر : Colecc. de docs. ineditos para la Hist. de Espana t. VIII (Madrid 1946) p. 421 , L. Torres Balbás :

Op. Cit., p 146.

(٣) انظر : M.A. Ladero Quesada : Repoblación p 35 , Arfe : Op. Cit., p 333 .

(٤) انظر : M.A. Ladero Quesada : Mercedes reales en Granada anteriores al ano 1500 , p 157 .

(٥) انظر : J. de M. Carriazo : Asiento de las Cosas de Ronda en (M. E. A. H.), t. III, 1954 , Documento I .

(٦) انظر : Münzer ; OP. Cit., p 95 - 96 , Arfe ; OP. Cit. p. 333

(٧) انظر : Bernáldez ; MEMORIAS, P. 195, P 198.

(٨) انظر : Rachel Arfe ; Op. Cit., p. 333 .

(٩) يقول أبو عبد الله ابن جزى الكلبي موربا (نفع ج ٨ ص ٤٧ - ٤٨ ، ازهار ج ٣ ص ١٩٧)

ورب يهودى أتى متطببا
لأخذ ثارات اليهود من الناس
إذا جس نبض المرء أودى بنفسه
سريعا ؟ ألم تسمع بفتكة جساس ؟

ففى بلاط محمد الخامس كان يوجد طبيب يهودى ماهر هو ابراهيم بن زرزور^(١) .

وقد تمكن هذا الطبيب من اجتذاب عدد من التلاميذ مما اثار غيرته الطبيب الغرناطى المسلم محمد اللخمى الشقورى (نسبة إلى شقورة Segura)، الذى وضع كتاباً بعنوان «قمع اليهود عن تعدى الحدود»^(٢)، وهو كما يذكر J. Renaud كان يشير إلى الطبيب اليهودى ابن زرزور^(٣) . وبعد الانقلاب الذى وقع فى غرناطة وأطاح بالسلطان محمد الخامس، واضطره إلى الالتجاء إلى المغرب عام ٧٦١ / ١٣٥٩م، فر ابن زرزور إلى بلاط الملك القشتالى بدور الأول^(٤) .

وعندما قام الرحالة المصرى عبد الباسط برحلته إلى المغرب والأندلس، التقى فى الدولة الحفصية ببعض المهاجرين الاندلسيين وبينهم الطبيب اليهودى المالقى الشهير موسى بن صمويل بن يهوذا الذى كان يبحث بدون شك عن ملجأ فى الدولة الحفصية^(٥) . كذلك نجد أن الطبيب اليهودى اسحاق بن هامون Hamon الذى كان أحد اعضاء اسرة رفيعة من الادباء فى العاصمة النصرىة، والطبيب الخاص للسلطان أبى الحسن على فى عام ١٤٧٥، قد تمتع بمركز مرموق لدى المسلمين^(٦) .

كذلك فإن معرفة اليهود باللغة العربىة واللغات الأخرى فى شبه الجزيرة الأيبيرية^(٧) ساعدهم على العمل كمتترجمين لدى ملوك

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٤١٠ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) J. Renaud : Un médecin de Royaume de Granada : انظر : .

Muhammad Assaguri (Hespéris, 1946, 1 - 2 trimestres pp 31 - 64 ,

Dr. Al Abbady : Op. Cit. p 165 .

(٤) ابن خلدون : التعريف ص ٨٥ . وكذلك

G. Levi Della Vida : II regno di Granata p 309

(٥) انظر : .

Graetz : Geschichte der Juden, Leipzig 1875 ,

(٦) انظر : .

Vol 8, p 326 , Arfe : Op. Cit., p 334 .

(٧) يذكر Bernáldez انه رأى عام ١٤٨٧ كثيراً من السيدات اليهوديات يخرجن من مالقة يتحدثن اللغة العربىة

انظر : . 198 Memorias p

اسبانيا (١) . من هؤلاء نذكر يسرائيل الرندى Ysrael de Ronda الذى عمل مترجما فى المفاوضات التى انتهت بتسليم مدينة رندة فى عام ٨٩٠ / ١٤٨٥ (٢) . وكذلك يساكية بردونييل Ysaque Perdoniel وصهره يودا Yuda اللذين عملا بالترجمة للسلطان أبى عبد الله ابن الأحمر الأخير (٣) .

كذلك كان الملوك المسيحيين يكلفون اليهود بالسفارة إلى البلاد الأخرى فى مهام دبلوماسية (٤) . فعلى سبيل المثال، وصل ابن زرزور إلى غرناطة عام ٧٦٥ / ١٣٦٣ كمبعوث لبدرو الأول ملك قشتالة، وانتهاز فرصة وجوده فى غرناطة وقام بزيارة لسان الدين بن الخطيب فى منزله القريب من الحمراء (٥) .

ونبغ من اليهود فى مملكة غرناطة وبقية ممالك اسبانيا المسيحية علماء فى المعارف المختلفة. نذكر منهم يوسف بن وقار بن اسحق بن موسى الذى وضع باللغة العربية والعبرية بعض الجداول الفلكية (٦) . كذلك استعان ابن الخطيب بطبيب قشتالى يهودى يحمل نفس الاسم (يوسف بن وقار الاسرائيلى الطليطلى) فى كتابته للجزء الخاص بتاريخ ملوك اسبانيا المسيحية فى نهاية كتابه «أعمال

(١) من اليهود الذين عملوا بالترجمة فى بلاط الدول الاسبانية المسيحية نذكر صمويل بن منسى : Samuel Abenmenassé وولده يهودا وابن أخيه سلمون الذين عملوا بالترجمة فى البلاط الأراجونى، وكانوا يقومون بكتابة المراسلات التى كان يبعث بها بدور ملك أراجون إلى ملوك غرناطة وتونس باللغة العربية.

انظر : J. Vernet : Un embajador Judío de Jaime II Selomó b. Menassé, en Sefarad, XII, 1952, pp 125 - 154, D. Romano : Los hermanos Abenmenassé al servicio de Pedro el Grande de Aragón en Homenaje a Millás - Vallicrosa, Vol. II, Barcelona, 1956, pp. 246 - 282, Arie : OP. Cit. 334 n. 6.

(٢) انظر : J. de M. Carriazo : Asiento de las Cosas de Ronda en (M.E.A.H.), III, 1954, Doc. I, P 27.

(٣) انظر : M.A. Ladero Quesada : Dos temas de la Granada Nazarí p 338 .

(٤) انظر : Abraham Newman : The Jews in Spain, II, PP 233, 235, 237 .

(٥) المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ٦٢ .

(٦) انظر : Melchor M. Antuna : Una Version Compendiada a la "Estoria de Espana" de Alfonso El Sabio (AL Andalus Vol. I, fasc I, 1933, p 115 .

الاعلام» وكان هذا الطبيب سفيراً فى غرناطة لانريكى الثانى ملك قشتالة^(١) .

ولعب اليهود دوراً بارزاً فى النشاط الاقتصادى لمملكة بنى نصر، كما مارسوا العمل اليدوى، وفى الوثائق القشتالية المتعلقة بالنفى عام ١٤٩٢ يوجد ذكر صائغ، وصناع للحديد من بين يهود البشرا^(٢) . كذلك يشير J. Heers إلى أن يهود مملكة غرناطة قاموا بدور الوسيطاء فى أواسط القرن (التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى) بين كبار التجار الجنوئين الذين كانوا يمارسون التجارة فى مملكة غرناطة وسكان المملكة^(٣)

(١) ابن الخطيب : احوال الاعلام ص ٣٢٢ ، ٣٧١ .

(٢) انظر :

Rachel Arfe : Op. Cit., p 334 .

J. Heers : Le royaume de Grenade et la politique marchande de l'Occident au XVe siècle, p 104, Arfe : Op. Cit .

الباب الثاني

نظم الحكم والإدارة في مملكة غرناطة

السلطان - الوزير - الكاتب - الدواوين - القضاء -
الحسبة - الشرطة - نظام الإدارة في الأقاليم - الحياة
الحربية في مملكة غرناطة - الجيش والبحرية والأربطة
والمرابطون...

الباب الثانى

نظام الحكم والإدارة فى مملكة غرناطة السلطان

قامت مملكة غرناطة على يد محمد بن يوسف بن نصر، بمؤازرة وتعزید قرابته من بنى نصر، وأصهاره من بنى اشقيلولة^(١). وبنى المول^(٢). وكان بنو نصر فى بداية أمراهم سادة حصن أرجونة Arjona^(٣). وسبق لهم أن تقلدوا مناصب رفيعة فى عهد خلفاء بنى أمية، كما كانت لهم وجاهة وعصبية فى ناحيتهم^(٤).

ولكى يحصل بنو نصر على سند شرعى لحكمهم أمام غيرهم من المنافسين

(١) سهلت الإشارة إلى هذه الأسرة فى المقدمة السياسية وواضح من الاسم أنه من اصل اسباني، فالبعض يكتبه بكسر الالف، والبعض الآخر بفتحها، وهناك من يكتبه بدون الف، وبنى اشقيلولة أسرة غرناطية كبيرة كانت ترتبط مع بنى الأحمر برباط القربى والمصاهرة وكانت لهم رئاسات على بعض المدن الغرناطية الهامة، ثم وقع خلال بين الاسرتين أدى إلى نشوب الحرب بينهما.

انظر التفصيلات فى : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٢٨٧ - ٢٩١ ، ٣٣٠ - ٣٣٩ لمناضة ص ٣٣١ - ٣٣٢ ، حاشية ٧، ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٢١٢ - ٢١٣ كذلك :

Diccionario de Historia de Espana t. I, p 368 & Sanchez Albornoz : La Espana Musulmana t; II p. 352

Dr. Al Abbady : Op. Cit. p 8, n. 2.

(٢) ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ١١٧ ، ٢١٢، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٢٨٧ وكذلك :

Emilio Lafuente Alcántara : Inscripciones Arabes de Granada (Madrid 1859) p 22.

(٣) ابن الخطيب : الاطباة (القاهرة ١٣١٩هـ) ج ٢ ص ٥٩، ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ١٧٠ الحميرى : الروض المعمار (القاهرة ١٩٣٧) نشر لىلى بروفنسال ص ١٢، هذا وأرجونة بلدة من أعمال ولاية قرطبة إلى الشمال الغربى من جيان

وجنوب بلدة اندوجر. انظر ماقرت : معجم البلدان : ج ١ ص ١٨١ .

(٤) ابن خلدون :

المعبر ج ١ ص ١٧ .

ارجعوا نسبهم إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج، وأحد انصار النبی علیه الصلاة والسلام فی دار الهجرة^(١).

وقد دخل محمد بن يوسف فی طاعة عدد من الملوك المجاورين لمملكته حسب ما كانت تقلیه علیه مصالحه، فقام فی بداية الأمر بالدعاء للخليفة المستنصر العباسی فی بغداد مثلما فعل منافسه محمد بن يوسف بن هود وذلك حتى يحصل علی شعبية أهل الأندلس^(٢). يؤكد ذلك العثور علی قطعتين من العملات النصرية عبارة عن: نصف درهم مربع من جيان وآخر من غرناطة، وكلاهما يحمل عبارة «أمير المسلمين محمد بن يوسف بن نصر، خليفة العباسی»^(٣). ثم مالبث أن خلع هذه الطاعة وقام بالدعاء لابی زكريا الحفصی سلطان تونس فی عام ٦٢٩ / ١٢٣١ - ١٢٣٢م ودعا له فی مساجد غرناطة^(٤)، فأمدّه ببعض المساعدات برسم الجهاد ضد

(١) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ١٧٠، ابن الخطيب : للمحة ص ٢١، ٣٠، كناسة الدكان (نشر : شبانة) ص ٥٠ - ٥١، الاحاطة ج ٢ (القاهرة) من ٥٩، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٦، ج ٧ ص ٤١٢، المقرئ : نفع الطيب ج ١، ص ٢٧٥، ٤٢١، المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ١٦٧ وكذلك

Marcus Joseph Müller : Beiträge Zur Geschichte der Westlichen Araber (Munchen 1866) p III & M. Gaspar Remiro : Las inscripciones de la Alhambra (Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada y su Reino) ano 1, num I p 99.

ويقول شاعر الحمراء ابن زمرك : (المقرئ : نفع الطيب ج ١٠ ص ٤٦)

ابناء انصار النبي وحزبه
وذي السوابق والجوار الاعصم
سبل عنهم أحداً وبدرا تلثمهم
أهل الفناء بها وأهل المغنم

هذا ويذكر ابن الخطيب (الاحاطة : القاهرة) ج ٢ ص ٦٠ نقلا عن الرازي أنه قد دخل أرض الأندلس من ذرية سعد بن عبادة رجلا نزل احدهما أرض تاكرونا ونزل الآخر بقرية تدعى قرية الخزرج ونشأ باحواز أوجونة.

ويلاحظ أن ابن عذاري لم يذكر انتساب بني الأحمر إلى سعد بن عبادة اثناء حديثه عن قيام الدولة النصرية.

ابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ص ٢٧٩ (نشر ريشي ميراندا تطوان ١٩٦٠)

(٢) ابن الخطيب : للمحة ص ٣١، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٢، ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ١٧، المقرئ : نفع الطيب : ج ٦ ص ١١٩، د. العيادي : نظام الخلافة فی المغرب فی العصور الوسطى ص ١٦٠.

(٣) انظر : Francisco Codera y Zaidin : Títulos y Nombres Propios En las Monedas Arábigo Espanola (MADRID 1878) P 38 & D. de la Rada y Delgado : Catálogo de Monedas arábigo-espanola en el Museo arqueológico nacional, (Madrid 1892) n^{os} 720 - 721 & Antonio Vives y Escudero Monedas de las Dinastías Arábigo - Espanoles (Madrid 1893) p 371. Castro M^a del Rivero : La Moneda Arábigo-Espanola (Madrid 1933) p 184.

(٤) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ١٧٠، ج ٧ ص ٢٨٢، المقرئ : نفع الطيب ج ٦ ص ١١٩.

الاعداء^(١). وقد عثر على بعض العملات التى تثبت اعتراف محمد بن الاحمر بسيادة الحفصيين وتبعيته لهم^(٢)

وبعد ان ازداد نفوذ محمد بن يوسف بن هود وأقره الخليفة العباسى على حكم الاندلس، انضم ابن الاحمر تحت لوائه عام ٦٣١هـ / ١٢٣٤. وكان يهدف من وراء ذلك إلى تغطية طموحه وأطماعه^(٣).

كذلك قام ابن الاحمر بالدعاء للخليفة الموحدى الرشيد فى عام ٦٣٩هـ / ١٢٣٩^(٤)، وبعد وفاة الرشيد، وقيام ثورة بنى مرين ضعف امراء الموحدين، فقام ابن الاحمر بالدعاء مرة أخرى لابی زكريا الحفصى وبعث إليه بسفارة تحمل تحياته وولائه، فقام الحفصيون بتقديم معونة مالية له ظلت قائمة حتى نهاية فترة حكمه^(٥)

وادرک ابن الاحمر أنه لن يستطيع أن يصمد أمام عداء قشتالة، فأثر مهادنتها^(٦) وقبل التبعية الاقطاعية لملكها فرناند والثالث، فالتقى به، وقدم إليه طاعته، واتفقا على أن يحكم ابن الاحمر مملكته واراضيه باسم ملك قشتالة، وعقد معه معاهدة مدتها عشرون عاماً، التزم فيها بأن يحضر اجتماعات مجلس البلاط بصفته اميراً تابعاً للعرش القشتالى، وتعهد بأن يقدم لقشتالة جزية سنوية مقدارها مائة وخمسين ألف قطعة من الذهب، وان يعاونه فى حروبه ضد اعدائه من المسلمين^(٧) وقد اغفلت

-
- (١) ابن الخطيب : الاحاطة ج ٢ (القاهرة) ص ٦٢، اللوحة ص ٣١، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٣٥٦ .
 (٢) انظر : Prieto y Vives : La Formación del Reino de Granada p. 16.
 (٣) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ١٦٩، ج ٧ ص ٣٨٢، التعريف : ص ١٠، المقرئ : نفع الطيب ١٠ ص ٤٢٢.
 (٤) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ١٧٠، ج ٧ ص ٣٨٢، ابن الخطيب : اللوحة ص ٣٤، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١١١ - ١١٢، ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٣، المقرئ : نفع الطيب ج ٦ ص ١١٩.
 (٥) انظر : R. Brunschvig : Berbérie t. I, pp 32 - 34
 (٦) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٣٦٧، ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ١٧١، ج ٧ ص ١٩٠، السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ١٩٠.
 (٧) انظر : Crónica General n^{os} 1069 070 ويلاحظ انه فى كثير من الوثائق من عهد الفونسو العاشر Don Aboabdille Abenasar, Rey de Granada فتذكره تلك الوثائق باسم : تظاهر التبعيد قطاعية للملك غرناطة فتذكره تلك الوثائق باسم : Don Aboabdille Abenasar, Rey de Granada, Vasallo del Rey تظاهر التبعيد قطاعية للملك غرناطة فتذكره تلك الوثائق باسم : Don Aboabdille Abenasar, Rey de Granada, Vasallo del Rey Francisco Fernandez y Gonzalez Estado Social y Político de los: انظر : Mudéjares de Castilla (Madrid 1866) p 335

المصادر الإسلامية في معظمها ذكر هذه المعاهدة بينما اشار إليها البعض دون اسهاب^(١).

تنصيب السلطان

يحدثنا المؤرخون أنه عقب صلاة الجمعة في ٢٦ رمضان ٦٢٩ / ١٦ يوليو ١٢٣١م أعلن أهل ارجونة في مسجد المدينة مبايعة محمد بن يوسف بن الأحمر ملكًا عليهم^(٢). ثم قامت غرناطة بدعوته بعدما ثار ابن خالد بها، وبعثوا إلى ابن الأحمر بنبيلين غرناطين هما : أبو بكر بن الكاتب وأبو جعفر التيرولي يحملان بيعة المدينة التي قام بانثائها أبو الحسن الرعيني، فتوجه ابن الأحمر إلى غرناطة واتخذها عاصمة لمملكته^(٣).

وتروى المصادر أن محمدًا الأول أخذ البيعة لولده محمد الفقيه في حياته ليلي الأمر من بعده^(٤). ويحدثنا ابن الخطيب عن بيعة أهل غرناطة لمحمد الرابع يوم وفاة والده في ٢٧ رجب / ٩٧٢٥ ٩ يوليو ١٣٢٥^(٥)، فيذكر كيف قدمت الطبقات الاجتماعية المختلفة البيعة لهذا الأمير الشاب: القضاة، والخطباء، والصلحاء، والصوفية، والفقراء، والمقرئين، والعلماء، والأئمة، والشيوخ، ورجال الحديث، والكتاب^(٦). كذلك فانه عند وفاة أبي الحجاج يوسف الأول (في أول شوال ٧٥٥ / ١٩ أكتوبر ١٣٥٤) أخذت البيعة لولده محمد الخامس من الذين حضروا وفاة والده

(١) ابن عثاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٦٢ ج ٣ ص ٣٦٧، ابن الخطيب : اللحة ص ٣٦، ابن خلدون العبر ج ٤ ص ١٧١، ج ٧ ص ١٩٠.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٦١، النباهي : نزهة البصائر والأبصار (مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٥٣) لوحة ٣٨، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٣) ابن الخطيب : اللحة ص ٣٥، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٤ - ٦٥.

(٤) ابن الخطيب : اللحة ص ٣٦، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٥.

(٥) ابن الخطيب : اللحة ص ٧٧.

(٦) ابن الخطيب : افعال الاعلام ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

«فاجتمع منهم طوائف الخاصة والجمهور، ما بين الشريف والمشروف والرؤساء وأولى المنصب المعروف، وحملة العلم وحملة السيوف والامناء ومن لديهم من الالوف وسائر الكافة أولى البدار لمثلها والخفوف، فعقدوا له البيعة الوثيقة الاساس^(١) .

«وكان المبايعون للسلطان تؤخذ خطوط ايديهم فى كتاب البيعة شاهدة عليهم بما يايعوا عليه، والظاهر أن كتابة البيعة عندهم كما فى مكاتباتهم فى طومار واحد كبير متضايق السطور، وأنه ليس بأعلاه طرة كما فى كتابة المصريين»^(٢) .

وبعد بيعة الخاصة، كانت تتابع فى العاصمة والبلاد الرئيسية فى المملكة بيعة العامة من الجموع الشعبية^(٣) . مثال ذلك ما حدث عند تنصيب محمد الخامس الذى «تمت له البيعة فى حفل مشهود، ومجمع لغيره غير معهود، فلم يختلف عليه اثنان»^(٤) .

ولا تشير المصادر إلى كيفية ورائة العرش النصرى، ويبدو أنه لم يكن هناك قواعد واصول محددة يتم بمقتضاها ورائته. فعلى سبيل المثال نجد أن محمد الأول قد قام فى حياته بتعيين ولده محمد الثانى كولى للعهد فى عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤^(٥) . ثم نلاحظ أن محمد الرابع قد تولى الحكم بعد وفاة والده ولما يبلغ العاشرة من عمره^(٦) . كما ان يوسف الأول خلف اياه محمدا الرابع (فى ٧٣٣ / ١٣٣٣) . وهو لم يزل مراهقاً فى الخامسة عشرة من عمره^(٧) . ويوقع لمحمد بن يوسف (٧٣٩ / ١٣٣٨) بينما كان «صبيا لا أثر فيه لإنبات»^(٨) .

(١) ابن الخطيب : ريعانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال رقم ١٨٢٥) لوحة ٣١، القلشندي: صبح الاعشى ج ٩ ص ٣٤٦ .

(٢) القلشندي : صبح الاعشى ج ٩ ص ٣٤٧ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٢ .

(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٣٠٦ .

(٥) ابن الخطيب : اللحة ص ٣٦ ، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٥ .

(٦) ابن الخطيب : اللحة ص ٧٧ .

(٧) ابن الخطيب : اللحة ص ٨٩ ، اعمال الاعلام ص ٣٠٤ .

(٨) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٣٠٦ وكذلك :

Lafuente Alcántara : Inscripciones Árabes de Granada (Madrid 1860) p 54 .

ولم يكن من الضروري أن يخلف الابن الأكبر أباه في ارتقاء العرش، فقد حاولت على سبيل المثال - زوجة السلطان يوسف الأول أن تجعله يعهد بولاية العهد لولده الأصغر اسماعيل بدلاً من أخيه محمد الخامس «بما القى عليه وعلى أمه من محبته»^(١).

وكان بعض السلاطين يشرك معه في الحكم ولي عهده، مثال ذلك محمد الفقيه، الذي «قام بالأمر بعد أبيه، وياشره مباشرة الوزير أيام حياته»^(٢). وكذلك محمد الثالث الذي «تهنأ العيش مدة أبيه، وقلّى السياسة في حياته، وياشر الأمر بين يديه»^(٣). ويفهم من النصوص أن ولي العهد كان يتخذ له كاتباً^(٤).

ولقد استمر الملك في أسرة بنى نصر منذ عهد محمد بن يوسف الأول حتى سقوط غرناطة في يد الملكين الكاثوليكين، لا ينازعهم في ملكها أحد سواهم. إلا أن بأسهم كان بينهم: يشغب بعضهم على بعض ويستعين كل متشوف إلى ملك الحضرة بـ «اللفيف والغرغاء، والناعقين بالخلعان الشرهين إلى تهديد الدعوات»^(٥).

شارات الملك والقابله وعلاماته في غرناطة

اتخذ سلاطين غرناطة لقب «أمير المسلمين»^(٦)، وإن كانوا قد خطبوا بالقاب الخلافة من باب التشريف^(٧). مثال ذلك أمير المؤمنين (محمد الأول)^(٨). والمنصور، والناصر لدين الله (محمد الثالث)^(٩). والمستعين بالله، والمؤيد والمنصور

(١) ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٣٠٦ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٦٥ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٥٢ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٢٣٢ .

(٥) ابن الخطيب : اللوحة ص ٧٠ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٦٣، ١٧٠، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٠، ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ١٩٠ .

(٧) القرى : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠١ .

(٨) د. أحمد مختار العبادى : نظام الخلافة في المغرب في العصور الوسطى ص ١٦٢، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص ١٣١ .

(٩) ابن الخطيب : اللوحة ص ٣٦، النباهى : المرقبة العليا ص ١٢٤ .

(٩) ابن الخطيب : اللوحة ص ٥٥ .

(أبو الجيوش نصر) ^(١) . والمتوكل على الله، والقائم بأمر الله (محمد بن اسماعيل) ^(٢) . والمستمسك بالله (محمد الثامن) ^(٣) . كما حمل بعض السلاطين لقب (الغالب بالله) ^(٤) مثل مؤسس الأسرة ^(٥)، وأبو الجيوش نصر ^(٦) ومحمد السادس ^(٧) كذلك نجد أن سلاطين غرناطة كانوا يعرفون في الوثائق باسم «صاحب الحمراء» ^(٨) كما كان يطلق على الحكومة في غرناطة اسم «الباب العالي» ^(٩) .

وحمل بعض سلاطين بني نصر القابا لها دلالات خاصة مثل محمد الأول (الشيخ) ^(١٠) لتقشفه وتصوفه وورعه ^(١١) . ومحمد الثاني (الفقيه) لرعايته للعلم والعلماء، ولا نتحاله طلب العلم أيام أبيه ^(١٢) . ومحمد الخامس «الغنى بالله» بعد عبودته منتصراً من إحدى الحملات الحربية التي قام بها ضد قشتالة عام ٧٦٨ /

(١) ابن الخطيب : اللوحة ص ٦٣ .

(٢) ابن الأحمر : مستودع العلامة ص ٢٣ - ٢٤ ، نشر لرائد الجمان ص ٢١٥ .

(٣) أنطونر : R. Castrillo : Una Carta granadina en el monesterio de Guadalupe (Al An- dalus Vol. XXVI, 1961) Fasc 2, PP 389 - 396 .

(٤) ابن الخطيب : اللوحة ص ٣٦ - ٣٧ ، الإحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٦ وكذلك :

É. Lévi Provençal: Inscriptions arabes d'Espagne p. 144.

(٥) ابن الخطيب : اللوحة ص ٣٠ ، الإحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٦ .

(٦) أنطونر : M. Gaspar Remiro : Documentos para la historia del reino granadino (Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino) año II núm I p 21 .

(٧) ابن الأحمر : مستودع العلامة ص ٢٣ - ٢٤ .

(٨) الفللسندي : صبح الاعشى ج ٧ ص ٤١٢ .

(٩) لويس سيكردي لوثينا : وثائق عربية غرناطية لم تنشر، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمديرد. المجلد الرابع العددان ١ - ٢ / ١٣٧٥ - ١٩٥٦ ص ١٦٩ - ١٨١ .

(١٠) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٦٧ ، ١٧٠ .

(١١) تذكر المصادر أنه دخل غرناطة سلطانا وهو يرتدي وشاية مضلعة، أكتافها مقطعة» انظر: ابن الخطيب: الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٥ ، اللوحة ص ٣٥ ، مؤلف مجهول: اللخيرة السنية ص ٦٠ ، القرى: نفع الطيب: ج ١ ص ٤٢٦ .

(١٢) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٧٢ ، ج ٧ ص ١٩١ ، ابن الخطيب : اللوحة ص ٣٨ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٦٥ ، الصلدي: الرالى بالوليات ج ١ ص ٢٠٦ .

السلوى : الاستقصا ج ٢ ص ١٩ .

١٣٦٧^(١) . كذلك عرف باسم «المخلوع»^(٢) . خلعه عن العرش على يد أخيه اسماعيل^(٣) . ومحمد بن سعد «الزغل» لشجاعته في مقاومة أعدائه^(٤) . وأبو عبد الله الأخير «الزغبى» بمعنى البائس وذلك لتعثر حظه^(٥) . ويلاحظ أن بعض الوثائق من القرن الخامس عشر تطلق على ملوك غرناطة لقب «مولاي»^(٦) .

وكثيراً ما كان السلطان يوصف بالقاب مليئة بالمدح والثناء مثل المجاهد، المقام العالى، الحضرة العلية، المجاهد فى سبيل الله^(٧) ، الامام الهمام، الامام العادل^(٨) ، كما كان يصاحب ذكر المقر الملكى فى حمراء غرناطة دعاء «حرسها الله» فى المراسلات السلطانية^(٩) .

أما تسميتهم بنى الأحمر فيرجع إلى شقرة فيهم، وأول من تلقب بالأحمر جدهم الأكبر عقيل بن نصر، وذلك لشقرة فيه^(١٠) . وقد استمر ظهور هذا اللون فى بعض افراد هذه الاسرة مثل محمد السادس الذى تطلق عليه المصادر الاسبانية لقب «البرميخو El Bermejo» ومعناه اللون البرتقالى الضارب إلى الحمرة وهو لون شعره ولحيته^(١١) .

ولم يتخذ سلاطين بنى الأحمر فى غرناطة منذ عهد محمد الأول الغالب بالله خطة للعلامة أو كاتباً لها، كما كان لغيرها من الدول المعاصرة. بل كان كل سلطان

(١) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٤٢٣، التعريف ص ١٢٠ وكذلك :

E. Lufuente Alcántara : Inscripciones árabes de Espana p 119 & E. Lévi Provençal : Op. Cit., p 164 .

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ج ١ ص ٤١٢ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عتان) ج ١ ص ٤٠٦ . وانظر التفصيلات فى د. أحمد مختار العبادى فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بعد ريد ١٩٥٩ .

(٤) الزغل بمعنى الباسل أو الشجاع انظر : Dozy : I p 594

(٥) نفس المرجع السابق .

(٦) انظر : J. Ribera y M. Asin : Manuscritos Arabes y Aljamiados de La Biblioteca de la Junta (Madrid 1912) p 259 - 260 & E. García Gómez : Cinco Poetas Musulmanes p 177 .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة ج ٢ ص ٦٦، اللعة ص ٥٥، القلقشندى : صبح الاعشى ج ٧ ص ٤١٣ - ٤١٩ .

(٨) ابن الخطيب : اللعة ص ٣٧ ، ٥٥ .

(٩) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٧ ص ٤ .

(١٠) النباهى : نزهة البصائر والابصار فى Müller : Op. Cit. p III.

(١١) د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٢٧ وكذلك :

Mariana : Historia General de Espana (Madrid 1948) II p 221

يوقع بيده على السجلات الرسمية^(١). وكان القرار عادة يكتب في نفس هذه السجلات ويسمى التوقيع، وكان توقيع بنى الأحمر في أول الأمر «ولا غالب إلا الله» ثم أصبح وكتب في التاريخ» ثم انتقلوا بعد ذلك وكتبوا علامتهم «صح هذا»^(٢)، وفي هذا يخاطب القائد محمد بن أحمد بن قطبة الدويش الغرناطي السلطان أباه عبد الله محمد بن اسماعيل، وقد طلب منه أن يمن عليه بظهير في شأن حاجة :

تقول ليلى وقد رأتني كسيف بال فديت ماذا
فلت مهلاً فعن قريب يصح هذا بصح هذا^(٣)
وفي ذلك أيضاً يقول شاعر الحمراء عبد الله بن زمرك في مدح السلطان محمد الخامس :

يا إماماً قد تخذناه من الدهر ملاذاً
خط يمينك ينسادي صح هذا صح هذا^(٤)
وكانت بعض توقيعات سلاطين بنى الأحمر تمتاز بخفة الروح وحرارة النادرة، مثال ذلك توقيع السلطان محمد الفقيه على رقعة شخص كان يطلب صرف بعض الشهادات المخزنية (الحكومية) ويلح فيها:

بورت على الشهادة وهو حي الهى لا تمته على الشهادة
وأطال الخط عند لفظ الهى، أشعاراً بالضراعة عند الدعاء^(٥)
وهناك توقيع آخر لمحمد الفقيه، إذ تظلم شخص من أن جندياً أوى إلى بيته وحاول اغتصاب زوجته فكتب الفقيه في التوقيع يخرج هذا النازل ولا يعوض بشئ من المنازل^(٦).

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٢، ابن الأحمر : مستودع العلامة ص ٢١ .
(٢) مستودع العلامة : ص ٢٣ - ٢٤ وكذلك Alarcón, y Linares : Los Documentos árabes dip-lomaticos

وانظر على سبيل المثال في نفس المصدر الصفحات التالية : 102 , 104 , 106 , 108 , 110 , 112 .

(٣) ابن الأحمر : مستودع العلامة ص ٢٣ - ٢٤ .

(٤) القرطبي : تلح الطيب : ج ١٠ ص ٩١ ، أزهار الرياض ج ٢ ص ١٣٥ .

(٥) ابن الخطيب : اللوحة ص ٣٩ ، الاطاعة (هنا) ج ١ ص ٥٦٦ .

د . أحمد مختار المهادي : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٦) ابن الخطيب : اللوحة ص ٣٩ ، الاطاعة (هنا) ج ١ ص ٥٦٦ .

وكان السلطان يوقع علي المعاهدات بنفسه ويذكر ذلك فى نهاية نص المعاهدة ثم يضع عليها « طابع الذهب المعلق بشارب الحرير » (١) .

ولم يكن بنى نصر يضعون التاج، الذى كان استخدامه معروفاً فى القرن الثالث عشر لدى معاصريهم مثل ملوك الحفصيين فى تونس وغيرهم (٢) . ولا نكاد نجد ذكراً للتاج فى كتابات ابن الخطيب وابن خلدون، بل أنه يفهم من النصوص أن محمداً الأول كان يسير برأس عارية (٣) . وتبعه فى هذا التقليد السلطان أبو سعيد البرمىخو (٤) كما كان بعض سلاطين بنى نصر يضعون العمامة، فعندما سقط السلطان أبو الوليد اسماعيل تحت طعنات قاتله كان يضع عمامة على رأسه (٥) . كما يظهر محمد الثانى عشر بعمامة من كتان أبيض فى صورة له محفوظة فى متحف الجيش بمدريد (٦) .

وقد اتخذ بنو نصر من اللون الأحمر شعاراً لهم فى لون قصورهم (٧) ، وقبائهم أو خيامهم (٨) والورق الذى يكتبون عليه ظهائرهم ورمسانهم

- (١) محمد عبد الله عثمان؛ وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجرى.
صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلاميّة بمدريد ١٣٧٣ / ١٩٥٤ المجلد الثانى العددان ١ - ٢ ص ٣٨ - ٤٥ .
(٢) انظر :
(٣) المقرئ : تقع الطيب ج ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .
(٤) ابن الخطيب : نقاضة الجراب ص ١٨٣ .
(٥) ابن الخطيب : اللوحة ص ٧٤ .
(٦) تمثل هذه الصورة هذا السلطان عندما هزم فى موقعة اللسانة Lucena عام ١٤٨٨ هـ / ١٤٨٣ م وسيق اسيراً أنظر :
R. Amador de los Rios : Notas acerca de la batalla de Lucena, a y la prisión de Boabdil en 1483 . (Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos, III Vol XVI (1907) p 67 .

- (٧) يقول ابن جزى لما رمدت عين أحدهم سألها عنها فقال :
يا سيدى عينى قد
فانظروا إليها تراها
(٨) يقول ابن الخطيب : (ديوان الصيب والجهام ص ٤٠٧) .
مقاماتهم بيض وحمر قبائهم
ويقول ابن زمرك : (نفع الطيب ج ١٠ ص ٩٣، ازهار الرياض ج ٢ ص ١٤١)
لمن قبة حمراء مد فضاؤها
ويقول ابن زمرك : (نفع الطيب ج ١٠ ص ٤٦، ازهار الرياض ج ٢ ص ٦٢)
وترى القباب الحمر ترفع للندى
ويقول ابن زمرك : (نفع الطيب ج ١٠ ص ٧١، ازهار الرياض ج ٢ ص ١١٣)
حيث القباب الحمر ترفع للقرى
قد عام فى ارجائهن المندل

السلطانية^(١)، وزعيم^(٢) فتظهر المدونات القشتالية محمد السادس البرميخو مرتدياً تنورة حمراء قانية، عندما أمر بدور القاسى بقتله فى طلياطة Tablada من ظاهر اشبيلية عام ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م^(٣).

كذلك جعلوا هذا اللون الأحمر لوناً لأعلامهم وراياتهم^(٤) فنجد الوزير الشاعر ابن الحكيم الرندى يتغنى باستيلاء الغرناطين على قيجاطة فى عام ٦٩٥ / ١٢٩٥ فى رسالة له مشيراً إلى أن المسلمين كانوا يرفعون فوق ابراجها وأسوارها أعلامهم

(١) كتب ابن هذيل الغزاري إلى الغنى بالله: (نفع ج ٧ ص ٣٩٥)

ليس يا مولاي لى من جابر
غير صلك أحمر تكتب لى
ويقول ابن زمرك فى مدح ابن الخطيب :
تهيبك القرطاس فساحم إذ غدا
وكان رياض الطرس غمد مسورد
وكذلك :

فشارة هذا الملك رائقة الحلى

المقرى : نفع الطيب ج ٨ ص ١٨٤ - ١٨٥ ، أزهار الرياض ج ٢ ص ١٦٤ هذا وقد ورد وصف لون هذه الرسائل فى صبح الاعشى ج ٧ ص ٤١٣ ، ٤١٤ د. مختار العبادى : دراسات ص ٢٢٧ وكذلك فى مجموعة الوثائق العربية التى نشرها Alarcón y Linares : Los Documentos árabes diplomaticos del Arichivo de la Corona de Aragón pp. 119 - 124 .

(٢) ابن هذاري : البيان ج ٣ ص ٢٧٩ .

Crónica del Rey Don Pedro I, ano 1362 P 519 .

(٣) انظر :

وانظر التفصيلات فى ابن الخطيب : الاحاطة : (القاهرة) ج ٢ ص ١٥ ، أعمال الاعلام ص ٣٠٩ .

(٤) يقول ابن زمرك (أزهار الرياض ج ٢ ص ١١٩ ونفع الطيب ج ١٠ ص ٧٦).

خفقت به أعلامك الحمير التى
ويقول ابن الخطيب : (الاحاطة (عنان) ج ٢ ص ٥٧٦)
فيسائلنى عنه وعن سطراته إذا
وقوله : (ديوان الصيب والجهام ص ٢٣٣)
فكانما حمير البنود خرافقا
وقوله : (ديوان الصيب والجهام ص ٢٤٥)
فحت به راياتك الحمير التى
وقوله : (ديوان الصيب والجهام ص ٤٥٩)
يا يوسف الملك والحسن ارتقب زمناً
وقوله : (ديوان الصيب والجهام ص ٥٤٤)
ولا زال نصبرى العلى رائق الحلى
بغفوقها النصر العزيز موكل
لاح محفولاً براياته الحمير
منها قلوب شهن عناء
فسادت إليه قباثلا وشعرها
راياتك الحمير فى خديه تسويد
يصاحب جيش النصر رايته الحمرا

الحمراء^(١) . كذلك يوجد علم من قماش أحمر ينسب إلى بنى نصر فى ديرلاس ويلجاس. Las Huelgas على مقربة من برغش Burgos ذكرى لانتصار الجيوش القشتالية على المسلمين فى احدى المعارك^(٢) .

وكانت الملابس الملكية تميز بواسطة الطراز، والكتابات المذهبة التى تزين هذا الطراز مثل الشعار المفضل للسلطان، أو شعار الأسرة، وقد انتقلت هذه العادة إلى غرناطة عن طريق ملوك الطوائف^(٣) .

ونادرا ما تذكر المصادر «السريـر»^(٤) «وكرسى الملك»^(٥) و«أريكة السلطان»^(٦) و«ايوان الملك»^(٧) ، دون ذكر تفصيلات عن ذلك أو غيره من الأثاث الملكى. وكل ما يفهم من تلك المصادر أن السلطان كان له مجلس خاص فنجد أنا أبا الوليد اسماعيل قد قتل «وهو مار بين السماطين إلى محل السلام عليه، والوزير بين يديه»^(٨) .

كما كان العرش الغرناطى يوجد فى صالة السفراء فى قصر الحمراء التى كانت

(١) ابن الخطيب : الإحاطة (عنان) ج ٢ ص ٤٤٤ - ٤٧٦ وكذلك :

P. Melchor M. Antuna : Conquista de Granada pp 349 - 351 .

(٢) انظر : R. Amador de los Rios : Trofeos militares de la Reconquista (Madrid 1893) p 198 .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٧ ، والطراز من أهبة الملك والسلطان ومذاهب الدول أن ترسم اسماءهم أو علامات تختص بهم فى طراز أثوابهم المدة للباسهم من الحرير أو الذهب أو الابرسم تعتبر كتابة خطها فى نسيج الثوب الحاما وأسداء بخيط الذهب أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة. وللفظ طراز مشتق من الكلمة الفارسية «ترازیدن» بمعنى التطريز والنسيج، ثم أصبح يدل على ملابس الخليفة أو السلطان أو الحاشية، ولا سيما إذا كان فيها شيء من التطريز، وعليها أشرطة من الكتابة، فيها إسم السلطان الذى نسجت فى عهده، وكذلك التاربغ وبعض العبارات الدعائية، ثم اتسع معنى الطراز فى اللغتين الفارسية والعربية حتى صار يطلق على المكان أو المصنع الذى تنسج فيه مثل تلك الأقمشة، انظر :

ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٦ ، زكى محمد حسن، فنون الإسلام (القاهرة ١٩٤٨) ص ٣٤٦ .

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٣٧٤ ، ابن الخطيب : اللسعة ص ٦٣ .

(٥) ابن الخطيب : اللسعة ص ٤٨ ، ٦٣ ، ٧٤ وكذلك E. Lafuente y Alcántara Inscripciones arabes: de Granada (Madrid 1860) p 113.

(٦) ابن الخطيب : الإحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٥ .

(٧) العبر ج ٧ ص ٤١٣ ، التعريف ص ٨٦ .

(٨) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٢٩٥ .

مخصصة للاستقبالات الملكية^(١) ويفهم من الدراسات الأثرية الحديثة أن سلاطين بنى نصر كانوا يتخذون الصولجان كعلامة من علامات الملك والسلطان^(٢).

أما عن الموكب الملكى واستقبال الشعب لسلطانه، فيروى لنا ابن الخطيب ان السلطان محمد الخامس قد استحدث الآلة^(٣)، وكان يرافق موكب السلطان حرس خاص يسمى الساقفة ترافقه الطبول وسبعة بنود^(٤) ويذكر ابن الخطيب أنه فى عام ٧٥٥ / ١٣٥٤ عند عودته مصاحباً للسلطان يوسف الأول^(٥) من رحلة تفقدية للحدود الشرقية للمملكة استقبل تجار الروم السلطان استقبالا حاراً، ومر الموكب الملكى تحت مظلة من الديباج مرفوعة على أعمدة من خشب الساج^(٦). ويضيف أن الجنود الغرناطين كانوا يرون أمام يوسف الأول فى المرة ناشرين البنود الشهيرة اللسان^(٧). وفى «بسطة» وقع النفير وتسايق إلى لقائنا الجم الغفير، مثل الفرسان صفا، وانتشر الرجل جناحا ملتقاً، واختلط الولدان بالولائد، والتمايم بالقلائد، فى حفل سلب النهى، وجمع البدر والسهى، والضراغم والمها، وألف بين القانى والقاقع، وسد بالمحاجر كوى البراقع^(٨).

كذلك يذكر ابن الخطيب وصفا للسلطان محمد الخامس فى فاس عندما أخذ الالهة ليعود إلى الأندلس بعد فترة نفيه فيقول ان السلطان جلس «بقبة العرض من جنة المصارة واستحضرت البنود والطبول والآلة وألبس خلعة الملك»^(٩) وتشير

(١) انظر : L. Torres Balbás : La Alhambra y el Generalife (Madrid 1953) pp 69 - 70 .

(٢) انظر : Manuel Gómez Moreno : El Bastón del Cardenal Cisneros (Al Andalus 1940: Vol. V fasc I pp 192 - 195 .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٣ والآلة هى نشر الألوكة والرايات وقرع الطبول والتفخ فى الأبراق والقرن (انظر ابن خلدون : المقدمة : (طبعة بيروت) ص ٢٥٨ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٩، ابن الخطيب: خطرة الطيف لى مشاهدات ص ٤٣ .

(٥) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ٢٣ - ٥٣ .

(٦) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ٤٤ .

(٧) ابن الخطيب : نفس المصدر : ص ٤٣ .

(٨) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ٣٢ .

(٩) ابن الخطيب : نقاشة الجراب ص ١٨٤ ، القرى : ازهار الرياض ج ١ ص ٢٠١ .

المصادر إلى أن السلطان كان له هودجٌ على حصان خاص^(١) .

وفيه من النصوص أنه كان للسلطان حرس خاص^(٢) ، وأن هذا الحرس كان يتكون من جنود يرجعون إلى أصل مسيحي، يطلق عليهم ابن خلدون اسم « المعلوجين »^(٣) ، ويسميه ابن الخطيب « المماليك »^(٤) . فنقرأ عن مملوك لمحمد الأول يدعى صابرا الكبير هو الذي أعاده إلى غرناطة وهو يحتضر بعد معركة عنيفة مع الخارجين عليه من كبار الزعماء^(٥) . كما أن أحد هؤلاء المماليك ويدعى زيان هو الذي قتل السلطان محمد بن اسماعيل سنة ٧٧٣^(٦) . كذلك فقد صاحب محمد الخامس في فترة نفيه إلى المغرب مائتا مملوك حث اظهروا له هناك ولاء بلا حدود، حتى إذا ما استرد عرشه، جمع منهم أعداداً كبيرة، واعتمد عليهم^(٧) . كما أننا نلاحظ أنه عندما دب النزاع بين غرناطة وفاس بعد وفاة السلطان المريني عبد العزيز عام ٧٧٥ / ١٣٧٣م قام محمد الخامس بإرسال عدد من المطالبين بعرش فاس إلى هناك لخلق القلاقل أمام أعدائه، من هؤلاء نذكر الأمير الواصل بن عبد الحق المريني الذي نزل إلى المغرب في عام ٧٨٨ / ١٣٨٦ بمساعدة فرقة من الجنود الغرناطيين يقودها علجان هما: مهند ونصر الله^(٨) .

وكان شعار بني نصر « ولا غالب إلا الله » ينتشر في كل مكان: في العصابات المنقوشة التي كانت تحيط بالأبواب والتوافذ، أو التي كانت تجرى في قباب الحمراء وحول عقودها، أو النقوش الحائطية وتيجان الأعمدة وقطع العملة.

(١) المقرئ : نفع الطيب ج ١٠ ص ٦٨ ويقول ابن زمرك :

يد على ما فوقه الظل سحسجا

كسرة من رشي اليماني هودجا

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ٢ ص ٥٦٠ .

(٣) ابن الخطيب : العبر ج ٧ ص ٣٧٩ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٥٥ ، نقاضة الجراب ص ٢٠٢ .

(٥) ابن الخطيب : الملحمة ص ٣٦ ، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٦ .

(٦) ابن الخطيب : الملحمة ص ٨٣ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٤ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١٠ ص ٤٤ ، أزهار الرياض ج ٢ ص ٥٥ - ٥٦ .

(٨) ابن خلدون : التعريف ص ٢٧٧ .

ومن علامات الملك لدى بنى نصر كان هناك الخاتم^(١) ، ويروى ابن الخطيب كيف ان السلطان يوسف الأول سلمه خاتمه عند وفاة شيخه أبى الحسن بن الجياب^(٢) . كذلك اتخذ بنو الأحمر مقصورة خاصة بهم عند الصلاة فى المسجد^(٣) .

مهام السلطان

سار بنو نصر فى حكمهم - كغيرهم من ملوك العصور الوسطى - على مبدأ الحكم المطلق ، فكان السلطان يباشر مهام الأمور بنفسه، ويدقق فى جمع الأموال والجبایات^(٤) . ويباشر حسابات العمال بنفسه، ويشدد عليهم فى النكال^(٥) . مثال ذلك ما ترويه المصادر من أن محمد بن على السكان، الذى كان «خازن للطعام بوادى آش، قد حوسب على أموال، فشط قبله السلطان أربعون ألف قذح. وكان السعر إذ ذاك غاليًا، فشمنت الأقداح عليه بأربعين ألف دينار وسجن فيها بغرناطة»^(٦) .

هذا وإن كان يفهم من النصوص انه كانت هناك مجالس للشورى يستعين بها السلاطين^(٧) . وكان السلطان يقوم بعقد اجتماع عام لاصحاب الظلمات فنجد ان محمدا الأول قد اعتاد أن يعقد للناس مجالس عامة بدار العدل فى مكان يعرف بالسبيكة من القسبة الحمراء صباح يومى الاثنين والخميس من كل اسبوع، فيحضر مع السلطان الرؤساء من أقاربه ونحوهم. وكان السلطان يفتتح هذا المجلس بقراءة أحاديث الصحيحين ويختتم باعشار من القرآن الكريم، ثم ترفع إليه الظلمات،

(١) يذكر ابن خلدون ان الخاتم كان «من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية، والحتم على الرسائل والصكوك» (المقدمة ص ٢٦٤) .

(٢) المقرئ : تلح الطيب . ج ٧ ص ٥ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٩ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٢ واللمعة : ص ٣١ .

(٥) النباهى : نزهة البصائر والأهصار فى : Müller : Beitrage p 116 - 117 , 119 .

(٦) الأزدي : تحلة المغترب فى بلاد المغرب ص ٦٧ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عتان) ج ١ ص ٢٣١ .

ويشافهه طلاب الحاجات، ويستقبل الوفود، وتنشده الشعراء، ثم يعود إلى مجلسه الخاص أو يفحص أمور المملكة ويوزع العرائض على هؤلاء الذين لهم حق التصرف فيها وفي مجالس النساء، كان السلطان يوزع أعمالا معينة على النبلاء والقادة المشهورين^(١). وقد قتل السلطان اسماعيل بن فرج «وهو مجتاز بين السماطين من ناسه إلى مجلس كان يجلس فيه للناس»^(٢). كذلك كان السلطان محمد الخامس يجلس لمباشرة المظالم ستة عشر يوماً في كل شهر من شهور الأهلة^(٣).

ومن مبدأ الحرص على مصالح الرعية واستقرار أحوالها، كان محمد الثاني يتفقد «أحوال خواصه وحماته»^(٤). كما كان محمد الخامس يبعث برجال «من أهل العلم والعدالة والدين والجلالة، إلى أرجاء مملكته لينقلوا إليه أخبار شعبه، وكذلك لدراسة أحوال الرعايا والسؤال عن سير القواد، وولاية الأحكام بالبلاد، والمظالم، وتحصين الحصون، وتفقد المساجد، ودعوة الناس إلى تعليم القرآن لأولادهم، والبحث عن أهل البدع والاهواء والفساد، ومدعى التصوف»^(٥).

كذلك كان السلاطين يقومون برحلات تفتيشية لتفقد أحوال المملكة، فابن الخطيب يصف لنا في مقامة «خطرة الطيف، ورحلة الشتاء والصيف»، رحلة تفتيشية صحب فيها السلطان أبها الحجاج يوسف الأول بدأت يوم الأحد ١٧ محرم ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م^(٦).

(١) ابن الخطيب : اللوحة ص ٣١ - ٣٢، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٢، القلشندي صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٧١ .

(٢) ابن الخطيب : اللوحة ص ٧٤، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٤٠٠، النباهي : نزهة البصائر في Müller p 131 .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة ج ٢ ص ١٨ .

(٤) النباهي : نزهة البصائر والابصار في : Müller : p 117

(٥) القلشندي : صبح الاعشى ج ١١ ص ١٠ - ١١، المقرئ : فتح الطيب ج ٩ ص ١٠٩ - ١١٠، ج ١٠ ص ٢٤٦

٢٤٧ - وكذلك: M. Gaspar Remiro : Correspondencia (Revista del Centro de Estudios Historicos de Granada 1915 ano V núm 3 pp 139 , 141 - 143 .

(٦) انظر خطرة الطيف في مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ص ٢٥ - ٥٣ .

وقد حرص سلاطين غرناطة على إقامة العدل وإشاعته بين سكان المملكة^(١) كذلك كان السلطان النصرى يسك العملة باسمه، ويوجه سياسة مملكته الداخلية والخارجية، ويستقبل السفراء الأجانب في بهو السفراء بالحمراء^(٢). ويشترك أحياناً في جنازات كبار رجال الدولة^(٣).

ولما كان السلطان هو الرئيس الروحي للجماعة الإسلامية، فقد كان يؤم الناس في صلاة العيدين^(٤). ومن المعروف أن مروراً قد اغتال السلطان يوسف الأول أثناء السجدة الأخيرة من صلاة عيد الفطر يوم أول شوال عام ٧٥٥هـ / ١٩ أكتوبر ١٣٥٤م^(٥).

كذلك لم يقصر ملوك بنى نصر في واجباتهم العسكرية، من قيادة الجيوش واستعراضها^(٦) وأعدادها للقتال والجهاد. فعلى سبيل المثال قام محمد الأول بقيادة جيوشه في المعارك، وامتدح المؤرخون أعماله العسكرية وقوة جيشه^(٧). كما قام الفقيه بقيادة جيشه عند غزوه لقيجاطة والقبذاق حيث «بأشر العمل في خندقها بيده»^(٨).

وقام السلطان أبو الوليد اسماعيل بن فرج عندما نازل أشكر بتحسين «خندقها

(١) يقول ابن زمرق في مدح الفنى بالله (نفع الطيب ج ١٠ ص ٤٧، ازهار الرياض ج ٢ ص ٦٤)
كم ليلة قد بت فيها ساهرا
ويقول أيضاً : (نلح ج ١٠ ص ٤٦) :
تهدى الامان إلى العين السوم

فالشاة لا تغشى اعتداء الضيفم
ملك أفاض على البسيطة عدله

(٢) انظر : Emilio García Gómez : Cinco Poetas Musulmanes p 219 .

(٣) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٢٠٢ ، ٣١٥ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ابن سعيد : اختصار القدر المعلق ص ١٧٨ ، ابن عبد الملك : الذيل والتكملة السفر الخامس ، القسم الثاني (تحقيق احسان عباس) ترجمة رقم ١٠٦٦ ص ٥٤١ ، نيل الابتهاج ص ٥٣ ، ٢٠٤ ، ٣١٤ ، ٣٢٤ .

(٤) ، (٥) ابن الخطيب : اللحة ص ٩٧ .

(٦) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ٤ - ٥ .

(٧) ابن الخطيب : اللحة ص ٣٠ ، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦١ ، النباهي : نزهة البصائر في Müller p 116 .

(٨) ابن الخطيب : اللحة ص ٤٢ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٦٩ - ٥٧٠ .

وأعمقه وعمل فيه بيده»^(١). وكان السلطان محمد بن اسماعيل «لا تقع العين وإن غصت الميادين على أدرب بركض الجياد منه»^(٢). كما كان السلطان يوسف الأول على رأس جيشه في موقعة طريف^(٣). كذلك قاد السلطان محمد الخامس بنفسه جيش غرناطة في الاشارة على مواقع العدو في جيان وحسن آشـ Iznajar^(٤) وقرطبة. ويذكر ابن الخطيب أنه عندما عزم هذا السلطان على فتح حصن وادي آش «لزمه بنفسه بياض يوم القيظ محرضا للمقاتلة مواسيا لهم خالطا نفسه بهم يصابر لهب النار ووقع السلاح وتعميم الدخان، مفديا للكماة مرمضا لذوى الجراح مباشرة ذلك إلى ان فتحه الله على يده بعزمه وصبره فباشر هدم السور بيده وتحصين عورته بنفسه، ينقل إليه الصخر ويناول الطين ويخالط الفعلة»^(٥).

كذلك فان ابا عبد الله بن الأحمر الأخير أسر في موقعة اللسانة Lucena بعد غزوة حربية في ربيع عام ٨٨٨ / ١٤٨٣م^(٦).

الحياة الخاصة للسلطان

كان السلطان يقيم في غرناطة العاصمة، يحيط به رجال الحاشية وعلى رأسهم «شيخ رجال الملك»^(٧)، ويجتمع لديه اشراف البلاد في ايام الاعياد

Müller p 129

(١) ابن الخطيب : اللوحة ص ٧٢ - ٧٣ ، النهاي : نزهة البصائر في

وفي ذلك يقول الشاعر أبو الحسن بن الجباب :

لله منك مشاهد مشكورة

مثل الخفير بها الذي باشرته

عند الله يفلها لم تسبق

لعل الرسول وصحبه في الخندق

(٢) ابن الخطيب : اللوحة ص ٧٧ ، الاحاطة (عتان) ج ١ ص ٥٤٠ .

(٣) ابن الخطيب : اللوحة ص ٩٦ ، أعمال الاعلام ص ٣٠٥ .

(٤) ابن الخطيب : ربحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال رقم ١٨٢٥) لرحلة ٣٦ وما بعدها ، هذا وحسن آشـ : حصن حصين أهل يقع في الجنوب الشرقي لحصن روطة وفي الشمال الغربي للمدينة المسماة بمعدان الملح Las Salinas وهو على ضفة أحد فروع وادي نهر شنيل في نقطة الالتقاء بين حدود غرناطة وقرطبة واشبيلية. أنظر : الادريسي ، وصف أفريقيا والاندلس ص ٢٠٤ والترجمة الفرنسية ص ٢٥٢ وابن خلدون : التعريف ص ١١٧ حاشية.

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٣١ .

(٦) مؤلف مجهول : نزهة العصر ص ١٢ كذلك : R. Amador de Los Ríos : Notas acerca de la batalla de Lucena y La prisión de Boabdil 1483 (R.A.B.M., XVI, 1907) pp 37 - 68 .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عتان) ج ١ ص ٤٠٧ .

والمناسبات^(١). ولم يحط سلاطين بنى نصر انفسهم بهالة من العظمة أو الغموض، فالمدونات الاندلسية تطنب في مدح زهد وورع محمد الأول، حيث كان يؤثر التقشف «يخصف النعل ويلبس الخشن»^(٢). وتصفه عند دخوله غرناطة بأنه كان يبدو في منظر متواضع يرتدى «شاية مضلعة، اكتافها ممزقة»^(٣). مما يدفع إلى القول بأنه كان من الصوفية، ويستدل على ذلك بلقب اتخذه وعرف به هو لقب «الشيخ». كما تتحدث هذه المدونات عن عدل وثقافة محمد الثاني^(٤). واعتدال وميل أبى الحجاج يوسف الأول إلى الإصلاح^(٥). وتصف محمد الخامس انه كان متواضعا يسير في حاشية صغيرة في شوارع العاصمة مرتديا ملابس غير مترفة «فأنست العامة بقره، وسكنت الخاصة إلى طيب نفسه»^(٦). وكان محمد السادس يسير على اقدامه في غرناطة عارى الرأس، مشمرا عن ساعديه، مخاطبا العامة في الطريق^(٧).

وأحب الشعب الغرناطى حكامه وبلغ هذا الحب إلى ما يشبه التقديس^(٨). واتخذ سلاطين غرناطة مقرهم داخل برج زيرى قديم على الضفة الشمالية لنهر حدرة، وسرعان ما احاطوا هذا المقر الملكى بالابراج والأسوار والأبواب للدفاع عنه، حتى اصبح قلعة حصينة هي الحمراء قاعدة الحكم، ومقر الملك، تشرف على المدينة بـ «الشرفات البيض، والابراج السامية، والمعازل المنيعه، والقصور الرفيعة، تعشى

(١) المقرئ : نفع الطيب ج ١٠ ص ٤٧ ويقول ابن زمرك فى مدح الغنى بالله :

ما بعد يومك فى المواسم بعدما
اتعبت عيد الفطر أكرم موسم
وافتك اشراق البلاد ليومه
من كل نذب للعلا متنسم

(٢) ابن الخطيب : اللحمه ص ٣٠ ، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦١ .

(٣) مؤلف مجهول : اللخيرة السنية ص ٦٠ .

(٤) ابن الخطيب : اللحمه ص ٣٨ .

(٥) ابن الخطيب : اللحمه ص ٨٩ .

(٦) ابن الخطيب : اللحمه ص ١٠١ .

(٧) ابن الخطيب : نقاضة الجراب ص ١٨٣ .

(٨) المقرئ : نفع الطيب ج ١٠ ص ١٢٦ ، ويقول ابن الخطيب فى مدح الغنى بالله :

ملك اذا عاينت منه جبينه
فارقته والنور فوق جبينى
واذا لمت يمينه وخرجت من
ابوابه لثم الملوك يمينى

العيون، وتبهر العقول^(١)» يقضون هناك فصل الشتاء، حتى إذا ما لفحتهم حرارة الصيف انتقلوا إلى قصر جنة العريف^(٢). حيث الحدائق الوارفة الظلال، والنافورات الرائعة الجمال.

وكثيراً ما كانوا يقيمون الاحتفالات بمناسبة اعدار أولادهم^(٣). أو يخرجون للصيد، في الصباح الباكر إلى الشغور والفيافي والبطائح يمتطون صهوة جيادهم تساعدهم النسور، ويستخدمون الرماح لصيد الفرائس^(٤).

يروى لنا ابن الخطيب أنه في عهد السلطان محمد الثاني الفقيه خرج ولي عهده أبو سعيد للصيد فقابل «خنزير جبلي Jabali ضخمة الكراديس عظيم الناب عريض القبطسة، طرح نفسه عليه، فكبا به الطرف واستقبله ذلك الخنزير فأستل الأمير سيفه وعاجله بضربة تحت عينيه، أبانت فكيه، وأطارت محل سلاحه ... وتلاحق به فرسانه وقد يشوس من خلاصه فرأوا ما بهتوا له وعلم بذلك والده فسر سرورا عظيماً»^(٥).

ويذكر ابن الخطيب كذلك أن السلطان أبا الوليد اسماعيل كان منقطعاً إلى الصيد^(٦) وأن السلطان محمد بن اسماعيل كان مغرمًا بالصيد، عارفاً بسمات الشغار^(٧)، وشيات الخيل^(٨).

(١) ابن الخطيب : اللوحة ص ١٤ .

(٢) ابن الخطيب : اللوحة ص ١٠٩ ، انظر :

Leopoldo Torres Balbás : Con Motivo unos planos del Generalife de Granada (AI Andalus Vol IV fasc 2 (1936 - 1939) pp 436 - 445 .

(٣) انظر على سبيل المثال : ابن خلدون : التعريف ص ٨٨ .

(٤) المقرئ : نفع الطيب ج ١٠ ص ١٣ - ١٧ حيث أورد إشعاراً يصف فيها رحلة صيد سلطانية.

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٣٥٦ وكذلك :

Dr. El Abbady : Op. Cit. p 150 - 151 .

(٦) ابن الخطيب : اللوحة ص ٦٥ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٣٨٦ .

(٧) البعير.

(٨) ابن الخطيب : اللوحة ص ٧٧ ، ابن حجر العسقلاني : الدرر السفر الثالث ص ٣٩٠ ترجمة رقم ١٠٢٩ ويقول ابن

زمرك - شاعر الحمراء - يشكر السلطان على ما أهداه ولي العهد له من صيد :

أضحي ولي العهد لملك صائداً شأن الملوك العلية العظماء

ورمي البزاة على القنات بصيده صيد الخليفة شارده الاعضاء

(المقرئ : ازهار ج ٢ ص ١٣٧) وكلمة قنات في البيت الثاني ربما تعني نوعاً من الطير أو نحر ذلك.

وقد نبغ من بين سلاطين غرناطة أدباء وشعراء كبار، فابن الخطيب يمتدح محمداً الفقيه لحذقه في نظم الشعر، وتشجيعه للعلم والعلماء من الأطباء والمنجمين والحكماء، والكتاب والشعراء^(١). ويذكر أن محمداً الثالث كان «يقرض الشعر، ويصغى إليه، ويشيب عليه، فيجيز الشعراء، ويرضخ للندماء، ويعرف مقادير العلماء»^(٢). أما أبو الجيوش نصر فكان محباً للعلم وأهله، عالماً في الفلك يصنع الآلات العجيبة بنفسه^(٣). كما كان محمد الرابع «يحب الأدب ويرتاح إلى الشعر»^(٤). ويذكر ابن خلدون أن محمداً الخامس كان حامياً للعلوم والآداب^(٥). كذلك قام السلطان يوسف الثالث حفيد الغنى بالله بوضع ديوان من الشعر يتناول قصائد في الغزل والنسيب والوصف والحماسة والفخر والمدح والثناء^(٦).

وكان سلاطين بني نصر كذلك مشجعين للآداب والشعراء فيعقدون المجالس العملية^(٧)، ويقصدهم الشعراء في الأعياد والمناسبات الأخرى فيمنحونهم الهبات والصلوات، ويقدمون اليهم وإلى كبار موظفي البلاط هدايا من زهور وفاكهة وكتب ومسابس^(٨). يروي ابن زمرك كيف أن السلطان محمد الخامس أهدى إليه عباءة صنهاجية من لون أحمر مزينة بزخارف من الطير^(٩)، كما يذكر ابن خلدون كيف أنه تلقى خلعة من السلطان الغرناطي عند وصوله إلى غرناطة^(١٠). وبالمثل يروي الرحالة

(١) ابن الخطيب: الأحاظ (الاسكوريال) لوحة ١٠٧، اللوحة ص ٣٨. وانظر نماذج من أشعاره في: صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، ص ٢٠٧.

(٢) ابن الخطيب: اللوحة ص ٤٨ - ٤٩، الأحاظ (عنان) ج ١ ص ٥٥٣، ابن حجر العسقلاني: الدرر السمر الرابع ص ٢٣٤ ترجمة رقم ٦١٤.

(٣) ابن الخطيب: اللوحة ص ٥٧، الأحاظ (الاسكوريال) لوحة ١٩٩ - ٢٠٠.

(٤) ابن الخطيب: اللوحة ص ٧٧.

(٥) ابن خلدون: التعريف ص ٩٢.

(٦) هذا وقد نشر هذا الديوان بتحقيق عبد الله كنون (تطوان ١٩٥٨) كما قام المحقق بعرض سريع لمحتويات الديوان في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمريد. العدد الأول من السنة الأولى من ٣٣ - ٣٩.

(٧) ابن الخطيب: الأحاظ (عنان) اللوحة ص ٣٥٣.

(٨) المقرئ: تلح الطيب ج ١٠ ص ٨٣، ٨٤، ٨٥، النهاية: نزهة البصائر في Muller p 122 وكذلك E. García Gómez: Cinco Poetas Musulmanes p 220

(٩) المقرئ: أزهار الرياض ج ٢ ص ١٤١ - ١٤٢.

(١٠) ابن خلدون: التعريف ص ٨٤.

الطنجي ابن بطوطة أنه حين وصوله إلى مدينة غرناطة تلقى هدية من والدته السلطان أبى الحجاج يوسف لأن السلطان كان مريضاً^(١). كذلك فانه لما زار الاديب المصرى عبد الباسط غرناطة فى ٢٩ جمادى الاولى ٨٧٠ هـ / يناير ١٤٦٦، قام السلطان أبو الحسن بمنحه بعض الهدايا^(٢).

هذا، وكان لبعض سلاطين غرناطة المام باللغات الاجنبية، مثال ذلك السلطان اسماعيل بن يوسف الذى كان «عريقة الفاظه فى العجمة»^(٣).

ولقد بلغ من اهتمام السلاطين بالادب انهم اقاموا خزانة للكتب السلطانية، فيروى ابن الخطيب ان محمد بن أحمد بن فرج بن شقرال اللخمى قلد نظر خزانة الكتب السلطانية^(٤).

على اننا نلاحظ انهماك بعض سلاطين بنى الاحمر وخاصة فى فترات الضعف، فى حياة اللهو والترف، فابن الخطيب يهجو السلطان محمد بن اسماعيل ويصفه بانه «كان رئيس السراق وعريف الخراب، وأمام الشر، نذر يوما فى نفسه، وقد رفعت إليه امرأة من البدو تدعى انها سرقت دارها، قال : ان كان ليلا بعدما سد باب الحمراء على وعلى ناسى، فهى والله كاذبة، إذ لم يبق سارق فى الدنيا، أو فى البلاد»^(٥). بل ويذكر اخلاق هذا السلطان المنحلة ويصفه بأنه كان «كلفا بالاجداث»^(٦) كما أنه يتهم السلطان ابا سعيد البرمىخو بتعطى المخدرات^(٧). كذلك نجد أن المؤلف المجهول لكتاب نبذة العصر، ينتقد اخلاق السلطان أبى الحسن (عزل فى ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢م) المنحلة وميله إلى اللهو، وانشغاله بلذاته وانهماكه فى الشهوات^(٨).

(١) ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٧٠ .

(٢) انظر :

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٤٠٦ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٨٩ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٣٥ .

(٦) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ٥٣١ .

(٧) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ١٨٣ .

(٨) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ٧ .

الأوضاع المالية للسلطان

كان للسلطان أراضيه الخاصة التى يطلق عليها اسم «المستخلص»^(١). ويصف لنا ابن الخطيب أراضى المستخلص السلطانى التى كانت تحيط بأسوار غرناطة أنها كانت تزخر بالزراعة والدور وأبراج الحمام والدواجن^(٢). بالإضافة إلى المنيات والحدائق والضياع والطواحين والقصور فى المستخلص السلطانى فى شلوبيانية حيث كانت هناك «للسلطان قصور نبهية ويساتين عظيمة»^(٣)، وفى متريل^(٤)، وكان يوضع على المستخلص السلطانى واليا لمباشرة أموره^(٥).

ولمجد فى الوثائق الغرناطية الخاصة بالقرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ان بعض الأراضى السلطانية التى كانت تقع فى فحص غرناطة ومسجلة فى سجلات المملكة كانت تباع بواسطة وكلاء السلاطين أبى النصر سعد (مات فى المرية عام ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥) وأبى الحسن على (عزل عام ٨٨٧ / ١٤٨٢) وأبى عبد الله الأخير^(٦).

المقابر الملكية

كانت هناك مقبرة تقع خارج اسوار الحمراء فى اتجاه الجنوب الشرقى هى مقبرة السبيكة التى دفن فيها السلاطين محمد الأول والثالث وأبى الجيوش نصر^(٧). وقد دفن محمد الخامس وابنه يوسف الثانى وحفيده يوسف الثالث فى مقابر جنة

(١) ابن الخطيب (الاحاطة) (عنان) ج ١ ص ١٢٢ ، النهاى : المرقبة العليا ص ١١٤ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٣١ .

(٣) اللحة ص ١٩ .

(٤) ابن الخطيب : معيار الاختبار فى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٨١ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٤٣٧ .

(٦) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية: الوثائق رقم ١٤ ب ، ١٦ ب ، ٦٥ ب .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٠٢ ، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٦ ، اللحة ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٤ .

العريف^(١). وإلى الشرق من مسجد الحمراء كانت توجد داخل حدائق الحمراء مقبرة «الروضة»^(٢). التي دفن فيها السلاطين محمد الثاني^(٣)، وإسماعيل الأول^(٤)، ويوسف الأول^(٥)، ومولاي سعد وابنه أبي الحسن^(٦).
وقد قام السلطان أبو عبد الله الأخير يرفع وفات اجداده وآبائه إلى امارته في البشرات بعد سقوط غرناطة في يد الملكين الكاثوليكين، وأقام لهم مقبرة على سفح جبل مندوجر Mondujar^(٧).

(١) انظر: M. Gómez Moreno : El Cementario Real de los Nazariés en Mondujar (Al-Andalus 1942 , Vol VII, Fasc 2 pp 269 -281 .

(٢) عن الروضة انظر: Leopoldo Torres Balbás : Paseos por la Alhambra La Rawda (Archi-vo Espanol de Arte y Arquología 1929, p 261 - 285 & E. Lévi Provencal : In-scriptions arabes d'Espagne, t. I (Paris 1931) pp 144 - 145 .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٧٤ .

Müller pp 131 - 132

(٤) النباهي : نزهة البصائر والابصار في :

Müller p 134

(٥) النباهي : فلس المصدر في :

Gómez Moreno : Op. Cit

(٦) انظر :

M. Gómez Moreno : IBID

(٧) انظر :

الوزير

يتحدث ابن الخطيب عن أهمية الوزير فيقول ان " الملك طيب والرعية مرضى والوزير تعرض عليه شكاياتهم عرضا ، والنجاح مرتبط بسداد عقله وصحة قلبه (١) " .

كانت الوزارة في مملكة غرناطة ، هي الخطة الحكومية العليا ، بعد السلطان ، وكان الوزير غالبا ما يلقب بالقاب تدل على قوة نفوذه وسلطانه . مثال ذلك الوزير ابر النعيم رضوان الذي اتخذ لقب " الحاجب " في عهد السلاطين محمد الرابع يوسف الاول ومحمد الخامس (اواسط القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي^(٢)) وهو لقب احيا به التسمية القديمة في عصر خلافة قرطبة ، حيث كان الحاجب وسيطا بين الخليفة والوزراء ، فهو الوزير الاول (٣) .

كذلك فقد عرف ابن الحكيم اللخمي بلقب " ذى الوزارتين " لجمعه بين الكتابة والوزارة (٤) . كما اطلق نفس اللقب على لسان الدين بن الخطيب (٥) ، ربما للدلالة على مركزه المرموق ، واختصاصاته الواسعة . ومنصب ذى الوزارتين منصب نديم عرف في الاندلس منذ عصر خلافة قرطبة حيث كان وزيرا ممتازا يتقاضى راتبين ، وكان يحل محل الحاجب في غيابه او عند شغور هذا المنصب (٦) . ويفهم من النصوص ان ابن الخطيب كان يتقاضى راتبين (٧) .

كما اطلق على بعض الوزراء القابا اخرى مثل الرئيس (٨) وعماد الدولة " ابن الحكيم " (٩) . هذا وقد بلغ بعض الوزراء مرتبة كبيرة واتخذ بعضهم سكنا له مجاوراً

(١) ابن الخطيب : ربحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال) رقم ١٨٥٢ ، لوحة ٢٤٨ - ٢٥٣ .

(٢) ابن الخطيب : اللوحة ص ٨١ ، ٩٠ ، ١٠٣ ، والاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٤ .

(٣) انظر : É. Lévi - Provençal : L'Espagne musulmane au Xme Siècle Institutions et Vie Sociale (paris 1932) p 63 y sig.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٩ - ٥٦ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٥ ، المقري نفح الطيب ج ٦ ص ٣١٠ .

E. Lévi - Provençal : Op. cit.

(٦) انظر :

Alhambra, en Cuadernos de la Alhambra, 3, 1967, pp 50-51.

(٧) ابن الخطيب : اللوحة ص ٩١ .

(٨) المقري : نفح الطيب ج ٩ ص ٣١٤ .

Müller p 121

(٩) النهاي : نزعة البصائر في :

لقصر الحمراء قاعدة الملك ومقر السلطان (١).

وكثيرا ما كان الوزير يجنح الى الاستبداد بسلطانه (٢) ، مما يضطر هذا الاخير الى التخلص منه اما عزلا أو باقامة وزير اخر ينازعه السلطة ، فعلى سبيل المثال نجد ان السلطان محمد الثالث (عزل عام ١٣٠٩/٧٠٨ م) قد قام بوضع ابى سلطان عزيز بن سلطان الدانى فى الوزارة الى جانب ابى عبد الله بن الحكيم الرندى (٣) . كذلك فان السلطان ابا الوليد اسماعيل (حكم بين ٧١٣ - ٧٢٥/١٣١٤ - ١٣٢٥) عندما وجد ان وزيره القائد ابو عبد الله محمد بن ابى الفتح الفهرى قد استبد بالامر اشرك معه فى الوزارة قائداً آخر من أعيان الحضرة وذوى النباهة ، هو ابو الحسن على بن مسعود بن على بن مسعود المحاربى الذى " جاذب رفيقه حبل الخطه ، ونازعه لباس الخطوة الى ان مات الفهرى " (٤) . كما ان السلطان محمد بن اسماعيل (اغتيل عام ١٣٣٣/٧٣٣) زاحم وزيره ابا النعيم رضوان بمحلوك يدعى عصام " لما التاث امره لديه " (٥) .

وقد جرت العادة انه لم يكن لدى سلاطين بنى نصر اكثر من وزير فى منصب الوزارة ، وان كنا نلاحظ بعض الاستثناءات ، مثال ذلك محمد الاول (حكم من ٦٣٥-٦٧١ / ١٢٣٨ - ١٢٧٣) (٦) وابو الوليد اسماعيل الاول (٧) ، ومحمد الخامس فى الفترة الاولى من حكمه (٧٥٠ - ٧٦٠ هـ / ١٣٥٤ - ١٣٦٤) (٨) كان لديهم فى بعض سنوات حكمهم اكثر من وزير يقومون بانشطة مختلفة .

وفى بداية الدولة كان يختار لمنصب الوزارة اصناف من عليه القوم يتمتعون ببعض الموصفات مثل المقدرة السياسية والعلمية والأدبية ونبيل الاصل وعراقتة . فمثلا نجد ان محمد الاول قد استوزر ابا مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد حاكم جيان القديم الذى مكنته من ناصيتها (٩) . واما عبد الله محمد بن محمد بن الرميمى

(١) المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ٦٢ .

(٢) ابن خلدون : التعريف ص ٣٩ .

(٣) ابن الخطيب : اللعة ص ٥٠ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٨ ص ١٣ .

(٤) ابن الخطيب : اللعة ص ٦٦ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٣٨٨ .

(٥) ابن الخطيب : اللعة ص ٨١ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٣٢ .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٦٦ .

(٨) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ٣٩٠ .

(٩) ابن الخطيب : اللعة ص ٣٢ ، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٣ ، ابن سعيد : اختصار التدح المعلى ص ١٤٣ .

القائد العسكري الشهير (١) ، الذي كان والده من قبل واليا على المرية من قبل محمد بن يوسف بن هود الجذامي ، وبنو الرميبي بيت عريق ، يرجع أصلهم الى بنى امية ملوك الاندلس ، وينسبون الى قرية رميمة من اعمال قرطبة (٢) . كما استوزر على بن ابراهيم الشيباني ، وكان من " وجوه أهل غرناطة ، ازدي النسب فاضلاً متخصصاً " وابا يحيى بن الكاتب من " ارياب النعم " ، كذلك عين الغالب بالله في منصب الوزارة ابنه محمد بن محمد بن يوسف الذي كان " من اولى الدماثة والوقار " (٣) . واستوزر محمد الثاني الفقيه (حكم بين ٦٧١-٧٠١/١٢٧٣ - ١٣٠٢) ابا سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني وكان " بيته معدودا في بيوتات الاشراف من أهل صقع الشرق ، أخلق الناس " (٤) واختار ابو الجيوش نصر للوزارة القائد ابا عتيق بن محمد بن المول ، وبيت بني مول بقرطبة بيت اصالة (٥) . كما استوزر ابو الوليد اسماعيل بن فرج القائد ابا عبد الله ابن ابي الفتح نصير بن ابراهيم بن محمد بن نصير بن ابي الفتح الفهري " وبيت هؤلاء القواد شهير " (٦) . كذلك اتخذ السلطان ابو الحجاج يوسف الاول ، ابراهيم بن عبد البر " العريض المكسب الثمين العقار " وزيرا له (٧) . اما لسان الدين بن الخطيب الذي تولى الوزارة في عهد ابي الحجاج يوسف الاول وولده ، محمد الخامس ، فقد كان ينتمي الى بيت شهير عريق ويشير والده الى ذلك بقوله :

الطَّبِّ والشعر والكتابة سماتنا في بنى النجابة

هي ثلاث مبلغات مراتبا بعضها الحجابة (٨)

ولكن مع الوقت اسقطت هذه الموصفات ، ومن ثم اصبحنا نجد اشخاصا قد تولوا الوزارة ينحدرون من اصل ضيع ، نذكر منهم على سبيل المثال ابن زمرك الذي كان ابن حداد متواضع في البيازين (٩) .

(١) ابن الخطيب : اللعة ص ٣٢ ، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦٣ .

(٢) المراكشي : المعجب ص ٢١٠ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٢٨٦ ، المقرئ : نفع الطيب : ج ١ ص ٢٨١ .

(٣) ابن الخطيب : اللعة ص ٣٢ ، ٣٨ ، الاحاطة ج ٢ ص ٦٣ .

(٤) ابن الخطيب : اللعة ص ٣٩ واخلق الناس اي اجدرهم

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٥٧ ،

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٦٦ ، ١١٥ .

(٧) ابن الخطيب : اللعة ص ٩٠ .

(٨) المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ١٨٧ ، د. احمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٣٦ .

(٩) المقرئ : نفع الطيب : ج ٤ ص ٢٨٩ - ٢٩١ وكذلك :

E. García Gómez : cinco Poetas musulmanes p. 189

كذلك أصبح الاصل المسيحي لا يقف عقبة امام تولي الوزارة ، مثال ذلك ابر النعيم رضوان بن عبد الله بنيغاش (١) الذي ينحدر من اصل مسيحي قد تولي الوزارة في عصر محمد الرابع وابي الحجاج يوسف الاول ومحمد الخامس (٢). كما تولي ابو السرور مفرج الوزارة ليوسف الثالث (٣) كذلك تولي دون بدرو بنيغاش Don Pedro Venegas منصب الوزارة في عهد يوسف الرابع بن المول (٤) .

كذلك نجد بين وزراء غرناطة صنفا من الماليك مثال ذلك عصام وزير السلطان محمد بن اسماعيل (٥) ، والوزير خالد الذي كان في الاصل مملوكا لمحمد الخامس ثم أصبح وزيرا لولده ابي الحجاج يوسف الثاني عام ٧٩٣ هـ ١٣٩١ م ، فاستبد بالأمر وقتل اخوة السلطان يوسف الثلاثة ثم حاول اغتيال السلطان نفسه بالسسم بالتفاهم مع طبيب القصر اليهودي يعنى بن الصائغ ، فأمر السلطان بقتله بين يديه عام ٧٩٤ هـ ، كما زج بالطبيب في السجن ثم قتله بعد ذلك (٦) . كما اتخذ محمد الخامس وزيرا من قواده هو قائد البحر ابو الحسن على بن يوسف بن كماشنة

(١) ولد في قلصارة Kolséràh ، وكانت عائلة والده من قشتالة ، وعائلة امه من برشلونة . وعندما كان رضوان شابا قتل رجلا وهرب الى قلصارة حيث اسر وبيع الى السلطان اسماعيل الاول . وفي عصر هذا السلطان وفي عصر خلفائه محمد الرابع ويوسف الاول ومحمد الخامس وصل رضوان الى مرتبة قيادة الجيوش ، وكذلك الحاجب أو الوزير الاول الذي كان يجمع في يده بكل خيوط السلطة في الدولة : انظر : ابن الخطيب (الاحاط) (عنان) : ج ١ ص ١٥٥ وكذلك Luis Seco de Lucena : Paredes : El Ha'yib Ridwan, La madraza de Granada y las murallas del Albayzín en la rev. Al Andalus Vol XXI (1956) pp. 285 - 296.

(٢) ابن الخطيب : اللوحة ص ٨١ ، ٩٠ ، ١٠٣ .

(٣) انظر :

É. Lévi Provencal : Inscriptions arabes d'Espagne pp. 173-177 . & Luis Seco de Lucena : Nuevas noticias sobre los Muffarig, en Etudes d'Orientalisme dédiées a la memoire de Lévi Provencal pp. 300 - 301 .

(٤) انظر :

A. Ballesterosy Beretta : Historia de Espana y su influencia en la Historia universal, t. III, p. 143. & E. lafuente Alcántara : Inscripciones árabes de granada p. 43 & M. Lafuente Alcántara : Historia de Granada t III p. 224 - 228 y 254 - 246.

(٥) ابن الخطيب : اللوحة (عنان) ج ١ ص ١٤٥ ، اللوحة ص ٨١ ، نفاضة الجراب ص ٣٦١ متن وحاشية ٢ ، الاحاطة (مخطوط المكتبة الوطنية بمadrid) لوحة ٥٧٠ - ٥٧٢ .

(٦) السلاوي : الاستقصا ج ٤ ص ٨١ ، د. أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والاندرلس ص ٢٣٣ .

خلال العمليات الحربية التى خاضها لاسترداد عرشه فى غرناطة ، وكان هذا الوزير ، من عتاق خدامه وخدام ابيه علي حدقول ابن الخطيب ولم يبق هذا الوزير بجانب سلطانه ايام محنته ، اذ انه حينما ارسله محمد الخامس من رندة الى فاس لاستطلاع بعض الأمور ، لم يعد ثانية اليه ، حتى اذا ما استرد السلطان عرشه ، هرع اليه ابن كماشة طامعا فى العودة الى وزارته ، ولكن السلطان خيب مسعاه ورده خاسرا (١) ونلاحظ أنه فى نهاية الدولة لم يكن لقب وزير يستلزم فى ذلك الوقت ان يكون حامله وزيرا من وزراء مملكة غرناطة ، مثال ذلك ماورد فى بعض الوثائق مثل " وزير فنيانة (٢) " .

وكانت مدة بقاء الوزير فى منصبه مرهونه برضاء سيده . ولم يكن تغيير الملك يتطلب بالضرورة تغيير الوزارة طالما انه لم يعزل عن العرش . وبناء عليه ، فقد ابقى السلطان ابو عبد الله محمد الثالث وزير والده ابا سلطان عزيز بن على بن عبد المنعم الدانى فى منصبه (٣) . كما وزر للسلطان محمد بن اسماعيل وزير ابيه ابا الحسن بن مسعود (٤) . وكذلك فعل السلطان محمد الخامس مع وزير والده لسان الدين بن الخطيب (٥) .

وفهم من النصوص ان الوزراء الغرناطين كانت تجمعهم مع ملوكهم علاقات قوية ، حيث كانوا يبقون معظم اليوم فى القصر ، مرافقين للملك . ويحدثنا ابن الخطيب انه كان يشارك الملك فى الطعام ، ويصحبه الى الاجتماعات (٦) . وانه خلط بنيه بندمائه واهل خلوته (٧) ، و " ورمى الى بدنياه ، وحكمنى فيما ملكت يداه ، وغلبنى على امره لهذا العهد (٨) . ويحدثنا ابن زمرك عن علاقته بالسلطان فيقول " خدمته سبعا وثلاثين سنة : ثلاثا بالمغرب ، وباقيها بالاندلس ، انشدته

- (١) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٥ - ١٧ ، د. أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٢٣٩ .
- (٢) لويس سيكودى لوثينا : الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية - صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية مدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠ . المجلدان ٧ - ٨ ص ٨٥ - ١٠٨ .
- (٣) ابن الخطيب : اللوحة ص ٣٩ ، ٥٠ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٥٦ .
- (٤) ابن الخطيب : اللوحة ص ٨١ .
- (٥) المقرئ : نفع الطيب ج ٦ ص ١٦٢ .
- (٦) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٠٣ .
- (٧) المقرئ : المصدر السابق ج ٧ ص ٢٩ .
- (٨) ابن الخطيب : الاحاطة ج ٢ ص ١٧ .

بها ستا وستين قصيدة ، فى ست وستين عيداً وكنت اواكله ، وأواكل ابنه
ولاي ابا الحجاج "....." (١) .

وبعد ان استقرت الاحوال فى مملكة غرناطة واستتب الامور ، تجمع بها عدد
من الاسر ذلت الاصل العريق ، سواء اكانت اصلا من ابنائها ام كانت من المهاجرين
اليها من المدن والقلاع التى كانت تسقط فى ايدي المسيحيين . ولقد كانت هذه
الاسر تمثل مركز ثقل له وزنه فى الحياة السياسية فى غرناطة ، ونظر هؤلاء الى
الوزير نظرة كلها حسد وازدراء ، ولا سيما اذا كان لا ينتمى الى طبقتهم
الارستقراطية ، فكانوا يحاولون تدبير الدسائس والمكائد التى تهدف الى احلال آخر
محله يرضى اهوائهم (٢) .

ولقد راح كثير من الوزراء ضحية هذه الدسائس والمؤامرات تذكر منهم القائد
ابا بكر عتيق بن محمد بن المول ، الذى كان يتزعم حركة عزل محمد الثالث وتعيين
ابى الجيوش نصر خلفا له ، وعلى الرغم من عراقه اصله وصلة النسب التى كانت
تربط اسرته بالاسرة الحاكمة تعرض للدسائس " وتغلب اهل الدولة عليه " وأجبر على
المسير الى المغرب (٣) . كذلك ابراهيم بن عبد البر وزير يوسف الاول الذى " أنف
الخاصة والنبهاء رياسته فطلبوا من السلطان اعاضته ، فعدل عنه الى خاصة دولتهم
الحاجب ابي النعيم (٤) " . ويذهب ابن خلدون الى ان فرار لسان الدين بن الخطيب
من غرناطة الى الدولة المرينية عام ٧٧٣/١٣٧١ كان نتيجة لشعوره بالخوف من
سلطانه محمد الخامس الغنى بالله " بما كان له من الاستبداد عليه " اى على
السلطان " وكثرة السعاية من البطانة فيه " (٥) .

كذلك نجد انه كثيرا ما كان يدور نزاع وتخاصم عنيف بين وزراء غرناطة

(١) انظر : B. García Gómez : Op. cit. p. 210 - 211 .

(٢) انظر : José María Casiano : El Visirato en el reino .

Nazari de Granada (Madrid 1947) p. 15.

(٣) ابن الخطيب : اللحة ص ٥٧ - ٨٥ .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٩٠ .

(٥) ابن خلدون : التعريف ص ١٣٩ .

وشيوخ الغزاة المغاربة (١) . ومع ان اختصاصات هؤلاء كانت عسكرية خالصة . الا انهم اخذوا يتدخلون فى شئون كانت من اختصاص الوزير مباشرة ، وكان السلطان نتيجة لحاجته الى مساعدة شيوخ الغزاة - كثيرا ما يحقق مطالبهم - وبذلك ينجم الصراع بينهم وبين الوزراء ، مما كان له اثر كبير فى اضعاف مملكة غرناطة فى النهاية .

والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها هذا الصراع الذى قام بين شيخ الغزاة عثمان بن ابي العلا والوزير محمد بن المحروق والذى انتهت حياته بأمر السلطان محمد الرابع فى محرم عام ٧٢٩ هـ (٢) . وذلك ان عثمان انتهز فرصة صغر سن السلطان واغتصب جزءا من اختصاصات الوزير وأخذ يوجه ايراد الدولة فى الانفاق والتقرب الى الجنود كما شاء . وحاول الوزير ابن المحروق ان يمنعه بكل ما أوتى من قوة ، ويحث عن فارس مرينى آخر يستطيع به مواجهة عثمان . ووقع اختياره على يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، وطلب من السلطان محمد الرابع ان يعينه شيخا للغزاة . امام هذا قرر عثمان الرحيل الى المغرب مع ابنائه واقاربه وجزءا من الفرسان المغاربة ، وفى اثناء توجههم الى المرية مروا بعذرة ، حيث خرج المستولون بها واحسنوا استقبالهم ، فاستولى عثمان على المدينة ، ثم تبع هذا بسلسلة من الغارات على اراضى غرناطة . واراد السلطان محمد الرابع على الرغم من حداثة سنه ان يضع نهاية لهذا الموقف فأمر بقتل ابن المحروق ، واعاد عثمان بن ابي العلا الى سابق وضعه ، فظل يمارس سلطاته حتى وفاته سنة ٧٣٠ هـ (٣) .

لدينا مثال اخر على صراع وقع بين الوزير لسان الدين بن الخطيب وشيخ الغزاة ابي زكريا يحيى بن عمر بن رحو فى الفترة الثانية من حكم محمد الخامس . وكان الاخير قد قام بمساعدة محمد الخامس حتى تمكن من استرداد عرشه فى جمادى

(١) سنتحدث عنهم تفصيلا فى الحياة الحربية فى مملكة غرناطة .

(٢) ابن الخطيب ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٤٠ ، اللوحة ص ٨٠ - ٨١ ، اعمال الاعلام ص ٢٩٦ وابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٢٧٣ ، ٤٦١ ، ابن حجر العسقلاني : الدور الكامنة السفر الثانى ص ٤٣٧ ترجمة ٢٥٧٠ .

(٣) ابن الخطيب : اللوحة ص ٨٠ - ٨١ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٣٥٢ ، اعمال الاعلام ص ٢٩٧ . وابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٢٧٠ - ٢٧٣ ، ج ٧ ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

الثانية عام ٧٦٣ / مارس - ابريل ١٣٦٢ ، ودخل الحمراء منتصرا ، واستأنف حكمه مرة أخرى (١) . وحفظ محمد الخامس ليحيى هذا الامر ، فلما عاد ابن الخطيب من المغرب حيث كان منفيا اليه مع سيده ، واسترد سلطاته القديمة ، نظر بعين الغضب الى ثقة السلطان في هذا الشيخ المرنى ، وتوجس منه خوفا ، " واخذ في التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته في رمضان سنة ٧٦٤ وادعهم المطبق ثم غريهم بعد ذلك " . وكان النصر حليف ابن الخطيب في هذه المؤامرة التي اراد بها هدفين : اولهما ان يتخلص من منافسه شيخ الغزاة ، وثانيهما ان يكتسب ثقة سلطانه (٢) .

اختصاصات الوزير

أولا : اختصاصات سياسية وادارية :

كان الوزير يتلقى اوامر السلطان ويعمل على تنفيذها ، ويقف بين يديه في المجالس العامة وايصال الرقاع (٣) ، ويقوم بتوزيع الاعمال بين مختلف الموظفين كل حسب اختصاصاته ويتابع تنفيذها (٤) ، ويكلف بالاشراف على ديوان الرسائل فيقوم بتحرير الرسائل الرسمية (٥) وصياغة الظواهر (٦) الملكية لتعيين كبار الموظفين والولاة والقضاة (٧) ، أو للاعفاء من الضرائب (٨) ، وكان الوزراء

(١) راجع تفاصيل هذا الموضوع في :

د . احمد مختار العبادي : فترة مضطربة في تاريخ غرناطة . صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بطنجة عام ١٩٥٩ .

(٢) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ص ٤٨٧ - ٤٨٨ ، ج ٧ ص ٣٣٤ .

(٣) ابن الخطيب : اللمعة ص ٩٠ ، ١٠٣ .

(٤) ابن الخطيب : نفس المصدر ص ١٠٣ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٢ .

(٦) الظواهر جمع ظهير ويقصد به ما كان يصدره حكام الاندلس من مراسيم وصكوك . وسمى " ظهيرا " بما يقع به من المعاونة لمن كتب له " التلقشتدي : صبح الاعشى ج ١٠ ص ٢٩٩ .

(٧) انظر على سبيل المثال الظهير الذي كتبه لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانه بشأن تولي النباهي القضاء (نفع الطيب ج ٧ ص ٥٩ - ٦٢) .

(٨) انظر الاحاطة : (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٤٠ - ٤١ حيث ورد نص ظهير اصدره محمد الاول بشأن اعفاء ابن مهيب اللخمي احد رجال المرية النابهين وزوجه من الضرائب في شوال ٦٣٥ / يونيو ١٢٣٨ وانظر كذلك : J. Vallvé

Bermajo : Un Privilegio granadino del

siglo XIII (Al Andalus Vol . XXIX (1964) fasc pp. 233 - 242.

يجدون فى ذلك مجالا لالعرض براعتهم النثرية والشعرية (١) . كذلك كان الوزير ينوب عن السلطان عند سفره أو مرضه (٢) . ويكلف فى بعض الاحيان بالتفاوض مع الدول الاجنبية ، مثال ذلك عندما كلف ابو الجيوش نصر بعد تولية مقاليد الامور ، وزير ابيه سلطان بن عزيز الدانى ووزيره ابا عبد الله بن الحكيم بالسفارة الى سلطان المغرب لتقوية عرى الروابط بين الدولتين (٣) ، وكما حدث عندما كلف ابو الحجاج يوسف الاول ، ابن الخطيب ان يتوجه بسفارة الى السلطان المرينى ابي عنان عام ٧٥٥ / ١٣٥٤ ليقدم اليه عزاء ملك غرناطة فى وفاة والده ابي الحسن المرينى ، ويطلب استمرار العلاقات الودية بين فاس وغرناطة ، حيث رحب به السلطان المرينى ، وهناك القى قصيدة امامه كان لها فى نفسه وقع حسن فقضى له كل ما حضر من أجله (٤) . كذلك يذكر ابن زمرك ان محمد الخامس فوضه فى اقامة السلام مع الملوك على كلا شاطئ المضيق حيث وفق الى عقد الصلح مع المسيحيين تسع مرات (٥) . كما عبر الى فاس للتهنئة (٦) . كذلك فقد حمل القائد على الامين وزير يوسف الثالث اولاده وظائف رسل غرناطة الى البلاط القشتالى (٧) . وفى عهد محمد التاسع يقابلنا وزير باسم ابراهيم بن عبد البر استطاع ان يتفاوض

(١) انظر على سبيل المثال الرسائل التى تزر بها مخطوطة ربحانة الكتاب (الاسكوريال رقم ١٨٢٥) وكذلك : M. Gaspar Remiro : Correspondencia diplomatica entre granada y Fez (Siglo XIV) Granada 1916, Maxmiliano A. Alarcon y Ramón Gascía de linares : Los Documentos árabes diplomaticos del Archivo de Aragón (Madrid - Granada 1940) .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٤ . هذا وفى رسالة بعث بها ابن الخطيب الى صديقه ابن خلدون يقول له فيها : " امليتنى لى هذه الالام التى اقيم بها رسم النيابة عن السلطان فى سفره الى الجهاد " . ابن خلدون : التعريف ص ١٢٩ ، المعبر ج ٧ ص ٤٣٠ .

(٣) ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٢٢٨ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٥ - ٧ ، اعمال الاعلام ص : ٣٠٥ ، ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٣٣٣ .

المقرى : ازهار الرياض ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٥) انظر ابن الاحمر : نشير فرائد الجمان ص ٣٢٧ - ٣٢٩ ، المقرى : ازهار الرياض ج ٢ ص ١٧ ونفع ج ١٠ ص ٢٧ وكذلك . E. Gómez Moreno : Op. cit. p. 211 .

(٦) ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٤٤٤ ، التعريف ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٧) انظر : Luis Seco de Lucena Paredes : Alamines y Venegas, cortesanos de los Nas- ríes p. 128

بنجاح مع قشتالة فى عهد خايمى الثانى عام ١٤٣٩/٨٤٢ (١).

وكان الوزير يستقبل السفراء ، فيروى ابن الخطيب انه قد استقبل فى منزله الحكيم اليهودى الطبيب ابن زرزر الذى وصل الى غرناطة لقضاء بعض المهام (٢) . كما كانت بعض مجالس الوزراء ملتقى على القوم فنجد ان الطبيب ابن زرزر هذا قد التقى بقاضى غرناطة وغيره من كبار رجال الدولة فى منزل ابن الخطيب (٣) . هذا ويفهم من النصوص انه كان هناك نائب للوزير يحضر الى مجلس السلطان فى حالة غيابه (٤) .

ومن بين المهام التى كان يعهد بها الى الوزير كذلك مهمة تعيين الولاة والعمال (٥) كذلك كان للوزراء اشراف على الشئون المالية واختصاص بمعرفتها . مثال ذلك الوزير محمد بن احمد بن المحروق ، الذى كان وكيلا للسلطان محمد الرابع (٦) . كذلك الوزير لسان الدين بن الخطيب الذى داخله السلطان ابو الحجاج يوسف الاول فى تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها اموالا (٧) . ثم عهد اليه ولده محمد الخامس بالاشراف على بيت ماله ، والعمل على صيانة الجباية وتشميرها (٨) . بل انه كان يؤخذ على ابن زمرك ، الذى خلف ابن الخطيب فى منصبه ، كما يقول احد معاصريه " قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية ، وعدم اضطلاع بالامور الجبائية ، واتهامه للمشتغلين - على غير اساس - بأنهم احتججوا

(١) انظر : Luis Seco de Lucena Paredes : Cotesanos nasries del siglo XV p. 21.

(٢) المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ٦٢ .

(٣) المقرئ : نفسه ج ١ ص ٦٢ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٥٤ - ١٥٥ ، ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الثالث ترجمة ٩٦٧ ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٥) ابن الخطيب : اللوحة ص ٩٠ ، المقرئ : ازهار ج ١ ص ٢٠٥ .

(٦) ابن الخطيب : اللوحة ص ٨٠ ، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٩٦ ويذكر ابن خلدون ان الوكيل كان هو الشخص المختص بالحسابات وسائر الامور المالية فى الدولة (المقدمة ص ٢٤٢) .

(٧) المقرئ : نفع الطيب : ج ٧ ص ٢٦ ، راجع كذلك : د. احمد مختار المهادى : النزعات الاقتصادية فى حياة لسان الدين بن الخطيب . مجلة كلية الاداب / جامعة الاسكندرية سنة ١٩٥٨ .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٧ - ١٨ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٧ ص ٥ - ٧ .

الاموال ، واساؤا الاعمال (١) . كل هذا يدل على ان اشراف الوزراء على النواحي المالية والمأمهم بمعرفتها كان يلعب دورا مهما فى نجاح مهمتهم (٢) .

وكان على الوزير ان يوجه السياسة الغرناطية بما يتفق ومصالح مملكته ، فلا يلتزم بالوقوف الى جانب واحدة من الدول المجاورة لها سواء أكانت مسلمة أو مسيحية . وذلك لان مملكة غرناطة حرصا منها على سلامة مصالحها ، كانت سياستها تتبدل وتتغير فى حرص وحذر حسب الظروف الخارجية المحيطة بها : فتارة تتقرب من قشتالة ضد المغرب ، وتارة اخرى تتقرب من المغرب ضد قشتالة أو اراجون ، وتارة ثالثة تتقرب من ملوك اراجون ضد ملوك قشتالة أو العكس وهكذا (٣) . ولقد اشاد المؤرخون بالدبلوماسية الغرناطية ، ووصفوها بصفة تدل على المرونة والمهارة وهى : سياسة اللعب بالثلاث ورققات JuegodetresBa-

rajnas (٤) . لذا نرى ان عددا من سلاطين غرناطة ووزرائها قد راحوا ضحية قمارهم فى التزام جانب سياسى واحد دون تقدير العواقب المترتبة على تجاهلهم للجوانب الاخرى . مثال ذلك الوزير محمد بن على المعروف بابن الحاج المهندس (ت بفاس سنة ١٣١٤/٧١٤) الذى كان مداخله لملوك قشتالة ، عالما بلغتهم وسيرهم واخبارهم ومهتما بشأنهم ، ولهذا نهج سياسة موالية لهم ، وكان يتشبه بهم فى الاكل والحديث ، وكثير من الاحوال والهيئات ، وانحرف فى ذلك انحرافا لم يقبله اهل غرناطة ، فثاروا ضده واتهموه بتحريض ملك قشتالة على الاستيلاء على حصن القبذاق Alcuadete ومساعدته على قتلهم ، وكادوا بفتكون به لولا ان السلطان ابا الجيوش امر بعزله فى الحال (٥) .

كذلك وقع ابن الخطيب فى نفس هذا الخطأ حينما دفعته سياسته المغربية الى

(١) المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ١٩ .

(٢) د . أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاتدلس ص ٢٣٦ .

(٣) د . أحمد مختار العبادى : نفس المرجع ص ٢٤٣ .

(٤) انظر : Sanchez Albornoz : La Espana Musulmana, 11, pp. 392 - 399 .

(٥) التباهى : نزهة البصائر فى : Muller p. 124 - 125 ، ابن الخطيب : اللحة ص ٥٨ ، الاحاطة (عنان) ج ٢ ص ١٣٩ - ١٤٢ .

رسم سياسة موحدة للمغرب والاندلس دون ان يعمل حسابا للقوى السياسية الاخرى، بل انه لم يلبث ان تقادى فى سياسته الى اقصى حدودها خطورة عندما فر الى المغرب واخذ يحرض السلطان عبد العزيز على غزو غرناطة ، وكانت النتيجة ان تم القبض على ابن الخطيب وقتله وحرقه ومصادره امواله فى عام ٧٧٦ / ١٣٧٤ (١) .

ثانيا : الاختصاصات العسكرية :

كان الملك الغرناطى يعهد فى بعض الاحيان الى وزيره بقيادة الجيوش ، من ذلك ما حدث فى عهد محمد الثانى الذى كلف وزيره ابا سلطان الدانى بقيادة الحملة العسكرية التى انتهت بالاستيلاء على مالقة (٢) وفى عهد يوسف الاول كلف الحاجب رضوان بقيادة الجيوش (٣) ، حيث قام بغزو مدينة باغة " واخذ بمخنتقها حتى تملكها عنوة ، وعمرها بالحماة ورتبها بالمراطة " ، كما غزا اقليم لورقة ومرسية فى محرم ٧٢٤ / اكتوبر ١٣٣١ ، وقام بالهجوم على حصن المدور Almdóvar المنيع فى ١٥ محرم ٧٢٢ / ١٩ اكتوبر ١٣٣١ ، وعاد الى غرناطة محملا بالغنائم وما يقرب من ١٥,٠٠٠ اسيرا (٤) .

الكاتب

كانت وظيفة الكاتب من الوظائف المرموقة فى مملكة غرناطة النصرية . . وقد مارس خطة الكتابة فى ديوان الانشاء العديد من اهل العلم والفضل والادب ، اذ كانت تستلزم الكتابة فى هذا الديوان " العلم بكل نوع من انواع الكتابة والاشتمال على البيان الدال على لطائف المعانى التى هى زبد الافكار . وجواهر الالفاظ ، التى

(١) راجع التفاصيل فى : د. العبادى : سياسة ابن الخطيب المغربية - مجلة البهنة ، مايو ١٩٦٢ .

(٢) ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ١٩٨ .

(٣) ابن الخطيب : اللوحة ص ٩٠ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٧ وكذلك :

Luis Seco de Lucena : El Hayib Ridwan y las Murallas del Albayzin.

Al Andalus vol. XXI (1956) fase 2 pp 285 - 296 .

هى حلية الالسنه . وزيادة العلم ، وغزارة الفضيلة ، وذكاء القريحة ، وجودة الروية" (١) .

وكانت هذه الخطة تسمى " الكتابة العليا " (٢) . وقد شرح ذلك ابن سعيد بقوله : " واما الكتابة فهى على ضربين : اعلاهما ، وله حظ فى القلوب والعيون عند أهل الاندلس ، وأشرف سماته الكاتب ، وبهذه السمة يخصه من يعظمه فى رسالة ، وأهل الاندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة ، لا يكادون يغفلون عن عشراته لحظة ، فان كان ناقصا عن درجات الكمال ، لم يتفقه جاهد ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن فى المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه والكاتب الآخر هو كاتب الزمام ، هكذا يعرفون كاتب الجهيزة " (٣) . ويشرح لنا ابن الخطيب مهمته عندما تولى الكتابة لمحمد الخامس بأنه كان :
" يقف على رأسه والامساك فى التهاني والمبايعة بيده ، والكتابة والانشاء والعروض والجواب والخلعة والمجالسة " (٤) .

ووظيفة الكتابة كانت موجودة منذ عهد السلطان محمد الاول الغالب بالله الذى اتخذ كتابه من بين الرجال الذين تتوافر فيهم شروط ومواصفات معينة ، مثل الكاتب المحدث ابو الحسن على بن محمد بن هيصم الرعينى ، الشهير بالنسب ، والكاتب ابو بكر بن ابي عمر اليحصبى اللوشى (٥) . وفى عهد محمد الثانى والثالث كان هناك العديد من الكتاب من عليه القوم (٦) . غير اننا نجد انه فى عهد ابي الجيوش نصر كان هناك كاتب واحد (٧) .

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ١ ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب : ج ٨ ص ٢٣٥ .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٢ . والجهيزة كلمة فارسية الاصل تعنى هنا الادارة المالية الخاصة بجباية الضرائب وجمع الخراج وتخصيله . وكاتب الجهيزة هو صاحب الزمام أو صاحب الاشغال الخراجية الذى كان بمثابة وزير المالية . المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، د. العبادى : دراسات ص ٢٣٤ . . Dozy : Suppl . 11 p. 226 , 701 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٥ .

(٥) ابن الخطيب : اللمعة ص ٣٣ ، الاحاطة (عنان) ج ص ٥٦٧ .

(٦) ابن الخطيب : اللمعة ص ٤٠ ، ٥١ ، الاحاطة (عنان) ج ص ٥٥٧ ، ٥٦٧ .

(٧) ابن الخطيب : اللمعة ص ٥٨ .

وفى بعض الاحيان كان اصحاب الكتابة العليا يرشحون للموزارة من هؤلاء ،
نذكر ابا عبد الله محمد بن الحكيم الرندى اللخمى ، الذى كان كاتباً للسلطان محمد
الفقيه (٦٧١ - ٧٠١ هـ) ثم صار وزيراً لولده محمد الثالث (المخلوع) (٧٠١ -
٧٠٨ هـ) مع احتفاظه برياسة القلم الاعلى (١) .
كذلك جمع ابن الجيان بين الوزارة والكتابة الى ان توفى عام ٧٤٩ هـ فى
عهد ابي الحاج يوسف الاول (٢) .

واحيانا كان الكاتب ينتقل الى وظيفة القضاء مثال ذلك القاضى ابو بكر
محمد بن احمد بن شبرين (ت ٧٤٧) (٣) . كما كلف بعض الكتاب بالسفارة الى
الملوك (٤) . ويبدو ان وظيفة الكاتب ظلت قائمة حتى نهاية الدولة النصرىة .
فالمقرى يشير الى الخطاب الذى حرره الكاتب ابو عبد الله بن محمد بن عبد الله
العربى العقيلى باسم السلطان ابي عبد الله الاخير الى وطاسى فاس (٥) .

وكان هناك كاتب يسمى " كاتب الدار السلطانية " (٦) او " كاتب السر " (٧) .
وقد شغل ابن الخطيب هذا المنصب على عهد السلطان يوسف الاول (٨) . كذلك كان
لولى العهد كاتب خاص (٩) . كما كان هناك كاتباً لشيخ الغزاة المغازية مثال ذلك
ابو الحسن على بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلى الغرناطى الذى " كتب
عن شيخ الغزاة ابي زكريا يحيى بن عمر على عهده ، ثم انصرف الى العدو سابع
عشر جمادى الاولى من عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة " (١٠) .

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٤٠ ، ٥٠ - ٥١ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) النباهى : المرتبة العليا ص ١٥٣ .

(٤) ابن الاحرر : نثر فرائد الجمان ص ٢٣٢ - ٢٣٤ .

(٥) المقرئ : نفع الطيب ج ٦ ص ٢٨١ - ٣٠٢ ، وانظر ترجمة حياة هذا الكاتب ص ٣٠٢ - ٣٠٧ .

(٦) ابن الجبر المسقلاتى : الدرر السمر الرابع ص ١٧٨ ترجمة رقم ٤٨٢ .

(٧) يصفها ابن الخطيب بانها اكبر اركان السياسة انظر : M. Gaspar Remiro : Correspondencia ano :
V. uúm 3 pp. 180 - 181 .

(٨) ابن الخطيب : للوحة ص ٩١ .

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٣٢ ، ابن الاحرر : نثر فرائد الجمان ص ٣٢٥ ج ١

(١٠) المقرئ : نفع الطيب ٨ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

وكان من " عاداتهم ان يكتب كتاب السلطان فى طومار كامل ، فان استوعب الكلام جميع الطومار كتب على حاشيته ، يكتب صاحب العلامة علامة السلطان فى آخره ، ويطوى طيا عريضا فى نحو ثلاث اصابع معترضة ، ثم يكسر ويطوى نصفين ، ويكتب العنوان باللقاب التى فى الصدر ، ويحزم بدسرة من الورق ، ثم يختم بختم السلطان على شمع احمر " (١) . وكان الورق الذى يكتبون عليه المراسلات من لون احمر (٢) .

وكان بالحمراء مكتب رسمى للترجمة الى اللغات الاوربية ولاسيما الاسبانية ففى معاهدة السلام التى عقدت بين محمد الخامس سلطان غرناطة ويدرور الرابع ملك اراجون فى ١٨ صفر ٢٩/٧٧٩ مايو ١٣٣٧ ورد نص يقول انها : كتب فى نسختين بالعربى والعجمى لتكون احدهما عندنا والاخرى عندكم (٣) .

كذلك نجد انه فى عام ١٤٧٢/٨٧٧ شغل احد ابناء اسرة الامين وظيفه رئيس مكتب الترجمة الملكى (٤) كذلك كان محمد بن محمد بن ابراهيم بن عيسى الحميرى (ت ٧٣٩ هـ) ترجمان السلطان للروم (٥) .

الدواوين فى مملكة غرناطة

ترجع كلمة ديوان الى اصل فارسى (٦) ، والديوان ضرورة من ضرورات الحكم وتنظيم شئون الدولة . وكان يوجد فى غرناطة عدد من الدواوين اهمها ديوان الانشاء (٧) ، وكان يتولى تحرير الرسائل السلطانية الى الملوك المسلمين والنصارى او الى العمال والولاة وتدوين الطهائر الملكية ، كما كان به ادارة للترجمة الى اللغات الاوربية لا سيما الاسبانية اى القطلانية والقشتالية (٨) .. وديوان الخرص ويختص فيما يبدو بحصر الأملاك وتقدير غلتها والضرائب عليها (٩) .

(١) القلقشندى : صبح جد ص ٣٩ . (٢) راجع الفصل الخاص بشارات الملك والقباه وعلاماته فى غرناطة .
(٣) انظر : د. احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاتدلس ص ٢٣٣ ح كذلك : Alarcón y Linares : Documentos Arabes diplomaticos p. 411 .
(٤) انظر : Luis Seco de Lucena : Alamines y Venegas Cortesanos de Los Nasries p. 132 .

(٥) ابن الحجر العسقلانى : الدرر السمر الرابع ص ١٥٥ ترجمة رقم ٤١٣ .
(٦) يذكر ابن خلدون ان كسرى نظر يوما الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على انفسهم كأنهم يحادثون فقال ديوانه اى مجانين بلغة الفرس وحذلت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقلل ديوان . (ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٣) .
(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٤٩ - ٥٦ ، المقرئ : أزهار الرياض ج ٢ ص ٣٤١ .. ابن حجر العسقلانى : الدرر السمر الثالث ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ترجمة رقم ٩٣٣ .
(٨) انظر : Alarcón y Linares : Op. cit. p. 411 .
(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٣٠ ، وخرص : أى حزم ما على النخل من الرطب قرا .

ومن بين الدواوين ايضا ديوان الجند او ديوان العطاء (١) ، وفى هذا الديوان كانت تثبت اسماء الجنود واوصافهم ومقدار ارزاقهم ، وتعداد عيالهم لكى يؤمن لهم معاشهم (٢) . كما يختص هذا الديوان كذلك بمعالجة الامور الخاصة بالناحية العسكرية (٣) .

كذلك كان هناك دواوين اخرى مثل ديوان العقد (٤) ، وديوان الحساب (٥) ، وديوان الاعمال (٦) . وان كانت المصادر لم تمدنا بتفصيلات عن اختصاصاتها .

القضاء فى مملكة غرناطة

كان لاهل الاندلس خصائص اقليمية تتعلق بتطبيق احكام الشرع والقضاء خصائص فرضتها ظروف الوقت والعادات الجارية فى هذه المدينة او تلك الناحية (٧) . وكانت خطة القضاء فى الاندلس من اعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بامور الدين (٨) .

ولم تكن اختصاصات القاضى الغرناطى تختلف عن اختصاصات زملائه من قضاء المسلمين فى مشرق العالم الاسلامى ومغربه ، فكان يقوم بالفصل فى المنازعات المتعلقة بالميراث والوصايا والحبوس (الأوقاف) ، والنزاع الخاص بالعقارات والمنقولات ، ويرعى مصالح الايتام ، ويعكم فى القضايا الخاصة بالطرقات والابنية وبياسر التعازير ، ويقيم الحدود فى الجرائم الثابتة شرعا ، كما كان للقاضى بعض الاختصاصات الدينية مثل اقامة الصلاة والخطبة فى مسجد

- (١) ابن الخطيب : الإحاطة (الاسكوريال لوحات ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٣٨ ، الإحاطة : (عنان) ج ١ ص ٣٥١ ، ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٢٦٤ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٨ ص ٣٦٥ .
- (٢) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٩٣ - ١٩٥ .
- احسان هندي : الحياة العسكرية عند العرب . دمشق ١٩٦٤ ص ١٨ .
- (٣) ابن الخطيب : الإحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٨٣ ، ٣١٤ - ٣١٥ ، ٣٣٨ .
- (٤) ابن الخطيب : الإحاطة (عنان) ج ١ ص ١٧١ ، العقد : البهع .
- (٥) ابن حجر العسقلاني : الدرر ، السلف الاول ص ٨٦ - ٨٩ ترجمة رقم ٢٣٣ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٨ ص ٣٦٤ .
- (٦) المقرئ : نفس المصدر ٢٢١ .
- (٧) لويس سيكودي لوثينا : الوثائق العربية الغرناطية وقهرتها التاريخية : صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمريد ، المجلدان ٨ - ٩ ، عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ص ٨٥ - ١٠٨ .
- (٨) المقرئ : نفع الطيب : ج ١ ص ٢٠٣ .

الحمراء او فى المسجد الجامع التى كان يعهد بها الى قاضى الجماعة (١) ، او فى مسجد المدينة ، وكذلك صلاة الاستسقاء وصلاة الجنائز عند وفاة احد الشخصيات ذات المنصب الرفيع (٢) .

وفى بعض الاحيان كان القاضى يكلف قاضيا ثانويا ببعض القضايا الاقل اهمية ويشير ابن سعيد الى ان اختصاص هذا القاضى الثانوى كان يقتصر على النزاع الذى كان يقع فى المدن الصغيرة . وكان يطلق عليه لقب " مسدد " ، بينما كان يطلق على القاضى لقب قاضى القضاء أو قاضى الجماعة (٣) .

ونظرا لوجود أهل الذمة بكثرة فى الاندلس فقد خصص لهم المسلمون قاضيا منهم يعرف باسم قاضى النصارى أو قاضى العجم (٤) . وانتقلت هذه الكلمة الى القشتالية فصارت Alcalde وخاصة فى مناطق الحدود بين غرناطة وقشتالة .

وكان القاضى يجلس لمباشرة مهامه فى أوقات معينة من كل أسبوع ما عدا أيام الجمع والاعياد والمناسبات الدينية ، وكذلك اذا كثر المطر والوحل ، واستثنى . فى هذه الايام ، الامور التى يخاف عليها الفوات وما لا يسعه الا تعجيل النظر فيه (٥) .

واذا ما وصلت الاطراف المتنازعة الى اتفاق قبل رفع الامر للقضاء لم يعد هناك مجال لعرض الامر على القاضى لاصدار حكم فى هذا الشأن (٦) . وكان هناك " الوكلاء " ويمكن ان تشبههم بالمحاميين اليوم ، وكانوا يتولون الدفاع عن موكلهم (٧) .

وعرف النظام القضائى فى الاندلس قاضيا يعرف " بصاحب الرد " كانت مهمته الحكم فيما يرد اليه من قضايا استراتيجا للحكام وردوها عن انفسهم (٨) .

(١) انظر على سبيل المثال : النهاى : المرقبة العليا ص ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٦٥ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٠٣ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٣ .

(٤) النهاى : المرقبة العليا : ص ٢١ ، د . حسين مؤنس : لجر الاندلس (القاهرة ١٩٥٩) ص ٤٤٩ ، ٤٦٢ .

(٥) ابن قرحون : تبصرة ج ١ ص ٢٧ .

(٦) لويس سيكودى لورينا : الوثائق العربية الغرناطية واهميتها التاريخية ص ٨٥ - ١٠٨ .

(٧) رسالة ابن عهون فى : ثلاثة رسائل اندلسية فى الحسبة والمحتسب تحقيق ليفى بروفنسال .

(٨) النهاى : المرقبة العليا ص ٥ .

وكان القضاء فى غرناطة يجرى على مذهب الامام مالك ، ولقد حرص هذا المذهب المالكى على ضرورة وجود بعض اهل العلم فى مجلس القضاء ضمانا للعدل ، بحيث لا يزيدوا عن اربعة (١) ، ولكنه فى نفس الوقت حرم على هؤلاء القضاة ابداء رأيهم فى منزلهم الخاص (٢) . وكان القضاء يتم فى المسجد (٣) ، حيث كان يجلس القاضى يعاونه الكتاب . وكان " كاتب القاضى يحتاج ان يعرف الحلال والحرام ، والتأويل والتزيل والمتشابه والحدود القائمة والفرائض ، والاختلاف فى الاموال والفروج ، حافظا للاحكام حاذقا بالشروط " (٤) .

ووجد بالاندلس نوع من القضاة المشاورون ، كانوا يقومون فى نفس الوقت بالافتاء (٥) ، وكان بكل مدينة رئيسا للفتوى (٦) ، حيث كان يختار بعض رجال من المشهورين بعلمهم ، لاعطاء فتاوى قضائية ، وقد نما دور المفتى فى مملكة غرناطة النصرية وأصبح من بين كبار رجال الدولة ، مثال ذلك القاضى سعد بن أحمد التجيبى (ت ٧٢٢ هـ) الذى كان " احد شيوخ الشورى والفتيا " (٧) . وفرج بن قاسم بن احمد ابن لب التغلبى الاندلسى الغرناطى (ت ٧٨٢ هـ ١٣٨٠) الذى كانت " عليه مدار الشورى واليه مرجع الفتوى " (٨) . ومحمد الانصارى السرقسطى الذى حضر السلطان جنازته (١٤٥٩/٨٦٥) (٩) . وابراهيم بن احمد

(١) ثلاث رسائل فى الحسبة ص ٩ ، ابن فرحون : تبصرة ج ١ ص ٢٨ . ويعلق الاستاذ الدكتور حسين مؤنس على ذلك بقوله " ان هذا غير صحيح من الناحيتين النظرية والعملية : فاما من الناحية النظرية فان المذهب المالكى يعطى للقاضى من الحقوق والسلطات ما لا يعطيه اياه المذهبان الشافعى او الحنفى ، وللقاضى المالكى ان يحكم بما يرى فى مجلس حكمه الا اذا رأى ان يستشير غيره ، وحكمه نافذ ولا يجوز لقاضى بعده ان ينقضه . واما من الناحية العملية فأمانتنا سير لقضاة قرطبة وقضاة الرقبة ، لا نجد فيها دليلا واحدا على مشاركة الفقهاء للقاضى فى مجلس حكمه او فى احكامه ، بل ان سحنون كان لا يرضى بان يجلس المشاور مع القاضى فى مجلس الحكم . (د. حسن مؤنس : شيوخ العصر فى الاندلس ص ٢٦ - ٢٧) .

(٢) ثلاث رسائل ص ٩ .

(٣) ثلاث رسائل ص ٧٤ .

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ١ ص ١٤٣ .

(٥) احمد بابا الصبكي ، نيل الابتهاج ص ٢١٠ - ٢١١ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٦) ابن سعيد : اختصار القند المعلى ص ١٣٠ وكذلك Ángel González Palencia : Documentos Arabes del Cete Siglos XII - XV (Al Andalus 1940 vol. V fasc 2 p. 347) .

(٧) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٨) المقرئ : نفح الطيب ج ٨ ص ٢٦ - ٢٨ ، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢١٩ - ٢٢١ .

(٩) احمد بابا : المصدر السابق ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

بن فتوح العقيلي (ت ٨٦٧/١٤٦٢) الذى كان نحويا عظيما ، وشاعرا ممتازا محبوبا لدى طلبة المدرسة النصرية (١) .

وتلقى فتاوى العصر النصرى ضوءا ساطعا على النظم القضائية فى غرناطة ، والحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية فى المملكة . نذكر على سبيل المثال ذلك الكتاب الذى وضعه الفقيه فرج التغلبى بعنوان " ينبوع عين الثرة فى تفرع مسألة الامامة بالاجرة " شرح فيه هل يجوز ان يأخذ الانسان اجرا من الدولة على امامة الناس (٢) ؟

هذا وقد قام الفقيه المغربى احمد الونشريسى فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) بجمع كثير من فتاوى علماء غرناطة فى كتابه " المعيار المغرب والجامع العرب عن فتاوى اهل افريقية والاندلس والمغرب " (٣) .

ونبغ الكثير من قضاة غرناطة فى ميادين العلم مثل النحو والشعر والاداب والعلوم الرياضية (٤) . نذكر منهم القاضى ابا القاسم الخضر بن ابى العافية (ت ٧٤٥ هـ) الذى كان " من صدور القضاة وجهابذة النحاة " (٥) . كما وضع القاضى ابو بكر بن محمد بن عبد الله بن منظور القيسى عدة مؤلفات منها " نفحات النسوك وعيون التبر المسبوك ، فى اشعار الخلفاء والوزراء والملوك " . وكتاب " السجم الواكفة ، والظلال الوارفة ، فى الرد على ما تضمنه المظنون من اعتقاد الفلاسفة " (٦) . هذا وقد اعجب الرحالة المصرى عبد الباسط الذى زار غرناطة فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) بالعمق الذى ابداه المستمعون لدروس القاضى ابن منظور (٧) وفى بعض الاحيان كان الاندلسيون يقدمون لمنصب القضاء من يؤهله

(١) المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ١٧١ ، احمد بابا : المصدر السابق ص ٥٤ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ج ٨ ص ٢٦ - ٢٨ .

(٣) طبع على الحجر فى فاس فى ١٢ جزء فى عام ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ .

(٤) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٠٤ - ١٠٥ ، النباهى : المرقبة العليا ص ١٢٧ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٧١ .

(٥) النباهى : المصدر السابق ص ١٤٩ .

(٦) النباهى : المصدر السابق ص ١٥٤ .

(٧) انظر : Luis Seco de Lucena Paredes : Notas para estudio del Derecho Hispano - Musulmán. Dos Fatwas de Ibn Manzúr (M. E. A. H.) vol. V, 1956, pp. 5-17 .

علمه لذلك دون النظر الى سنه ومن هؤلاء القاضى عبد الله بن يحيى بن محمد بن احمد بن زكريا الانصارى (ت ٧٤٥ هـ) الذى تولى القضاء دون العشرين عاما (١) .

وفى اول الامر كانت وظيفة القضاء وظيفه دينية لا يتقاضى من يتولاها اجرا على عمله . ، ولكن بمرور الزمن سمح للقضاة بالحصول على راتب متواضع ، ونلاحظ انه حتى فى هذه الحالة كان بعض القضاة يرفضون هذا الراتب . مثال ذلك القاضى محمد بن عياش الانصارى (٢) . بل لقد ذهب بعض الفقهاء الى القول بانه يجب ان يشترط فى القاضى ان يكون فى سعة من العيش تضمن له استقلالا فى عمله (٣) .

ويلاحظ ان بعض القضاة كانت لهم ممتلكاتهم الخاصة التى كانت تدر عليهم دخلا كبيرا . من هؤلاء ، القاضى ابو جعفر الغرناطى الذى " تأثل مالا ظاهرا " (٤) والقاضى ابو الحسن بن الحسن الجدامى النباهى (ت ٧٠٠ / ١٣٠٠ - ١٣٠١) الذى اغتصبه بنو اشقيلولة ونفوه عن بلده مالقة ثم عاد اليها بعد خروجهم منها ، وأقام بها بقية عمره ، يتعيش من فائد بقايا املاكه بها (٥) . بل اننا نجد ان بعض القضاة كانوا يأكلون من عمل ايديهم . نذكر منهم القاضى ابا العلا بن سماك الذى كان يزرع ارضه ليستعين بها على معاشه (٦) .

وكان القاضى يختار احيانا نائبا عنه من نفس الاسرة فى أغلب الاحوال . فقد تولى ابو يحيى بن مسعود المحاربى وظيفة القضاء فى غرناطة فى غياب والده ابنى بكر (٧) كما ناب سعد بن احمد التجيبى (ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢) عن قضاة

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) المجلد الثالث ص ٤١٣ .

(٢) النباهى : المرقبة العليا ص ٢٠ - ٢١ ، العسقلاتى : الدرر السمر الرابع ترجمة رقم ٥٩٩ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٣) النباهى : المصدر السابق : ص ١٦٤ .

(٤) العسقلاتى : المصدر السابق السفر الاول ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٥) النباهى : المصدر السابق : ص ١٢٩ وهذا القاضى ليس مؤلف كتاب المرقبة العليا .

(٦) انظر : J. Bosch Vilá : Los Banu Simak de Málaga y Granada : Una Familia de Cadices (M. E. A. H.) vol. x 1962, fasc 1 pp. 36 - 37 .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٤٦ ، النباهى : المرقبة العليا ص ١٤٠ .

غرناطة (١) كذلك فقد ناب محمد بن احمد بن عبد الله العطار (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩) فى القضاء عن ابي البركات البليقي (٢) .

ونلاحظ انه فى بعض الاحيان كان القاضى ينتقل من وظيفة دينية الى القضاء او يجمع بين وظيفته الدينية وبعض الوظائف الدنيوية . مثال ذلك القاضى ابو بكر محمد الاشبرون (ت فى حدود عام ٦٩٨/١٢٩٨) الذى كان يجمع بين الحسبة والشرطة ثم انتقل الى القضاء (٣) . والقاضى ابن جابر الوادى آشى الذى كان كاتباً قاضياً فى القرن الثامن الهجرى النصف الاول من القرن الرابع عشر الميلادى (٤) . والقاضى ابو بكر محمد بن شبرين (ت ٧٤٧/١٣٤٦) الذى جمع بين القضاء والكتابة (٥) .

وابو الحسن النباهى الذى كان كاتباً لمحمد الخامس فى فترة حكمه الاولى ثم اصبح قاضياً للجماعة بعد عودة السلطان الى غرناطة من منفاه (٦) . والقاضى محمد بن احمد بن محمد ابن الحسن بن على بن ابي طالب (ت ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨) الذى عينه محمد الخامس كاتباً للانشاء ثم قلده الكتابة والقضاء والخطبة فى غرناطة (٧) . كذلك نلاحظ ان ابا يحيى بن عاصم تولى القضاء العادى ثم اصبح قاضياً للجماعة على عهد السلطان محمد العاشر (عام ٨٥٧ / ١٤٥٣) (٨) ، ومارس من ناحية اخرى الكتابة فى ديوان الانشاء ثم اصبح اخيراً وزيراً للسلطان (٩) .

(١) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) العسقلاني : الدرر السمر الثالث ص ٣٢٩ ترجمة رقم ٨٨٤ .

(٣) النباهى : المصدر السابق : ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٤) العسقلاني : الدرر السمر الاول ص ٥٩ ترجمة رقم ١٥٧ .

(٥) ابن الخطيب : للمحة ص ٥١ ، ٧٦ ، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٧٤ - ١٨٢ .

(٦) ابن الخطيب : للمحة ١١٨ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٨) المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٩ .

(٩) انظر :

Luis Seco de Lucena Paredes : Los Banu Asim

intelectuales y politicos granadinos del siglo xv (M. E. A. H.) vol. 11 , 1953, pp. 5-14.

وقد لعب بعض القضاة دوراً مهماً في توجيه ولاية الأمور نحو الصالح العام نذكر منهم قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن بكر الأشعري ، الذي بعض الى السلطان ابي الحجاج يوسف الاول رسالة خاصة تتعلق بشأن اعتقال احد كبار موظفي الدولة الذين بددوا مال الجباية ، موضحاً للسلطان الواجبات التي فرضت عليه بوصفه إماماً للجماعة الاسلامية (١) .

كما شارك بعض القضاة في الحياة السياسية لمملكة غرناطة ، ففي عهد محمد الاول بن الأحمر لعب قاضي المرية محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي ، دوراً كبيراً في التوفيق بين ابن الأحمر وابن الرميمي حاكم المرية ، وانتهى الأمر بدخول المدينة في طاعة سلطان غرناطة الذي منح لمحمد بن مفضل اللخمي امتيازاً باعفائه من دفع الضرائب على ممتلكاته في ١٠ شوال ٦٣٥ / ٢٥ مايو ١٢٣٨ مكافأة له على دوره الايجابي (٢) . كذلك كلف السلطان محمد الرابع القاضي ابا بكر يحيى المحاربي بالسفارة الى سلطان المغرب في عام ١٣٢٦/٧٢٨ - ١٣٢٧ ، حيث ادرسته المنية في مدينة سلا اثناء هذه السفارة (٣) . كما بعث السلطان محمد الخامس في عام ١٣٥٥/٧٥٦ بالقاضي ابي البركات بن الحاج البلفيقي في سفارة الى بلاط فاس (٤) . كذلك قام قاضي الجماعة محمد بن احمد الشريف الحسني (ت ٧٦١هـ) بالتوجه الى سبتة بقصد السفارة (٥) . كما كلف القاضي ابي الحسن النباهي بالسفارة الى فاس عام ٧٦٧ هـ ثم عام ٧٨٨ هـ (٦) . كذلك نجد ان قاضي الجماعة ابا عبد الله بن الازرق (٧) ، قد سافر الى قايتباي سلطان مصر المملوكية عام

(١) النباهي : المرقبة العليا ص ١٤٣ - ١٤٥ .

(٢) ابن الخطيب : الاطاحة (مخطوط الاسكوريال) رقم ١٦٧٣ لوحة ٤٠ - ٤١ وكذلك ؛

J. Vallvé Bermejo : Un privilegio granadino del siglo XIII (Al Andalus vol . XXIX (1964) fasc 2 pp. 233 - 242 .

(٣) ابن الخطيب : للمحة ص ٨٢ ، الاطاحة (عثان) ج ١ ص ٥٤٦ ، النباهي : المرقبة العليا ص ١٤٠ .

(٤) النباهي : المصدر السابق ص ١٦٥ ، ابن خلدون : التعريف ص ٣٠٥ .

(٥) ابن القاضي : جلوة الانتباس ص ١٩٣ .

(٦) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٧) هو ابو عبد الله بن الازرق قاضي الجماعة في غرناطة ، يرجع اصله الى وادي آش ، وضع عدداً من المؤلفات في النحر والعربية منها " روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام " . رحل الى تلمسان سنة ٨٩٠ بعد سقوط غرناطة . انظر : المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ٧١ ، ج ٣ ص ٣١٨ - ٣١٩ .

١٤٦٨/٨٧٣ فى الفترة الاخيرة من حياة مملكة غرناطة يستنهض الهمم لنصرتها (١) . وكان اهتمام سلاطين غرناطة باختيار قضاتهم كبيرا ، فيشير ابن الخطيب فى ظهور تعيين ابى الحسن النباهى فى منصب القضاء الى تلك الاهمية التى كانوا يولونها عند اختيارهم للمقضاة وغيرهم من كبار موظفى الدولة فيذكر ان حكومة غرناطة كانت " ترتاد أهل الفضائل للرتب ، واستظهرت على المناصب بأبناء التقى والحسب ، والفضل والمجد والادب ، ممن يجمع بين الطارف والتالد ، والارث والمكتسب " (٢) .

وكان يشترط فى القاضى معرفة عميقة بالقوانين الشرعية والدينية ، والكتاب والسنة ، وما وقع عليه اجماع الامة والاستقامة والشجاعة والحزم والفصاحة والوقار والانصاف والعدالة (٣) . ولا يرتشى " فاذا ما ارتشى القاضى لا ينفذ قضاؤه فيما ارتشى ، واذا اخذ القاضى القضاء بالرشوة ، لا يصير قاضيا ، ولو قضى لا ينفذ قضاؤه " (٤) . كذلك كانت هناك شروط عشرة لابد من توافرها ليعين معين قاضيا هى : الاسلام ، والعقل ، والذكورية ، والحرية ، والبلوغ ، والعدالة ، والعلم وسلامة الخواس : السمع والبصر من الصمم والعمى وسلامة حاسة اللسان من البكم ، وكونه واحدا لا أكثر فلا يصح تقديم اثنين ليقضيا معا فى قضية واحدة ، لاختلاف الاغراض ، وتعذر الاتفاق ، وعلان الاحكام بذلك . كذلك كان يشترط فى القاضى ان يكون غير محدود ، وغير مطعون عليه فى نسبه بولادة اللعان أو الزنى ، وغير فقير ، وغير أمدى ، وغير مستضعف ، وأن يكون فطنا ، نزيها ، مهيبا ، حليما مستشيرا لأهل العلم والرأى (٥) .

وتتجدد المدونات والوثائق المعاصرة كفاءة القاضى الغرناطى وميله الى الزهد واحلاصه فى اداء عمله (٦) . مثال ذلك القاضى يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع

(١) المرقى : تلخ الطيب : ج ٣ ص ٤٥٢ - ٤٥٨ .

(٢) المرقى : تلخ الطيب : ج ٧ ص ٦٠ .

(٣) النباهى : المرقبة العليا ص ٢٠٦ .

(٤) المرقى : ازهار الرياض ج ٣ ص ٣١٤ .

(٥) النباهى : المرقبة العليا ص ٤ - ٥ .

(٦) النباهى : المصدر السابق ص ١٤١ .

الاشعري الذي كان " من أكثر القضاة عدالة وصراحة ونبلا وفضلا " والقاضى محمد بن غالب الانصارى الذى : " اجتمع له العلم والمال وحسن الخلق وقام الخلق (١) " . والقاضى ابو محمد عبد الله بن يحيى الانصارى الذى أظهر نزاهة وعدالة ، وكثيرا ما كان يطيل مجلسه اكثر من الوقت المخصص للمتظلمين ليعرضوا عليه شكواهم (٢) . والقاضى احمد بن محمد بن سليمان بن يوسف الغرناطى ابو جعفر بن الحداد الذى كان نزيها عفيفا ، وقد اغتاله بعض الشطار لأنه كان قد ادانه فى استخلاص مال يتيم . فقبض على قاتله وصلب بالمكان الذى فتك به فيه فى ٢٥ رمضان عام ٧٥٢ هـ (٣) . كما كان القاضى ابو جعفر الغرناطى (ت ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧) " بصيرا بالاحكام ، كثير التأنى والاقدام على ما يحجم عنه غيره (٤) " . كذلك القاضى العدل ابو عبد الله اليحصبى الذى كان من اهل الورع والجزالة والتصميم فى الحق لاتأخذه فى الله لومه لائم " (٥) .

هذا وقد وضع القاضى ابو الحسن النباهى كتابا عن تاريخ قضاة الاندلس اسماء " المرقبة العليا ، فيمن يستحق القضاء والفتيا " اورد فيه سيرا لأهم قضاة الاندلس والعديد من مآثرهم (٦) .

وكان بعض القضاة لا يقبلون تولى منصب القضاء ويلحون فى ان يعفيهم السلطان ، من هؤلاء ابو عبد الله بن محمد عياش الانصارى (٧) . والقاضى ابو عبد الله محمد بن احمد الطنجالى (ت ٧٥٢ هـ / ١٣٥١م) (٨) ، والقاضى محمد بن عتيق التجيبى (٩) .

(١) النباهى : المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٢) النباهى : نفسه ص ١٥٢ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : الدرر السمر الاول ص ١٣٩ ترجمة ٣٩٤ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : المصدر السابق - السفر الاول ص ١٨٨ - ١٨٩ ترجمة رقم ٤٨٤ .

(٥) ابن الخطيب : للمعة ص ٣٣ .

(٦) نشره ليلى بروفنسال (القاهرة ١٩٤٨) بعنوان " تاريخ قضاة الاندلس " .

(٧) النباهى : المرقبة العليا ص ١٤٨ .

(٨) ابن حجر العسقلانى : المصدر السابق السفر الاول ص ١٨٨ - ١٨٩ ترجمة رقم ٤٨٤ .

(٩) المراكشى : الذيل والتكملة ، السفر السادس ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ترجمة رقم ١١٤٧ .

وهناك بعض الاسر التى كانت تهتم بالشرع وعلومه والتأليف فيه ، وقد أمدت هذه الأسر غرناطة بالكثير من القضاة اللامعين نذكر منهم " بنى النباهى المالقيين (١) ، وبنى سلمون وبنى عاصم الذين يرجعون الى أصل غرناطى (٢) . وبنى سماك الذين يرجعون الى اصل مالقى غرناطى (٣) . كذلك تروى المصادر ان محمد بن مسعود بن يحيى بن مسعود المحاربى (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤) كان عاشر قاض من اهل بيته (٤) . كما كان القاضى ابو بكر بن منظور " له سلف فى القضاء عالى المراتب (٥) . كذلك كان من اولاد القاضى ابى القاسم بن سلمون (ت ٧٦٧ / ١٣٦٥) بعض القضاة (٦) .

وقد تولى بعض المغاربة منصب القضاء فى غرناطة منهم ابن رشيد الذى يرجع اصله الى مدينة سبتة ، وقد عينه السلطان محمد الثالث قاضيا للمناخ فى غرناطة (٧) .

قاضى الجماعة فى غرناطة

قاضى الجماعة فى غرناطة هو الرئيس الاعلى للقضاة ، يفوض قضاة محليين اختصاصاته لارساء العدالة بين الناس فى مدن المملكة المختلفة مثل مالقة والمرية ورندة وبسطة ووادى آش وبلش مالقة ومدن الحدود (٨) .

وكان قاضى الجماعة يمارس سلطاته على كل القضاة الآخرون على طريقة قاضى القضاة فى المشرق (٩) . فهو يراقب تصرفاتهم وسلوكهم ويراجع أحكامهم

(١) النباهى : المصدر السابق ص ١١٢ - ١١٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، د. محمود على مكى : اسرة مالقية مشهورة : بنو الحسن النباهيون ، معاصرة فى غرناطة فى ١١ أكتوبر ١٩٦٢ .

(٢) عن بنى سلمون انظر المرقبة العليا ص ١٦٨ ، وعن بنى عاصم انظر :

Luis Seco de Lucena : La Escuela de Juristas granadinos en el siglo xv (M.

E. A. H.) vol VIII, 1959, fasc 1, pp. 7-28 .

(٣) انظر : J. Bosck Vilá : Los Banu Simak de Málaga y Granada : Una familia de Caudices , (M. E. A. H.) Vol XI, 1962 fasc 1 pp. 21-37 .

(٤) ابن حجر العسقلانى : الدرر السمر الرابع ص ٢٥٦ ترجمة رقم ٧٠٨ .

(٥) ابن الخطيب : الاكليل الزاهر (مخطوط الاسكوريال) رقم ٥٥٤ لوحة ١٢٤ .

(٦) النباهى : المرقبة العليا ص ١٦٨ .

(٧) انظر : Ency del Islam Art Ibn Rushayd by Arfe .

(٨) النباهى : المرقبة العليا ص ١٢٦ - ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٧١ .

(٩) النباهى : المصدر السابق ص ٢١ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٧ ص ٣٠٣ .

وينظمهم فى اماكن عملهم . ولكن يبدو ان هذه الاختصاصات كانت من الجانب النظرى فقط دون التطبيق ، فقد كان سلاطين بنى نصر يعينون قضاة الاقاليم ويصدرون الظواهر بذلك دون الرجوع الى قاضى الجماعة بالعاصمة (١) . وهذه نقطة اختلاف رئيسية بين قاضى الجماعة فى الاندلس وقاضى القضاة فى المشرق الذى كان هو المتصرف فى القضاة تعيينا وعزلا .

وكان قاضى الجماعة او قاضى الحضرة الملكية يعتبر المستشار الدينى للسلطان وحلقة الاتصال بينه وبين قضاة الاقاليم ولهذا كان يراعى فيه السمعة الطبية ، والكفاءة ، والتفقه فى أمور الدين . وفى الغالب كان السلطان يقدم لهذا المنصب الرفيع احد قضاة الاقاليم المخلصين للذات الملكية أو كانت جدارته وصفاته تؤهله لهذا المنصب الخطير . مثال ذلك لمجد ان محمداً الثانى قد عين محمد بن محمد بن هشام قاضيا لألمرية ثم غرناطة لأنه رفض الخدمة لدى بنى اشقيلولة فى وادى آش (٢) . كما عين محمد الرابع ، محمد بن يحيى بن بكر الاشعري ، الذى ينحدر من اسرة قيسية مشهورة ، وكان قد ذاع صيته فى مالقة بعد ان عين قاضيا هناك ، ثم انتقل قاضيا لغرناطة فقاضيا للجماعة (٣) . كذلك وضع ابو الحجاج يوسف الاول فى هذا المنصب احد قضاة الاقاليم المبرزين وهو محمد بن عياش الملقى الانصارى الخزرجى (٤) . كما تولى ابو البركات بن الحاج البليقى القضاء فى شبالس Jubiles فى اقليم غرناطة عام ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م وكذلك فى مالقة والمرية ، ثم عينه يوسف الاول قاضيا للجماعة فى شعبان عام ٧٤٧ هـ / يناير ١٣٤٧ م بعد ان اعجب بنزاهته وميله الى الأدب (٥) . كذلك تولى احمد بن جزى الكلبى (ولد عام ٧١٥ هـ) القضاء ببرجة ثم بأندرش فوادى آش ، فكان مشكور السيرة ، معروف النزاهة ، ووضع تقييدا فى الفقه اسماء " القوانين الفقهية " ورجز فى

(١) انظر على سبيل المثال ظهور تعيين ابن الحسن التهاى قاضيا فى نفع الطيب ج ٧ ص ٥٩ - ٦٢ .

(٢) التهاى : المرقبة العليا : ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣) التهاى : المرقبة العليا : ص ١٤١ - ١٤٥ .

(٤) التهاى : المرقبة العليا : ص ٢٠ - ٢١ ، ١٤٨ .

(٥) التهاى : المرقبة العليا : ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٠٢ ، ابن حجر

العسقلانى : الدرر السمر الرابع ص ١٥٥ - ١٥٧ ترجمة رقم ٤١٤ .

الفرائض " فقدم قاضياً بغرناطة وخطيباً للمسجد السلطاني بها (١) .
واحيانا كان قاضى الجماعة يرشح لوظيفة مدنية مثال ذلك محمد بن عاصم
الذى عمل قاضيا للجماعة ثم كاتباً (٢) .
وما دمنّا فى معرض الحديث عن نظام القضاء فى مملكة غرناطة فينبغى
الاشارة الى نظام الشهود العدول .

الشهود العدول

العدل فى النظام القضائى بالاندلس ، هو موظف قضائى مهمته صياغة
الوثائق التى يطلبها المتقاضون من عقود زواج وطلاق ، ومهر ، وهبات واحسان ،
واحباس ، وصفقات تجارية ، ثم يقرر القاضى صحة هذه الوثائق . وكان العدل لا
ينباشر مهمته الا بعد ان يقوم القاضى " بتعديله " بمعنى اثبات انه عدل ، وبذلك
يصبح اهلا للثبوت (٣) ، وينتظم فى " سلوك العدول " (٤) .
وكان القضاة يتشددون مع هؤلاء الشهود ، فهذا هو القاضى محمد بن يحيى
ابن محمد ابن سعد الاشعرى (ت ٧٤١ هـ) تولى القضاء فى غرناطة "
فصدع بالحق وبهرج الشهود فزيف منهم اكثر من سبعين نفساً وناله بذلك مشقة
شديدة واستمر على رأيه ولم يقبل فى واحد منهم شفاعاً (٥) " .
وكان للموثقين حوانيت فى مكان يعرف بـ " سباط شهود غرناطة " (٦) .
وكان لا بد للعدل ان يكون " بصيرا بالشروط عارفا بالقضاء والاحكام مطلعا
عليها " (٧) ، على علم باللغة العربية ، جميل الخط ، يتمتع بأسلوب انشائى يتفق
مع مهمته (٨) ، على دراية كاملة بتقاليد وعادات الجهة التى كان يمارس فيها

(١) ابن الخطيب (عنان) ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٨ .

(٢) المقرئ : ازهار الرباض ج ١ ص ١٧٦ .

(٣) الخشنى : قضاء قرطبة (القاهرة) ص ١٤١ ، الاطاحة (عنان) ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٤ ح ٣ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الاول ص ٢٠٤ ترجمة رقم ٥٢٧ .

(٥) ابن حجر العسقلانى : المصدر السابق ، السفر الرابع ص ٢٨٤ ، ترجمة رقم ٨٠١ .

(٦) ابن الاخير : نثر فرائد الجمان ص ٣٠٨ ح ١ ، الازدى : مقامات العيد ، نثر : احمد مختار العبادى ، صحيفة المعهد

المصرى للدراسات الاسلاميه بدمرد ، المجلد الثانى ١٣٧٣ / ١٩٥٤ العددان ١ - ٢ ص ١٧٠ .

(٧) احمد بابا ، نيل الابتهاج ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٨) ابن حجر العسقلانى : الدرر السفر الاول تراجم ٤٦٣ ، ٤٨٤ .

مهام وظيفته ، متعمقا فى العلوم الرياضية والقواعد الشرعية والميراث (١) .
وقد تشدد المذهب المالكى فى ضرورة وجود هؤلاء العدول اثناء اجراء المحاكمة
و " عد العلماء فى أدب القضاء ان يكون الحكم بحضور عدول ، ليحفظوا اقرار
الخصومة خشية رجوع بعضهم عن سقالتهم " (٢) . وحرص القضاة فى غرناطة على
تطبيق هذا الامر . من هؤلاء نذكر القاضى يخيى بن مسعود المحاربى الذى " كان لا
يخط بعقد علامة بثبوتة عنده الا بعد شهادة اربعة من العدول " (٣) .
وكثيرا ما كان شاهد العدل ينتقل الى احدى الوظائف العليا مثال ذلك ابن
المحروق الذى كان عدلا قبل ان يصبح كاتباً ثم وكيلا فى عهد السلطان ابى الجيوش
نصر (٤) . وقد وضع ابن الخطيب رسالة هجا فيها مهنة التوثيق اسمها " مثلى
الوثيقة فى ذم الوثيقة " واتهمهم ببيع شهادتهم (٥) .

الحسبة فى ملكة غرناطة

الحسبة منصب دينى خلقى ، اساسه الامر بالمعروف اذا ظهر تركه ، والنهى
عن المنكر اذا ظهر فعله ، حيث ورد ذكر ذلك فى القرآن الكريم " ولتكن منكم أمة
يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " . ثم ما لبثت الحسبة ان
تعدت المعنى الدينى والخلقى فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الى واجبات
عملية مادية تتفق مع المصالح العامة للمسلمين . وفى رأى الفقهاء ان الحسبة تعتبر
أشبه بخدمة اجتماعية واقتصادية لسكان المدن ، حيث نلمس فيها بذرة النظام
البلدى الحديث .

فمن ناحية ، تناولت الحسبة امورا اجتماعية متعددة مثل : المحافظة على
نظافة الطرق ، والرأفة بالحيوان بان لا يحمل مالا يطيق ، ورعاية الصحة العامة ،

(١) ابن حجر العسقلانى : الدرر - السفر الاول ترجمة رقم ٦٤٩ .

(٢) التباهى : المرقبة العليا ص ١٩٢ .

(٣) التباهى : المصدر السابق ص ١٣٩ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : المصدر السابق السفر الثالث ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ترجمة رقم ٩٦٣ .

(٥) طبع هذا الكتاب فى المانيا الغربية مع ترجمة له باللغة الالمانية ونشره الاستاذ عبد الحميد تركى فى عام ١٩٦٩ ،
وقد اشار المقرئ الى هذا الكتاب ونقل عنه . انظر المقرئ : نفع ج ٩ ص ٣٠٥ ، ازهار الرياض ج ١ ص ١٨٩ ، انظر
كذلك مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثانى عشر الجزء الثانى ، شعبان ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ص ١١٣ - ١٣٢ .

والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها . ومنع معلمى الصبية من ضرب الاطفال ضربا مبرحا ، ومراقبة الحانات وشاربى الخمر وتبرج النساء والصور المحرمات ، ومنع النساء من اتباع الجنائز وزيارة القبور والخروج الا مع محرم ، ومنع اختلاط النساء بالرجال ، ومنع اهل الذمة من الاشراف على المسلمين ، واطهار الخمر والخنازير فى الاسواق ، ومنعهم من ركوب الخيل والتزىي بزي المسلمين ، وينصب عليهم علما يمتازون به ويمنع المسلمون من القيام لهم باعمال فيها اذلال كطرح الكناسه ونقل الات الخمر ورعاية الخنزير (١) . وبعبارة كل ما يتعلق بالمجتمع واخلاقه وتقاليده .

ومن جانب آخر تناولت الحسبة الجانب الاقتصادى ، فكان يدخل فى عمل المحتسب منع الغش والتدليس فى الصناعات والمعاملات التجارية ، وبخاصة الاشراف على الموازين والمكاييل وصحتها ونسبها (٢) . وكان عليه ان ينهى " عن خلط العقار الطيب بالدون ، والاشياء الهندية بالبلدية ، وبيعها لمن لا يميزها ويفرق بينها " ، ويمنع الكتانيين من رش الكتان بالماء حتى لا يثقل وزنه بسبب الرطوبة ، ويمنع الحناتون من خلط الدقيق الجيد بالردئ كما يشرف على اعمال الخبازين ، والقرائين ، واللبنانيين ، والجزارين ، والطباخين ، وباعة السمك والجبن ، وصانعى الهريس ، والقراقين (٣) وتسعير ما يجوز تسعيره ، ويراقب بيع الاشياء المحرمات على اختلاف انواعها (٤) .

وكان المحتسب يقيم الحدود فيروى ابن الخطيب ان صاحب السوق ابا بكر ابن الاشبرون "لقى سكرانا من الجند فقبض عليه واشتد فى حده وبالف فى نكاله" (٥) .

وقد اورد لنا المقرئ فى نفح الطيب نقلا عن ابن سعيد المغربى ، وصفا طريفا لعمل المحتسب فقال : " والعادة فيه ان يمشى بنفسه راكبا على الاسواق ، وأعوانه

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، رسالة عمر الجرسيفى فى ثلاث رسائل ص ١٢٠ وما بعدها ، الشيزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة . تحقيق الباز العريش القاهرة ١٣٦٥ / ١٩٤٦ ص ١٨ - ٢٠ .

(٢) الشيزى : المصدر السابق ص ١٨ - ٢٠ .

(٣) رسالة ابن عبد الزؤف فى ثلاث رسائل ص ٨٦ وما بعدها .

(٤) رسالة عمر الجرسيفى فى ثلاث رسائل ص ١٢٠ وما بعدها كذلك : Pedro chalmeta : El Senor Del zoco En Espana (Madrid 1973) p. 451 y sig.

(٥) ابن الخطيب : اللعة ص ٤٠ - ٤١ .

معه ، وميزانه الذى يزن به الخبز فى يد أحد الاعوان ، لأن الخبز عندهم معلوم الاوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم ، وكذلك للشمن ، وفى ذلك من المصلحة ان يرسل المبتاع الصبى الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتياه به من السوق مع الحاذق فى معرفة الاوزان ، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ، ولا يجسر الجزار ان يبيع بأكثر من دون ما حد له المحتسب فى الورقة ، ولا يكاد تخفى خيانتة ، فان المحتسب يدس عليه صبيلاً أو جارية - يبتاع أحدهما منه ، ثم يختبر الورق المحتسب ، فان وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس ، فلا تسلم عما يلقي ، وان كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس (١) فى الاسواق نفى من البلد ، ولهم فى اوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدراس احكام الفقه " (٢) .

وكانت هناك شروط يجب توافرها فى المحتسب ، فلا بد ان " يكون رجلاً عقيفاً ، خيراً ، ورعاً ، غنياً ، نبيلاً ، عارفاً بالامور ، محنكاً ، فطنا ، لا يميل ، ولا يرتشى فتسقط هيئته ، ويستخف به ، ولا يعبأ به ويتويع معه المقدم له ، ولا يستعمل فى ذلك خساسة الناس ، ولا من يريد ان يأكل اموال الناس بالباطل والمهونة ، لأنه لا يهاب الا من كان له مال وحسب " (٣) وفى غرناطة كان يطلق على المحتسب احياناً " صاحب السوق " كما عرفت " الحسبة " باسم " خطة السوق " (٤) ، واحياناً كان يجمع بين خطة السوق والشرطة (٥) . وقد بلغ من اهمية الحسبة فى غرناطة ان انتقل بعض المحتسبين من وظيفة الحسبة الى القضاء مثال ذلك ابو بكر محمد الاشبرون (٦) .

(١) الاصل فى هذه المادة الجرس المعلوم ، وهو أداة من أدوات الاعلان والتشهير ، ثم قالوا جرس فلان فلانا ، اذا فضحه وشهر به وأعلن على الملأ مساويه وندد عليه بها ، وكأنما وضع فى رقبتة جرساً لشهره .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٣) ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة . نشرها ليفى هرونسالى فى ثلاث رسائل اندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب ص ٢٠ .

(٤) ابن الخطيب : اللمعة ص ٤٠ - ٤١ ، الاطاحة (عنان) ج ١ ص ٥٦٨ .

(٥) ابن الخطيب : اللمعة ص ٤١ .

(٦) ابن الخطيب : الاطاحة (عنان) ج ١ ص ٥٦٨ ، النباهى : المرقبة العليا ص ١٢٥ .

وقد انتقل نظام الحسبة من الاندلس الى اسبانيا المسيحية ، فنجد المحتسب يذكر فى مراسيم الملوك وهو يسمى ALMOTACEN ، ومهمته كما تحددها النصوص الاسبانية ، مراقبة الموازين والمكاييل ، واحيانا كان يسمى هناك صاحب السوق ، وشيئا فشيئا اتسع اختصاص المحتسب فى النظم الاسبانية حتى شمل جميع اختصاصاته التى تمنحه اياها النظم الاسلامية ولهذا اصبحت كتب الحسبة الاسبانية نوافذ مفتوحة على الحياة الجارية . وفى خلال القرون الحادى عشر والثانى عشر ، والثالث عشر كانت هذه الكتب تسمى كتب الاوامر LIBROS DE ORDENANZAS ثم اصبحت تسمى بالFUEROS أى المراسيم الادارية ، واستمر ذلك الى آخر القرن السادس عشر ، وكانت تسير محاذاة لكتب الحسبة الاسلامية بل متطابقة معها . وكانت كتب الحسبة الاسلامية تترجم الى لغات شبه الجزيرة لتدخل فى المراسيم الاسبانية ، وكانت الترجمة تتم حرفيا حتى أنهم لم يكن يستبعدون ما لا يتفق مع نظم المجتمع الاسبانى المسيحى ، وكان يشترط فيمن يرشح لشغل وظيفة المحتسب ان يكون قد اقام فى البلد سنة ويوما اقامة مستمرة وان يكون له فيها بيت وان يمتلك حصانا ، ويكون التعيين لمدة سنة تبدأ من يوم مولد القديس يوسف El Día de San José (فى ١٩ مارس) . غير انه تجدر الإشارة هنا الى ان المحتسب المسلم كان اعلى مرتبة من المحتسب المسيحى وأهم مكانة ، فبينما كان المحتسب فى غرناطة الاسلامية معدودا فى مستوى القضاة وكان لابد ان يكون من أهل العلم والفقه ، وله راتب ثابت . نجد ان المحتسب فى اسبانيا المسيحية كان موظفا اداريا صرفا لا يشترط لديه من العلم اكثر من معرفته بالمنشورات والقواعد التى تطبق فى السوق (١) . وفى ارشيف كاتدرائية طليطلة من القرن الثالث عشر ، نجد اسماء ثلاثة ولاة لضبط الموازين هم : دومنغو استيبان Domingo Esteban ودومنغو اسار Domingo Assar ودومنغو ميكائيل بن روى دياث Doingo Micael ben Ruy DIAZ (٢) .

(١) بدروزاليتا : الحسبة الاندلسية كما ترى من خلال المراسيم الملكية الاسبانية . محاضره القاها بمدينة بلنسية فى ١٥ / ١٢ / ١٩٦٥ .
(٢) ليلى برونسال : محاضرات فى ادب الاندلس وتاريخها ص ٨٨ .

وفى بالنسبة كان المحتسب فى القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر غالبا ما يختار من بين مسلمى الاقليم (١) . وكان يدخل فى اختصاصه الاشراف على الصحة العامة ومراقبة أصحاب الحرف والمنتجات الغذائية ، ومراعاة الاحترام للأعياد الدينية الاسلامية والمسيحية . وفى مرسية كان يوجد ALMOTACEN فى عام ١٢٧٢ فى عهد الفونسو العاشر (٢) . كما تم تعيين اثنين من المحتسبين فى مالقة بعد سقوطها فى يد الملكين الكاثوليكيين (٣) .

ومن الجدير بالذكر ان وظيفة المحتسب انتقلت الى المغرب الاسلامى بنفس الاسم والمطلوب والمهام ، وما زالت موجودة هناك الى وقتنا هذا .

الشرطة فى مملكة غرناطة

كانت مهمة الشرطة تتلخص فى العمل على حفظ النظام واستقرار الامن ومطاردة المجرمين وأهل الفساد ، وتنفيذ العقوبات ، وتوجيه الاتهام والتحقيق وتوقيع العقوبة على المجرمين فى المخالفات المدنية التى كانت لا تدخل فى اختصاص القاضى الشرعى (٤) ، واقامة الحد على الزنى وشرب الخمر (٥) . ويذكر ابن خلدون ان وظيفة الشرطة قد انقسمت الى قسمين : منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين ، ونصب لذلك فى هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ، ويسمى تارة باسم الوالى ، وتارة باسم الشرطة ، وبقي قسم التعاويذ واقامة الحدود فى الجرائم الثابتة شرعا ، فجمع ذلك للقاضى مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفة ولايته " . (٦)

(٦) انظر كتاب :

(Francisco Sevillano Colom : Valencia Urbana Medieval A Través Del Oficio De Mustacaf (Valencia 1957).

(٢) انظر : J. Torres Fontes : La hacienda Conoejil de Murcia en : el siglo XIV . (Anuario de Historia del Derecho espanol, Madrid 1956, p. 3) .

(٣) انظر : F. Bejarano Robles : Fundación de Hacienda municipal de Málaga por los Reyes Católicos . (Málaga 1951) pp. 20-22.

(٤) بروقتسال : محاضرات فى أدب الاندلس وتاريخها ص ٨١ .

(٥) القرى : نفع الطيب ج ٢٠٣١ .

(٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

كذلك كان السوق يدخل فى ميدان عمل الشرطى ، فيقوم بالمحافظة على الامن والنظام ، ويطرد الباعة المذنبين وذلك بأمر من المحتسب أو الامين (١) .
وكان يطلق على قائد الشرطة فى غرناطة اسم " صاحب الشرطة " (٢) ،
وصاحب المدينة أو " صاحب الليل " (٣) ويعاونه فى تنفيذ مهمته جماعات من الحراس التى كانت تجوب انحاء المدينة ، وتشرف على حفظ الامن يعرفون فى غرناطة باسم الدرابين ، لأن كل مدينة كان لها " دروب باغلاق (٤) ، تغلق بعد العتمة ، ولكل زقاق بائت فيه له سرج معلق ، وكلب يسهر ، وسلاح معد وذلك لشرطة عامتها ، وكثرة شرهم ، واعيانهم فى أمور التلصص " (٥) .
كذلك كانت الشرطة فى غرناطة تتبع نظام التجسس بين الناس بأن يراقب كل واحد منهم الآخر بحيث يكون " بعضهم على بعض عيوننا ساهرة تبحث عن كل خافية وظاهرة " (٦) .

ويقسمهم من النصوص انه كان هناك نوع من المراقبة السرية على الاقوال والاعمال فى خطاب وجهه السلطان ابو الحجاج يوسف الاول الى ابى عنان فارس بمناسبة فرار أخيه الامير ابى الفضل محمد بن السلطان أبى الحسن المرىنى من مدينة غرناطة - وكان مبعدا اليها - الى بلاد النصارى ، كتب اليه يقول " عرفنا مقامكم الاعلى بما عندنا من صرف نظر الملاحظة الى من لدينا من أخوتكم وبنى عمكم بحيث لا يبرح رقيبها ولا تحتل ترثيتها واننا نصل التفقد لآحوالهم ونذكرى العيون على اقوالهم واعمالهم (٧) " .

وكانت هناك الشرطة العليا والشرطة السفلى ، ويرى المؤرخون ان الاولى كان

(١) الازدى : مقامة العيد نشر د. أحمد مختار العبادى . صحيفة المعهد المصرى بديود ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ١٦٧ .

(٢) الازدى : مقامة العيد ص ١١١ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢١٥ ، المرقى : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٣ .

(٤) الاغلاق : جمع غلق - يفتح العين واللام جميعا - وهو القفل ونحوه .

(٥) المرقى : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٤ .

(٦) انظر : Gaspar Remiro : Correspondencia (Revista del Centro de Estudios His-
toricos de Granada ano 11 núm 3 p. 164)

Gaspar Remiro : Op. cit. p. 163 .

(٧)

يدخل فى اختصاصها النظر فيما يقع من جرائم الطبقات العليا فى الدولة ، وكان مقرها باب السلطان . اما الثانية فكانت تختص بجرائم العامة ، وهناك من يرجع هذا التقسيم الى أصل جغرافى فيذكر أن الشرطة العليا هى التى كانت تختص بأعلى المدينة ، والشرطة السفلى هى التى كانت تنظر فى قضايا أسفل المدينة ، وكان مقرها عند باب الشريعة أو باب المسجد (١) .

ويقوم من النصوص انه كان للشرطة زى خاص وان كانت هذه النصوص لم تذكر لنا للأسف وصفا لهذا الزى (٢) .

وكان هناك كاتب للشرطة يجب عليه " ان يعرف القصاص والجراحات ، وموضع الحدود ، ومواقع العفو فى الجنايات " (٣) .

واحيانا كان يتم الجمع بين الشرطة والحسبة ، مثال ذلك ابو بكر محمد بن فتح بن على الاشبرون فى عهد محمد الفقيه (٤) .

وكانت العقوبات التى توقع على الجناة تختلف باختلاف ما ارتكبه ، ومنها التوبيخ بالقول والدلك الخفيف والفصد ، ووضع المحاجم والكى وتبريد الشريان ، والتعزير بان يجرد من ثيابه الا ما يستر عورته ويشهر فى الناس ، وينادى عليه بذنبه ، ويجوز ان يحلق شعره ولا تحلق لحيته أو يسخم وجهه ، والتشهير والتجريس بأن يوضع اعلاه جرس (٥) ، والجلد بالسوط أو الدرة (٦) ، والحبس فى المطبق (٧) أو النفى من البلاد لمن يكون جرمه كبيرا (٨) . وكان هناك الصلب (٩) ، والاعدام بالاغراق فى البحر (١٠) .

-
- (١) ابن الخطيب : نقاضة الجراب ص ١٠٥ متن وج ٢ ، ص ٣٣١ متن وج ٦ ، ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥١ .
 (٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٣٣ ، ابن حجر العسقلانى : الدور السمر الثالث ص ٣٩١ - ٣٩٢ ترجمة ١٠٣٠ .
 (٣) القلقشندي : صبح الاعشى ج ١ ص ١٤٣ .
 (٤) ابن الخطيب : اللحة ص ٤٠ - ٤١ ، النباهي : الرتبة ص ١٢٥ - ١٢٦ .
 (٥) ثلاث رسائل اندلسية فى اداب الحسبة والمحتسب ص ١٢٧ - ١٢٨ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٤ .
 (٦) المصدر السابق : ص ١٢٧ والدرة تكون من جلد البقر أو الجمال .
 (٧) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكروال) لوحة ٤٢٣ - ٤٢٥ .
 (٨) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٤ .
 (٩) ابن حجر العسقلانى : الدور السمر الاول ص ١٣٩ ترجمة رقم ٣٩٤ .
 (١٠) ابن الخطيب : نقاضة الجراب ص ١٠٩ .

وكان بالحمراء سجن للمسجونين السياسيين (١) .

وكان من حق صاحب الشرطة توقيع عقوبة الاعدام على الجانى دون استئذان السلطان اذا كان عظيم القدر عنده (٢) .

نظام الادارة فى الاقاليم

ليس من الميسور ان نرسم صورة دقيقة للتقسيم الادارى لمملكة غرناطة فى عهد بنى نصر، أو نظام الحكم المحلى فى تلك الاقسام الادارية ، فالمصادر لا تشير الى هذا الموضوع ، وكل ما يمكننا القيام به هو محاولة استقراء النزر اليسير من المعلومات من ثنايا الاخبار التاريخية .

كانت غرناطة كما يذكر ابن الخطيب تنقسم الى ثلاث كور هى البيرة وربة والمرية (٣) ، وثلاثة وثلاثين اقليما (٤) .

كذلك يظهر فى التقسيم الادارى لمملكة غرناطة اصطلاح آخر هو أرش : مثل أرش قيس (اقليم برشانة ومندوزجر) ، وأرش اليمن حيث توجد المرية ، وأرش اليمانية ، وأرش اليمانيين حيث توجد مدينة وادى آش ، ولفظ أرش يشير الى تلك الاقطاعات التى منحها الأمويون فى الأندلس الى تلك القبائل العربية عند توطينهم هناك (٥) .

يظهر كذلك اصطلاح قنب بمعنى اقليم (مثل قنب قيس وقنب اليمن) (٦) هذا

Gaspar Remiro : Op. cit. ano 11, núm 3 p. 164

(١) انظر :

(٢) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٣ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٩١ . هذا وقد قسمت الأندلس اداريا الى كور جمع (كورة) على نحو ما كان متبعها فى مصر والشام فى صدر الاسلام ، وكورة لفظة يونانية الاصل من Curia ، وكانت تقابل Pa-garchie فى النظام البيزنطى ويعرف باقوت الكورة بانها : " كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة او مدينة او نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة . وقد ظهر اصطلاح كورة فى الأندلس لأول مرة فى عهد الوالى ابي الخطار حسام بن ضرار الكلبي وذلك عندما أراد ان يجد حلا للجدد الشاميين الذين دخلوا الأندلس عام ١٢٣ هـ مع بلج بن بشر القشيري انظر المغرب ج ٢ ص ٣٠-٣١ : باقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٣٦ ، وكذلك ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ٣٠-٣١ . 48 p. 111, t. Hist Esp. Provencal :

(٤) ابن الخطيب : للمحة ص ١٨ - ١٩ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة ج ١ (عنان) ص ١٠٨ وما بعدها .

(٦) ابن الخطيب : للمحة ص ١٨ - ١٩ وكذلك

Francisoo Javier Simonet : Discripcion del Reino de Granada Sacada de los Autores Arábigos (Granada 1872) p. 5

اللفظ مشتق من اللاتينية Campus أو الرومانية Campo أو الاسبانية Campos بمعنى الحقول والسهول (١) . واصطلاح البراجلة والبرجلات (من اللاتينية) Parcella (٢) مثل برجيلة أندرة وبرجيلة قيس وبرجيلة ابي جرير وبرجيلة البنيول Abuneles (٣) هناك ايضا اقليم الفحص (بالاسبانية Alfaz) الذي كان يحيط بالمدينة من الجنوب الغربي ويحتوى على مائة واربعين قرية (٤) ومنها بالاسبانية Alquería .
وهناك اصطلاح " عمل " (٥) ، وحوز مثل حوز الساعدين (اليوم Zaidin)
فى جنوب غرناطة (٦) . وحوز وتر (٧) (اليوم HUETOR DE LA VEGA)
ويقابلنا فى وثائق القرن التاسع الهجرى (١٥م) ، اصطلاح اخر هو " طاعة " بمعنى اقليم وخاصة فى اقليم البشرات الجبلية (٨) ، كذلك يقابلنا اصطلاح فج مثل فج اللوز (الان Fajalauza) . (٩)

وقد وضعت التقسيمات الادارية أو الولايات (١٠) فى مملكة بنى الاحمر تحت امرة حاكم كان يقيم فى قصبة الاقليم ، ويسمى العامل أو الوالى (١١) ، أو وزير فى آخر ايام المملكة (١٢) .

ولقد رأيت الحكومة المركزية فى غرناطة ان تخفف من اختصاصاتها ، فكان كل رئيس او قريب للسلطان أو صاحب المدينة أو القلعة ، تابعا اقطاعيا لسلطان

(١) محمد عبد الله هنان ، جغرافية الاندلس والمصطلحات الجغرافية الاندلسية . مجلة تطوان ٣ - ٤ - ١٩٥٨ - ١٩٥٩ ص ٣٧ - ٤٧ .

Dozy : Supplément , I p. 65 .

(٢) انظر ،

(٣) ابن الخطيب : للمعة ص ١٨ .

(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة (هنان) ج ١ ص ١٢١ - ١٣٩ .

Dozy : Suppl. II, p. 175

(٥) ابن الخطيب ، لناسة الجراب ص ٣٠٣ وكذلك ؛

Dozy : Suppl. I, p. 335

(٦) ابن الخطيب ، الاحاطة (هنان) ج ١ ص ١٣٢ وكذلك ؛

(٧) ابن حجر العسقلاني ، الدرر السمر الرابع ص ٢٤٨ ترجمة رقم ٩٧٤ .

Dozy, II p. 68

(٨) لويس سيكودي لوثينا ، وثائق هبة غرناطية . وثيقة رقم ٥٧ ص ١٠٠ .

(٩) لويس سيكودي لوثينا ، وثائق هبة غرناطية ص ٧٩ - ٨٠ .

(١٠) ابن حجر العسقلاني ، الدرر السمر الرابع ص ٢٤٨ ترجمة رقم ٩٧٤ .

(١١) ابن الخطيب ، الاحاطة (منطوط الاسكوريال) لوحة رقم ٤٠ - ٤١ ، ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ص

الاول ترجمة رقم ٩٤٨ ص ٣٧٧ - ٣٧٧ .

(١٢) لويس سيكودي لوثينا ، الوثائق العربية الغرناطية وقبعتها التاريخية ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية

مهدد سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠ المجلدان ٧ - ٨ ص ٨٥ - ١٠٨ .

غرناطة ، له استقلال واسع فى المناطق الخاضعة لسيادته (١) . اما المناطق التى كان يصعب على السلاطين اخضاعها فقد سلموا ادارتها الى قادة عسكريين ، كان يطيع الواحد منهم من ألف الى ألفين من الاتباع (٢) .

وكان حكام بعض الاقاليم يتخذون لهم وزراء ، من هؤلاء نذكر الامير ابا سعيد امير مالقة الذى كان له وزير هو محمد بن محمد بن ابراهيم بن عيسى الحميرى الملقب (٣) . كما كانوا يتخذون لهم كتابا فنسمع عن جد ابن الحاج النميرى الغرناطى الذى كتب للرؤساء من بنى اشقيلولة بوادى آش وضبط المهم من اعمالهم (٤) . كذلك كان ابو على حسين بن يوسف بن عبد السلام الخزرجى الغرناطى يعمل كاتباً باندرش (٥) .

وكان لكل مدينة مشرف (٦) ، ومقرة دار الاشراف (٧) ، وهو الموظف المالى المختص بجمع الايجارات والضرائب الخاصة بممتلكات السلطان (ناظر الخاصة الملكية) كذلك فقد اطلق اسم المشرف ايضا على المفتش الذى يجبى الرسوم المستحقة على البضائع الصادرة من الاندلس أو الواردة اليها ، وقد انتقلت هذه الوظيفة يلفظها ومعناها الى الممالك المسيحية الاسبانية تحت اسم ALM'OXARIF ثم حورت الى ALM'OJARIFE (٨) .

وقد قام محمد الخامس بتعيين نواب له من اهل العلم والعدالة والدين والجلالة مهمتهم " التطوف بالبلاد الاندلسية ، ومباشرة الامور بالإيالة النصرية ،

(١) انظر : José María Casciaro : El Visirato en el Reino Nazarí de Granada p. 4 - 15 .

(٢) انظر : Marmol p. 189 .

(٣) ابن الأحمر : مستدوع العلامة ص ٦٥ - ٦٨ .

(٤) ابن الخطيب : الاطاحة (عنان) ج ١ ص ٣٥٠ ، وابن حجر العسقلانى : السفر الاول ترجمة رقم ٦٩ ص ٢٨ - ٢٩ .

المقرى : نفع الطيب ج ٨ ص ٢١ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ص ٨٧ - ٩٢ .

(٥) ابن الخطيب : الكتبية الكامنة ص ٢٠٥ ، ابن الأحمر : نثير فرائد الجمان ص ٣٠٨ .

(٦) الازدى : تحفة المغرب ص ٧٤ - ٧٧ .

، ابن الخطيب : الاطاحة (مخطوط الاسكوريال) لوحات ١٥٧ ، ١٦٤ ، ٣٣٨ .

(٧) ابن الخطيب : الاطاحة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٤٦ .

(٨) انظر : Leopoldo de Eguilaz : Etimología de Las palabras españolas de origen orien-

tal p. 255 (Granada 1886) & Diccionario de la Lengua Española.

ينهبون الينا ما يستطلعونه ، وبلغون من المصالح ما يتعرفونه ، وقيدون ما تحتاج اليه الشعوب (١) وسيرة القواد ، وولاة الاحكام بالبلاد " (٢) .

(١) انظر : . 139 p. núm 3 V. ano V. cit. Op. M. Gaspar Remiro

(٢) انظر : . 141 p. IBID

الحياة الحربية فى مملكة غرناطة

الروح الحربية

لدى الشعب الغرناطى

كان لاضطراب الأحوال السياسية فى مملكة غرناطة، ولاستمرار الصراع غير المتكافئ بينها وبين ممالك أسبانيا المسيحية، أن شعر أهلها بأنهم كالأغريباء فى بقعة من الأرض محاطة بالبحر وبالأعداء. وتعكس كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين مثل هذا الشعور حتى قبل سقوط غرناطة بزمان طويل، فابن الخطيب (ت ٧٧٦ / ١٣٧٤) يدعو الله أن يعينهم على إقامة الدين فى «هذا الوطن الغريب»^(١) وإن «الله تعالى ولى هذه الأمة الغربية»^(٢)، ويصف أهل الاندلس «بالأمة الغربية» و«وطننا الغريب»^(٣)، وأنها البلاد «التي خلص لله أفرادها وانقطاعها»^(٤)، وأنها «بلد محصور، وبين لحى أسد هصور»^(٥)، و«القطر الوحيد، المنقطع بين الأمم الظافرة، والبحور الزاخرة، والمرام البعيدة»^(٦)، وأن «عدد المسلمين لا يبلغ من عدد الكفار عشر العشار، ولا وبرة من جلود العشار»^(٧) بل أنه ينصح أبناءه بأن لا يحصلوا على عقارات ثابتة، وإنما ينفقوا أموالهم فى أشياء منقولة يستطيعون نقلها معهم بسهولة فى حالة غزو الأعداء، حيث يقول لهم «ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد، الذى لا يصلح لغير الجهاد، فلا يستهلكه أجمع فى العقار، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار، وساعيا لنفسه أن تغلب العد وعلى بلده فى

(١) المقرئ : نفع الطيب ج ٦ ص ١٦٦، ج ١٠ ص ٢٥٩، أزهار الرياض ج ١ ص ٣٣٤ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ج ٦ ص ١٨٦ .

(٣) المقرئ : نفسه ج ٩ ص ١٨٦ .

(٤) المقرئ نفسه ج ٩ ص ٥٣ - ٥٤ .

(٥) المقرئ : نفسه ج ١٠ ص ٢٣٧ .

(٦) انظر :

(٧) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٧ ص ٥١ .

الافتضاح والإفتقار، ومعوقا عن الانتقال أمام النوب الثقال»^(١). كما أن ولده علياً يصف الاندلس بأنه «الوطن الذى احاط به العدو والبحر»^(٢). كذلك يذكر الشاعر الغرناطى ابراهيم بن الحاج فى طلب المساعدة من تلمسان «ساعد هذا البلد الغربى»^(٣). ومن المحتمل أن تكون كلمة «غرباء» التى تكررت فى كتابات الغرناطيين فى تلك الفترة لها علاقة بحديث النبى عليه الصلاة والسلام «ولد الاسلام غربياً، وسيعود غربياً كما بدا فطوى للغرباء»^(٤).

وما لا شك فيه أن وجود مملكة غرناطة بين ثلاث دول مسيحية هى قشتالة وأراجون والبرتغال جعل الشعب الغرناطى دائم الاستعداد للقتال والزود عن حياضه، حتى أنهم كانوا يخرجون إلى الفحوص فى أيام الأعياد حاملين أسلحتهم معهم لقربهم من أرض العدو، وتعرضهم لغزواته فى أى وقت^(٥). وقد أشار الوزير الغرناطى لسان الدين بن الخطيب إلى الإعداد الحربى للشباب فى غرناطة بقوله «والصبيان تدرب على العمل بالسلاح، وتعلم المشاقفة كما يعلم القرآن فى الألواح»^(٦).

ومن الطريف أن هذه العبارة تتفق مع ما جاء فى المصادر الاسبانية من أن جميع أفراد الشعب الغرناطى حتى الأطفال منهم قد اشتهروا بمهارتهم فى استعمال القوس والنشاب وتربيش السهام إلى درجة أثارت اعجاب اعدائهم^(٧). ولعل الاحتفالات الشعبية التى تقام حتى اليوم فى أسبانيا ويمثل فيها القتال بين المسلمين والمسيحيين أو ما يعرف باسم Moros y Cristianos تعطينا فكرة عن هذه الحياة الحربية التى

(١) المرقى : نفع الطيب ج ١٠ ص ٢٥٩، ازهار الرياض : ج ١ ص ٣٣٤ .

(٢) المرقى : نفع الطيب ج ١٠ ص ٢٤٣ .

(٣) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ج ٢ ص ١١٧ - ١١٨ (الجزائر ١٩٠٣) .

(٤) انظر : Dr. A.M. Al Abbady: El Reino de Granada en la Época de Muhammad V.p. : 4 - 5.

(٥) ابن الخطيب : اللمعة ص ٢٩، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٤ .

(٦) انظر : Gaspar Remiro : Correspondencia p. 265 & El Abbadi : Op. Cit. p. 133 .

(٧) انظر : Pulgar: Reyes Católicos p. 250 & Prescott: History of Ferdinand and Isabella: p. 173 El Abddi: Op. Cit. p. 133

سادت اسبانيا في العصر الوسيط^(١) .

كذلك كان السلاطين يحرضون الشعب على الاستعداد للجهاد في سبيل الله، مثال ذلك السلطان محمد الخامس الذي أمر بأن يعمل سكان العاصمة على استكمال واجبات الجهاد، كما أمر بارشادهم إلى طريقة اعداد الخيل وتجهيز ريش السهم قبل الرمي^(٢) . وجمع الصدقات لبناء حصن فارة ليكون «أعاضة للمسافرين، والمجاهد للكافرين»^(٣) .

ويذكر Fernandode Pulgar عند حديثه عن حصار الملكين الكاثوليكين لرندة عام ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م ان سكان هذه المدينة كانوا مدربين على استعمال القسي منذ سن الشباب وان مهارتهم قد ظهرت اثناء هذا الحصار^(٤) .

كذلك كان الشعب الغرناطي وامراؤه يهتمون بالفروسية والطعن والضرب^(٥) ، و«بمعاناة الحروب ومعالجة الآتيا والنظر في مهماتها»^(٦) . وبلغ من اهتمامهم بأمور الحرب ان كانوا «يقدمون من قدمته شجاعته، وعظمت في الحرب نكايته، فشجع الجبان، وأقدم الهيبان»^(٧) .

واخذ العلماء في تحريض الناس على الجهاد والاستعداد له^(٨) ، فهذا أبو مروان الريحانسي قد توجه إلى مراكش «برسم استنفار القبائل للغزو ببلاد الاندلس» في

(١) د. أحمد مختار العبادي، الاعياد في مملكة غرناطة ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب : ج ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٩ ، ٢٤٦ - ٢٤٧ وكذلك :

Gaspar Remiro : Correspondencia Op. Cit. ano Vnüm 1,2 p. 38 .

(٣) المقرئ : المصدر السابق ج ٩ ص ١٠٩ - ١١٠ .

Pulgar: Guerra de Granada p. 166

(٤) انظر :

(٥) المقرئ : المصدر السابق ج ٤ ص ١٤٧ مثال ذلك الأمير فرج ولي عهد اللقيط الذي كان فارسا حاذقا على صغر سنه

(ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٦) .

(٦) المقرئ : المصدر السابق ج ٤ ص ١٤٧ .

(٧) المقرئ : نفع الطيب : ج ٤ ص ١٥٢ .

(٨) ابن الخطيب : ربحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال) لوحات ٩٢ - ١٠٠ ، الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٢١ ،

النهاي : نزعة البصائر في : Müller p. 118 ، المقرئ : أزهار الرياض ج ١ ص ٦٣ ، ابن فرحون : الديباج المذهب

ص ٤٢ ، ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ٢٩٩ - ٣٠٠ ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٦٨ - ٦٩ ، ٢٣٧ - ٢٣٨ ، ٢٥٨ .

عهد أبى يوسف بن عبد الحق^(١) . كذلك كان عبد المنعم بن على بن سدر (يكنى أبا العرب ويعرف بالحاج وكان حيا عام ٦٦٣هـ) من أعظم الأسباب فى جواز أهل المغرب لنصرة من بالاندلس فى أول الدولة النصرىة^(٢) ، كما كان لأبى الوليد التيجيبى (ت ٧١٨هـ) «عدة كاملة من السلاح والخيل اعدھا للغزاة من ماله»^(٣) . كما ان المتصوف محمد بن البكرى المعروف بابن الحاج (ت بالمريّة سنة ٧٢٥هـ) تطوع للخروج عند قيام الاراجونيين بحصار المريّة ليطلب من السلطان النجدة فتيسر له ذلك^(٤) . كذلك نجد أن على بن لسان الدين بن الخطيب يطلب من الناس أن يتقنوا السلاح والعدة^(٥) . كما كتب القاضى أبو القاسم عبد الرحمن بن ربيع الأشعرى عن سلطانه، لتحريك القبائل للجهاد «بما يشحذ العزائم، ويوقظ النائم»^(٦) . وكان محمد بن يوسف اليعصبى الغرناطى (ت ٧٧٣هـ) الذى كان عارفا بالحديث والقراءات والفقہ «يعين ضعفة الجند»^(٧) وتزخر كتب التراجم الخاصة بهذا العصر بأسماء العديد من العلماء الذين استشهدوا فى معركة طريف عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م.

كذلك وضعت الكتب والمصنفات للحض على الجهاد ، ووصف الاسلحة والمعدات الحربية، نذكر منها كتاب ابن سعيد المغربى (ت ٦٨٥هـ) «رايات المبرزين وغايات المميزين»^(٨) ، وكتابه ابن هذيل الأندلسى «حلية الفرسان وشعار الشجعان»^(٩) ، و«تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس»^(١٠) . وكتاب «سبيل الرشاد فى فضل

(١) الأزدى : تحفة المغرب ص ٧٠ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٣) ابن حجر العسقلانى ، الدرر السمر الثالث ص ٣٥٠ - ٣٥١ ترجمة رقم ٩٢٩ .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٦٥ .

(٥) المقربى : نفع الطيب ج ١٠ ص ٢٤٣ .

(٦) النباهى : المرقبة العليا ص ١٢٥ .

(٧) ابن حجر العسقلانى : المصدر السابق : السمر الرابع ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ترجمة رقم ٨٢٩ .

(٨) نشره الدكتور النعمان عبد المتعال القاضى (القاهرة ١٩٧٣) .

(٩) نشره الاستاذ محمد عبد الفتى حسن (القاهرة ١٩٥١) .

(١٠) نشره مارسيدال Louis Mercier : L'Ornement des Ames et la Devise do Habitants d'El Andalus (Paris 1939) .

الجهاد « لابن الزبير (ت ٧٨٠هـ) ^(١) . وكتاب «الخلل الموشية» ^(٢) ، مؤلف مجهول من عصر السلطان محمد الخامس الغنى بالله، يتحدث فى مقدمته عن مفاخر هذا السلطان، ثم يفيض فى الحديث عن النجاح الحربى الذى حققه المرابطون والموحدون من قبل والخطط العسكرية التى اتبعوها ، منتهزا الفرصة لتحريض الناس على الجهاد .

التحصينات والمنشآت الدفاعية

قام سلاطين غرناطة بإقامة الحصون، وتقوية الأسوار التى تحمى مدنهم، فعلى سبيل المثال نجد ان الحاجب رضوان قام بتأسيس السور الأعظم الذى كان يحيط بربض البيازين ^(٣) . ويتألف السور عادة من درب فى أعلاه يسير عليه المحاربون يسميه المؤرخون أحيانا ممشى السور، وشرفات يقذفون منها سهامهم ودورات يحتمون خلفها ^(٤) .

كذلك قام محمد الخامس بإعادة تحصينات الحمراء التى خربت فى حوادث عام ١٣٦١ - ١٣٦٣ ^(٥) . كما انفق ٢٠,٠٠٠ دينار من الذهب لتجديد قصبة أرجونة ^(٦) . كذلك حفرت الخنادق حول المدن لإحكام تحصيناتها ^(٧) . وكان سكان الاقاليم التى تقع على الحدود يشاركون فى تأسيس هذه التحصينات والأسوار والاستحكامات، من ذلك ما يرويه أبو البركات بن الحاج البلقيى من أن جده أبا

(١) ابن فرحون ، الديباج المذهب ص ٤٢ ، ابن القاضى : درة المجال ج ١ ص ٤ .

(٢) نشره ادريس علوش (الرباط ١٩٣٦) كما نشر فى تونس عام ١٣٢٩ هـ . وترجمة المستشرق الاسبانى A mbrosio Huici Miranda

إلى الاسبانية فى : Tetuan) 1 La Colección de Crónicas árabes de al reconquista t. 1 (1952) .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عتان) ج ١ ص ٥١٧ .

(٤) د . السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور بالاندلس ص ١٣٦ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٣٠ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٣٠ . وكذلك :

Dr. A.M. El Abbadi: El Reino de Granada p. 132 .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٣٠ .

اسحاق قد أسس الجزء الأكبر من اسوار مدينتهم بلفيق^(١) .

بل كان سكان أقاليم الحدود يجبرون على دفع ضرائب معنية لتأسيس الاسوار والتحصينات لحماية حدودهم ضد هجمات الاعداء . ولجد أن فقهاء غرناطة مثل أبى اسحاق الشاطبي (ت فى غرناطة عام ٧٩٠ / ١٣٨٨) وافقوا على هذه الضرائب مبينين أنها كانت بهدف المصلحة العامة لكل سكان المنطقة^(٢) .

كذلك أقام الغرناطيون الأبراج المختلفة حول مدنها للدفاع عنها ، مثال ذلك مالقة التى كانت تمتاز « بالبروج التى شابهت لجحوم السماء كثره عسده وبهجة ضياء »^(٣) . وقد نقل الغرناطيون نظام البرج البرانى Albarranas^(٤) .

عن الموحدين وتوسعوا فى انشائه ، وتروى المصادر ان القشتاليين قد استولوا قسرا على برج برانى فى أسوار أنتقيرة عام ٨١٣هـ / ١٤١٠م^(٥) . كما يذكر Pulgar أنه كان بجانب ترسانة مالقة برج برانى عال قوى^(٦) . ثم انتقل نظام البرج البرانى إلى الجانب المسيحى حيث لجد أن القشتاليين ، على سبيل المثال ، قد قاموا بتأسيس ستة عشر برجاً برانياً فى مدينة طلبيرة Talavera de la Reina^(٧) .

(١) المرقى : نفع الطيب ج ٧ ص ٣٩٨ . وكذلك :

Dr. El Abbady Op. Cit. p. 133 nota 2

Dr. El Abbady : Ibid. p 132 .

(٢) انظر :

(٣) المرقى : نفع الطيب : ج ٥ ص ٢٠٥ .

(٤) من الكلمة العربية البرانى انظر :

Dozy: Suppl. I pp. 61 - 62; & Leopoldo Torres Balbás: Las Torres Albarranas (Al Andalus Vol. VII (1942) P. 216 - 219

والأبراج البرانية ابتكار موحدى قصد بها تدعيم السقارة أو السور ، فالبرج البرانى يرتبط بالسور الأسمى عن طريق سقارة ثانوية تسمى قووجة تسعدهم خلق الطريق الأسمى أمام الأعداء فى اضعف مناطق السور . انظر (الدكتور السهد هبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها مجلة عالم الفكر ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، إبريل - مايو ، يونيو ١٩٧٧ ، ص ١٢٩ .

(٥) انظر : L. Torres Balbás: Antequera Islamica. Al Andalus Vol. XVI (1951) fasc 2, p. 437.

Pulgar: Crónica de los Reyes Católicos II, p. 284

L.T. Balbás: Las Torres Albarranas p. 216 - 217

(٦) انظر :

(٧) انظر :

كما اهتم ملوك غرناطة باقامة ابراج المراقبة أو الطليعة Torres Atalayas^(١). على ارتفاع كبير يمكن منه مراقبة تحركات الأعداء، ولقد اهتم المسيحيون طوال حروبهم مع المسلمين بتدمير هذه الأبراج التي كانت تعوق تحركاتهم، مثال ذلك ما قام به رجال Alvaro de Luna في عام ٨٣٥ / ١٤٣١ من محاصرة برج الطليعة في Col de Lope دون نجاح، وقد سقط هذا البرج عام ٨٩١ / ١٤٨٦^(٢). وقد تخمس سلاطين غرناطة لإقامة هذه الأبراج لتقوية الاستحكامات الدفاعية عن البلاد، فنجد ان محمداً الثالث قد أقام خمسة أبراج، كان أهل الريف يجدون فيها ملجأ من هجمات المسيحيين على فحوص غرناطة^(٣). كذلك فقد لاذ أهل مالقة بالفرار إلى أبراجهم حاملين منقولاتهم معهم عند حملة قشتالة على شرقية المدينة عام ٨٨٨ / ١٤٨٣^(٤). كما يذكر Pulgar أنه كان في بسطة في عام ٨٩٥ / ١٤٨٩ ما يقرب من ألف برج صغير عند حصار الاسبان لها^(٥).

كذلك أقام سلاطين غرناطة ابراجا مستديرة لتعزيز الاستحكامات الدفاعية للمملكة^(٦)، وابر اجا مربعة كانت تقام بين مسافة وأخرى من الستارة أكثر منها ارتفاعا بحيث تبرز إلى خارج المدينة مثل بعض ابراج غرناطة والمرية وقصبة مالقة وجبل فارو وجبل طارق^(٧).

كذلك فقد تميزت التحصينات النصرية باستخدام السور الامامي الذي ربما كان

(١) من الكلمة العربية الطليعة.

(٢) انظر: Crónica de D on Alvaro de Luna. Cap XXXV, p. 123 - 124 & Pulgar: Crónica de los Reyes Católicos Vol. II, Cap. CL XXXVIII, p. 229 .

(٣) انظر: Mármol: Historia de la rebelión, 2^o éd, vol. I (Madrid 1797), Cap. VII, p. 25.

(٤) انظر: M. Diego de Valera: Crónica de los Reyes Católicos, ed J. de M. Carriazo, Cap. L I, p. 162 .

(٥) انظر: Pulgar: Op. Cit.: Vol. II, Cap. CCXXV, p. 372 .

(٦) مانويل جومث مورينو: الفن الاسلامي في اسبانيا، ترجمة دكتور السيد عبد العزيز سالم ودكتور لطفى عبد البديع

ص ٣٠٤ (القاهرة ١٩٦٨).

(٧) دكتور السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور بالاندلس ص ١٣٦ .

تأثيرا مسيحيا^(١). ففي غرناطة كان باب البيرة محميا بسور امامى هدم فى عام ١٦١٤م، كذل كانت لوشة، وبسطة، وAlhendén والمربة محاطة باسوار أمامية قوية^(٢).

الجيش الغرناطى

كان الجيش فى مملكة مثل غرناطة - يحيط بها الأعداء المتريصون من كل جانب عماد حياتها وضمان بقائها، وكان الجيش الغرناطى يتكون من عناصر مختلفة منها الاندلسى والبربرى والماليك الذين كانوا يعملون كحرس خاص للسلطان، وكانوا من جنود يوجهون إلى أصل مسيحي يسميهم ابن الخطيب بماليك، وابن خلدون معلوجين^(٣).

بالاضافة إلى هذا الجيش النظامى كان السلطان عند القتال يكتب إلى عماله ليقوموا بالحض على الجهاد واستنفار المتطوعة^(٤) والمرتزة^(٥). ويفهم من النصوص انه كان فى مملكة غرناطة عناصر من الجند من الاغزاز^(٦). ومن المعروف ان الموحدين قد استمالوا واصطنعوا عددا كبيرا من الجنود الغز الذين قدموا من مصر إلى المغرب بقيادة الأمير قراقوش التقوى على عهد صلاح الدين الأيوبي، ثم ارسلا بعضهم إلى الأندلس برسم الجهاد، وفى البيان المغرب لابن عذارى نجد معلومات طريفة عن هؤلاء الاغزاز وجليهم وملابسهم^(٧).

(١) انظر L.T. Balbás: Barbacanas. (AI Andalus Vol. XVI - 1951 pp. 454 - 480 و Barbacana (البربخانة) كلمة فارسية تعنى

السور الامامى الذى يسبق الستارة الأساسية أو السور الأساسى. (انظر : دكتور السيد عبد العزيز سالم ، بعض مصطلحات العمارة الاندلسية المغربية؛ صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بديره. المجلد الخامس العددان ١ - ٢ / ١٣٧٧ / ١٩٥٧ ص ٢١٤ - ٢٥٣ .

(٢) انظر Balbás : Op. Cit, pp. 468 - 470

(٣) انظر Dr. El Abbadi: El Reino de Granada p. 127

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٩ - ٥٦ ، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٧ .

(٦) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٢٦١ .

(٧) ابن الخطيب : نفخة الجراب ص ٣١١ ج ٢ ،

ابن عذارى : البيان المغرب؛ نشر هيسى ميراندا ج ٣ ص ٢٠٨ .

بعد أن تمكن محمد بن يوسف بن نصر من تأسيس دولته بمساعدة أنصاره من أسرته من بنى نصر، وأصهاره من بنى أشقيلولة، وبعض الفرسان الذين ينتسبون إلى أسرتين أندلسيتين عريقتين هما بنو صناديد من جيان، وبنى المول من قرطبة، كان هؤلاء هم نواة الجيش الغرناطي. ووضعت هذه القوات الغرناطية تحت قيادة قريب للأسرة المالكة أو إحدى الشخصيات النابذة في المملكة^(١). فنجد أن محمدا الأول يقوم بعد أن دخل غرناطة بتسليم قيادتها إلى صهره أبى الحسن بن أشقيلولة^(٢).

وكان الجيش الأندلسي يتكون من فرق مختلفة منها «رجل الأندلس وناشبتهم المعودين منازل الحصون والمشاغرة بالرباط»^(٣)، ورجل البدو^(٤)، وفرق الرماة، وفرق الرجال الرامحة^(٥)، والفرسان^(٦)، كذلك كانت هناك فرق أندلسية تعمل في المغرب عرفت باسم «رجل الأندلسيين»^(٧).

وكانت القيادة العامة للجيش في الدولة النصرية، في غرناطة العاصمة، ولها فروع في المدن الهامة ذات الاستراتيجية العسكرية مثل وادي آش^(٨).

ويفهم من النصوص أنه كان للجيش الغرناطي أعلام حمراء وأخرى من ألوان مختلفة^(٩).

(١) ابن الخطيب : اللوحة ص ٢٧، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٢ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٢٨٧ .

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٢٢٨ . هذا ويعطينا ابن الحاج التميمي وصفا للمشاة الأندلسيين فيقول: «وإما المشاة الأندلسيون فكان عليهم الألبسة المختلفة الألوان وفوق رؤسهم الرقاقيل (براد بها نوع من القلائس المنيبة)، قد اعتقلوا بالعص الطرال، وثنوا بالامداس (النبال) وتقلدوا بالنبايل (السهام) وما منهم إلا من حملت عصا راية تداعب هبات النسيم. انظر (التمهيد: قبض العباب لوحة ٨٣ - ٨٦، المتونى نظم الدولة المرينية. مجلة البحث العلمى العدد الثانى السنة الأولى مايو / اغسطس ١٩٦٤ ص ٢٢٠ .

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٢٦١ .

(٥) انظر : Gaspar Remiro : Correspondencia Op. Cit. ano IV núm I p. 26 & L.T.؛ Balbás: Gibraltar, llave y Guarda de España (AI Andalus vol. VII, 1942, fasc. I p. 183

IBID ano V núm 1 - 2 p. 4

(٦) انظر :

(٧) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ص ٣٠٦ ، ٣١٦ ، ٣٢٩ ، ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٩٢، العسقلاني : الدرر السفر الرابع ص ٤٠٤ ترجمة رقم ١١٠٩ .

(٩) ابن الأحمر : نثير فرائد الجمان ص ٢٧٥ . ويقول ابن زمرك في مدح محمد الخامس (ازهار ج ٢ ص ٩٥)

وكانت هذه الاعلام ذات اشكال مختلفة منها المريح والمستطيل والمثلث، وكانت لها عناصر زخرفية من أشكال هندسية مختلفة تبدو فى داخل خيامهم التى كانوا يقيمونها فى اثناء المعارك على شكل الناقوس^(١). ويبدو ان هذا اللون الأحمر قد استخدمه الاندلسيون فى عصر سابق على دولة بنى الأحمر. فقد ورد فى كتاب الحلل الموشية لمؤلف مجهول كيف أنه فى عصر المرابطين خرج الجيش الاندلسى للجهاد براية حمراء بجانب رايتهم البيضاء^(٢).

وكانت قوات الجند تخضع لرقابة صارمة من ولاية الثغور، وكل جندى يتهم بالاهمال فى رعاية حصانه أو صيانة سلاحه، كان يحرم من راتبه. وعلى العكس كان يكافأ كل جندى يظهر اهتماما بمطيته أو معداته^(٣).

ويروى ابن الخطيب ان أحد نقباء القائد غالب بن أبى بكر الحضرمى المعروف بابن الاشقر (ت ٧٢٧ هـ) كان «يحمل معه مقصا لايقاع المثلة^(٤) بذقون مضيسى المسلحة^(٥) أو متهيبى الملحمة^(٦)».

وتذكر المدونات الغرناطية أنه كان بغرناطة ديوان للجند تبحث فيه الموضوعات المتعلقة بالناحية العسكرية^(٧)، وديوان للعطاء^(٨)، وقد أعيد تنظيم سجل الجند فى

من كان يندك يا مولاي يقدمه
ويقول ابن هليل (نلع ج ٨ ص ٨) :
بحيث البند الحمر والاسد الورد
كثائب سكان السماء لها جند
البند جمع بند وهو العلم، الاسد الورد: الجرى، واواد الفرسان فشبهم به. سكان السماء الملائكة. ويقول ابن الخطيب

ونحت السراية الحمراء متنا
المقرى: نلع الطيب ج ٨ ص ٣٤٤.

(١) محرز : الرسوم الجدارية الاسلامية فى البرطل بالحمراء ص ٢٢، ٣٥ - ٣٦ .

(٢) مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص ١٠١ وكذلك:

Dr. El Abbadi: El Reino de Granada p. 125.

(٣) ابن هليل : تحفة الانفس ص ٢٤ .

(٤) المثلة : يضم الميم وسكون الثاء - التمثيل بالقتل بنمر تقطيع اطرافه والمقصود هنا هو خلق شعر الذن.

(٥) المسلحة : بوزن المصلحة قوم ذوو سلاح وتعنى كذلك الثغر.

(٦) ابن الخطيب : الاطاعة (الاسكوريال) لوجه ٣٥٣ .

(٧) ابن خلدون : الإطاعة (الاسكوريال) لوجه ٢٨٣ . ٣١٤ - ٣١٥ ، ٣٣٨ .

(٨) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٢٦٤ .

عهد محمد الخامس^(١). ويحدثنا السلطان محمد الخامس عن اهتمامه بمرتبات الجنود فيذكر في إحدى رسائله «وأوسعنا مدونة الجيش عرضاً، وفرضنا انصافه مع الأهلة فرضاً»^(٢). كذلك يذكر ابن الخطيب عن الجنود المقيمين على الحدود أن «من بها من الحماة وذوى المرتبات قد اختلت أحوالهم بسبب ما تأخر من واجباتهم، وتعذر في هذه المدة الطويلة من مرتباتهم»^(٣).

وكانت مرتبات الجنود تدفع مقدماً بالذهب وتختلف «بحسب الرتبة»^(٤)، وخلال المعارك كان السلطان يسير أمام جيشه أو يفوض قيادته إلى أحد الأمراء أو الوزير^(٥).

ويحدثنا ابن هذيل أن الجيش كان يتكون من «الجريدة» وهي التي تجرد لوجه من الوجوه، ثم «السرية» وهي من خمسين إلى أربع مائة، ثم «الكتيبة» وهي من خمسمائة إلى ألف، ثم «الجيش» وهو من ألف إلى أربعة آلاف، وكذلك «الفيلق» و «الجيشفل» ثم «الخميس» وهو من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفاً، و«العسكر» يجمعها^(٦).

ويضيف ابن هذيل أن قوات الجيش الغرناطي كانت تنظم بأن يوضع على كل ثمانية من الجنود ناظر وتعقد له عقدة في رمحه وعلى كل خمسة ناظر عريف ويعقد له بند. وعلى كل خمسة عرفاء نقيب ويعقد له لواء، وعلى كل خمسة نقباء قائد ويعقد له علم، وعلى كل خمسة قواد أمير ويعقد له راية^(٧). وتنتقل الأوامر على أساس هذه المراتب^(٨).

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) ابن خلدون : التعريف ص ١٨١، ابن الأحمر: نثير لرائد الجمان : ص ٢٧٢، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٦ ص

٥٤٦ .

(٣) Gaspar Remiro : Op. Cit. ano 4 núm 1 p. 25

(٤) انظر :

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٣٠ - ٣١، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٧١، المقرئ : نفح ج ٧

ص ٩٠، ٥٠، ٥٤ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٢ .

(٧) ابن هذيل : حلبة الفرسان ص ٢٧٣ .

(٨) ابن هذيل : حلبة الأنفس ص ٢٤ - ٢٥ .

(٩) ابن هذيل : حلبة الأنفس ص ٢٥ .

جيش الغزاة المغاربة

كان الجيش الغرناطى يضم بعض الفرق البربرية من القبائل المرينية، والزنااتية والتجانية، والمغراوية والعجيسية، والعرب المغربية^(١). وكانوا يعرفون بجند الغزاة. فقد لجأ محمد الأول، عندما أدرك أنه لن يستطيع مواجهة مسيحيى أسبانيا منفردا، إلى ادخال هذه العناصر فى جيشه وخاصة من قبيلة زناتة «لحماية الشغور ومدافعة العدو، وغزو دار الحرب»^(٢). وكان على رأسهم شيخ الغزاة^(٣).

فعندما استنجد بنو الأحمر بالدولة المرينية لتشد من أزهم ضد نصارى اسبانيا، أسرع سلاطينهم لنجدتهم، وعبرت قوات السلطان أبى يوسف بن عبد الحق إلى الأندلس فكان لها فى العدو وقائع مذكورة، ومواقف مشكورة، ووجد السلطان المرينى فى ذلك فرصة ليعث إلى الأندلس بمن يخشى بأسه من فرسان يراد إبعادهم أو مغامرهم ممن تكاد أرضهم أن تزهد فيهم، وذلك برسم الجهاد ضد النصارى، واستقبل بنو الأحمر هؤلاء القادة بترحاب ومودة، وعقدوا لهم على قيادة الغزاة المجاهدين من زناتة وبنى مرين. وكان أول من عقدت له القيادة منهم هو موسى بن رحو ثم لآخيه عبد الحق ثم لغيرهما من ذوى القرابة^(٤).

وشغل الأمراء المرينيون وخاصة من بنى عبد الحق هذه الوظيفة بطريقة تكاد تكون وراثية^(٥). «لأنهم يعسوب زناتة»^(٦).

وكانت القيادة العامة لمشيخة الغزاة فى غرناطة العاصمة، وتتفرع عنها قيادات

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ٢ ص ١٤٢ ، اللعة ص ٢٨ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٢٦٣ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ج ٦ ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٥) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٧ ص ٢٦٣ - ٣٦٦ - ٣٧٢ .

(٦) المقرئ : صبح الاعشى ج ١١ ص ١٤ ، ١٩ - ٢٠ ابن حجر العسقلانى : الدرر السمر الرابع ص ٤٢١ ، المقرئ : تلح الطيب : ج ٧ ص ٣٨ وكذلك :

Gaspar Remiro: Correspondencia. Op. Cit., ano V, núm 3, p. 158, El Reino de Granada p. 126 nota 4.

فرعية فى وادى آش ورندة ومالقة وذكوان^(١). ومناطق حيوية أخرى فى المملكة مثل قمارش وحصن قشتال^(٢).

ويصف ابن الخطيب شيوخ الغزاة بأنهم «متوا إلى ملك المغرب ببنة العمومة وتزينوا من حلاء العز بالتيجان المنظومة، فهم سيف الدين، وأبطال الميادين وأسود العرب ونجوم سماء بنى مرين^(٣). كما يلخص مهمة شيخ الغزاة فى ظهير صدر عن محمد الخامس الغنى بالله لشيخ الغزاة على بن بدر الدين بأنه «شيخ الغزاة بحضرته العلية، وسائر بلاده النصرية، ترجع القبائل والأشياخ إلى نظره فى السكنات والحركات، فعليه تدور أفلاك جماعتهم كلما اجتمعوا وإتتلفوا وبحجة فضله يزول أشكالهم مهما اختلفوا ويلسانه المبين يقرر لهم ما أسلفوا، وفى كنف رعيه ينشأ من اعقبوا من النشء وخلفوا، وبأقدامه تنهض أقدامهم مهنى توقفوا فهو يعسوب كتابهم الملتفة، وفرزان قطعهم المصطفة وعين عيونهم النابهة^(٤).

وكان شيخ القبائل يقود جيشا اختلف لسانا ولباسا باختلاف القبائل التى ينتسب إليها جنود هذا الجيش الذى كان يتكون من عدة كتائب^(٥). كذلك كانت لهم درجات وأرزاق تختلف باختلاف هذه الدرجات^(٦).

وقد تمتع شيوخ الغزاة المغاربة فى غرناطة بمركز مرموق^(٧)، ونالوا الكثير من المحظوة لدى سلاطينها، وكان لهم جزء كبير من الضرائب^(٨). وفى عهد محمد

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، اللوحة ص ٢٧ ، ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٣٧٧ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ١١ ص ١٩ - ٢٠ وكذلك :

Dr. El Abbadi: Op. Cit. p. 126.

(٢) انظر : M. Gaspar Remiro: Documentos Árabes de la Corte Nazari de Granada p. 6١ - 7, 13 (Madrid 1911).

(٣) انظر : M. Gaspar Remiro: Correspondencia Op. Cit. ano V, núm 3, p. 148 .

(٤) انظر : M. Gaspar Remiro: Correspondencia Op. Cit., ano V, núm 3 p. 153 - 154 .

(٥) ابن الخطيب : ربحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال) لوحة ١٧١ ، نفع ج ٩ ص ٥٣ - ٥٥ .

(٦) انظر : Gaspar Remiro: Op. Cit., ano V, núm 3 p. 165 - 166

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٩٩ .

(٨) ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٣٧٧ .

الخامس زيدت مرتبات الجنود الزناتيين التي كانت تدفع مقدما، كما زيد نصيبهم من الغنائم^(١). كذلك فقد كان السلطان يختصهم في عطائهم «بالعولة وهي أقواتهم وعلوفاتهم من الزرع»^(٢). كما كانت لهم ضاحية في غرناطة تسمى Cenete كان الزناتيون يقيمون فيها في عهد بنى نصر^(٣). وكانوا يحضرون «مجلس العرض على السلطان»^(٤). كما كان لشيخ الغزاة كاتب مثال ذلك على بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي (ت ٧٥٨هـ) الذي «كتب عن شيخ الغزاة أبى زكريا يحيى بن عمر على عهده ثم انصرف إلى العدو سابع عشر جمادى الأولى من عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة»^(٥). كذلك عبد الله بن عبد الملك بن سوار المحاربى الذى «كان كاتبا للغزاة منها به مشهوراً»^(٦).

ويذكر لويس سيكودى لوثينا Luis Seco de Lucena أن المدونات القشتالية تذكر رجلا يدعى محمد بن عثمان وتصفه بالأعرج:

Mohamed ben Ozmin el Cojo تقول أنه كان في الثلث الثانى من القرن الخامس عشر (التاسع الهجرى) شيخا للغزاة في إقليم المرية، وأنه ثار على السلطان محمد التاسع الأيسر، وتلقف منه العرش، وقد اشترك محمد الأعرج هذا في موقعة الشجرة Higuera (٨٣٥ / ١٤٣١) وحارب في مقدمة الفرق العسكرية المغربية. فإذا ذكرنا أن سلطان غرناطة محمد العاشر الملقب بالأعرج الذى لا نعرف عن أمره شيئا ولا كيف وصل إلى الحكم، فمن المؤكد أن يكون شيخ الغزاة هذا هو الذى ارتقى عرش غرناطة بهذا الأسم، فإذا صدق هذا الفرض، كان هناك بين سلاطين غرناطة بنى نصر رجل مغربى هو شيخ الغزاة محمد بن عثمان الذى كان من سلالة

(١) المقرئ: نفح الطيب ج ٧ ص ٧ ج ٩ ص ٥٤ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٦٤ .

(٣) انظر : Marmól : La Historia de la rebelión y Castigo de los Moriscos del reino de Granada, Arfe : Op. Cit.

(٤) ابن الخطيب : اللحة ص ١٠٤ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لرحلات ٣١٤ - ٣١٥ .

المقرئ : نفح الطيب ج ٨ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق لرحلات ٢٧٩ - ٢٨٠ .

شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلا^(١).

ولقد أدت هذه الفرق الزناتية الكثير من الخدمات الجليلة لبنى نصر فى كفاحهم ضد أعدائهم، واستغل ملوك غرناطة براعتهم فى فنون القتال فكانت لهم وقائع فى العدو مشهورة، ومواقف مذكورة^(٢). فبفضلهم فشل الفونسو العاشر وسانشو الرابع فى الاستيلاء على فحوص غرناطة عدة مرات^(٣). كذلك شارك شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلا ورجاله فى أنزال الهزيمة بجيش قشتالة فى عهد اسماعيل الأول^(٤). كما أنه فى اثناء معركة قرطبة المعروفة باسم Campo de la Verdad قام شيخ الغزاة المرينى الامير عبد الرحمن بن على بن أبى يفلوسن فى عهد السلطان محمد الخامس بالهجوم على مدينة قرطبة واستولى على جزء من أسوارها^(٥).

وفى المدونات الاسبانية الخاصة بالقرن الخامس عشر (التاسع الهجرى) كان اسم قبيلة غمار البربرية يدل على الجنود الزناتيين الذين اظهروا شجاعة وشراسة فى القتال عندما هاجم فرناند ومدينة ذكوان Coín فى عام (٨٩٠ / ١٤٨٥)^(٦). كذلك فقد ورد ذكر لرئيس من غمار يدعى «ابراهيم زناتة» الذى تحصن فى جبل فارو بمصاحبة احمد الثغري قائد اقليم مالقة عندما قام الملك الكاثوليكيان بمحاصرة مدينة مالقة عام ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م.^(٧)

ولقد اشتهرت فرق الغزاة المغاربة بنظام وتكتيك حربى خاص عرف باسم قبيلتهم زناتة. وذاع هذا النظام الحربى فى اسبانيا الاسلامية والمسيحية على حد سواء ويشير المؤرخ الاسبانى Ayala إلى أن ملوك قشتالة اتخذوا إلى جانب فرقهم الثقيلة

(١) انظر: Luis Seco de Lucena: El Ejercito y la Marina de las Nezeries, Cuadernos de la Alhambra 7 (Granada 1965), pp. 40

(٢) ابن خلدون: العبر ج ٧ ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٣) Arié Op. Cit.: p. 73 - 74.

(٤) انظر:

(٥) انظر: Rachel Arié: Op. Cit.: pp. 96 - 97 والمصادر التى أوردتها.

(٦) Dr. A.M. EL Abbady: El Renio de Granada p. 79 - 80.

(٧) انظر:

Pulgar: Guerra de Granada p. 157, Colección de Crónicas españolas ed. J. de Mata Carriazo (1940 - 1946)

F. Guillén Robles: Málaga Musulmana pp. 192 - 193.

(٧) انظر:

المدرعة فرقا خاصة من الفرسان يحاربون على طريقة الفرسان الزناتيين الخفيفة الحركة ذات الدروع الجلدية والركاب^(١) المرتفع، وطريقة الكر والفر فى القتال واطلقوا عليهم اسم Ginetes ويلاحظ أن هذا الاسم مشتق من لفظ Zenetes أى زناتة ، ولا يزال لفظ Ginete مستعملا إلى اليوم فى اللغة الاسبانية بمعنى فارس^(٢).

كذلك كان ميغيل لوكاس دى ارانتو، صفى إنريكى الرابع يمتطى فرسه على طريقة زناتة، ويلبس الجبة العربية من الحرير الموشى الغنى باللون^(٣).

كذلك وضع الملك انريكى الرابع حرسه على طريقة زناتة^(٤). ويحكى Bernáldez لنا أن مركيز قادس كان فارسا عظيماً على طريقة زناتة^(٥).

كما ان ابن الخطيب يمدح فروسية الأمير فرج بن محمد الفقيه وولى عهده بأنه كان «زناتى الشكل والركض والآلة»^(٦).

الا أنه على الرغم مما أدته هذه الفرق المغربية من خدمات جليلة فى ميسادين القتال، وما كان لها من مواقف مشهورة، فإنهم كانوا خطرا على العرش الغرناطى. وكثيرا ماكان يحدو شيوخ الغزاة هؤلاء بعض الأطماع السياسية ومن يتصفح تاريخ مملكة غرناطة، يرى أن هؤلاء القادة المغاربة قد لعبوا دورا خطيرا فى السياسة الغرناطية إلى درجة التدخل فى إقامة السلاطين والوزراء وعزلهم^(٧). مثال ذلك أنهم

(١) الركاب : ما يعلق فى السرج فيجعل الراكب فيه رجله.

(٢) انظر : مقدمة نفاضة الجراب للاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى ص ١٧ كذلك ؛

Pedro Lopez de Ayala: Crónicas de los Reyes de - Castilla 1, p. 337 - 338 & Jaime Oliver Asin: Origen arabe de Rebato y sus homonimos p. 34 - 40 .

(٣) د. لطفى عبد البديع : الاسلام فى اسبانيا (القاهرة) ١٩٦٩ ص ١٠٠ - ١٠١ وكذلك

Americo Castro: Espana en su historia p. 94.

Crónica de D. Enrique IV, Cap. 1, p. 101, p. 106.

(٤) انظر :

Historia de los Reyes Católicos Don Fernando y Dona Isabel, en Crónicas de: انظر (٥) los Reyes de Castilla. Cap C IV, P. 646.

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٦٥ وكذلك؛

Dr. A.M. El Abbady: El Reino de Granada p. 127 nota 5.

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، أعمال الاعلام : ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، نفاضة الجراب ص ١٧ .

كانوا المديرين لعزل السلطان نصر وتعيين اسماعيل الأول^(١). كما كانوا السبب في النهاية المفجعة التي لقيها الوزير ابن المحروق على يد سلطانه محمد الرابع^(٢). والمتآمرين لمقتل هذا السلطان^(٣).

بل أننا نجد أنه في بعض الأحيان كانت هذه الفرق المغربية تمثل خطرا كبيرا على أمن المملكة الغرناطية وسلامتها بانضمامها إلى صفوف الأعداء سواء أكانت قشتالة أم أراجون. فعلى سبيل المثال نجد أن السلطان محمد الثالث قرر في عام ١٣٠٣ / ٧٠٣ أن يقف على الحياد في النزاع القشتالي الأراجوني، وقام بعزل سبعة آلاف من جنود الغزاة واعادتهم إلى المغرب، فما كان من هؤلاء إلا أن انضموا تحت لواء قزمان الطيب القشتالي^(٤). كذلك نجح خايمي الثاني ملك أراجون في ديسمبر ١٣٠٣ في استمالة ابن رحوالى خدمته هو وأسرته ورفاقه، وأنزلهم في اقليم مرسية ومنحهم الاقطاعات^(٥). وسرعان ما اشترك هذا الأمير المرنى في الحرب ضد مملكة غرناطة في عام ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤. ^(٦).

من ذلك أيضاً ما حدث في موقعة طريف عندما انضم سليمان ابن شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلا إلى جانب الملك الفونسو الحادى عشر وقام بالحرب ضد غرناطة بعد خلافه مع السلطان أبى الحجاج يوسف الأول^(٧).

(١) ابن الخطيب : اللعة ص ٧٠، الاطاعة (عتان) ج ١ ص ٢٩٤، ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٣٧١ .

(٢) راجع الفصل الخاص بالوزارة.

(٣) ابن الخطيب : اللعة ص ٨٣ .

ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٢٦٤ .

النهاى : نزعة البصائر في Müller p. 133

(٤) انظر : A. Huici Miranda: Giménez Soler (A.) La Corona de Aragón y Granada t. III (B.R.A.B.L.) p. 306, Arié, Op. Cit, p 243 .

(٥) انظر : Rachel Arfé: Op. Cit., p. 243. Archivo de la Corona de Aragón, Reg. 235, 21^{of}.

A.C.A. Reg. 235, F^o 78 V^o, 8 A & Rachel Arie Iuid. p. 243.

A. Huici Miranda:

Grandes Batallas de la Reconquista p. 367

(٦) انظر :

(٧) ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٣٧٢ وكذلك :

ولقد ظلت وظيفة شيخ الغزاة باقية حتى قام السلطان محمد الخامس بالغائها عام ٧٧٥ / ١٣٧٤ وتولاها هو وأولاده في الفترة الثانية من حكمه (١).
إلى جانب ذلك كانت هناك عناصر مساعدة للجيش مثل الشعراء والوعاظ
والجواسيس والأدلاء والمرابطين:

الشعراء والوعاظ :

اعتاد العرب من قديم أن يصحبوا معهم في معاركهم الشعراء والوعاظ الذين يروون للجنود مآثر البطولات الإسلامية لرفع روحهم المعنوية وتثبيتهم أمام الأعداء، ويقابلنا في غرناطة هذا التقليد (٢).

ويروى يحيى بن خلدون أن الجنود الزناتيين كانت لديهم عادة اصطحاب الشعراء والشاعرات إلى ميادين القتال حيث كانوا يقومون بالغناء والانشاد خلال القتال (٣).

الجواسيس :

كان على قادة الثغور الاستعانة بالجواسيس، ومن الأفضل ألا يكونوا من المسيحيين، وأن يكونوا جماعة كبيرة لا يعرف بعضهم بعضا (٤).

ونجد أنه عند حملة خايمي الثاني على المرية قام مسيحي يدعى :

Bartolomé de Bielsa بمساعدة المسلمين على استرداد المدينة (٥). كذلك فإن السلطان أبا يوسف المريني قد استخدم في حروبه في الأندلس « عيوننا من اليهود

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٧ ص ٣٧٧ ، ٣٧٩.

المقرى : نفع الطيب ج ١ ص ٤٢٧ ، ج ٧ ص ٢٩ - ٣٠ ، ج ٩ ص ٤٩ - ٥٠ . وكذلك :

Dr. El Abbadi: El Réno de Granada p. 127

(٢) ابن هذيل : تحفة الانفس ص ٣٩ وكذلك

Dr. El Abbadi: El Reino de Granada p. 128.

(٣) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ج ٢ ص ١٨٢ .

(٤) ابن هذيل : المصدر السابق ص ٢٣ - ٢٤ وكذلك :

RDr. El Abbadi: El Reino de Granada p. 128

(٥) انظر : Giménez Soler: Expedición de Jaime II a la Ciudad de Almería p. 296 .

(٦) ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٢٠٨ .

والمعاهدين النصارى يتعرفون له اخبار الطاغية شانجة» (٦٦). وفى معركة طريف رصد المسلمون «العسس» للتجسس على الاعداء (١١). كذلك يذكر لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطانة محمد الخامس « ثم تعرفنا أنه (يقصد العدو) انما يقصد الجزيرة لمباشرة امورها وكتب اليها بعض ناسه انه انما يقصد رندة أو جبل الفتح ولم نقدم عملا على توجيه مدد الرماة والفرسان» (٢١).

ولم يقتصر استخدام الجواسيس على المسلمين فقط، بل استعان بهم المسيحيون فى حروبهم ضد اعدائهم. من امثلة ذلك أن عبد الله بن ابراهيم بن الزبير (ت ٦٨٣هـ) «لقى بفحص غرناطة ليلا نصرانيا يتجسس فأسره وحده وادخله البلد» (٣).

الادلاء :

هم الذين يقودون الجيش، وكان يجب أن يكونوا على معرفة كبيرة بالاقليم، والطرق، والأرض التى كانت هدفا للحملات، وأن يكونوا من أصحاب الثقة المطلقة لدى السلطات، وكانت تصرف لهم المكافآت المجزية (٤).

ولم يقتصر استخدام الادلاء على المسلمين، فنجد ان القشتاليين قد لجأوا إلى ذلك، فعندما كانوا فى طريقهم إلى موقعة طريف فى ٧٤١هـ - ١٣٤٠م قام اثنان من الادلاء الذين يرجعون إلى أصل اسلامى بارشادهم إلى الطريق وكان الأول يحمل اسم Joan Martinez Omar والثانى: Joan Francisco (٥).

عدد الجنود

من الصعوبة تحديد جنود الجيش الغرناطى، ولكننا نلاحظ أن بعض المصادر تذكر

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) انظر : M, Gaspar, Remiro : Correspondencia, Op. Cit., ano 4, num I p. 9

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٢٦ .

(٤) ابن هذيل : المصدر السابق ص ٢٤ وكذلك :

Ai Abbadi: El Reino de Granada p. 129 .

Crónica de D. Alfonso XI pp. 342 - 343 .

(٥) انظر ،

أن غرناطة كان بوسعها اعداد جيش قوامه ١٠٠,٠٠٠ فارس و ٢٠٠,٠٠٠ جندي وقت القتال^(١). ويذكر الرحالة المصرى العمرى الذى زار غرناطة فى منتصف القرن الرابع عشر أن رضى البيازين فقط كان يمد الجيش بـ ١٥,٠٠٠ جندي مدربين على القتال^(٢). بعد ذلك بقرن يؤكد الرحالة المصرى عبد الباسط، أن غرناطة كانت تضم ٨٠,٠٠٠ رام للقس^(٣). كذلك فإن Nicolas de Papielovo البولندى الذى زار غرناطة فى عام ٨٨٩ / ١٤٨٤ يذكر أن المدينة كانت تستطيع أن تمد الجيش بالف رام و ٦٠,٠٠٠ راجل^(٤).

ملابس الجند وأسلحتهم

عند قيام مملكة بنى نصر فى غرناطة كان الجند الاندلسيين يحاكون جيرانهم المسيحيين، فيحدثنا ابن سعيد المغربى المعاصر لقيام الدولة أن الجنود كانوا يتزينون بزي النصارى المجاورين لهم «فسلاحهم كسلاحهم، واقبيتهم من الاشكرلاط كاقبيتهم، وكذلك أعلامهم وسروجهم»^(٥). ثم يحدثنا ابن الخطيب بعد ذلك بقرن عن نفس هذا المعنى قائلا: «وزيهم فى القديم اشبه بزي اقتالهم»^(٦). واضدادهم من جيرانهم الفرنج، اسباغ الدروع، وتعليق الترس^(٧). وحفا البيضات،^(٨). واتخاذ

(١) انظر: M. Alcántara: Historia de Granada t. IV, p. 98, Al Abbadi: El Reino de Granada p. 129.

(٢) العمرى: مسالك الابصار، الجزء الخاص بوصف القرية والاندلس. نشر حسن حسنى عبد الوهاب ص ٤١، وكذلك Al Abbadi: El Reino de Granada p. 130.

Levi Della Vida: II regno di Granata p. 321

(٣) انظر:

Arfe: Op. Cit., p. 339

(٤) انظر:

(٥) المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٧ وفى هذا يهجو الشاعر مالك بن المرحل (ت ٦٩٩هـ) جند الاندلس فيقول: (عبد الله كنون: مالك بن المرحل ص ٢٨)

عهدى بجندكم الذين اذا راوا	علجوا تولوا كالنعام الشرد
يتشبهون بكل أغلب كافر	فى زهم وكلامهم فى المشهد
وتنقص العلماء والفضلاء والأ	عيان من أهل التقى والسؤدد

(٦) أى الذين يقاتلونهم.

(٧) الترس: صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه، جمعها أتراس وتروس وترسه، قد تكون من خشب أو من حديد أو عيذان مضموم بعضها إلى بعض بخيط أو نحore (القلشندى صبح الاعشى: ج ٢ ص ١٤٣).

(٨) البيضة من آلات الحرب لوقاية الرأس من الضرب، صبح الاعشى ج ٢ ص ١٤٢.

عراض الأسنة، ومشاعة قرابيس^(١). السروج، واستركاب حملة الرايات خلفه، كل بصفة تختص بسلاحه، وشهرة يعرف بها^(٢).

ثم تطلب ادخال الجنود المغاربة إلى الأندلس بعد ذلك تعديلا في تسليح القوات الغرناطية، فيضيف ابن الخطيب قائلا : « ثم عدلوا الان (فى عصره) عن هذا الذى ذكرناه إلى الجواشن^(٣). المختصرة، والبيضات المرفقات، والسروج العربية، والبيب اللمطية والاسل^(٤). اللطيفة^(٥).

ومن الطريف أن وصف ابن الخطيب لمبلايس الجنود واسلحتهم ومعداتهم يتفق مع الصور الحائطية فى البوطل^(٦). بالحمراء، وان كانت تلك الصور قدنا بمعلومات أوفى عن هذا الموضوع. فيفهم من نقوش البرطل El Partal هذه، أن الجيش الغرناطى كان يتكون من فرق مختلفة تختلف كل واحدة منها فى سلاحها وملابسها عن الأخرى، وكان حملة القسى يرتدون العمام والجباب ذات الأكمام القصيرة ويتمنطقون عليها واضعين الجبة تحت المنطقة من أمام وقد يرتدون قمصانا ولهم سراويل طويلة تصل إلى الكاحل. أما حملة قسى القدم والدق والسيوف فيغطون رؤوسهم بخوذات من الحديد من النوع الخفيف بدلا من العمام وقد تكون للخوذة مغفرة لحماية الرقبة أو صفيحة تتدلى على القفا، وملابسهم تشبه ملابس الفرقة الأولى، وقد يلبس رجال هذه الفرق خوذا لحماية الجذع. أما الأتباع فيلبسون جبة تصل إلى الركبة وسراويل طويلة تصل إلى الكاحل أو قمصانا مع هذه السراويل، ويضع بعضهم على كتفه حرامل، ويغطون رؤوسهم جميعاً بالعمام، ويلبسون فى

(١) القرابيس : السروج.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٢ ، اللوحة ص ٢٨ .

(٣) الجواشن : زود يلبس على الصدر.

(٤) الأسل : الرماح.

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٢ ، اللوحة ص ٢٨ .

(٦) البرطل وفى الاسبانية El Partal وفى الانجليزية Portico وفى الفرنسية Portique تطلق على مجموعة من المباني بقصر الحمراء شرقى بهر السباع تتكون من برج يسمى برج السيدات بلاصق قاعة أمامها رواق وأمام هذه المجموعة بركة ماء وبلاصق الهرج عدد من المنازل الصغيرة من الجهة الغربية وفى المنزل الأول ظهرت هذه الرسوم د. جمال محرز : الرسوم الجدارية الإسلامية فى البرطل بالحمراء ص ١٣ (مدريد ١٩٥١) .

أرجلهم الأحذية أو الخفاف (١). وكان جنود الغزاة المغاربة يضعون العمام على رؤوسهم (٢).

ومن الاسلحة الغرناطية الهامة «القسى» (٣). ويميز ابن هذيل بين نوعين منها: هذه التي كانت تستعمل باليد (القسى العربية)، والتي كانت تستعمل بالرجل (القسى الافرنجية)، ويضيف أن الأولى كانت أفضل للفرسان «لأنها أسرع وأقل مؤنة» أما الثانية فكانت أكبر نفعا للمشاة «لأنها أبلى وأكثر معونة ولا سيما في الحصار والمراكب البحرية» (٤). كذلك كان هناك نوع يقال له القسى الداخلة (٥).

وقد شاع استخدام القوس الافرنجية في الأندلس (٦). فيحدثنا ابن الخطيب أن السلطان أبا الحجاج يوسف الأول عند زيارته لألمرية، احتشد الجند ووقفوا «صفوفا كصفوف الشطرنج على أعناقهم قسى الفرنج وقد نشروا البنود الشهيرة الألوان» (٧). كذلك يذكر الرحالة المصرى عبد الباسط الذى زار غرناطة فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) أنه كان بها ثمانية آلاف رام بقوس الجرح (٨). كذلك نجد فى وقائع معركة الشجرة La Higuera عام ٨٣٥ / ١٤٣١ كما يظهر فى لوحة قاعة المعارك فى دير الاسكوريال ، رماة القسى النصرىون يتنافسون فى استعمال سلاحهم (٩).

وقد بلغ من شهرة رماة القسى العربية فى الجيش الغرناطى أن انتقل هذا السلاح

(١) د. جمال معزز : المرجع السابق ص ٣٣ وما بعدها .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٢ ، اللوحة ص ٢٨ .

(٣) يعطينا ابن هذيل وصفا للقسى بأنها كانت نوعا من الخشب الذى يصلح لهذا السلاح وينصح باختيار خشب الزيتون، والدردار، وشجرة البرتقال المر، وشجرة التفاح، وشجرة الرمان، انظر حلية الفرسان ص ٢٢٣ .

(٤) ابن هذيل : المصدر السابق ص ٢١١ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٢ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٢ ، اللوحة ص ٢٨ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٧) ابن الخطيب : خطرة الطيف فى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٤٣ .

(٨) انظر : G. Levi Della Vida ; II Regno Di Granata Nel 1465 - 66 p. 307 y sig.

(٩) حول هذه الموقعة، انظر : Mas: Crónica del Halconero pp. 94 - 101 & Luis seco de Lucena : rectificaciones a la historia de las Ultimos nasries (AL Andalus XXIV 1959) fasc

2 p. 284

إلى جيوش اسبانيا المسيحية. فيذكر ابن الخطيب ان المسيحيين فى انتقيرة كان «رمااتهم قسيهم عربية»^(١). كذلك كان فى الجيش المغربى على عهد السلطان أبى الحسن المرينى أكثر من ألفى فارس غرناطى يرمون بقوس الرجل^(٢).

هناك سلاح غرناطى آخر قدره ملوك أسبانيا المسيحية تقديرا عظيما وهو السيوف الغرناطية. وفى المناسبات المختلفة كان ملوك غرناطة يقومون باهداء هذه السيوف إلى جيرانهم من ملوك اسبانيا المسيحية، ففي عام ٧٣٤ / ١٣٣٣ قدم محمد الرابع إلى الفونسو الحادى عشر مجموعة من الهدايا من بينها سيف بغمد مزين كله برقائق من الذهب والأحجار الكريمة مثل الزمرد والياقوت واللاالى^(٣). كذلك بعث يوسف الثالث عام ٨١٢ / ١٤٠٩ إلى خايمى الثانى ملك قشتالة وولى عهده ادريكى بهدايا من بينها سيوف من الفضة^(٤).

وقد حققت شهرة النصال المصنوعة فى غرناطة والمرية شهرة فائقة لدى الفرسان الاسبان، فنجد فى قوائم ثروات ذوى اليسار من الإسيان فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ذكر كثير للسيوف الغرناطية الفاخرة، وقد أعطانا فراندس Ferrandis وصفا لعشرة أمثلة رئيسية منها^(٥). حيث تتميز بمقبض قصير كروي أو مسطح يسمح بضغط اليد لتثبيت الطعنة. ومن أمثلة السيوف الغرناطية الفخمة هذا السيف الخاص بأبى عبد الله ابن الأحمر الأخير المحفوظ بمتحف الجيش بمدريد، ويتكون من قطع معشقة من المعادن الثمينة، وقد صنعت قبضة اليد من الفضة المذهبة والعاج والمصوغات والمينا ذات الالوان المتعددة^(٦).

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٢٤ .

(٢) محمد المنولى : وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى، مقتبس من مسالك الابصار فى عمالك الامصار لابن فضل الله العمري. مجلة البحث العلمى، السنة الأولى، العدد الأول الرباط ١٩٦٤ - ص ١٣٥ .

(٣) انظر : Crónica de D. Alfonso XI Cap C XXVI p. 257, Arfe Op. Cit., p 253 .

(٤) انظر : Crónica de D. Juan II , ano 1409, Cap. III, p 313 & Arfe Op. Cit., p 253.

(٥) انظر : J. Ferrendis Torres: Espadas granadinas de la jinete (Archivo Espanol de Arte: t. XVI, Madrid 1943 pp. 142 - 166 .

(٦) انظر : Fernández y Gonzales: Espadas hispano-arabes, en Museo Espanol de Antigüedades t. V, 394, Arfe Op. Cit., p 254.

هناك أيضا سيف يدعى سيف Boabdil محفوظ في خزانة الأوسمة في المكتبة الوطنية في باريس، يتميز بمقبض اسطوانى يحمل شعار بنى نصر، «ولا غالب إلا الله»^(١).

من الاسلحة الغرناطية الاخرى تقابلنا الخناجر، التى كانت تمتاز بأن لها مقبضاً مكوناً من اسطوانتين يقتربان فى الجزء الاسفل ويبتعدان فى الأعلى . ويحتفظ متحف السلاح الملكى بخنجر أنيق مرصع بالعاج كان يخص أبا عبد الله بن الأحمر الأخير^(٢).

كذلك كانت هناك البيضات (الخوذ) والتروس والدق (التروس الجلدية) التى كانت تصنع من جلد البقر والحمار الوحشى، ولكن الصنف الأقوى كان ذلك الذى يصنع من جلد اللمط وهو نوع من الغزال الصحراوى كانت بشرته تقاوم طعنات السيف والرمح والسهم^(٣). وعلى الجسد كانوا يضعون الدروع (الزرد أو الزرديات)، ومنها ما كان عبارة عن صدر بغير ظهر يسمى جوشن (جمعه جواشن)^(٤).

كانت لديهم أيضاً عصى طويلة مثناة بعصى صغار ذات عرى فى أوساطها تدفع بالأنامل عدد قذفها تسمى الأمداس^(٥). والبلوطة والشيرى وهما نوعان من السهام التى كانت تستخدم لاصابة الترس^(٦). والانايب لقذف السهام من

(١) انظر: E. Babelon: Guide illustre du Cabinet de Médailles et antiques de la Bibliothèque Nationale (Paris 1900) p. 276, fig. 124., Arfe : Jbid.

Leopoldo Torres Balbás: Ars Hispaniaet . IV P. 234 .

(٢) انظر :

(٣) ابن الخطيب : اللوحة ص ٢٨ ، ابن هذيل : حلية الفرسان ص ٢٣١ - ٢٣٢ ابن سعيد : كتاب بسط الأرض ص ٤٧ وكذلك: Dozy II, p. 550 وقد جاء فى القاموس المحيط «لمطة : أرض لقبيلة بالمغرب تنسب إليها الدق، لأنهم ينلقون الجلود فى الحليب سنة فيعملونها، فينبو عنها السيف القاطع، أو لمط : أمة من الأمم.

(٤) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ٢٢٧ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (هتان) ج ١ ص ١٤٢ .

(٦) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ٢٢١ .

الحجر^(١). والقناة وهى الرمح الطويل^(٢). وأرشية الرماح^(٣). والسروج والألجم والمغافر^(٤). كما كانت غرناطة تستورد بعض الأسلحة من فرنسا ولا سيما المعروفة باسم البرذليات نسبة إلى برذيل^(٥). (مدينة بورودو الفرنسية).

كذلك كانت الخيول تستخدم فى القتال وقد صاغ ابن الخطيب^(٦) ، وابن زمر^(٧) ، القوائد الطوال فى وصف تلك الخيول والوانها، وكان على رأس الفرسان قوائد الخيل^(٨). و« اختصت خيول الأندلسيين بحسن الترتيب، والبراقع البديعة الجمال والجلال المذهبة التى يملأ الجو أصوات اجراسها »^(٩).

هذا وقد وضعت المؤلفات والكتب عن الخيل نذكر منها كتاب محمد بن رضوان . . . ابن أرقم (ت ٦٥٧هـ) الذى اسماء « الاحتفال، فى استيفاء ما للخيل من الأحسوال »^(١٠). وكتاب ابى محمد عبد الله بن جزى « مطلع اليوم والاقبال فى انتقاء كتاب الاحتفال واستدراك ما فتحه من المقال » الذى استقاه من الكتاب السابق^(١١).

إلى جانب ذلك كانت هناك الاسلحة الخاصة بالحصار مثل « المعارج والمراقى »،

Ambrosio Huici Miranda : Las Grandes Batallas de la Reconquista Durante: انظر (١) las Invasiones Africanas (Madrid 1956) p. 370 .

Müller p. 144, n.1

(٢) النهاى : الاكليل فى تفضيل الخيل فى

(٣) المقرى : نفح الطيب ج ٩ ص ٧٩ وكذلك

Correspondencia Op. Cit: ano V núm 1-2 p 3

والارشية جمع رشاء وهو فى الأصل جبل الدلو، وقد شبه به الرمح فى طوله، ومن صفات الرمح التى يمدح بها أن يكون طويلا ليصل إلى العدو وإن بعد.

(٤) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٨٨، والمغفرة ضرب من الدروع يغطى الرأس والوجه. انظر : ابن هذيل حلية الفرسان ص ٢٣٠ .

(٥) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٨٨ .

(٦) انظر على سبيل المثال: ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٦٣٣ ، ٦٣٧ ، ٦٦٦ - ٦٦٧ .

(٧) المقرى : نفح الطيب: ج ١٠ ص ٣٠ - ٣٦ ، ٧٧ ، ازهار ج ٢ ص ٢٥ - ٢٦ ، ٣٣ ، ٧٤ - ٨١ ، ١٤٧ .

(٨) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٦٣٧ .

(٩) ابن الحاج التميمى: قبض العباب لوجه ٨٣ - ٨٦ .

(١٠) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٠٠ - ١٠١ .

(١١) انظر: G.S. Colin: Un nouveau traité grenadin d'hippologie, (Islamica 1934) pp. 332 - 337 .

والسلاالم، والاكبش، وعمد الحديد التى كانت تستخدم لدق أبواب الأسوار أو الحصون^(١). والمنجنيق (ويجمع على مجانيق ومناجيق) وهو «آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التى يجعل فيها الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله إلى أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئاً إلا أهلكه»^(٢). كذلك كانت هناك العرادات، وهى أصغر من المنجنيق وتستخدم فى رمى الحجارة والسهام وقذور النفط^(٣). والآت النقب التى تستخدم لاحتداث ثلثة فى السور، من ذلك ما حدث فى أثناء حصار قنيط فى عهد محمد الخامس، حيث «حكمت آلات النقب فى شارة سوره فقعدت، وخرم أساسها فاتكلت على دعايم الخشب واعتمدت، تم تليت عليها آية النهار فخشعت ثم سجدت»^(٤).

هذا وهناك بعض النصوص التى تثبت معرفة المسلمين فى غرناطة لاستعمال المدفع فى هذا العصر. يذكر ابن الخطيب فى كتابه «اللمحة البدرية»^(٥). وصفا هاما للمدفع الذى استعمله الغرناطيون عند احتلالهم لقلعة اشكر Huescar فى عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م، وما أحدثه هذا السلاح من ذعر فى صفوف القشتاليين وهذا الوصف يعتبر من أقدم النصوص التاريخية حول استعمال المدفع، يقول ابن الخطيب: «..... ونازل السلطان (اسماعيل الأول) اشكر ونشر الحرب عليها، ورمى الآلة المتخذة بالنفط، كرة محماة طباقه البرج المنيع فعاثت عياث الصواعق السماوية ونزل أهلها قسرا على حكمه»^(٦).

(١) المقرئ : نفع الطيب ج ٩ ص ٧٥ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٩٣، ج ١ ص ٣٩٣، ٥٤٣، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٢ ص ١٤٤ .

Dozy II, p. 481 .

(٣) عيادة : سفن الاسطول الاسلامى ص ٨،

Gaspar Remiro : Correspondencia. Op. Cit :

(٤) انظر:

ano V núm 3, p. 212 - 213 .

(٥) ص ٧٢ .

(٦) يقول الشاعر يحيى بن أحمد بن هليل التميمي فى وصف آلة النفط فى قصيدة يمدح فيها السلطان أبا الوليد اسماعيل عند قدومه من فتح أشكر: =

ومن الغريب أن المصادر الإسبانية المعاصرة فى وصفها لأحداث هذه الحرب ووقائعها تؤيد هذه الأخبار التى وردت فى المصادر الإسلامية، وتشير إليه كسلاح جديد رهيب، ففى حوليات ثورتنا^(١). نجد العبارة الآتية:

(Se extendía el rumor en Alicante que el rey de Granada estaba en posesión de una nueva arma mortífera)

وتقول ترجمتها بالعربية : « وانتشرت الشائعات فى مدينة لقنت بأن ملك غرناطة يمتلك سلاحا جديدا مبيدا ».

من هذه النصوص العربية والقشتالية المعاصرة يتضح لنا أن مسلمى الاندلس قد توصلوا إلى استعمال المدفع قبل أن يتوصل الأوربيون إلى استخدامه^(٢).

وكانت كلمة نفط تعنى قذائف النفط أو قذائف النار الإغريقية ثم تطور معناها بحيث أصبح يعنى الأسلحة النارية أو البارود. وكانت هذه الأسلحة لا تحدث نارا عند انطلاقها وإنما كانت تحدث فرقعة وهديرا ولهذا سميت بصواعق النفط وصواريخ النفط، وكانت قذائفها كوراً معدنية أو حجرية، ويسمى المشرفون على إطلاقها بالنفطية أو البارودية. ومن هذا نرى أن كلمة نفط كانت تطلق على سلاحين مختلفين : أحدهما يتصل بالقوارير والقذائف وهو الذى يشعل النيران، والآخر يعنى المدافع والمكاحل ولا يسبب نارا وإنما هدماً وتخطيماً^(٣).

- | | |
|--|--|
| <p>تتمند وهدا كم فتم السبرد
ووقع القنا رعد إذا برق الهند
فحق بهم من دونها الصق والرعد
مهندمة تأتى الجبال فتمند
وما فى القوى منها فلا يبد أن يبدو</p> | <p>بمعنى بحر النقع تحت أسنة
سما عجاج والأسنة شهبها
وظنرا بأن الرعد والصق فى السما
عجائب أشكال سما هرمس بها
الا أنها الدنيا ترك عجائب</p> |
|--|--|
- انظر : ابن الخطيب ، الاحاطة (الاسكوريال) لروحات ٤٠٩ - ٤١٢، ج ١ (عنان) ص ٣٩١، اللوحة ص ٧٢، د.
أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٤١٣ وما بعدها.
G. Zurita : Anales, II, p 51 note 1 y p 99.
(١) انظر :
(٢) انظر البحث القيم الذى كتبه استاذنا الدكتور أحمد مختار العبادى فى مجلة:
Hespérís, année 1959, 3^o - 4^o Trimestres
I.S. Allouche : Un texte relatif aux premiers canons (Hésperis t. XXXII, 1945) pp. 81 - 84 .

عرض الجيش

كان الشعب الغرناطى مولعاً بمشاهدة المناظر العسكرية، يفخرون بالسلطان عندما يخرج على رأس جيشه فى مركب مشهود متوجه إلى ساحة القتال أو عندما يعود محملاً بالغنائم والأسرى والأسلاب.

وكان سلاطين غرناطة يقومون باستعراض قواتهم حيث يمر الجنود فى شكل مهيب^(١). وفى رسالة بعث بها محمد الخامس إلى سلطان فاس نجد أنه يخبره فيها بأنه قد استعرض الجيش حيث برز: إلى الفضاء الأفيع، حسن الترتيب، سافرا عن المراءى العجيب^(٢).

كذلك كان على ولاية الثغور أن يقوموا باستعراض حامياتهم «ان امكن كل جمعة أو مرتين فى الشهر، واستعراض سلاحهم وخيلهم»^(٣).

وقد ورد فى نبذة العصور صفاء لعرض عسكري فى أحداث عام ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م^(٤). جرى فى داخل الحمراء، فى المكان المعروف بالطبلة، بجانب باب الغدر (يسمى اليوم باب (Siete Suelos) حيث هبئ المكان لهذه المناسبة وأقيمت منصة للسلطان أبى الحسن واتباعه، وأخذت قوات الجيش فى المرور أمامها، وهرع عامة غرناطة وما حولها إلى السبيكة وإلى ضواحي الحمراء فى كل يوم كى يتسنى لهم التمتع بمشاهدة هذا المنظر العظيم الذى أنهاه فيضان مفاجئ لنهر حدوة عقب مطر غزير فى يوم ٢٢ محرم ٨٨٣ / أول يناير ١٤٧٨ .

وتذكر المصادر أنه كان بغرناطة «قبة العرض المطلة على المجلس فى الدار الكبرى من حمراء دار الملك»^(٥).

(١) انظر : المقرئ : نفع الطيب : ج ٩ ص ٤٨ ، ازهار ج ٢ ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب : ج ٩ ص ٤٥ .

(٣) ابن هذيل : تحفة الانفس ص ٢٤ .

(٤) مؤلف مجهول : نبذة العصر ص ٣ - ٤ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٦ ص ٢٥٩ .

(٥) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام ص ٢٦١ .

ويقول ابن الخطيب في وصف جيش غرناطة وعرضه في قصيدة ألقاها في عيد
الفطر عام ٧٣٩ هـ :

وقد غص من وسع السبيكة وسعها وجربها أذ ياله العسكر المجر^(١).
ومارثى من مثل له يوم زينة كأن نضيد الزهر راق به الزهر
ودارت من الأغزار^(٢) تحت لوائها رماة على أوتارها للعداوتر
إذا اضطبنوا^(٣). اقواسهم وتمنطقوا فتبصر جيش الترك جاشت به مضر
ويفهم من المصادر ورسوم الحمراء ان الجيش الغرناطي كان يصطحب معه بعض
عازفي الموسيقى، ففي هذه الرسوم يبدو جندي بطبل وعود^(٤).

وكان اصحاب المقام الرفيع من المسلمين والنبلاء المسيحيين يدعون لحضور هذه
العروض، حيث أعد لهم في غرناطة قصر لنزولهم كان يسمى «دار الضيافة»^(٥).

الخطط والتكتيات الحربية

وهبت الطبيعة مملكة غرناطة كثيراً من الميزات من جبال وتلال ومفاوز وعرة
مكنتها من الدفاع عن نفسها ضد اعدائها، واتقان حرب العصابات ضد جيوشهم
الجرارة المتفوقة عددا وعدة.

وقد اتبع المقاتلون الغرناطيون الكثير من الخطط الحربية أثناء القتال مثال ذلك
ما حدث أثناء حصار جيش أراجون لمدينة المرية (عام ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ - ١٣١٠)
إذ «حفر العدو تحت الأرض مسرباً بمقدار ما يسير فيه عشرون راكبا، وتفتن
المسلمون واحتفروا قبالتهم مثله إلى أن نفذ بعضهم لبعض واقتتلوا تحت الأرض»^(٦).

(١) المجر صلة للجيش العظيم.

(٢) الأغزار : قبائل من الترك.

(٣) اضطبت سلاحى : أحضنته.

(٤) د. جمال محرز : المرجع السابق ص ٣١ .

(٥) انظر :

(٦) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ٢٤٩ .

ومن الخطط التي اتبعها الغرناطيون في القتال أيضاً تلك التي نقلها إلينا ابن القاضى من أنه في أثناء حصار المرية هذا «ضاق الحال بالمسلمين وانسدت باب الحيل، فصرخ بهم صارخ ان بادروهم بطرح العذرة^(١). فهو اعظم نكاية لديهم، فبادر الناس في الحين لتناول ذلك وحمله فوضعوا الشئ في محله وقارنوا الشكل بشكله، ولا يحيق المكر السئ الا بأهله، فكان الفارس منهم في أجمل حال في زيه وإذا هو مكسر ثوب العذرة فيصير مسخرة بينهم وكان ذلك أدهى عليهم من القتال وفرج الله من شدة تلك الحال»^(٢).

كذلك يحدثنا النويرى السكندرى أنه في احدى المعارك التي دارت بين غرناطة وقشتالة «أتت جواسيس الملك العابد صاحب غرناطة واخبرته بأن الفنس وصل بجيشه إلى مكان كذا على أميال يسيره وذلك بعد أن جهز الملك العابد جيوشه لملاقاته فلما كان أول الليل قال لقايد جيوشه تأمر كل من في العسكر أن يحملوا بكل ما معهم من إبل حطباً فنودى في العسكر بذلك فلم يبق جمل إلا وحمل حطباً فكانت ألوف جمال موسوقة به ثم أمر بالرحيل فرحل العسكر تقدمه تلك الجمال فلما صار بين عسكر المسلمين نحو ميل أمر السلطان بأن تطلق في الأحطاب التي على الجمال النيران ففدح بالزند الشرار وأطلق في الحطب ونغزت الجمال بأسنة الرماح فسارت كالسيل المنحدر من الجبال فلم تسر نحو ساعة وهي تنقد إلا وخيل النصرى النازلين بمعسكرهم قطعت متاودها وهجت في أصحابها النصرى تركلهم بأرجلها وتكدمهم باسنانها طالبة نجاة أنفسها فما هجت خيلهم الا وجمال النار داستهم دوسا تفتر فيهم فوقعت الجمال وسط عسكرهم باحمالها عليهم من شدة النار التي أكلت

(١) العذرة : الغائط.

(٢) ابن القاضى : درة الحجال في غرة أسماء الرجال ج١ ص ٧١ - ٧٩ نشر علوش (الرباط ١٩٣٤)، د. أحمد مختار العبادى : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس : ضميعة رقم ٤ ، وكذلك :

I.S. Allouche : La Relation Du Siège D'Almería en 709 (1309 - 1310)
p238129

ظهورهم فأكلت تلك النار الجمال والكفار مع ما أكلت من أثاثهم وخيامهم « (١).

من الخطط ايضا قذف المحاصرين بالنيران والزيت والقار المغلى لفك الحصار من ذلك ما حدث عام ٧٧٣ / ١٣٣٣ حينما افرغ الغرناطيون قارا مغليا على جنود الفونسو الحادي عشر ونجحوا بذلك فى احراق متاريس الخشب الموضوعة أسفل الحصن (٢).

هناك أيضا القيام بالغارات فى الصيف والشتاء إلى أراضي العدو لتدميرها وانتساف زراعاتها (٣). وقد عرفت هذه الحملات بالصوائف والشواتى، وقد جاء فى رسالة لأبى الحجاج يوسف بن الأحمر سلطان غرناطة إلى أبى عثمان فارس سلطان بنى مرين أنه وجه الجيوش لحرب النصارى و « رأينا الآن أن نصل فيهم النكاية الماضية بالآتية، ونقرن الغزاة الصايقة بالشاتية » (٤).

هناك أيضا الحصار (٥). وضرب أبواب المدينة بالنار بواسطة السهام (٦). واستخدام السلالم العالية المتنقلة والأبراج للعمل ضد الأسوار (٧)، وحفر الخنادق حول المدن للدفاع (٨)، وأقامة الاسوار من الحجارة (٩)، والتراب (١٠).

(١) النويرى السكندري : كتاب الامام بما جرت به الأحكام القضائية فى وقعة الاسكندرية مخطوطة مصورة بمكتبة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عن نسخة دار الكتب المصرية لوحة ٢٢ شمال.

(٢) انظر : Crónica de D. Alfonso X, Cap CXX p 253., Arle : Op. Cit, p - 260.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٢٩٣ - ٢٩٤، ج ١ (عنان) ص ٥٥٥.

(٤) Gaspar Remiro, Correspondencia, Op. Cit. : ano IV num 3, p 211.

(٥) انظر على سبيل المثال حصار قيجاجطة والبلناق فى عهد محمد الفقيه فى ٦٩٥ / ١٢٩٥ فى ابن الخطيب : الاحاطة

(الاسكوريال) لوحات ٤٩ - ٥٦ وكذلك :

Melchor M. Antuna : Conquista de Quesada y Alcaudete por Mohamed II de Granada, en Religión y Cultura t. XIX (1932) pp 338 - 351 .

IBID.

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٩ - ٥٦ وكذلك :

(٧) راجع ما تقدم .

(٨) ابن الخطيب : اللوحة ص ٤٢ ، ٧٢ ، مفاخرة مالقة وسلافى مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٥٨ ، التباهى : Müller p 129

نزعة البصائر فى :

(٩) الحميرى : الروض المعطار : ص ٧٤ ، ١٧٧ ، ١٩٢ .

(١٠) الحميرى المصدر السابق ص ١٢٧ .

وكان الحمام الزاجل يستخدم لنقل الرسائل الحربية، ففي اثناء حصار قوات اراجون للمرية عام ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ - ١٣١٠ أتت حماسة زاجلة بخبر جديد إلى المسلمين وهو أن المسيحيين قد وافقوا على عقد الصلح مع المسلمين، لقاء دفع مبلغ من المال^(١).

البحرية فى مملكة غرناطة

وهبت الطبيعة مملكة غرناطة ساحلا طويلا يمتد من المرية شرقا إلى جبل طارق والجزيرة الخضراء جنوباً، كما وهبتها وفرة فى المواد اللازمة لصناعة السفن مثل الحديد الخام قرب المرية ووادى آش ومناطق أخرى^(٢). مما ساعد على تقدم البحرية الغرناطية^(٣). وكان للأسطول الغرناطى أهميته الكبرى فبالإضافة إلى حماية المملكة من هجمات الأساطيل الأسبانية، كان يعمل على تأمين الاتصالات بين مملكة غرناطة وبين القوى الإسلامية فى بلاد المغرب، ويقوم كذلك بنقل الجنود إلى أماكن القتال.

وكان لمملكة غرناطة كثير من الثغور والقواعد البحرية من أهمها: المرية ومالقة والمنكب وشلوبانية وبجانة والجزيرة الخضراء وجبل طارق، وكان ببعض هذه الثغور مثل المرية والمنكب ومالقة دور صناعة قعد الأسطول الحربى بالقطع اللازمة واصلاح ما يفسد منها^(٤).

وكانت المرية من أهم القواعد البحرية فى مملكة غرناطة، ويرجع تأسيس تلك المدينة إلى الدولة الأموية. وقد امتدح ابن الخطيب المرية وذكر أنه كان بوسع مينائها

(١) ابن القاضى : درة الحجال ج ١ ص ٧١ - ٧٩ وكذلك : I.S. Allouche :

La Relation du Siége d'Almeria pp 130.

(٢) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٨٨، المقرئ : نفح الطيب : ج ١ ص ١٤٣ ، ١٥٣ .

(٣) ابن الخطيب : اللعة ص ١٣ .

(٤) العمرى مسالك الانصار : (الجزء الخاص بوصف افريقية والاندلس) ص ٤٦ وما بعدها، القلقشندى صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٧ وما بعدها، المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ١٥٣ وكذلك :

L.T. Balbás : Atarazanas hispan omusulmanas en Al Andalus XI (1949)

pp 186 - 188 .

أن يستقبل السفن الضخمة^(١). وكانت بالمدينة دار لصناعة السفن فى عهد بنى نصر^(٢). وفى أوائل ق ١٩ الميلادى كان يطلق على احد شوارعها اسم شارع دار الصناعة Calle de Atarazanas حيث كانت به بقايا من بناء عربى قديم^(٣).

كذلك كانت بالمنكب Almunecar دار لصناعة السفن^(٤). ويمتدح ابن الخطيب هذا الميناء ويصفه بأنه ميناء أمين^(٥). كما انشئت بمالقة دار لصناعة السفن^(٦). كان الاسطول يجهز منها^(٧). وقد زارها فى عام ٨٠٧ / ١٤٠٤م بحارة الشوانى القشتالية الذين كانوا تحت قيادة Pero Nino كونت Buelna^(٨).

ويذكر Fernando de Pulgar انه عندما قام الملكان الكاثوليكيان بغزو مالقة عام ٨٩٣ / ١٤٨٧ كان لدار الصناعة برجان عاليان تضرب الامواج تحت أقدامهما^(٩). وقد استخدما كمخازن بعد سقوط المدينة^(١٠). وعندما زار الطبيب الألمانى خيرونيمو مونزر مالقة فى اكتوبر عام ١٤٩٤، شاهد هناك سبعة عقود كانت تستخدم كمراسى للسفن والشوانى^(١١). وكان لدار الصناعة باب فخم من الرخام الابيض واليشب^(١٢).

(١) ابن الخطيب : معيار الاختبار فى مشاهدات ص ٨٢ - ٨٤ .

(٢) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ١٤٠ ، عنوان المرقصات ص ٧٤ ، العمرى : مسالك الابصار ص ٤٤ - ٦٠ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٥٣ ، ج ٦ ص ١٧٩ .

(٣) انظر : L.T. Balbás : Atarazanas Hispanomusulmanas (Al Andalus XI fasc I, pp 175 - 209 (1946).

(٤) العمرى : مسالك الابصار ص ٤٤ - ٥٠ .

(٥) ابن الخطيب : معيار الاختبار فى مشاهدات ص ٧٩ - ٨٠ .

(٦) العمرى : المصدر السابق ص ٤٤ - ٥٠ .

(٧) ابن الخطيب : الصيىب والجهام ص ٥٦١ .

(٨) انظر : Victorial : Crónica de Don Pero Nino, Conde de Buelna por su alférez Gu- tierre Diez de Games, ed: Juan de Mata Carriazo (Madrid 1940) p 101, p 103 .

(٩) انظر : Crónica de los Reyes Católicos, ed Juan de Mata Carriazo, Vol. II, Madrid: 1943, p 284 .

(١٠) انظر : L.T. Balbás : Op. Cit. p 188 .

(١١) انظر : Jerónimo Münzer : Vi a je por Espana y Portugal (1494 - 1499) p 114 .

(١٢) انظر : F. Guillén Robles : Málaga Musulmand 2^o ed (Málaga 1957) p 328 .

والى الغرب من مالقة كان هناك ميناء مريلة الذى يصفه ابن الخطيب بأن مرساه غير أمين^(١). وجبل طارق الذى آل إلى بنى مرين عام ٧٣٤ / ١٣٣٣، وعندما زار ابن بطوطة هذا الميناء عام ٧٥١ / ١٣٥١ لم يفته أن يقوم بزيارة تحصينات هذا الميناء الحربى المهم وكذلك دار الصناعة التى انشأها السلطان أبو الحسن المرىنى لتحل محل دار صناعة الجزيرة الخضراء بعد أن استولى عليها الفونسو الحادى عشر عام ٧٤٢ / ١٣٤٢ بعد انتصار المسيحيين فى موقعة طريف^(٢).

ولحماية بلادهم من احتمال هجوم مسيحي مفاجئ، قام الغرناطيون بوضع سلسلة من التحصينات على سواحلهم وخاصة أبراج الطليعة ووضعوا على قممها «ناظور البرج»^(٣). الذى كانت مهمته تنبيه الحامية الساحلية فى حالة اغارة الأعداء. وكانت الاشارات تتم نهارا بأثارة الدخان، وليلا باضرام النار^(٤).

وقد شيد الحاجب رضوان أربعين من هذه الأبراج فى عهد يوسف الأول على امتداد الساحل بين بيرة وغرب مملكة غرناطة^(٥).

وزود الغرناطيون المناطق التى كادت أكثر تعرضا لهجوم الأعداء بأسوار حصينة وبالأربطة^(٦). واهتمت السلطات بالأسطول ورجاله مثال ذلك ما يحدثنا به ابن الخطيب عن اهتمام السلطان محمد الخامس بالأسطول «وعساكر البحر» وزيادة رواتبهم^(٧).

(١) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٧٥ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ نشر ديفريوى وسالمجر نيتى.

(٣) ابن بطوطة : المصدر السابق ج ٤ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٤) ابن أبى زمين : قدوة الغازى ورقة ٢٩ ، د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٠٠ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥١٧ .

(٦) انظر : Dozy I, 502, & L.T. Balbás : Rabitas hispanomusulmanas - Al Andalus XIII: (1948) PP 475 - 491 .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٣٠ - ٣١ .

ولكن على الرغم من كل هذا كان الاسطول الغرناطى أقل أهمية من أساطيل الممالك الأسبانية المسيحية، وقد ادرك ذلك ابن خلدون وذكر كيف أنه قد «رجع النصرارى فيه إلى دينهم المعروف من الدرية فيه والمران عليه والبصر بأحواله وغلب الأمم فى لجته وعلى أعواده، وصار المسلمون فيه كالاجانب»^(١).

فقد سيطر المسيحيون منذ أواخر القرن السادس الهجرى (١٢م) على حركة النقل البحرى فى حوض البحر المتوسط. ففى عام ٥٧٨ / ١١٨٣ أبحر الرحالة البلنسى ابن جبير من سبتة إلى المشرق على ظهر سفينة تابعة لروم جنوة كانت مقلعة إلى الاسكندرية^(٢).

دليل آخر على هذا الأمر هو أن غرناطة كانت تطلب فى كل معاهداتها مع أراجون سفناً حربية ففى معاهدة للصلح عقدت فى ٢٥ ربيع الأول عام ٨٠٨ هـ / سبتمبر ١٤٠٥م بين محمد الرابع ملك غرناطة وملك اراجون Don Martin وشقيقه ملك صقلية تعهدت أراجون فيها بأن تمد غرناطة فى حالة احتياجها بأربعة أو خمسة أجناف وفى كل منها مائتان وعشرون راجلاً على أن تدفع غرناطة لكل جفن تسعمائة دينار من الذهب العين فى كل شهر بطول مدة الخدمة، وأن تقدم الدولتان التسهيلات البحرية لكل منهما الاخرى^(٣).

وفى القرن الثامن الهجرى (١٤م) كلف السلطان الغرناطى محمد التاسع الأيسر التاجر محمد بينولى بحمل رسالة إلى سلطان مصر أبى سعيد جقمق الظاهر عام ٨٤٠ / ١١٤٠. فأبحر على ظهر مركب مسيحى تعرضت لكثير من المتاعب خلال اجتيازها البحر المتوسط^(٤).

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٦ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ص ٢ (نشر : د. حسين نصار).

(٣) انظر، Andrés Giménez Soler : La Corona de Aragón y Granada (Barcelona 1908) p. 326 - 327 .

(٤) د. عبد العزيز الاخوانى : سفارة سياسة فى غرناطة إلى القاهرة سنة ٨٤٤ . مجلة كلية الاداب . جامعة القاهرة، المجلد السادس عشر، مايو ١٩٥٤ وكذلك :

Luis Seco de Lucena : Viaje a Oriente, Embajadores Granadinos en el Cairo (M. E. A. H.) t. IV, 1955 P 576, N. 5

وقد لعب القراصنة الغرناطيون دوراً مهماً في حوض البحر المتوسط الغربى، ويحدثنا الرحالة المصرى ابن فضل الله العمرى عنهم فى (ق ٧ هـ / ١٣م) فيقول: «وبالبلاد البحرية اسطول حراريق للغزو فى البحر الشامى يركبها الانجناد من الرماة والمغاورين^(١)، والرؤساء المهرة، فيقاتلون العدو على ظهر البحر، وهم الظافرون فى الغالب ويغيرون على بلاد النصارى بالساحل أو بقرب الساحل، فيستأصلون ذكورهم واثاثهم، ويأتون بهم إلى بلاد المسلمين، فيبرزون بهم ويحملونهم إلى السلطان فيأخذ منهم ما شاء ويهدى ويبيع»^(٢).

كذلك كان هؤلاء القراصنة الغرناطيون يهاجمون السفن المسيحية التى كانت تتجه إلى اسبانيا أو المغرب^(٣).

وكان القراصنة المسيحيون يقومون بأعمال مشابهة ضد المسلمين، وممتلكاتهم، فأبن بطوطة يذكر أنه عندما قام بزيارة مالقة نزل بحارة أربعة اجفان مسيحية إلى منطقة سهيل بين مريلة ومالقة ونشروا الفزع بين السكان، فعمل سكان مالقة على جمع الأموال برسم فداء أبناء دينهم الذين وقعوا فى الأسر^(٤). كذلك يفهم من رسالة بعث بها اسماعيل الأول سلطان غرناطة إلى خايمى الثانى ملك اراجون (فى ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣م) ان تجارا من المرية «ركبوا غليوطا إلى لقنت التابعة لاراجون يرسم التجارة وجلب السلع فتعرضوا لاعتداء قرقورة تابعة لأهل تلك المدينة وأخذوا منهم شخصان من المسلمين وما كان عندهم من الاسقاط فشكوا بذلك إلى أهل لقنت الذين انصفوهم بعض الانصاف فلما اقلعوا متوجهين إلى المرية تبعهم شيطى أدركهم

(١) انتقلت كلمة المغاور بلفظها ومعناها إلى اللغة الاسبانية باسم Almogavar ومعناها المحارب الذى يغير على الحدود وتطلق كذلك على قرصان البحر. انظر : د : أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٧١ ح ١ وكذلك :

Eguiláz, Glosario etimológico de los palabras españolas, p 233 .

(٢) العمرى : مسالك الابصار ص ٤٤ - ٥٠ ، التلشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٧٢
(٣) انظر : E. Dufourcq · l'Espagne Catalane y le Maghrib p 575 .

(٤) انظر ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٦٤ - ٣٦٧

بالقبطة فاستولى على الغليوط وعلى جميع ما كان فيه من البضاعة وأخذوا امرأتين وصبيتين وصبيا»^(١).

كذلك نجد أنه في عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م وجد يوسف الثالث سلطان غرناطة، احتجاجا عنيفا إلى ملك اراجون فرناندو الأول لأن رجاله اسروا بعض المسلمين وشحنة مهمة من سفينة غرناطة في مضيق جبل طارق، كما اسروا اثنين وعشرين من رعايا بنى نصر وثلاثة رجال كانوا يعملون بحراسة ساحل قريب من جبل طارق ومركبا غرناطيا لصيادى سمك عند سواحل سبتة^(٢).

وكان الاسطول الغرناطى يتكون من قطع مختلفة كل منها يستخدم فى القتال بطريقة معينة نذكر منها :

الحزازيقي : وتسمى أيضا الحراقات، ومفردها حراقة وهى نوع من السفن الحربية التى تستخدم لحمل الأسلحة النارية، كالنار الاغريقية، وكان بها مرام تلقى منها النيران على العدو فى البحر، وقيل هى المرامى نفسها^(٣). وقد عبر بها ابن خلدون إلى الاندلس^(٤).

العشارى : وهى طراز من السفن متوسطة الحجم، كانت تستعمل فى الانهار والبحار للرحلات الصغيرة، وقد تلحق بالسفن الكبيرة لتكون قوارب نجاة، وعن العرب اخذها الاسبان واطلقوا عليها Esquife de Nave ويبدو أنها سميت عشاريات لأنها كانت تتسع لعشرة أشخاص^(٥).

(١) انظر: Alarcón y Linares · Los Documentos Árabes diplomaticos del Archivo de la Corona de Aragón p 12

(٢) انظر: M. Arribas Palau : Una reclamación de Yúsuf III de Granada a Fernando I, de Aragón (M. E. A. H.) 1961, Vol. IX, fasc I, pp 76 - 84

(٣) محمد ياسين الحموى : تاريخ الاسطول العربى ص ٣٤، عبادة · سفن الاسطول الاسلامى ص ٥، حبيب زيات: معجم المراكب والسفن فى الاسلام ص ٣٣ وكذلك : Dozy Suppl. I, p 247

(٤) ابن خلدون العبر ج ٧ ص ٤١١

(٥) ابن الابار الحلة السيرة ج ١ ص ٢٩٧ حاشية ١ الحموى المرجع السابق ص ٣٧

الششوانى : مفردها شينى أو شونة وهى السفينة الحربية الضخمة التى كانت تتكون من عدة طبقات كالقلعة، وتسمى فى الاسبانية Galera، والشوانى مزودة بابرّاج وقلاع للدفاع وتحتوى على اهرأ لآزن القمح وصهاريج لآزن الماء^(١). وقد جاء ذكر الشوانى فى اشعار ابن زمرك حيث يقول :

ما ترى أن الشوانى فى صعيد البحر تبحر^(٢).

الأجضان : كان هناك نوعان منها: الأجضان الغزوية^(٣)، وأخرى تستخدم لنقل الخيل^(٤).

الطريدة أو الطراد : سفينة صغيرة سريعة أطلق عليها الإسبان إسم Tarida وكانت تستخدم فى نقل الخيل، وقد شبهها دوزى فى معجمه بالبرميل^(٥).

البنلندى : وهى نوع من المراكب الحربية المسطحة الكبيرة لحمل المقاتلة والسلاح. وعرفت بعد ذلك عند العثمانيين باسم ماعونة^(٦).

البطس : جمع «بطسة» وهى من السفن الحربية العظيمة التى تشتمل على عدة طبقات وعلى قلع كثيرة، وكانت تستخدم لحمل الزاد والذخيرة والرجال^(٧).

الأغرية : جمع «غراب» وهى من السفن الحربية شديدة البأس، ولعلها سميت بهذا الاسم بسبب شكل مقدمة هيكلها التى كانت على شكل غراب^(٨). وانتقلت

(١) عبادة : المرجع السابق : ص ٤ - ٥ ، الحموى : المرجع السابق : ص ٣٢ ، د. ابراهيم العدوى : الاساطيل العربية فى البحر المتوسط ص ١٥٣ ، د. درويش النخيلى : السفن الاسلامية على حروف المعجم ص ٨٣ وكذلك : Dozy : Suppl. I, p 717

(٢) المقرئ : نفع الطيب ج ١٠ ص ١٢٣ .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ج ٧ ص ٦٧ .

(٤) المقرئ : المصدر السابق : ج ٦ ص ١٧٩ .

(٥) عبادة : المرجع السابق ص ٥ ، الحموى : المرجع السابق ص ٣٣ ، درويش النخيلى : المرجع السابق ص ٨٩ وكذلك : Dozy : Suppl. I, p. 783 .

(٦) عبادة : المرجع السابق : ص ٥ - ٦ ، حبيب زيات : المرجع السابق : ص ٣٥٤ ، د. أحمد مختار العباد : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٣٣ ح ٥ ، درويش النخيلى : المرجع السابق ص ٧٩ .

(٧) عبادة : المرجع السابق ص ١٠ ، الحموى : المرجع السابق ص ٤٠ وكذلك : Dozy : Suppl. I, p. 94 .

(٨) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ١٠٠ .

كلمة Corvette من لفظ غراب إلى اللغات الأوروبية^(١). ويذكر النويرى أن «المرائب الغزوانية تسمى غراباً، وذلك لرققتها وطولها وسوادها بالأظلية المانعة للماء عنها كالزفت وغيره فصارت تشبه سواد الغربان لسوادها وسواد مناقيرها^(٢).
المسطحات : مفردا مسطحة أو مسطح وهى نوع من السفن الحربية المسطحة ويطلق عليها الاسبان اسم : Mestech^(٣).

القراقير : جمع «قرقورة» وهى سفينة ضخمة كانت تستخدم لنقل المؤن، واسمها بالاسبانية Carraca^(٤).

وكان السلاح الرئيسى لرجال الاسطول هى القسى التى تشد بواسطة اليد (العربية) أو الرجل (الافرنجية)، ولى القسى فى الأهمية المجانيق والعدرات^(٥). كذلك استخدم الغرناطيون الرماح الطويلة، التى يعنىها ابن الخطيب عند قوله «وشرعوا أرشية الرماح»^(٦). والكلايب وفائدتها أنها تلقى على مرابك العدو، فيوقفونها ثم يشدوها، ويرمون عليها الألواح كالجسر، فينتقلون إليها، ليقاتلوا من فيها، وكان من معدات السفن الحربية أيضاً ادوات الحصار مثل الابراج والسلالم والحبال^(٧).

(١) عبادة : المرجع السابق : ص ٧، العدوى : المرجع السابق ص ١٥٣ وكذلك :

Dozy : Suppl. II, p.204 - 205 .

(٢) النويرى السكندرى : الامام بما جرت به الاحكام لوحات ١٢٣ أ، ١٢٤ أ، ١٥٢ أ

ويقول ابن أبى حجلة فى وصف غراب :

غربانها سود ويبيض قلوبها
يصفر منهن العدو الأزرق

(حبيب زيات : المرجع السابق ص ٣٥٥)

(٣) الحموى : المرجع السابق ص ٤١، حبيب زيات : المرجع السابق ص ٣٤٠، درويش النخيلى : المرجع السابق ص ١٤٢ .

(٤) عبادة : المرجع السابق : ص ٥، الحموى : المرجع السابق ص ٣١ وكذلك :

Dozy : Op. Cit., II, p335 .

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ج ١٠ ص ٤١٣ .

(٦) المقرئ : نفع الطيب ج ٩ ص ٧٩ .

(٧) القلقشندي : صبح الاعشى ج ١٠ ص ٤١٣، عبادة : المرجع السابق ص ٨،

Dozy : Suppl. II, p.481 .

كذلك كان يوجد فى أعلى الصارى فى السفن الكبيرة صناديق مفتوحة من أعلاها تسمى التوابيت يصعد إليها الرجال ويأخذون فى رمى الأعداء منها بحجارة صغيرة^(١).

قادة الاسطول الغرناطى

كان يعهد بقيادة الأسطول فى غرناطة إلى ضابط عظيم يسمى « قائد البحر »^(٢). أو « قائد الاسطول »^(٣). وقد برز فى مملكة غرناطة عدد كبير من قادة الأسطول فى الأندلس وفى المغرب أيضاً نذكر منهم على سبيل المثال أسرة بنى الرنداحى ومن ابنائها:

أبو العباس الرنداحى: الذى ساعد باسطله الفقيه أبا القاسم العزفى عندما استقل بسبته وطنجة عن طاعة الحفصيين سنة ٦٤٧هـ^(٤). وأبو الحسن على الرنداحى، قائد وحدات الاسطول الغرناطى عند حصار الراجونيين للمرية بقيادة خايمى الثانى سنة ٧٠٩ / ١٣٠٩ - ١٣١٠هـ^(٥). وجحفون الرنداحى، الذى كان قائداً للاساطيل بالمغرب فى عهد الخليفة المرتضى الموحدى وخلفه بنوه، ثم انتقلوا إلى مالقة، حيث كان لهم هناك أثار تشهد على كفاءتهم^(٦). والقائد محمد بن القاسم الرنداحى، الذى تولى قيادة اساطيل سبته^(٧). وقائد الاساطيل يحيى الرنداحى الذى كان قائد الاساطيل بسبته ثم نزح إلى الاندلس^(٨).

كذلك نذكر القائد أبا عبد الله محمد بن سلبطور الهاشمى (ت فى مراكش ٧٥٥ / ١٣٥٤) الذى ينتسب إلى المرية، وواضح من اسمه Salvador أنه ينتسب

(١) العدوى : المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٢) ابن الخطيب : ديوان الصيغ والجهام ص ٥٤٧، ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٢٤٠ .

(٣) ابن خلدون : المعبر ج ٧ ص ٤١٤، التعريف ص ٩٠ .

(٤) ابن عداوى : البيان المغرب ج ٣ ص ٤٠٠، د. أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٣٩٦ وما بعدها.

(٥) ابن خلدون : العبر ج ٧ ص ١٨٦، I.S Allouche : La Relation du, siège d'Almeria p 126.

(٦) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٧ ص ١٨٦ .

(٧) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٧ ص ٢١٠ .

(٨) ابن خلدون : المصدر السابق ج ٧ ص ٢٤٧ .

إلى أصل أسباني، وكان يتولى قيادة اسطول المنكب في عهد محمد الخامس^(١)، كما كان «دربا على ركوب البحر وقيادة الاساطيل»^(٢). والقائد أبا الحسن بن كماشة، الذي كان مركزه في المرية^(٣). ومحمد بن يوسف بن الأحمر الذي عينه أبو عنان فارس قائدا أعلى للأسطول المغربي^(٤).

استعراض الأسطول ورجاله

يفهم من المصادر أن رجال الاسطول كانوا يرتدون زيا خاصا بهم ويستخدمون الأبواق والطبول في استعراضاتهم^(٥). ويعطينا ابن الخطيب وصفا لرجال الأسطول في المرية وقيامهم بالعروض العسكرية عند مرور السلطان بها في عام ٧٤٨ / ١٣٤٧ فيقول: «امتاز خدام الأساطيل المنصورة في احسن الصورة، بين أيديهم الطبول والأبواق تروع أصواتها وتهول»^(٦). ويذكر كيف خرج الأسطول لاستقبال السلطان «فطلعت في سماء البحر أهلة الشواني، كأنها حواجب الغواني، حالكة الأديم، متسريلة بالليل البهيم، تتزاحم وفودها على الشط، كما تتداخل الثونان في الخط»^(٧).

كما يذكر براعة رجال الأسطول وقوة تدريبهم فيصف لنا بحري يتلاعب على شريط صاعدا ونازلا في الفضاء فيقول:

ويحري تلاعب على شريط وحى الفعل متصل الصموت
تدلى وارتقى وسما وأهوى فأعجب في التماسك والثبوت

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات ١٨ - ١٩، ابن القاضى : درة الحجال ج ١ ص ١٩٦، المقرئ :

نفع الطيب ج ٨ ص ١٩٢ - ١٩٣، د. أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٣٩٧ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (المجلد الثانى) عنان ص ٣٦٠ - ٣٦٤، ابن حجر العسقلانى : الدرر، السفر الرابع ص ١٦١ ترجمة رقم ٤٢٨ .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ج ٧ ص ٢٨٢، ازهار الرياض ج ٢ ص ٣٠٣ .

(٤) ابن الحاج التميمي : فيض العباب لرحه ١٩ .

(٥) ابن الخطيب : خطرة الطيف في مشاهدات ص ٤٣ .

(٦) د. ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٤٣ .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٤٤ .

فقلنا : أن يكن بشرا سويا ففقيه غريزة من عنكبوت^(١).
هذا ويفهم من قصائد ابن الخطيب^(٢)، وابن زمرك^(٣). ان الاعلام التى كانت
ترفرف على الاسطول الغرناطى كانت حمراء اللون جريا على شعار بنى الأحمر
سلاطين هذه الدولة.

الأربطة والمرابطون

إلى جانب الأساطيل والقواعد البحرية، وجدت أيضا الأربطة والمحارس الساحلية
على طول سواحل مملكة غرناطة لحمايتها من الغارات البحرية التى كان يقوم بها
الأعداء. وكان المرابطون يحيون حياة تقوم على الحراسة، الزهد والتعبد وذكر الله
بصوت مرتفع، وفى هذا يقول الصوفى الغرناطى ابن أبى زمنين:

«ورأيت أهل العلم يستحبون التكبير فى العساكر والثغور والرباطات، دبر صلاة
العشاء وصلاة الصبح تكبيرا عاليا ثلاث تكبيرات، ولم يزل ذلك من شأن الناس
قديما»^(٤). وكانت الحراسة تعتبر من صفات المرابطة، وعرف الحراس باسم
السمار^(٥)، وقد جرت العادة أن تكون الحراسة فى مراقب عالية ملحقة بالرباط، أو
فى أماكن مرتفعة قريبة منه لكشف سفن العدو من مسافة بعيدة، وكنت هذه المراقب
أو الربط مزودة بالمناور أو المنائر أو المنارات، التى عرفت أيضا باسم الطلائع أو
الطوالع جمع طالعة أو طليعة Atalaya^(٦). فكان على أولئك السمار أو المرابطين

(١) ابن الخطيب : ديوان الصبب والجهام ص ٣٣٩، الاطاعة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٤٥٤، د. أحمد مختار
العبادى : دراسات ص ٣٩٩.

(٢) يقول ابن الخطيب : (ديوان الصبب والجهام ص ٥٣٥).

واى فؤاد منهن غير خائف
إذا خلقت لى البحر أعلامك الحمر

(٣) يقول ابن زمرك : لى مدح السلطان محمد الخامس :

أعلامك الحمر فوق السفن خافضة

وربح سعدك تمهدها على قسدر

(المقرى : ازهار الرياض ج ٢ ص ١٣٨)

(٤) ابن أبى زمنين : كتاب قدوة الغازى لوحة ٢٩ (مخطوط رقم ٥٧٥ بالمكتبة الوطنية بباريس)، د. أحمد مختار العبادى
: دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٠٠.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ٤٢١، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٧.

(٦) انظر :

Dozy : Suppl. II, p 55.

إذا ما كشفوا عدوا في البحر مقبلا من بعيد أن يشعلوا النار على قمم المناور أو الطلائع ان كان الوقت ليلا^(١). أو يثيروا الدخان ان كان الوقت نهارا، هذا إلى جانب استخدام الطبل والنفير لتحذير أهالي المدن المجاورة من غارات العدو، وكثيرا ما استعمل المرابطون اشارات نارية أو دخانية بطرق أو حركات معينة للاخبار عن حالة العدو أو عدده أو جنسيته أو غير ذلك، وبهذه الطريقة، كان من الممكن ارسال تحذير أو انذار^(٢).

ولقد اقتبس الاسبان عن جيرانهم المسلمين نظم المرابطة منذ وقت مبكر، فدخل لفظ رباط العربى فى اللغة الاسبانية ومنه اشتقت كلمة Rebato أى الرباط و Arrebatar أى يرباط ويقاثل، Tocar el rebato وتعنى الانذار بغارة معادية، كذلك استخدموا نفس الوسائل والأدوات باسمائها العربية مثل الطلائع Atalaya والمنارة Almenara والنفير Anafil الا أنهم زادوا عليها استعمال النواقيس التى تقابل الطبول عند المسلمين^(٣).

وقد ورد فى النصوص والوثائق اسماء لبعض هذه الرباطات التى كانت تحيط بغرناطة ومدن المملكة الاخرى نذكر منها رابطة العقاب^(٤). وقد نزل بها المتصوف الشهير على بن عبد الله النميرى الششتري^(٥). ورابطة المنتجات بخارج غرناطة^(٦)، ورابطة ابن عبد البر بالبيازين^(٧). ورابطة المحروق من ظاهر غرناطة^(٨)، ورابطة السودان خارج مالقة^(٩)، ورابطة القابطة أو القبطة فى المرية ولعلها قابطة

(١) الادريسي : صفة المغرب ص ١٩٨ .

(٢) د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٠٠ وما بعدها .

(٣) د. أحمد مختار العبادى : المرجع السابق وكذلك :

Oliver Asin : Origen Árabe del Rebato p 46 - 47 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٤٣، ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٧٣ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٣٤٢ - ٣٤٦ .

(٦) الازدى : تحفة المفترى ص ١٢٦ .

(٧) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٠٦ .

(٨) ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٧٢، ابن حجر العسقلاني : الدرر ، السفر الرابع ص ١٠١ - ١٠٢ المرقى : نفع

الطبيب ج ٧ ص ١٢٤ .

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٢٣، ابن حجر : الدرر السفر الرابع ص ٤٠٩ .

بنى الأسود التى أشار إليها البكرى كموضع بجوار مربة بجانة^(١)، وقد اشار إليها الوزير لسان الدين بن الخطيب عند حديثه عن غرق سفينة غرناطية بمن عليها من الطلبة والادباء وابناء السراة والحسباء باحواز هذا المكان عام ٧٣٩هـ^(٢). كذلك اتخذت المربة رباطا «وابتنت فيها محارس، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها»^(٣). وفى المدونات الاسبانية المسيحية التى وصفت غرناطة غداة سقوطها فى يد الملكين الكاثوليكين عام ١٤٩٢ نجد اشارات كثيرة إلى وجود عدد كبير من هذه الربط والقصور الساحلية^(٤). وقد امكن لـ C. Villanueva أن تحصى ستة وثلاثين رباطا منها^(٥).

كذلك فقد زار الرحالة ابن بطوطة بعض هذه الرباطات فى منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) وفى ذلك يقول « ولقيت بغرناطة شيخ الشيوخ والمتصوفين بها، الفقيه أبا على بن الشيخ الصالح الولى أبى عبد الله محمد بن المحروق، وأقامت اياما بزاويته التى بخارج غرناطة، وأكرمنى أشد الإكرام، وتوجهت معه إلى زيارة الزاوية الشهيرة البركة المعروفة برابطة العقاب. والعقاب جبل مطل على خارج غرناطة، وبينهما نحو ثمانية أميال، وهو مجاور لمدينة البيرة الخربة. ولقيت أيضاً ابن أخيه الفقيه أبا الحسن على بن أحمد بن المحروق بزاويته المنسوبة للجام بأعلى رضى نجد من خارج غرناطة المتصل بجبل السبيكة، وهو شيخ المتسبين من الفقهاء. وبغرناطة جملة من فقهاء العجم استوطنوها لشبهها ببلادهم، منهم الحاج أبو عبد الله السمرقندى، والحاج أحمد التبريزى، والحاج ابراهيم القونوى، والحاج حسين الخراسانى، والحاجان على ورشيد الهنديان وسواهم»^(٦).

(١) البكرى، المغرب ص ٨٩.

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٢٥.

(٣) العذرى : نصوص من الاندلس ص ٨٩.

(٤) د. أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٣٩٦ وكذلك.

Alfonso Gamir Sandoval : Organizacion de la defensa de la Costa del reino de Granada desde su reconquista hasta finales del siglo XVI pp 265 - 275

C. Villanueva : Rabitas Granadinas (M. E. A. H.) (1954) p 79 - 86. : انظر (٥)

(٦) ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٧٢ - ٣٧٣، د. أحمد مختار العبادى : الأعياد فى مملكة غرناطة ص ١٤٧.

الباب الثالث

الحياة الاقتصادية في مملكة غرناطة

غلاء - المعيشة في غرناطة - الاسعار و مستويات المعيشة -
الادارة المالية - مصادر الدخل - سكة غرناطة - التجارة
في مملكة غرناطة (الداخلية - الخارجية) . الموازين
والمكاييل والمقاييس - الزراعة في مملكة غرناطة
(أنواع الملكية الزراعية - المنتجات الزراعية) - الرعي
وتربية الحيوان - صيد السمك - الصناعة في
مملكة غرناطة .

الباب الثالث

الحياة الاقتصادية فى مملكة غرناطة

غلاء المعيشة فى غرناطة :

كان لازدهام مملكة غرناطة بالسكان نتيجة للهجرات المتوالية إليها من المدن الأندلسية التى كانت تسقط فى يد الإسبان، وطبيعة أرضها الجبلية الوعرة أثر كبير فى غلاء المعيشة بها. وقد أشار ابن خلدون فى مقدمته إلى هذا الغلاء عندما قال فى معرض حديثه عما حدث فى الأندلس فى عصره «انهم لما الجأهم النصارى إلى سيف البحر وبلاده الوعرة الخبيثة الزراعة النكد^(١) النبات، وملكوا عليهم الأرض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا إلى علاج المزارع والقدن لاصلاح نباتها وفلحها، وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ومواد من الزيل وغيره لها مؤونة، وصارت فى فلحهم نفقات لها خطرها فاعتبروها فى سعرهم، واختص قطر الأندلس بالغلاء منذ اضطرهم النصارى إلى هذا المعمور بالإسلام مع سواحلها لأجل ذلك»^(٢).

كذلك أشار أبو الحسن النباهى^(٣). إلى غلاء المعيشة فى غرناطة أثناء ترجمته للقاضى أبى البركات المعروف بابن الحاج البليقى فذكر أنه «كان يميل إلى القول بتفضيل الغنى على الفقير» ويبرهن على ذلك بقوله «وبخصوص البلاد الأندلسية لضيق حالها، واتساع نطاق مدنها، ولا سيما فى حق القضاة، فقد شرط كثير من العلماء فى القاضى أن يكون غنيا، ليس بمديان ولا محتاج».

كذلك يحدثنا ابن الخطيب عن غلاء الأسعار فى غرناطة بقوله : «وأسعارها يشعر معيارها بالثرهات»^(٤). ويضيف أن الأسعار كانت مرتفعة فى المرة

(١) نكد نكدا من باب تعب فهو نكد : تعسر، ونكد العيش نكدا اشتد.

(٢) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٣٦٤ وكذلك :

Al Abbadi :

El Reino de Granada p 170 .

Al Abbadi : Ibid . p 170

(٣) النباهى : المرقبة العليا ص ١٦٤ وكذلك :

(٤) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٩١ - ٩٢ .

والضرائب كثيرة^(١).

وقد دفع الغلاء عددا كبيرا إلى الهجرة إلى الخارج حتى أنه قد بلغ من كثرة عدد المسافرين من مدينة غرناطة إلى المشرق أن سمي أحد أرباطها الخارجية باسم «حوز الدواع» وهو المكان الذي اعتاد فيه الغرناطيون توديع أحبائهم وأهاليهم قبل رحيلهم^(٢).

الأسعار ومستوى المعيشة في غرناطة :

كانت أسعار الأراضي الزراعية تختلف باختلاف خصوبتها، أما العقارات والأماكن المعدة للسكنى فكانت تختلف باختلاف أهمية موقعها وموقع الحى الذى توجد فيه. ويذكر ابن الخطيب أن أسعار الممتلكات العقارية كانت مرتفعة فى ضواحي غرناطة^(٣). وإن الأراضي المروية فى الفحص كانت تساوى خمسة وعشرين دينارا للمرجع العملى^(٤).

وتعطينا الوثائق العربية الغرناطية، نماذج للأسعار السائدة فى ذلك الوقت فى عام ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م بيعت حديقة تقع فى غرناطة نظير مبلغ ثمانمائة دينار من الذهب^(٥).

وفى عام ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م كان الحانوت فى قيسارية غرناطية يساوى مائتى دينار ذهبياً^(٦). وفى عام ٨٩٧ / ١٤٩١م كان المرجع^(٧) من الأرض الجيدة الرى يساوى تسعة دنائير من الذهب أو الفضة^(٨). أما فى الفحص فكان كل مرجع

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٤ .

(٢) المقرئ : نلح الطيب ج ١٠ ص ٢٣٠ . د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٢١٥ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (هنا) ج ١ ص ١٢٨ .

(٤) ابن الخطيب : اللوحة ص ١٤ - ١٥ ، الاحاطة (هنا) ج ١ ص ١٣١ .

(٥) انظر : Luis Seco de Lucena : Documentos arábigo

granadinos (Al Andalus Vol. VIII, 1943, P 121 .

(٦) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ، الوثيقة رقم ٢٦ ج ص ٥٣ - ٥٤ .

(٧) انظر الفصل الخاص بالموازين والمقاييس والمكاييل.

(٨) المصدر السابق : وثيقة رقم ٦٥، ص ١١١ - ١١٢

يساوى فى الأراضى المروية (أرض السقى) أربعين دينارا من الفضة، وفى الأراضى التى كانت تروى بالمطر كان الثمن ينخفض إلى ستة دراهم من الفضة للمرجع الواحد^(١).

لافتداء اسير فى القرن التاسع (١٥م) كان يدفع من ١٣٠ إلى ٢٠٠ درهم من الفضة، وكانت تكاليف تحرير عقد قسمة يرتفع إلى ٣٠٠ درهم من الفضة^(٢).

وفى القرن السابع الهجرى كان ثمن البغل أربعين دينارا^(٣)، وفى القرن التاسع الهجرى كان الحمار يساوى ٣٠٠ درهم من الفضة^(٤).

أما بخصوص اثمان الملابس والاثاث فنجد أن: المنضدة (طيفور)^(٥)، كانت تساوى أربعة دراهم، وزوج من النعال الجلدية (سباط من جلد) ثلاثة عشر درهما، ومقلاة نحاس اثني عشر درهما^(٦).

بالنسبة للمواد الغذائية فقد ذكر ابن بطوطة الذى زار غرناطة فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) ان الفاكهة كانت كثيرة وأسعارها رخيصة ففى مالقة كان العنب يباع بسعر الثمانية أرطال بدرهم «صغير»^(٧)، ويروى ابن الخطيب ان اسعار الخضروات كانت رخيصة على عهده^(٨).

أما عن اسعار المواد الغذائية فى القرن التاسع الهجرى، فلدينا وثيقة من عام

(١) المصدر السابق : ص ٢٠ م.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٣ م.

(٣) الأزدى : مجلة المغرب ص ٣٣ .

(٤) انظر : B. Ashtor : Prux et salaires dans l'Espagne musulmane aux X^e et XI^e siècles, dans Annales, Juillet août 1965, p 675

(٥) الطيفور : لفظ كان يدل على غرناطة الاسلامية على نوع من الموائد الصغيرة، وانتقلت الكلمة إلى الإسبانية فأصبحت Ataifor وكان اللفظ الاسبانى لى العصور الرنطلى يدل كذلك على الطبق الكبير العميق الذى يقدم له الطعام ولا سيما اللحم .

انظر : لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربة غرناطية لم تنشر، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بباريس .
المجلد الرابع المعداد ١ - ٢ ١٣٧٥ / ١٩٥٦ ص ١٧٧ ح

(٦) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربة غرناطية ص ٢٣ م .

(٧) ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٦٦ ، المرقى : نقيح الطيب : ج ١ ص ١٤٥ .

(٨) ابن الخطيب : للمعة ص ١٤ .

٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ تزدونا ببعض الحقائق منها ان عشرين قدحا من الشعير كانت تباع بسعر ثمانية عشر درهما للقدح، نصف رطل من السمّن، وخمسة ارطال من العسل كانت تساوى خمسة وثلاثين درهما^(١). قنطار من البذرة كان ثمنه يتراوح بين اثنين وثلاثين واربعين دينارا، وقنطار من الفلفل كان يباع بثلاثين دينارا، وكان قنطار من القرفة يقدر بثمانية وثلاثين دينارا^(٢).

أما فيما يتعلق بالرواتب فى العصر الغرناطى فالمصادر المعاصرة تقف ساكنة عن هذا الموضوع، وان كانت تفيض فى الحديث عن الغلاء الذى كابده الشعب الغرناطى فى عهد بنى نصر.

الإدارة المالية فى مملكة غرناطة :

لاتسهب المصادر العربية المعاصرة للدولة النصرية فى ذكر هيكل الإدارة المالية للمملكة ونفهم منها ان بعض السلاطين كانوا يباشرون الأوضاع المالية بانفسهم، مثال ذلك السلطان محمد الأول الغالب بالله^(٣).

ومن بين وظائف الادارة المالية كان هناك «صاحب الاشغال الخراجية» الذى «كان أعظم من الوزير وأكثر أتباعا وأصحابا وأجدى منفعة، ونحوه قد الأكف، والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار»^(٤). مثال ذلك ما ترويه المصادر من أن رجلا يدعى أبو عبد الله العذرى من أهل وادى آش، ولى الاشغال السلطانية «فدعرت الجباة لولايته»^(٥).

أما ابن خلدون فيذكر ان المختص بالحسابات وسائر الأمور المالية فى الدولة كان

(١) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ، وثيقة رقم ٦٥ ب ص ١١١ - ١١٢ .
Miguel Angel Ladero Quesada : Granada, Historia de un Pais Islamico (Ma-
Madrid 1969) p. 50

(٣) ابن الخطيب اللوحة : ص ٣١ .

(٤) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، د. أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٢٣٤ .

(٥) المقرئ : المصدر السابق ج ٨ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

يسمى فى غرناطة «الوكيل»^(١). ويفهم من النصوص أن الوكيل كان يتولى أيضاً الحسابات الخاصة بالملك من هؤلاء نذكر محمد بن المحروق، الذى كان وكيلاً للسلطان اسماعيل الأول، قبل أن يتولى الوزارة على عهد السلطان محمد الرابع^(٢). وكذلك محمد بن على بن بكر الحضرمى الذى استعمله السلطان على وكالة بيت ماله^(٣).

كذلك يقابلنا كاتب الزمام أو كاتب الجهيزة^(٤). والجهيزة كلمة فارسية الأصل. ومنها الجهيز أى الناقد العارف، ولكن الجهيزة هنا هى الادارة المالية الخاصة بجمالية الضرائب، وجمع الخراج وتحصيله، وكاتب الجهيزة هو صاحب الزمام أو صاحب الأشغال الخراجية الذى كان بمثابة وزير للمالية^(٥).

نخرج من هذا وذاك أن الادارة المالية فى غرناطة كانت فى يد موظف مختص، يختار من عليّة القوم، ويطلق عليه تسميات مختلفة مثل الوكيل وصاحب الاشغال الخراجية وكاتب الزمام أو الجهيزة.

على أنه باستقراء الاحداث التاريخية ودراستها فى غرناطة، نجد أن الوزراء العظام فيها كان لهم اشراف على الشئون المالية واختصاص بمعرفتها مثال ذلك محمد بن المحروق - السالف الذكر - وكذلك الوزير لسان الدين بن الخطيب الذى «دخله السلطان - أبو الحجاج يوسف الأول - فى تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها أموالاً»^(٦)، ثم عهد إليه ولده محمد الخامس بالاشراف على بيت المال، والعمل على صيانة الجباية وتشميرها^(٧). بل أنه مما كان يؤخذ على الوزير عبد

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٢ (طبعة بيروت).

(٢) ابن الخطيب : اللعة ص ٨١ ، ابن حجر العسقلاني : السفر الثالث ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ترجمة رقم ٩٦٣ .

(٣) المراكشى : الذيل والتكملة، السفر السادس ص ٥١١ ترجمة رقم ١٣١٣ .

(٤) المقرئ : المصدر السابق ج ١ ص ٧٠٢ ، د. أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٢٣٥ .

(٥) د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاتلس ص ٢٣٤ وكذلك .

Dozy : Suppl., I, 226, 601 .

(٦) المقرئ : نفح الطيب ج ٧ ص ٢٦ ، وكذلك : د. أحمد مختار العبادى : النزعات الإقتصادية فى حياة لسان الدين بن الخطيب، مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨ .

(٧) المقرئ : المصدر السابق ج ٧ ص ٥ - ٧ .

الله بن زمرك « قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغالية، وعدم اضطلاع بالامور الجبائية، واتهامه للمشتغلين - على غير اساس - بانهم احتجنا الأموال، وأسأوا الأعمال»^(١).

أما عن تحصيل الضرائب، فقد كان هناك موظفون لهذا الأمر يطلق عليهم اسم «عمال» ويذكر أبو الحسن النباهي أن السلطان محمد الأول «باشر حساب العمال بنفسه واشتد عليهم في النكال»^(٢). وفي عهد محمد الثاني، يقابلنا «متولى الخفارة الذي كانت سلطته عظيمه لأنه كان يشرف على جمع الضرائب والقضاء على الإهمال»^(٣). وفي القرن التاسع الهجري كان يطلق على الموظف المكلف بتحصيل الزكاة للمخزن «المشرف»^(٤). ويقابلنا «خدام الجبائية» في عهد محمد الثامن^(٥). وفي نص متأخر خاص بتقسيمات وراثية نجد أن الموظف المختص بتحصيل الزكاة والضريبة الخاصة بالميراث كان يطلق عليه «صاحب الزكاة والموارث»^(٦).

هذا ومن الملاحظ أن سلاطين غرناطة قد ابعدوا أهل الذمة من الوظائف المتعلقة بجمع الضرائب^(٧).

مصادر الدخل في غرناطة :

تذكر المصادر ان الضرائب في مملكة غرناطة كانت أعلى على وجه العموم مما كانت عليه في الدول الاسلامية الاخرى^(٨). ويصفها ابن الخطيب بقوله «والمكوس التي

(١) المقرئ : أزهار الرياض ج ٢ ص ١٩ ، د. أحمد مختار العبادي : دراسات ص ٢٣٥ .

Müller: OP. Cit. p 116 - 117 .

(٢) النباهي : نزهة البصائر والأبصار في

Dozy : Suppl. I, p. 386 .

(٣) انظر ،

J. López Ortiz : Fatwas Granadinas del siglo XV (Al Andalus 1941) pp 95 - 97.

W. Hoenerbach : Spanisch Islamische urkunden p 344., Arfe : L'Espagne musulmane an temps des Nasrdes (1232 - 1492) p 214.

(٦) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية، وثيقة رقم ٦٤ ب. ص ١٠٩ .

Rachel Arfe : Op. Cit., p 214.

(٧) انظر ،

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (عتان) ج ١ ص ١٤٠ .

تطرد البركة وتنفيها»^(١). بل أنه يفهم من النصوص أن الغرناطى كان يؤدى ضريبة فى القرن التاسع (١٥م) أكثر ثلاث مرات مما كان يدفعه المواطن القشتالى إلى حكومته^(٢).

وربما كان هذا الأمر راجعاً إلى استمرار الصراع بين غرناطة وممالك اسبانيا المسيحية، وما كان يمثله هذا الصراع من عبء كبير على المملكة، وإلى تكسب غرناطة بالسكان الذين كانوا يفرون إليها من البلاد الاندلسية الأخرى التى كانت تسقط فى يد القوى المسيحية، حتى ضاقت الأرض بسكانها، وكذلك إلى ثقل الجزية التى كان على غرناطة أن تؤديها كل عام إلى قشتالة.

ومع ذلك نلاحظ أن مواطنى غرناطة كانوا يقبلون على دفعها بنفس راضية، إذ كانوا يرون فيها تأميناً لحياتهم فى دولة محاطة بالأعداء من كل جانب^(٣).

ومن المعروف أن ميزانية الدولة كانت مثقلة بالجزية السنوية التى كانت تؤدى إلى قشتالة كل عام^(٤). وإذا كانت المصادر العربية تقف صامتة حول قيمة هذه الجزية، فإن المدونات المسيحية تروى لنا أن محمد الأول كان يؤدى إلى فرناندو الثالث مبلغ ١٥٠,٠٠٠ مرابطى من الذهب فى كل عام، بينما تروى مدونات أخرى أنه كان يؤدى ٣٠٠,٠٠٠، وتذكر أن هذا المبلغ كان يبلغ نصف دخل المملكة^(٥). وعندما تولى الفونسو العالم عرش قشتالة خفض الجزية إلى خمسين ألف مرابطى. وفى عام ٧٠٩ / ١٣٠٩ سلم أبو الجيوش نصر إلى فرناندو الرابع مبلغ ٥٠ ألف دينار من الذهب نظير رفع الحصار عن الجزيرة الخضراء، بالإضافة إلى جزية اسلافه، واعترف

(١) ابن الخطيب : معيار فى مشاهدات ص ٩١ .

(٢) أنظر : Miguel Angel Ladero Quesada : Op. Cit., p 52 .

(٣) ابن الخطيب : الاطاعة (عنان) ج ١ ص ١٤٠، اللوحة ص ٢٧ .

(٤) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٤٦ - ٥٠ .

Crónica General n° 1070, Fray Jarne Bleda :

Crónica de Los moros (Valencia 1610) p 456 b y p 457 a & Arfe : Op. Cit : p.

214 .

له بالتبعية الاقطاعية^(١). كذلك قام محمد الخامس فى عام ٧٨٠ / ١٣٧٨ بدفع مبلغ خمسة الاف دينار من الذهب ليحصل على تجديد الهدنة لمدة عامين مع ملك قشتالة انريكى دى تراستمارا^(٢). وفى عهد السلطان ابى الحجاج يوسف بن المول، عقدت معاهدة بينه وبين ملك قشتالة فى ٧ محرم ٨٣٥ / ١٦ سبتمبر ١٤٣١ تعهد فيها بدفع جزية إلى قشتالة مقدارها عشرون الف دينار من الذهب العين البلدى الوازن فى كل سنة^(٣). وفى عام ٨٤٣ / ١٤٣٩ طلب خايمى الثانى من غرناطة، فى بداية الأمر، جزية قدرها ١٢,٠٠٠ دينار كل عام، لكن نجح الغرناطيون فى تخفيض هذا المبلغ إلى ٢٤,٠٠٠ دينار تدفع على مدى سنوات ثلاث^(٤).

على أننا نلاحظ أنه كانت هناك بعض الفترات القصيرة التى كانت غرناطة تعفى من دفع هذه الجزية الاقطاعية، فيذكر ابن الخطيب أن السلطان يوسف الأول نجح فى أن يعقد مع قشتالة «السلم خلية من رسم الضريبة» ووصف ذلك بأنه من نادر الواقعات^(٥).

من كل هذا نرى مدى ما كانت تتحمله غرناطة نتيجة فداحة تلك الجزية التى كانت تؤديها إلى قشتالة، وكيف أدى هذا إلى ارتفاع الضرائب داخل المملكة ارتفاعا كبيرا.

هذا وقد احتفظ الملكان الكاثوليكيان بعد استرداد غرناطة بنفس الضرائب التى كانت معروفة لدى مسلمى غرناطة، كما أبقوا على تسمياتها العربية مع تحريف بسيط، ومن هنا يمكننا الاستعانة بهذه التسميات لرسم صورة للنظم الضريبية فى

(١) انظر : I. S. Allouche : La relation du siège d'Almeria p 125 .

(٢) انظر : L. Suárez Fernandez : Juan II y La Frontera de Granada p. 6 n° 3.

(٣) محمد عبد الله هنان : وثيقة اندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجرى، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية مجلد الثانى - ١ - ١٣٧٣ / ١٩٥٤ ص ٣٨ - ٤٥ .

(٤) انظر : Fernando del Pulgar : Crónica de Los Reyes

Católicos, I, p 392 (Cap. XCII), II, p. 58 (Cap. CXLIV), pp 84 - 86 (Cap. CL).

(٥) ابن الخطيب : اللوحة البدرية ص ٩٦ .

مملكة غرناطة^(١).

على أننا نلاحظ أن كل الضرائب فى مملكة غرناطة أو معظمها كان مغالى فيها أو كانت ضرائب غير شرعية، بمعنى أنها لم تذكر فى القرآن، ولم ترد فى السنة ولكن الحقيقة فرضتها: فبدون مال، لا يكون هناك جيش، أو تنظيمات سياسية وإدارية، أو مقدرة لأداء الجزية لقشتالة. ومن هذا المنطلق، كان سلاطين بنى نصر، يستطيعون اقناع الفقهاء لوضع الفتاوى التى تحلل جباية هذه الضرائب الغير الشرعية.

كانت الضرائب فى مملكة غرناطة تتمثل فى الزكاة الشرعية على المسلمين، ومقدارها العشر على ممتلكاتهم من قطعان الماشية والأغنام ومن غلال وبضائع، وقد وردت هذه الزكاة فى المصادر الإسبانية باسم *acaque* وكانت تتغير بحسب الاقليم ونوع الممتلكات المفروضة عليها. فعلى الماشية كانت من عشرة إلى احد عشر دينارا، ما عدا إذا كانت ثورا يحرث، فكان يدفع عليه أربعة فقط، كذلك كان يدفع رأس من الماشية لكل اربعين، إذا كان القطيع يتجاوز مائة رأس. وكانت رؤوس الاغنام تحصى مرة كل عام ويدفع على الرأس ضريبة تتراوح بين أقل من دينار إلى دينارين^(٢).

ثم كانت هناك الضريبة على الاراضى الزراعية، وكان يتولى الاشراف على هذه الضريبة، ديوان الخرص، الذى يختص بحصر الاملاك وتقدير الضرائب عليها^(٣).

وكانت قيمة هذه الضريبة تختلف تبعا للكيفية التى تروى بها الارض. وكان اساسها يحدد بناء على قرار مقررين يزورون الاهراء أو المطامير، أو يقدرون المحصول المنتظر اثناء الزرع أو بعد الحصاد^(٤). وكان على كل مرجع عملى^(٥)،

Rachel Arfe : Op. Cit., p 216.

Miguel Angel Ladero Quesada : Op. Cit., p 52

(١) انظر :

(٢) انظر :

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (هناك) ج ١ ص ١٣٠ .

(٤) انظر ليقى بروفنسال : محاضرات فى ادب الاندلس وتاريخها ص ٨٣ .

(٥) انظر الفصل الخامس بالموازين والمقاييس والمكايل.

من الأراضي المزروعة بالكروم، ضريبة مقدارها العشر، ترتفع حتى ثلاثين مرابطيناً^(١). وكانت هذه الضريبة مرتفعة على وجه الخصوص في إقليم مالقة الذي كان يشتهر بأنواع الفاكهة لاسيما التين والعنب^(٢).

كذلك كانت ضريبة المخزن من الضرائب المعروفة في غرناطة وكانت تحصل من المزارعين بعد تسليمهم قطعاً من الأرض لزراعتها في نظير دفع خمس المحصول أو التسع أو العشر وذلك بحسب جودة الأرض^(٣).

ثم كانت هناك الهبات والاقواف (الحبوس)، بمعنى أن يحبس عقار أو أرض زراعية أو غير ذلك من المنشآت العامة للاتفاق من إراداته على أوجه الخير^(٤). وكان يعين لها موظف للنظر فيها^(٥). ويسمى ناظر الحبس^(٦). مثال ذلك الحاجب رُضوان الذي أوقف على المدرسة النصرية «الرباع المغلة»^(٧).

ومن الموارد أيضاً ما كانت تحصله الدولة على السفن الصادرة والواردة إلى موانئ المملكة، وكانت نسبتها العشر. وضريبة الخمس على الغنائم الحربية، التي كانت تحصل من العدو من أسرى وسبايا وأموال.

ومن الضرائب في غرناطة Alfitra أو البـ Alsitra وقد أرجعها Eguilaz إلى اللفظ العربي «الفطر» وذكر أنها كانت ضريبة على الممتلكات يدفعها الشخص بمقدار قدح من القمح للدار نظير حماية السلطان الغرناطي لها^(٨).

(١) انظر : I. Álvarez der / Cienfuegos : La hacienda de los

Nasries granadinos, en (M. E. A. H.) Vol. VIII (1959) P 103 .

Ibid - p, 103

José L'opez Ortiz : Fatwas Granadinas de Los

Siglos XIV y XV (Al Andalus, Vol VI (1941) fasc I, p. 96 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٤٣٧ ، ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٨٧ ، ٤٣٧ ، ابن حجر العسقلاني : الدرر السفر الأول ص ١٩٨ ترجمة رقم ٥١٠

(٦) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٨ .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٥١٦ - ٥١٧ .

Eguilaz y Yanguas : Glosario p 168 .

(٨) انظر :

هناك ضريبة غرناطية تظهر مرارا في الوثائق الاسبانية هي ضريبة Almaguana أو Almagana ويبدو أنها مشتقة من الكلمة العربية «المعونة»^(١). وهي ضريبة كانت تفرض في العصر الاموي كضريبة غير عادية عندما تكون الخزانة خاوية، ثم اصبحت ضريبة ثابتة تحت حكم بنى نصر، وكانت مفروضة على الاراضى والشروات العامة بواقع نصف مرابطة على كل مرجع عملى إذا كان مزروعا، ومن ربع إلى نصف إذا كان غير مزروع^(٢).

وكانت الضرائب التى تفرض على التجارة البرية والبحرية تمثل عنصرا مهما من عناصر الدخل فى المملكة، فمثلا كان يدفع على انتاج الحرير وبيعه رسم Tartil «تارطيل»^(٣)، وفى سجل الجمارك اللاحقة للاسترداد، نجد أن شخصا دفع ثمانية مرابطة عن كل رطل من الحرير. وكانت هذه الضريبة موجودة على عهد بنى الاحمر، ثم استمرت فى عهد الملكين الكاثوليكيين^(٤).

وكانت الضرائب على استيراد الزيت تدفع بواقع ١٦٪ لحماية الانتاج المحلى^(٥). وكانت ضريبة "El Magram" (من الكلمة العربية المغرم) تفرض على الحركة التجارية بواقع عشرة بالمائة^(٦).

وكان صائدو الاسماك على الساحل الغرناطى، وخاصة بين مالقة والمرية يؤدون ضريبة تسمى Tigual^(٧).

وكان سكان غرناطة يقومون بدفع ضريبة الفرضة Farda ، للانفاق على المراقبة

Dozy : II, p 192., Eguilaz : p. 208

I. Alvarez de Cienfuegos : Op. Cit., p 104

Dozy et Engelmann : Glossaire p 350 & Eguilaz, p 503

Documentos des Archivos Generales de Simancas, Diversos de Castilla, انظر : (٤)

Leg. 4, folio 24, en I.A. Cienfuegos : Op. Cit., p 119 - 120 .

M.A. Ladero Quesada : Op. Cit., p 53 .

Ibid. p 52 - 53 .

Dozy : Op. Cit., p 505 ان هذا الاسم مشتق من العربية ثقل (جمع الثقال) أما Eyuilaz : (٧) يذكر :

Engelmann, p 349 ليرى ان انها مشتقة من الكلمة العربية تكاليف «مرد تكليف».

(١) انظر :

(٢) انظر :

(٣) انظر :

(٤) انظر :

(٥) انظر :

(٦) انظر :

(٧) انظر :

الساحلية، وبعد سقوط غرناطة، قام الملكان الكاثوليكيان بتحصيلها من الشعب المورييسكى فى المنطقة الساحلية^(١).

ثم كانت هناك الضرائب التى تحصل على الثروات والتركات. وأخرى ذات صفة عرضية، من بينها ضريبة المنازل^(٢). وخراج السور الذى كان يحصل لتحصين الاستحكامات. وكان سكان الحدود يجبرون على دفعها بغرض انشاء اسوار لحماية اراضيهم من غزوات الاعداء. وقد قام السلطان محمد الخامس - على سبيل المثال - بتوجيه الكثير من الرسائل إلى شعبه يحضهم فيها على الاشتراك فى الجهاد، مبينا الحاجة إلى استخدام ايرادات الدولة فى الانفاق على الجنود والمتطوعين والعمل على تقوية الاستحكامات والحصون والاسوار^(٣).

كذلك كان هناك نوع من الضرائب يعطى التزاما لمن يسمى بالمتقبل، ويسمى هذا الالتزام قبالة ومنه جاء اللفظ الاسبانى Alcabala^(٤). وبهاجم الفقيه ابن عبدون المتقبل، ويذكر انه : «شر خلق الله وهو بمنزلة الزنبور الذى خلق للضرر، لا للنفع»^(٥).

وكانت الضرائب فى مملكة غرناطة تجبى نظير اىصال يثبت هذا الدفع امام محصلى الضرائب، وكان على الممول ان يدفع ثمننا لهذا الاىصال يتراوح بين دينارين وستة دنانير^(٦).

على آية حال فقد كان دخل المملكة كبيرا، تقدره المصادر المسيحية بستمائة الف

(١) انظر : A. Gamir Sandoval "Las Fardas" para la Costa granadina (siglo XVI) en : Homenaje de la Universidad de Granada a Carlos V (1958) pp 293 - 330 , Arfe : Op. Cit., p. 218 .

(٢) ابن الخطيب : اللوحة ص ٨٣ .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ج ٩ ص ١٠٩ - ١١٠ ، ج ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٩ وكذلك :

Al Abbadi : Op. Cit. p 135 .

(٤) برونسفال : محاضرات فى ادب الاندلس وتاريخها ص ٨٢ .

(٥) رسالة ابن عبدون فى ثلاث رسائل اندلسية فى اداب الحسبة ص ٣٠ .

M.A. Ladero Quesada : Op. Cit., pp 52 - 53 .

(٦) انظر :

مرابط ليونى، اما ابن الخطيب فيحدده بمبلغ خمسمائة وستين الف دينار^(١).

وقد أورد لنا المقرئ وصفا شاملا لخزانة الدولة النصرية فقال : « كانت خزانة هذه الدولة النصرية، مشتملة على كل نفيسة من الياقوت وبتيمة من الجواهر، وفريدة من الزمرد، وثمانية من الفيروز، وعلى كل واق من الدروع، وحام من العدة، وماض من الاسلحة، وفاخر من الآلة، ونادر من الأمتعة، فمن عقود فلة، وسلوك جمعة، وأقراط تفضل على قرطى مارية^(٢). نفاسة فائقة، وحسنا رائقا، ومن سيوف شواذ فى الابداع، غرائب فى الاعجاب، منسويات الصفائح فى الطبع، خالصة الحلى من التبر، ومن دروع مقدرة السرد، متلاحمة النسيج، واقية للبأس فى يوم الحرب، مشهورة النسبة إلى داود نبى الله، ومن جواشن^(٣). سابغة اللبسة، ذهبية الحلية، هندية الضرب، ديباجية الثوب، ومن بيضات عسجدية الطوق، جوهريه التنضيد، زبرجدية التقسيم، ياقوتية المركز، ومن مناطق لجينية الصوغ، عريضة الشكل، مزججة الصفع ومن درقة لمطية^(٤). مصمتة المسام، لينة المجسة، معروفة المنعة، صافية الأديم، ومن قسى ناصعة الصبغة هلالية الخلقة، منعطفة الجوانب، زاوية بالحواجب، إلى آلات فاخرة من اتوار^(٥). نحاسية، ومناور^(٦) بلورية، وطيافير^(٧). دمشقية، وسبحات^(٨) زجاجية، وصحاف صينية، وأكواب عراقية، وأقداح طباشيرية^(٩). وسوى ذلك مما لا يحيط به الوصف^(١٠).

Ibid. p. 51, Isabel Alvarez de Cienfuegos

(١) انظر :

campos : Sobre la economia en el Reino Nasri

Granadino (M.E.A.H.) Vol. VII (1958) fasc I, pp 85 - 97 .

(٢) هى مارية بنت ظالم بن وهب الكندية، زوجة الحارث الاكبر القسائى، وكان فى قرطيبها لؤلؤتان عجيبتان ضربت العرب بنفاستهما الامثال.

(٣) الجواشن : الدروع.

(٤) انظر الفصل الخاص بالحياة الحربية.

(٥) الاتوار : آنية يشرب فيها، واحدها تور.

(٦) المناور : جمع منارة وهى ما يوضع عليها السراج.

(٧) الطيافير : كلمة مولدة بمعنى اطباق مستديرة عميقة ذات اغطية، كما تعنى كذلك المناخذ الصغيرة.

(٨) السبحات : جمع سبعة وهى ما يسبح به.

(٩) لعل المراد بالطباشير هنا مادة خزفية أو نحوها.

(١٠) المقرئ : ازهار الرياض ج١ ص ٥٣ - ٥٥ .

نفع الطيب : ج ٦ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

سكة (١) غرناطة :

يذكر ابن الخطيب عن سكة غرناطة أن " صرفهم فضة خالصة ، وذهب ابريز طيب محفوظ " (٢) .

وفى بداية الامر كانت عملة بنى نصر تسك على نط العملة الموحدية (٣) مثال ذلك الدراهم المربعة بشكل الدرهم الموحدى (٤) .

ويعطينا ابن الخطيب تفصيلاً عن شكل ووزن هذا الدرهم المربع ووحداته فيقول ان هذا الدرهم كان " فى الاوقية منه سبعون درهماً يختلف الكتب فيه ، فعلى عهدنا (ق ١٤/٨) فى شق " لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، وفى شق آخر " لا غالب الا الله ، غرناطة " ، ونصفه وهو القيراط فى شق " الحمد لله رب العالمين " وفى شق " وما النصر الا من عند الله " . ونصفه وهو الربع فى شق " هدى الله هو الهدى " وفى شق " العاقبة للتقوى " . ودينارهم فى الاوقية منه " ستة دنائير وثلاثا دينار ، وفى الدينار الواحد ثمن اوقية وخمس ثمن اوقية ، وفى شق منه

(١) السكة : يعرفها ابن خلدون بانها : " الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج وسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد ان يعتبر هيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد اخرى وبعد تقدير اشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه (ابن خلدون ، المقدمة (بيروت) ص ٢٦١) .
هذا وقد انتقلت كلمة السكة العربية الى اللغة الاسبانية على شكل Ceca و Zeca و Seca التي تدل على دار سبك النقود .

(٢) ابن الخطيب : اللوحة الهدية ص ٢٩ .

(٣) عن نقود بنى نصر انظر :

F. Codera : Tratado de numismatica árabe - española (Madrid 1879) , H. Lavoix : Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale , (Paris 1891) , t. II, p. 327 y sigs, Antonio Vives y Escudero :

Monedas de las dinastías árabe - españolas , (Madrid 1893) , p 370-389., Antonio Prieto y Vives : Las Monedas de Boabdil (Al Andalus 1935, Vol III , fascI, p 130 - 132, Antonio Prieto : Numismática granadina (Bol. Ac. Hist.) 1932 (pp. 305 - 311) , L. A. Mayer : Bibliography of Moslem Numismatics, Oriental translation fund, New series, Vol XXV, Royal Asiatic Society, 1950, p 278 b.

(٤) ابن الخطيب : الاطالة ج ١ ص ١٤٣ .

" قل اللهم مالك الملك بيدك الخير " ، ويستدير به قرا " عالى " الهكم اله واحد ، لا اله الا هو الرحمن الرحيم " . وفى شق ، الامير عبد الله يوسف ، ابن امير المسلمين ابى الحجاج ، بن امير المسلمين ابى الوليد اسماعيل بن نصر أيد الله أمره " ، ويستدير به شعار هؤلاء الامراء " لا غالب الا الله " . ولتاريخ تمام هذا الكتاب ، فى وجه " يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " ويستدير به " لا غالب الا اله " . وفى وجه " الامير عبد الله الغنى بالله ، محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر ، أيد الله وأعانه ويستدير برع "بمدينة غرناطة حرسها الله" (١).

من هذا نرى ان الدرهم المربع كانت له وحدتان : نصف الدرهم " القيراط " وربع الدرهم " الربع " ، كذلك فان الدنانير الذهبية التى تسميها الوثائق المسيحية ' doublo أو doubloa والدرهم الفضية تحمل كل منها عبارة " لا اله الا الله " وفى الخلف اسم السلطان الحاكم وشعار بنى نصر . ، وأحيانا كان يظهر مكان سك العملة على أحد وجهيها .

وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) امكن رسم صورة اكثر وضوحاً للعملة النصرية على ضوء بعض الوثائق والعقود التى حررت فى تلك الفترة الاخيرة من دولة بنى نصر اذ يظهر فى تلك الوثائق ثلاثة اشكال للدينار الغرناطى : الدينار الذهبى ، الدينار الفضى (العشرى) ، والدينار العينى (من النحاس) (٣) .

هذا وقد قام المستشرق الاسبانى لويس سيكودى لوثينا بعمل دراسة عميقة عن العلاقة بين هذه الدراهم وبعضها . فذكر انه فى عام ١٤٨٥ / ٨٩٠ كان الدينار الذهبى يساوى سبعة دنانير ونصف من الدنانير الفضية . وفى عام ١٤٩١ / ٨٩٧

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عمان) ج ١ ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) كان الدينار المرحدي ضعف الدينار العادي فى الوزن ولذا عرف باسم doublo عند النصارى : انظر : ابن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ص ١١١ حاشية ١ .

(٣) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٨ ، لنفس المؤلف :

الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بدمرد - المجلد السابع والثامن - ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ص ٨٥ - ١٠٨ .

كان الدينار الذهبى يساوى خمسة وسبعين درهما وكان الدينار الفضى يساوى عشرة دراهم من الفضة " الدراهم العشرية " ، بينما لم تكن قيمة الدينار العينى (النحاس) ثابتة . اما الدينار الذهبى الغرناطى الوافى العيار (٢٢ قيراط) فكان يزن ما يقرب من جرامين . كذلك ضربت فى غرناطة فى اواخر القرن التاسع الهجرى (١٥م) عملة ذهبية تسمى " المثلثال " وان كان العلماء لم يتمكنوا للأسف من تحديد علاقتها بالعملات الاخرى (١) .

وفى القرن التاسع الهجرى كانت العملات الذهبية نادرة فى مملكة غرناطة ، فلقد استمر بنو نصر يواجهون المشكلات الاقتصادية ، ونجد ان السلطان ابا الحسن على (عزل فى عام ١٤٨٢/٨٨٧) قام بضرب دنانير من الفضة والنحاس والبرونز لها 'قيمة الدنانير الذهبية' . وقد افترض المستشرق A. Prieto y Vives انها كانت دنانير مزيفة ، ضربت من تلك المعادن ثم تغطس فى حمام من الذهب (٢) . ولكن قام المستشرق الاسبانى الراحل لويس سيكودى لوثينا Luis Seco de Lucena بعمل دراسة اثبت بها ان الدنانير الفضية أو العينية التى ضربت بسكة الدينار الذهبى ليست زيوفاً كما حسب علماء النميات ، وانما هى عملات صحيحة كانت تتداول بقيم شرعية ، وان كانت تعتبر دون الذهبية فى القدر ، كما هو الحال الان فى عملتنا الورقية (٣) . وقد كان هذا الامر قانونيا فى التعامل التجارى ، مع انها كانت أقل فى القيمة من الدنانير الذهبية (٤) . واجاز الفقهاء فى ذلك الوقت استخدام عملة لا تطابق الوزن الشرعى على ان تقرر الجهات المتعاملتان ذلك (٥) .

(١) لويس سيكودى لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٨م .

(٢) انظر : Indicacion del valor de las monedas árabe - espanolas, en Homenaje a Codera , Saragosa, 1904, p 522 .

(٣) لويس سيكودى لوثينا : الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية مجلدان السابع والثامن ١٩٥٩-١٩٦٠ ص ٨٥-١٠٨ ، وثائق عربية غرناطية ص ١٦ - ١٨ .

(٤) انظر : Luis Seco de Lucena : Documentos árabe granadinos (Al Andalus IX (1944) p 127 .

José López Ortiz : Fatwas granadinas pp 94-95 .

(٥) انظر :

وفي القرن التاسع الهجري (١٥م) نرى أن العملات الاسبانية كانت تستخدم بصفة عادية في غرناطة النصرية ، ونلاحظ انه في بعض الوثائق نص على ان الثمن المتفق عليه دفع " بالريالات القشتالية " . (١)

التجارة في مملكة غرناطة

أ - التجارة الداخلية :

ازدهرت حركة التجارة الداخلية بين مدن مملكة غرناطة وقراها ، ازدهارا كبيرا تبعاً لشهرة كل واحدة منها في سلعة من السلع او صناعة من الصناعات تتفوق فيها عن غيرها . مثال ذلك مالقة التي كانت تبعث بالتين واللوز إلى غرب الاندلس (٢) . وقرية شاط بالقرب من المنكب التي كانت تصدر انتاجها من الزبيب إلى كل البلاد الاندلسية (٣) . ويمتدح ابن الربيب القيرواني الحركة التجارية في الاندلس بقوله : " أن بارت تجارة فإليها تجلب ، وإن كسدت بضاعة ففيها تنفق " (٤) ويتصفح كتب الحسبة نستطيع أن نرسم صورة للتجارة الداخلية في المدن الاندلسية في العصور الوسطى ، حيث كان البيع يتم في الغالب تحت أروقة ومعارض (٥) . وكان التجار يحاولون استمالة زبائنهم عن طريق المناذاة على السلع وامتناع محاسنها . وعلى المحتسب ان يستخدم نفوذه ليمنع الفلاحين القادمين إلى المدينة من دخول القيسارية على ظهور دوابهم ، كما يمنعهم من التوقف في الدروب الضيقة ، ومن ترك دوابهم بلا قيد (٦) .

وفي غرناطة وفي غيرها من مدن المملكة كانت هناك الشوارع التجارية المتخصصة في نوع ما من البضائع ، كما يظهر لنا من طبوغرافية غرناطة وغيرها .

(١) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ١٨ وكذلك : Luis Seco de Lucena : La Sultana Madre de Boabdil (Al Andalus Vol XII, fasc 2 p 381.

(٢) القلشندي : صبح الاعشي ج٥ ص ٢١٩ .

(٣) الادريسي : المغرب وارض السردان ومصر والاندلس ص ١٩٩ .

(٤) المقرئ : نفح الطيب ج٤ ص ١٥٥ .

(٥) ثلاث رسائل الدلسية في اداب الحسبة ص ١٢٢ .

(٦) المصدر السابق : ص ١١٣ .

مثل سوق بائعي العطور بالقرب من المسجد الأعظم ^(١) . وسوق الرقيق الذي كان يسمى سوق الفتيان ^(٢) . وسوق الغزل بمالقة ^(٣) . ويذكر انريكث دى خور كيرا En-riquez de Jorquera فى حوليات غرناطة ، ان المجوهرات كانت تباع فى السقاطين القديم كما كان لصناعة الاحذية وصباغتها شوارعها المتخصصة ^(٤) ولعل وجود أرياض وابواب مثل الفخارين والديباغين يقدم دليلا على ذلك .

كذلك كانت هناك اسواق تشتمل على مجموعة من السلع المختلفة ليسهل على السكان شراء ما يحتاجونه دون الحاجة إلى الانتقال ، مثال ذلك سوق البيازين الذى يقع بجوار باب البنود ^(٥) .

وكان باعة نبات " كف العروس " و " الثرياق " وباعة " العشب الطبى " ومحضرى " الدهن " و " الكحل " ، يفترون الارض لبيع بضائعهم التى كانت مسرحا لعمليات كثيرة من الغش على الرغم من اوامر المحتسب المتشددة ^(٦) ، كما كانت هناك لجارة القطن ^(٧) ومحلات الخضر والفاكهة الطازجة والمجففة ^(٨) ، وباعة الاطعمة من كل الاصناف : عجين مقلو بالجبن ، امعاء محشوة باللحم ، فطائر مختلفة ^(٩) .

وكانت رحبة المسجد الاعظم بغرناطة تعج بالمحلات التجارية ^(١٠) . وفى المنطقة الضيقة التى كانت تقع بين السقاطين ومجرى نهر حذرة ، كانت توجد العديد من

(١) ابن حجر : الدرر ، السفر الرابع ، ترجمة رقم ٢٤٧ ص ٨٩ .

(٢) المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ١٢٨ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٣٣٣ .

(٤) انظر : Rachel Aré : Op. cit., p 354., n° 1

(٥) انظر : Ma del Carmen Villanueva Rico : Casas, mezquitas y tiendas de las habices : de las Iglesias de Granada (Madrid 1966) . 6.

(٦) ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة ص ١١٣ .

(٧) ابن حجر : الدرر : السفر الاول ترجمة رقم ٤٥٥ ص ١٢٨ .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٢٢ .

(٩) انظر : Ma. del Carmen villanueva Rico : Op. cit.

(١٠) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٦٥ - ١٦٦ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٤ .

الحوارى والميادين الصغيرة جدا التى كان بها محلات بيع الدجاج ، وباعة الاسماك واللحوم ^(١) .

وكان البغل هو حيوان النقل الشائع فى شرق المملكة ، فقد كانت الاندلس مشهورة بالبغال التى يصفها ابن سعيد بانها فارهة ^(٢) . وتروى لنا المصادر ان السلطان ابا الحجاج يوسف الاول بعث بهدية إلى سلطان المغرب أبى عنان فارس المرينى تشتمل على عدد من البغال ^(٣) . وهذا ابن بطوطة يتابع على ظهر بغل دريا متعرجا من رندة إلى مالقة ^(٤) . كذلك عاد الرحالة المصرى ابن عبد الباسط من مالقة إلى غرناطة على ظهر بغل ^(٥) .

والى جانب البغل كان هناك الجمل الذى كان وسيلة هامة من وسائل النقل فى بيرة . وفى المناطق الشرقية من المملكة النصرية ^(٦) ، وفى اشكر إلى الشمال من بسطة ^(٧) . وكانت الأجفان تستخدم لنقل الخيل ^(٨) .

وعلى رأس كل طبقة من أصحاب الحرف ، كان هناك " الأمين " الذى يمارس سلطاته على ابناء حرفته ، ويمثلهم لدى المحتسب ، فهو أشبه بنقيب يمثل أصحاب المهن التجارية والصناعية فى السوق ويسأل أمام المحتسب عن مشاكلهم . وعلى سبيل المثال كان أمين القصابين يراقب قصابى المدينة ، ويلقنهم القواعد التقليدية فى

(١) انظر : Gómez Moreno : Guía de Granada p. 315, Leopoldo
Torres Balbás : plazas, Zocos y Tiendas de las Ciudades Hispanomusulmanas
(Al Andalus Vol. XII, 1947, fasc 2) p. 548

(٢) المقرئ : نفع الطيب : ج ١ ص ١٨٥ .

(٣) ابن الخطيب : ريعانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال) رقم ١٨٢٥ لوحة ١٠٢

(٤) ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٣٢ .

(٥) انظر : G. Levi Della Vida : Il regno di Granata p. 313

(٦) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٨٤ .

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٧ ، خطرة الطيف ص ٤٠ .

(٨) المقرئ : نفع الطيب ج ٦ ص ١٧٩ .

موضوع ذبح الحيوانات طبقاً للطريقة الشرعية^(١) . كما كان والد أبى اسحاق الساحلى المعروف بالطويجن امينا للعطارين بغرناطة^(٢) . كذلك كان هناك امين للقيسارية^(٣) .

واحيانا كان يتم البيع بالتقسيط فقد اشترت فاطمة بنت ابى الجيوش نصر جميع الرياحين الكائنة بريض الفخارين بغرناطة قى ٢٣ ذى الحجة عام ٨٢٩ هـ ودفعت ثمنها على اقساط^(٤) .

وعندما يحرر عقد بيع فى المدينة ، ويشترط فيه أن يكون دفع الثمن مقسطا على الشهور ، فان هذه الشهور تكون هى القمرية ، كلما انقضى شهر حل موعد أداء جزء من الثمن ، اما اذا كان عقد البيع خاصاً باراض زراعية ، فان الحساب يكون على أساس نهاية السنة الزراعية التى كانت تنتهى فى شهر أكتوبر ، ونظراً لتغير مواقيت الشهور الهجرية فقد كانوا يتخذون الشهور الشمسية عند حساب المواعيد التى تحل فيها آجال أداء الدين^(٥) .

كذلك كان يتم احيانا دفع الثمن المطلوب أو الكراء بالمنتجات الزراعية مثال ذلك ان بعض اهالى قرية فقلش (من حصن شريش) اكترو مياها معلومة لمدة خمس وثلاثون سنة على ان يدفعوا فى كل عام ثمانين قدحا من الشعير وعشرين قدحا من القمح إلى حين انتهاء المدة^(٦) .

(١) ثلاث رسائل اندلسية فى اداب الحسبة ص ٩٣ .

(٢) الازدي : تحفة المغترب ص ٧٦ ، ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان ص ٣٠٨ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٢ ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٣) الازدي : تحفة المغترب ص ١١٧ ، المراكشي : الذيل والتكملة السفر السادس ص ٤٨٤ - ٤٨٥ ترجمة رقم ١٢٤٥ .

(٤) انظر : Luis Seco de Lucena : Documentos Árabes GranadinosII (Al Andalus Vol IX1944 fasc I, pp. 121 - 140 .

(٥) لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٢٣ م .

(٦) انظر : Ángel Gonzalez palencia : Documentos Árabes del cente, siglos XII-XV (Al Andalus 1940, Vol V, fasc 2, p 376 .)

قيسارية غرناطة :

كانت قيسارية غرناطة هي المركز الرئيسي للتجارة في المدينة ، وقد ظلت حتى عام ١٨٤٣ محتفظة تقريبا بحالتها صحيحة ، ولكن في هذا العام دمر البناء تماماً^(١) . يقول مارمول كارباخال Mármol Carvajal انها كانت غنية جداً " مثل قيسارية فاس ، على الرغم من انها لم تكن كبيرة مثلها ، حيث كانت تجرى كل الامور التجارية للمدينة " (٢) .

أقدم اشارة عن قيسارية غرناطة عبارة عن بيع محلين بها ، في ١٠ صفر ٨٦٥ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٤٦٠م بواسطة السلطان سعد (ت ١٤٦٥/٨٧٠م) إلى أبي الحجاج يوسف بن ابي القاسم بن السراج ، بسعر سبعمائة وخمسين ديناراً من الذهب (٣) .

بعد ذلك بسنوات قليلة في ٢٢ محرم ٨٨٣/٢٦ ابريل ١٤٧٨ اشير اليها عند الحديث عن العاصفة القوية التي وقعت بينما كان مولاي الحسن يستعرض جيوشه من مخدع يقع امام باب جنة العريف ، مما ادى إلى زيادة كبيرة في نهر حدره ، وانتزع الاشجار الكبيرة التي كانت تقع على ضفتيه ، وكانت النتيجة ان كميات كبيرة من المياه غمرت محلات كثيرة من القيسارية واتلفت كمية كبيرة من البضائع المخزنة في تلك الاماكن (٤) . وتبقى من قيسارية غرناطة طريق واحد من الطرق الكثيرة المتشعبة داخلها ، وتصطف على كلا جانبي هذا الطريق حوانيت كانت تباع فيها المصنوعات القيمة والمنتجات الثمينة . ويصف " مارينيو سيكيلو "

(١) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Alcaicerías . (Al Andalus Vol XIV, fasc 2, p 439 (1949).

(٢) انظر : Luis del Mármol Carvajal : Historia del rebelion y Castigo de los mriscos del reino de Granada, segunda impresión, I (Madrid 1717) p . 37.

(٣) Alonso Barrarntes Maldonado : Las Ilustraciones de la Casa de Niebla. t. II, apéndice B. (Memorial Histórico Espanol, x , (Madrid 1857) p 563. p. 563 .

(٤) انظر : مؤلف مجهول : نبذة العصر : نشر الأب كيروس والفرد بستاني ص ٥ وكذلك : Leopoldo Torres Balbás : Op. cit., p 439.

القيسارية في القرن السادس عشر بقوله : " يوجد بها ما يقرب من مائتي حانوت ، تباع فيها المنسوجات الحريرية ، وجميع انواع التجارات الثمينة ، وهذا البناء الذي يعد في حد ذاته مدينة صغيرة يشتمل على كثير من الازقة والزنقات وينفتح في سوره عشرة أبواب عليها درابون أو حراس معهم كلاب يسهرون الليل " (١) .

الموازين والمكاييل والمقاييس :

كانت وحدة الموازين المعروفة في غرناطة هي الرطل (٢) ، الذي كان يساوي اثنتي عشرة أوقية ، وكل أوقية ثمانية مثاقيل ، وكل مثقال ٧٢٢,٤ جراما أي أن الرطل ٣,٥٣٣ جرام (٣) . ثم كان هناك القنطار (٤) .

هذا وقد احتفظت لنا كتب الحسبة ببعض المعلومات عن الميزان والصنج التي كانت من الحديد أو الحجارة أو الزجاج وكان لابد أن تعلم من المحتسب (٥) . أما المعادن الكريمة ، والنقود الذهبية والفضية ، فكان يتم وزنها بالاقوية والدرهم (٦) .

بخصوص المكاييل ، فكانت الحبوب تباع بالقدح (٧) . كما كان هناك مكيال للطعام يسمى فنيقة وانتقلت إلى الاسبانية فصارت Fanega ، وتطلق فيها على مكيال للحب يختلف حجما باختلاف الاقاليم (٨) . وكانت المواد السائلة مثل الزيت

(١) د. السيد عبد العزيز سالم : العمارة المدنية بالاندلس ، دائرة معارف الشعب العدد ٦٤ - ١٤٦

(٢) الادريسي : صفة المغرب ص ٢٠١ ، ابن بطوطة الرحلة : ج٤ ص ٣٦٦ ، لويس سيكودي لوثينا وثائق عربية غرناطية ص ٩٨ .

(٣) الحكيم : الدوحة المشتبكة ص ١٤٣ ، حاشية ٢ ،

(٤) انظر : Rachel Aré : Op. cit., p 356 .

(٥) ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة ص ١٠٦ - ١٠٧ ، معجم رسالة ابن عبدون في : Journal Asiatique , 1934 , p 271 .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة ج ١ ص ١٤٣ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٣٩ . لويس سيكودي لوثينا : وثائق عربية غرناطية ص ٩٨ وكذلك Angel Gonzalez Palencia : Op. cit., p 366-367

(٨) د. عبد العزيز الاهواني : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة ص ٤٩ - ٥٠ وكذلك : Dozy : II, p 285.

تكال بأوان من الخزف المطفى (١) .

أما المقاييس فقد استخدم فيها الذراع و " الشبر " و " القبضة " (٢) ولقياس المسافات استخدمت " المرحلة " التي كانت تساوى مرحلة يوم ، والبريد (يساوى اثنى عشر ميلا) ، والفرسخ (ثلاثة اميال) كما استخدم الميل (٣) .
وكان مقياس الأراضى الزراعية الشائع هو المرجع العملى (مساحته خمسمائة متر مربع) (٤) .

هذا وقد انتقلت بعض أسماء الموازين والمكاييل والمقاييس إلى اللغة الاسبانية نذكر منها : القنطار quintal والمرجع Almarjal .

كما انتقلت بعض المصطلحات التجارية العربية إلى اللغة القشتالية مثال ذلك المحتسب Almotacén والمخزن Almacén والديوان aduana والتعريفه tarifa والفندق Alfóndiga والسوق Alcoque ورخيص rafaz ويكرى Alquilar والكراء Alquilé والتجارة Atijara (٥) وكان لاهل غرناطة مسميات خاصة تتعلق بالاسواق ، فكانوا يقولون " المدى " للسوق التى يباع فيها الرقيق (٦) . و " المعرض " بفتح الراء للموضع الذى يباع فيه الرقيق (٧) .

(١) ثلاث رسائل أندلسية في اداب المحتسبة والمحتسب ص ١٠٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٤ .

(٣) ابن الخطيب : اللوحة ص ١٢ .

(٤) ابن الخطيب : اللوحة ص ١٤ ، الاحاطة (عنان) ج١ ص ١٣٨ وكذلك : Dozy : I, p 513
(٥) انظر : Ebro K. Neuvonen : Los Arabismos del Espanol en el Siglo XIII (Helsinki 1911) .

(٦) د. عبد العزيز الاهواني : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة ص ٥٧ .

(٧) د. عبد العزيز الاهواني : نفسه ص ٦٢ وكذلك : Dozy : Suppl. II, p 114

ب - التجارة الخارجية :

ازدهرت حركة التجارة بين مملكة غرناطة والدول المعاصرة لها سواء أكانت إسلامية أو مسيحية ازدهاراً كبيراً . وساعد على ذلك وفرة بعض السلع والمنتجات في المملكة ، مما كان يسمح بتصديرها إلى الخارج ، وحاجة المملكة إلى بعض السلع الأخرى مما كان يضطرها إلى استيرادها ، ووفرة الموانئ الطبيعية على طول الساحل الغرناطي (١) . ويمتدح المؤرخون ساحل المرية ، ويصفونه بأنه " انظف السواحل واشرحها وأملحها منظرًا " (٢) ، ويتحدثون عن غنى أهلها ، وعظم متاجرهم وأنه كان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف (٣) . وإنها كانت ميناء لمراكب النصارى ومجتمعاً لديوانهم ، حيث كانوا يقومون بدفع الاعشار ، وكانت البضائع تصدر منها إلى مختلف بلادهم (٤) ، وإنها كانت " باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق " (٥) ، ومنها يخرج الحجاج لاداء الفريضة (٦) .

كما كان ساحل مالقة " محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى " (٧) . وساحل الجزيرة الخضراء " أيسر المراسى " (٨) ، كما كان ميناء هاماً للحركة التجارية (٩) . وكان بطريف " الاسواق والفنادق " (١٠) . بينما كانت المنكب

(١) ابن الخطيب : اللوحة ص ١٣ ، S. P. Scott : History of the Moorish Empire in Europe , (philadelphia - London 1904) Vol 2 p 434 .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٣) الادريسي : صفة المغرب ١٩٧ ، الحميري : الروض المعطار : ص ١٨٤ ، المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ١٥٤ .

(٤) ابن سعيد : كتاب بسط الارض في الطول والعرض ص ٧٤ ، كتاب الجغرافيا ص ١٤٠ .

المقرئ : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٥) ابن غالب : فرحة الانفس ص ١٤ - ١٥ .

(٦) المقرئ : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٦ وعن المرية انظر : د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المرية الإسلامية ، قاعدة اسطول الاندلس (بيروت ١٩٦٩) .

(٧) المقرئ : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٨) ابن غالب : المصدر السابق ص ٢٥ .

(٩) الادريسي : صفة المغرب ص ١٧٩ ، الحميري : الروض المعطار ص ٧٤ .

(١٠) الادريسي : المصدر السابق ص ١٧٩ .

"مرفأ السفن ومحطها ، ومنزل عباد الصليب ومختطها " (١) .

واشتهر اهل غرناطة بحسن معاملتهم حتى صارت تلك المدينة ، على حد قول بعض المؤرخين ، أكثر المدن امتيازاً فى العالم . وصار اهلها موضع ثقة جميع تجار البلاد التى كانت تتعامل معهم حتى قيل فى هذا الصدد أن كلمة الغرناطى كانت أكثر ضماناً من عقد مكتوب . كذلك ذكر بعض رهبان اسبانيا فى العصور الوسطى ، فى وصف المسيحي المثالى ، بأنه هو ذلك الرجل الذى كان يجمع بين العقيدة المسيحية والمعاملة الاسلامية (٢) .

وتذكر المصادر ان حرير غرناطة كان يصدر إلى البلاد الأجنبية (٣) وان حرير الفحص كان ينتشر فى البلاد ، ويعم الافاق (٤) ، ويمتدح أبو الحسن الوزان (ليون الافريقي) الغرناطين ويصفهم بانهم " تجار كبار للحرير " (٥) . اما الكتان فكان " يورجيه على كتان النيل ، ويكثر حتى يصل إلى اقاصى بلاد المسلمين " (٦) . وكانت المنكب تصدر السكر (٧) . اما تين مالقة فكان يصدر إلى مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند والصين وبغداد (٨) . حتى قيل ان " ما يسفر منه المسلمون والنصارى فى المراكب البحرية فأكثر من أن يعبر عنه بما يحصره " (٩) وعندما قام الرحالة المصرى عبد الباسط بزيارة بلش عام ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م ، ذكر

(١) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٧٩ .

(٢) انظر : prescott : Op. cit ., p 170 .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٠٥ .

(٤) الحميري : المصدر السابق ص ٢٤ .

(٥) انظر : Juan Leon Africano : Descripcion de Africa y de las Cosas : notables que en ella se encuentran p 120 .

(٦) الحميري : الروض المعطار ص ٢٤ .

(٧) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٨ .

(٨) الادريسي : صفة المغرب ص ٢٠٠ ، ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٦٦ ، الحميري : الروض المعطار ص ١٧٧ ، المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٩) المقرئ : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٥ .

ان شحنات من اللوز والزبيب والتين المجفف كانت تجهز للتصدير إلى غالب البلاد النائية^(١). كذلك كانت مالقة تصدر الفخار المذهب العجيب إلى اقصى البلاد^(٢). وفي القرن التاسع الهجرى (١٥م) كانت غرناطة تصدر التبعر والقطران إلى بلنسية^(٣).

وكانت مملكة غرناطة تستورد ما ينقصها من المنتجات المختلفة والمواد الغذائية فكانت تستورد التوابل من المشرق^(٤)، والعطور والاشباب الثمينة من الهند، والمنتجات الطبية والحرير من الصين، والعبيد السود والذهب والعاج من اواسط القارة الافريقية، والجوارى والكهرمان والجلود والقصدير من اوربا^(٥). والملح من قادس^(٦)، والاسلحة والخيول^(٧) والارز من بلنسية والقمح من وهران وهنن وتنس، حيث كانت تفرغ شحناته فى المرية بواسطة الجنويين^(٨)، والبغال من اراجون^(٩). كذلك كانت مملكة غرناطية تستورد الزيت اذ ان انتاج المملكة منه كان غير كاف^(١٠).

(١) انظر : G. Levi della vida : II regno di Granata p 313.

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٦٧ ، المقري : نفح الطيب ج ١ ص ١٤٥ .

(٣) د. خليان سان باليرو : التجارة الاندلسية في القرن الخامس عشر . محاضرة القاها ببلنسية في ١٩٦٥/١٢/١٦ .

(٤) انظر : G. Airaldi : Genova e Spagna nel secolo XV, pp 28, 34, 49, 55, Aré : Op. cit. p 363 .

(٥) انظر : Luis Seco de Lucena : La Alhambra , p 31-32 .

(٦) انظر : J. Heers : Le Royaume de Grenade et politique marchande de Gênes p 352 .

(٧) د. خليان سان باليرو : المرجع السابق .

(٨) ابن سعيد : بسط الارض ص ٧٦ ، الجغرافيا ص ١٤٢ وكذلك : J. Heers : Gênes au xve siecle. pp. 492-493., Aré : Op. cit. p. 363

(٩) انظر : Alarcón y Linares : Op. cit., p. 49-50 .

(١٠) انظر : Aré : Op. cit., p 363 .

كذلك كانت المملكة تستورد الورق والملابس الرقيقة والكتان والغزل من جنوة ،
والجوخ من إنجلترا على يد التجار الجنوبيين ، وكان لون جوخ بريستول Bristol
الازرق يجد سوقاً رائجة فى غرناطة ^(١).

ومن الموانئ الغرناطية على البحر المتوسط كانت تخرج السلع الغرناطية إلى
الشمال وإلى داخل إفريقيا والهند والصين وإيطاليا وفرنسا وبلاد الشمال الأوربي .
وإلى الهند كانوا يتبعون طريق مصر مروراً بالاسكندرية والشام ، وإيران وكشمير .
وإلى الصين كانوا يعبرون منغوليا . وفى القارة الأفريقية وصلوا حتى موزمبيق
وزنجبار ومدغشقر وقبكتو . وإلى أوروبا كانوا يصلون عن طريق مرسية وعبر جبال
البرانس حيث يحملون منتجاتهم إلى فرنسا وصقلية وإيطاليا وبولونيا وروسيا
والسويد والدانمرك ^(٢).

ونظر لتقدم الحركة التجارية وتردد التجار الأجانب على المملكة فقد ازداد عدد
الفنادق بشكل ملحوظ ^(٣) ، وخاصة فى منطقة وسط مدينة غرناطة ^(٤) .

وكانت الفنادق إلى جانب وظيفتها فى تخزين البضائع ، مأوى للتجار الغرباء ،
ويسمى الفندق باسم الأشياء التى كانت تباع فيه أو تخزن به مثل فندق الفخم ، أو
باسم صاحبه مثل فندق زايدة .

هذا ولم يبق فى اسبانيا من هذه الفنادق غير الفندق الجديد أو ما يسمى باسم
فندق الفحم Corral del carbón ، ويرجع إلى القرن الثامن الهجري (١٤م)

(١) انظر : Ibid. p 363, M. A. Ladero Quesada : Op. cit., p 46-47.

(٢) انظر : Luis Seco de Lucena : La Alhambra (Granada 1920) p 31-32.

(٣) انظر على سبيل المثال : الحميري : الروض المعطار ص ٤٤ ، ١٢٧ - ١٨٤ .

(٤) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Estructura de las

Ciudades hisanomusulmanas . (Al Andalus Vol. XVIII, fasc I, 1953

p. 159 .

، ويتكون من صحن مربع الشكل تحف به محرات بها أروقة أربعة وله بوابة هائلة ، وهو غنى بالخزاف (١) .

هذا وقد استقر كثير من التجار المسيحيين في مملكة غرناطة ، ولعب هؤلاء ، على الرغم من ضعف أهميتهم العددية ، دوراً مهماً في اقتصادها . وأقام هؤلاء التجار في المدن الساحلية المهمة ، يقومون بالتصدير والاستيراد ويقدمون للجمارك ، كما في مدينة المرية (٢) ، مالقة (٣) ، "الاعشار" على البضائع التي كانت تقوم عليها تجارتهم منذ زمن بعيد (٤) .

وقد ترك لنا لسان الدين بن الخطيب ، وصفاً طريفاً لذلك الاستقبال الحافل الذي لقيه السلطان يوسف الاول عند زيارته للمرية ، وكيف ان تجار الروم قد شاركوا في هذا الاستقبال ، فأقاموا " على عمد الساج مظلة من الديباج " ليمر من تحتها المركب السلطاني (٥) .

وفي غرناطة العاصمة ، كان يوجد ديوان ليحصل الضرائب التي كان يؤديها التجار المسيحيون (الاعشار الرومية) على ما ذكر ابن الخطيب (٦) . ويرجع استاذنا الدكتور أحمد مختار العبادي ان يكون اسم قصر : palacio de Alixares في غرناطة تحريف لكلمة الأعشار ، وأن يكون هذا القصر هو المكان الذين كانوا يحصلون فيه على ضريبة العشور من التجار المسيحيين (٧) .

(١) ليوبولدو توريس بالباس : الابنية الاسبانية الاسلامية ص ١١٨ - ١٢٢ ، وكذلك : Leopoldo Torres Balbás : Las Alhondigas hispano - musulmanas y el Corral del Carbón de Granada (Al Andalus, Vol XI , 1946) pp. 447 - 480 .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٣) المقرئ : نفس المصدر ج ٤ ص ٢٠٥ .

É. García Gómez
Elogio del Islam espanol p 114 .

(٤) المقرئ : نفس المصدر ج ٤ ص ٢٠٦ وكذلك :

(٥) ابن الخطيب : خطرة الطيف في مشاهدات ص ٤٣ - ٤٤ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٥٧ .

Mujtar Al Abbadi : Op. cit. p 161

(٧) انظر :

العلاقات التجارية بين غرناطة وأراجون

تقدمت حركة التبادل التجارى بين مملكتى غرناطة وأراجون تقدماً كبيراً ، وقد احتفظت لنا المصادر بنصوص الكثير من هذه المعاهدات التى عقدت بينهما طوال العهد الغرناطى ، مثال ذلك ماورد فى معاهدة الصلح والسلام التى عقدت بين محمد الثانى سلطان غرناطة ، وخاييمى الثانى ملك أراجون فى ١١ رجب عام ٦٩٥/١٥ مايو ١٢٩٦م ، اذ اتفق الطرفان على السماح بدخول التجار والرعايا بين اراضى المملكتين " للبيع والشراء وسوق كل شئ وحمله دون اعتراض عليهم فى أجسامهم ولا فى أموالهم ولا فى تجارتهم " نظير دفع الضرائب التى جرى بها العرف " . وأن تسمح غرناطة لتجار أراجون بإقامة فنادق لهم على أراضيها ، وان يكون لهم قنصل فى " كل موضع ديوان ويمشى لهم عوائدهم كلها ولا يحدث شئ خلاف ما جرت به العادة " . (١) .

كذلك استقر عدد كبير من التجار القطلانيين فى مملكة غرناطة منذ بداية القرن الثامن الهجرى (١٤م) وخاصة فى المرية ، التى تحدثنا الوثائق عن وجود قنصل قطلانى بها فى عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦م (٢) ، واخر فى مالقة عام ٧٢٨ / ١٣٢٧ (٣) .

وفى معاهدة السلام التى عقدت بين السلطان محمد الخامس وسلطان المغرب ابى عنان فارس وملك أراجون بدرى الرابع فى ٨ رجب عام ٧٦٨ / ١٠ مارس ١٣٦٧

(١) انظر :- Alarcón y Linares : Los documentos árabes diplomaticos del Archivo de la Corona de Aragón p 1-2, J. Soler : La Corona de Aragón pp 38-40 .

(٢) انظر ارشيف بلدية برشلونة : Op. : Vol X, fol 60, V^o - 61 R^o & Rachel Arfé : cit., p 318 .

(٣) انظر : Capmany : Memorias historicas sobre la marina Comercio y artes de la antigua Ciudad de Barcelona (1963) t. I, p. 281 ., Arfé : Op cit. p. 318 .

اتفق جميع الاطراف على حرية انتقال التجار القطلانيين فى كل الاراضى النصرية والمرينية مع منحهم امتيازاً لممارسة نشاطهم الاقتصادى فى تلك البلاد نظير أداء الضريبة المعتادة (١).

العلاقات التجارية بين غرناطة وقشتالة

لم يحل سوء العلاقات بين غرناطة وقشتالة والنزاع بينهما دون قيام نشاط تجارى بينهما ففى معاهدة عقدت بين أبى الحجاج يوسف بن المول وخوان الثانى ملك قشتالة فى حصن برغالش يوم ٧ محرم ٨٣٥ هـ ١٦ سبتمبر ١٤٣١ اتفق الطرفان فيها على تأمين جميع التجار من النصارى والمسلمين ، والسماح لهم بالتوجه بجميع السلع والأشياء المباح بيعها وشرائها بين المملكتين « تحت الأمن من غير خوف عليهم ، ولا عارض يعترضهم فى توجههم وإيابهم ، لا يلزم أحد منهم غير الواجب الذى هو عادة بين النصارى والمسلمين » (٢).

وفى عام ٨٤٣/١٤٣٩ اتفقت المملكتان ان تصدر قشتالة إلى غرناطة كل عام ولدة ثلاث سنوات سبعة آلاف رأس من الضأن والماعز ومائة بقرة (٣).

وكانت التجارة بين المملكتين تنشط وقت الهدنة بينهما ، فيذكر الرحالة المصرى عبد الباسط ذلك قائلاً : وكنت قد عزمت على التوجه لرؤية قرطبة لقربها من غرناطة لاسيما والصلح بين المسلمين والكفار (قشتالة) من أهل تلك الديار باق ، وكانت تجار طائفتى الاسلام والكفر كل يتردد إلى بلاد الآخرين " (٤).

(١) انظر : Alarcon y Linares : Op. cit., p 147 .

وانظر معاهدات أخرى فى نفس المصدر ص ٣٣ - ٣٤ ، ٥٥ - ٥٦ ، ٥٩ - ٤١١ .

(٢) محمد عبد الله عنان : وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمديرد ، المجلد الثانى ، العددان ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ٣٨ - ٤٥ (٣) انظر José Amador de los Ríos : Memoria Historico - Critica sobre las tre- : guas celebradas en 1439 entre los reyes de Castilla y de Granada en Memorias de la Real Academia de la Historia . t. IX (Madrid 1879) Apéndice II Documento LXXVII .

G. Levi Della Vida : Op. cit., 315

(٤) انظر :

وكانت غرناطة تصدر إلى قشتالة المصنوعات الدقيقة مثل إبر الخياطة وخيوط الغزل وسكاكين المائدة والأجراس الصغيرة وأغطية الأصابع "الكستبانات" dadales^(١) .

العلاقات التجارية بين غرناطة والمدن الإيطالية

تعطينا المدونات المسيحية الكثير من التفاصيل حول العلاقات التجارية بين غرناطة والمدن التجارية الإيطالية . ففي عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م عقدت معاهدة سلام بين السفير الجنوي في غرناطة ومحمد الثاني ، تعهد فيهما السلطان النصري بحماية الجنويين واعفائهم من الرسوم ، كما تضمنت هذه المعاهدة قائمة بالمنتجات التي سمح بتصديرها^(٢) ومنح الجنويون بمقتضاها امتيازاً بافتتاح فندق في غرناطة ، وامتلاك كنيسة ، ومخبز ، وحمامات شعبية ، وسمح لهم بممارسة الصيد في أراضي المملكة وفي مقابل ذلك تعهد الجنويون بأن يقدموا للسلطان النصري - إذا دعت الحاجة - سفناً لمعاونته ضد أعدائه^(٣) .

هذا وقد حددت الرسوم التي كان يجب على الجنويين أدائها لمملكة غرناطة في نهاية القرن الثامن الهجري (١٤م) في كتيب صغير حرره عامل من عمال Datini de prato يفهم منه أن الجنويين كانوا يدفعون رسماً قدره ستة ونصف بالمائة^(٤) .

(١) د. خليان ساسن باليرو : التجارة الاندلسية في القرن الخامس عشر . محاضرة في بلنسية في ١٩٦٥/١٢/١٦ .

(٢) انظر : Arohivo di Stato, Gênes , Regesti, documento 471 , Rachel Aré : Op. cit. p 361 .

(٣) انظر : Annali di Caffaro e de suoi Continuatori, Vol. IV, 1920, p. 58, Aré : Op. cit. p 361

(٤) Aré : Op. cit. p 361 .

وفى خطاب من اسماعيل الاول بن فرج بن نصر سلطان غرناطة إلى خايمي الثانى ملك أراجون فى جمادى الثانية عام ٧٢٤ / مايو - يونيو ١٣٢٤ يفهم منه ان تاجرا جنوبيا يدعى "منوى دى نغروني Manuel de Negroni كان يقوم بنقل التجارة بين غرناطة وارايجون (١) .

وقد استقر فى المرية عدد كبير من تجار جنوة ، ويفهم من النصوص ان هؤلاء التجار كانوا يعملون بتجارة الرقيق بالاضافة إلى أنواع التجارات الأخرى (٢) .

وفى رسالة فى ١٧ ديسمبر ١٤٠٢ / ٨٠٥ وصف Tuccio de Gennaio احد عمال Datini النشاط التجارى لمالقة ، وذكر انها كانت واحدة من الاسواق الرئيسية على الطريق التجارى للبحر المتوسط .

وفى مالقة والمرية والمنكب استقر الجنويون فى تلك الموانئ الممتازة ومضوا فى بسط نشاطهم الاقتصادى فى مملكة غرناطة ، حتى غدت لهم "بلدا مستعمرا مستثمرا للتجارة بالتجارة الكبرى " (٣) .

وفى عام ١٤٥٢ تكونت فى جنوة ما يسمى Compera Granate بقصد حماية الجنوبيين الذين كانوا يتاجرون على الأرض الغرناطية من كل الأخطار . وكانت هناك ضريبة مقدارها واحد وربع بالمائة تسمى Drictus Granate على كل البضائع التى كان الجنويون يستوردونها أو يصدرونها إلى مملكة غرناطة (٤) .

وكان التجار الايطاليون يقدرون حرير غرناطة الذى كان يسمى فى الوثائق الايطالية "الاسبانى أو المالى أو الاميرى أو الموريسكى" والذى كان يصدر من مالقة والمرية إلى بلنسية وقادس والقنت ثم يعاد توزيعه (٥) . وكان حرير غرناطة يباع

Alarcón y Linares : Op. cit. p. 16.

(١) انظر :

Alarcón y Linares : Ibid. p. 16.

(٢) انظر :

J. Neers : Gênes au XV^e siecle. p 212 Arie : Op. cit. p. 361

(٣) انظر :

J. Heers : Le Royaume de Grenade et la politique marchande de Gênes . p. 93 .

(٤) انظر :

Rachel Aré : Op. cit. p. 362 .

(٥) انظر :

بواسطة البلنسيين فى عام ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ لتجار فلورنسا الذين كانوا يعيدون توزيعه فى مناطق أخرى ^(١) .

أما السكر الغرناطى الذى كان يتم انتاجه فى مالقة والمنكب والمرية ، فكان الجنويون يتولون تصديره إلى اسواق حوض البحر المتوسط ، حيث كان أرخص سعراً من سكر شرق الاندلس Levante ^(٢) .

كذلك قام الفلورنسيون والجنويون بتصدير فاكهة مالقة ^(٣) . وكانت منتجات غرناطة من اللوز والتين والزبيب تجد أسواقاً رائجة فى أرجاء كثيرة ، وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) حصلت أسرة Spinola الجنوية على امتياز باحتكار تصدير فاكهة مملكة غرناطية ^(٤) .

ثم نجد أن زعفران بيغو Priego de Cordoba وبسطة Baza كان يصدر عن طريق مالقة ، كما كان القار الاندلسى الذى يلزم لصناعة السفن يصدر إلى جنوة وفينسيا ^(٥) .

كذلك كانت غرناطة تستورد ايضاً عن طريق التجار الجنويين التين من مصايد قادس ، والعسل والملح من الوادى الكبير ^(٦) .

وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) كانت الاسر الكبيرة من التجار الجنويين مثل

(١) انظر: S. Carreres Zacaes: Valencia y Alfonso y Magnanimo , (Anales: del Centro de Cultura Valen - ciana) t, XIV, 1946, p 194., Aríe :

Op. cit. p. 362 .

(٢) انظر : J. Heers : Op. cit. p.110

(٣) حول نشاط التجار البلنسيين الذين كانوا يشترون فاكهة المملكة المجففة . انظر :

M. Arribas Palau : Musulmanes de Valencia apresados cerca de Abiza en 1413 . (Tetuan 1953) .

J. Heers : Op. cit. p. 109 . & Aríe : Op. cit. p. 363 . (٥،٤) انظر :

M. A. Ladero Quesada : Op. cit. p. 46 . (٦) انظر :

Les Spinola, Les Pallavicino, Les Centurioni تمتلك المحلات التجارية فى مملكة غرناطة ، وفى عام ١٤٤٣/٨٤٧ أقام ثمانية وخمسون تاجرا جنوباً فى اراضى المملكة ، منهم اربعون فى مالقة حيث كان لهم ستة محلات . وفى عام ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢م اختار الجنوبيون فى مالقة قنصلا وأربعة مستشارين ^(١) . وكانت ارباحهم تنقل إلى جنوة بموافقة غرناطة ^(٢) .

وعندما زار الرحالة الالماني خيرونيمو مونزر غرناطة فى اواخر القرن الخامس عشر ذكر انه شاهد فندقاً للجنوبيين كان يقع فى مواجهة مسجد المدينة ^(٣) .

وبعد استرداد غرناطة على يد الملكين الكاثوليكين ، طلب كثير من التجار الجنوبيين منهما أن يسمحا لهم بممارسة نشاطهم فى مالقة كما كان متبعاً على عهد بنى نصر . فمنحوا مكاناً خارج الاسوار ، قريباً من الميناء ، وفى الوثائق الخاصة بتقسيم مالقة نجد اشارة إلى جنوى باسم Bartolomé de Abarze ^(٤) . وملتقى بتاجرين جنوبيين قد استقروا فى مالقة منذ زمن طويل هما Agustín Italiano و Martin Centurion وتركيا جنسيتهم الاصلية واصبحا قشتاليين كى يتمكنوا من الاستمرار فى ممارسة نشاطهما ، وخاصة فى تجارة الحرير ^(٥) .

(١) انظر : J. Heers : Le royaume de Grenade et la politique marchande : de Gênes p. 94.

(٢) انظر : M. A. Ladero Quesada : Op. cit. p. 43 .

(٣) انظر : J. Münzer : Viaje por España y Portugal (B. R. A. H.) pp. 111-112 .

(٤) انظر : Guillén Robles (F.) : Málaga Musulmana 2^e ed.(Malaga 1957) pp 326-327.

(٥) انظر : M. Ladero Quesada : La Repoblación del reino de granada : anterior al ano 1500, Hispania n° 110, 1968, p. 9.

الزراعة فى مملكة غرناطة :

يمتدح المؤرخون العرب والاسبان خصوبة التربة فى بعض أجزاء مملكة غرناطة مع اعتدال المناخ ، ووفرة المياه من الأنهار ، مثل شنيل وحدره والمنصورة ، ومن الأمطار ، وغنى الفحص بالقرى والحدائق الغناء ^(١) . ونشاط المزارعين وذكايتهم وخبرتهم فى طرق الري والصرف ، متبعين فى ذلك نظماً من وحى روماني فيما يتعلق بالأسلوب الفننى ^(٢) . حيث كان الماء يجلب من مصادره إلى مناطق الزراعة ، مما تدل عليه الآثار الباقية حتى اليوم مثل القناطر المقامة على الأنهار .

وتوصل الغرناطيون إلى معرفة أحوال الطقس ، ووضعت الكثير من المؤلفات والتقاويم عن الزراعة تناولت الحديث عن " الغراس والعلاج وحفظ النبات من حوائجه وعوائقه " ^(٣) . نذكر منها كتاب ابن ليون التجيبى ^(٤) (ت فى المرية عام ١٣٤٩/٧٥ . الملاحة وإنهاء الرجاجة فى أصول صناعة الفلاحة " ^(٥) . بالإضافة إلى تقويم شعبى غرناطى من القرن التاسع الهجرى (١٥م) لمؤلف مجهول ، يقدم لنا عرضاً سريعاً للنشاط الزراعى بالمملكة وأهم منتجاتها الزراعية . ^(٦)

ويصف ابن غالب اهتمام أهل الاندلس منذ وقت طويل بالزراعة فيقول انهم

-
- (١) ابن الخطيب : للمحة ص ١٢-١٣ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٠٢ - ١٠٣ ، المقرئ :
نفع الطيب ج ١ ص ١٦٤ - ١٦٦ ، G. Levi Della Vida : Op. cit., p 314
- (٢) Lafuente Alcantara : Historia de Granada. t, III, p. 102.
- (٣) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٤٩٤ .
- (٤) عنه أنظر : ابن القاضى : درة الحجال ج ٢ ترجمة رقم ١٣٥٢ ، الزركلى : الاعلام ج ٣ ص ١٣٢ .
- (٥) انظر : Lerchundi y Simonet : La Creslomatía arábigo española (Granada 1881) p. 136 - 137., Arfe : Op. cit: p. 345 N. 2
- (٦) أنظر : J. Vázquez Ruiz : Un Calendario anónimo granadino del siglo XV
- صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلاميه بمديره المجلدان ٩ - ١٠ - ١٩٦١ - ١٩٦٢ ص ٢٣ - ٦٤

"يونانيون فى استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات ، واختيارهم لأجناس الفواكه ، وتدبيرهم لتركيب الشجر ، وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر ، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة " (١) .

وفى إحدى الثورات الموريسكية التى قامت بعد سقوط غرناطة ، نرى أن Diego Hurtado de Mendoza الذى حارب فى صفوف الأسبان يتحدث عن العمل الدؤب للمزارعين الموريسكيين الذين لم يتركوا أى قطعة من الأرض دون استغلالها (٢) .

وفى الأماكن التى يقل بها المطر كان يتم رى الأراضى الزراعية من العيون والنشوع (٣) وفى مملكة غرناطة كانت السنة الزراعية تبدأ من شهر أكتوبر (٤) .

وكانت غرناطة تشرف من الجنوب الغربى على فحص أو مرج عظيم الحصص ، وافر النماء ، يمتد غربا حتى مدينة لوشة Loja ، ويطلق على هذا الفحص فى الاسبانية La Vega ولعلها مشتقة من كلمة البقاع أو Alfaz وهو مشتقة من كلمة "فحص" العربية . وشبهه المؤرخون بغوطة دمشق وشارحة القيوم ، بحيث تخترقه الجداول ، ويغص بالقرى والجنات (٥) . وكان أهل غرناطة يهرعون اليه فى لىالى الربيع والصيف (٦) .

وقد اعطانا ابن الخطيب وصفا لهذا الفحص فقال انه "بسيط جليل ، وجو

(١) المقري : نفع الطيب ج ٤ ص ١٤٧ .

(٢) انظر : De La guerra de Granada, ed M. Gómez Moreno . Memorial historico espanol XLIX, Madrid 1948 , p. 29., Arfe : Op. cit: p. 346 .

(٣) انظر : Ángel González Palencia : Documentos Árabes del Cenete, si- glos XII-XV (Al Andalus Vol. v, 1940, fasc 2 p. 321 .

Ibid. p. 330 . (٤) انظر :

(٥) الجنات : جمع جنة ويراد بها المزرعة ، ويقابلها فى الاسبانية اليوم Huerta أنظر : (د. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الاندلس ص ٢٨٦) .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٠٥ ، اللحة الهدية ص ١٣ .

عريض، تعي عن العد أبراجه ، ومصاتعه ، تلوح مبانيها ، ناجمة بين الشمار والزيتون ، وسائر ذوات الفواكة من اللوز والإجاص والكمثرى ، محدقة من الكروم المسحة ، والرياحين المتتفة ، ببهور طامية ، تأتي البقعة الماء ، ففيها كثير من البساتين والرياض والحصون ، والأملاك المتصلة السكنى على الفصول ^(١) "تخترقه الجداول والانهار ، وتتزاحم به القرى والجنات فى أحسن الوضع وأجمل البناء ، ذرع أربعين ميلاً" ^(٢).

كما يصفه الحميرى بانه "أطيب البقاع نفعه ، وأكرم الأرضين تربة ، ولا يعدل به مكان غير غوطة دمشق وشارحة القيوم ، " ولا تعلم شجرة تستعمل وتستغل الا وهى أنجب شئ من هذا الفحص ، وما من فاكهة توصف وتستظرف إلا وما هناك من الفاكهة فوقها" ^(٣).

انواع الملكية الزراعية :

كانت غرناطة تمتلئ بالبساتين والحدائق التى كانت تعرف بالجنان أو الجنات أو المنى ^(٤) ، أو المدرجات ^(٥) . فيقال للمزرعة أو البستان جنة فلان مثل جنة الجرف ، وجنة العرض وجنة ابن عمران ، وجنة العريف ، ومدرج نجد ، ومدرج السبيكة . ويذكر ابن الخطيب فى احاطته ان عدد هذه الجنات على عهده كان يبلغ نحو المائة . وأن منطقة غرناطة كانت تضم ما يقرب من ثلاثمائة قرية ، منها ما كان سكانه يبلغون الآلاف يشتركون فى امتلاكه ، ومنها ما كان يمتلكه شخص واحد أو اثنان فصاعداً . هذا بخلاف أملاك السلطان التى بلغ عددها ما يناهز ثلاثين منية ،

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٢٦ .

(٢) ابن الخطيب : اللحة البدرية ص ١٣ .

(٣) الحميرى : الروض المعطار ص ٢٤ .

(٤) المنية فى الأندلس هي البيت الريفي تحيط به أرض واسعة يزرعها صاحبها لنفسه خاصة فيجعل بعضها حديقة والبعض الآخر يزرع فيه ما يحتاج اليه وهي تقابل المصطلح الاسباني : Huerta انظر: د. حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٢٨٩ .

(٥) المدرج : المراد به سفح الجبل المزروع .

وكانت تسمى بمستخلص السلطان ، حيث كانت توجد قصائب للحمام والدواجن والحيوانات (١) ، ويوضح عليه وال (٢) .

وكان من الشائع فى غرناطة مشاركة صاحب الارض للمزارع فى العملية الزراعية. وتزخر فتاوى الفقهاء ورجال الافتاء فى العصر النصرى بالعديد من تلك الفتاوى التى تختص بهذا الامر . فنجد أن الفقيه الحفار أفتى بأن المالك يمد الأرض فى حالة زراعتها بالخضار بنصف البذور ، ويأتى الشريك بالنصف الآخر ثم يقسم الانتاج بين المتعاقدين (٣).

المنتجات الزراعية فى مملكة غرناطة

(١) الحبوب الغذائية :

كان القمح يزرع بكميات كبيرة فى الفحص والأقاليم الواقعة إلى الشمال الشرقى من غرناطة (البراجيلات) ، وإلى الشمال الغربى فى قنب (٤) ، والحامة وقوطمة (٥) . وكان الغرناطيون يقومون بتخزين القمح فى صوامع تحت الارض (٦). وإلى جانب هذا " البحر من الحنطة " (٧) كان الشعير يزرع فى سهيل Fuengirola وبيرة ، والفحص والبراجيلات وقنب وقرطمة (٨) . أما الذرة التى كان يمثل غذاء هاماً للطبقات الشعبية فكان يزرع فى مناطق متعددة من بينها الفحص (٩) .

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٢٢-١٢٣ ، ١٣١-١٣٢ ، اللوحة ص ١٤-١٥ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٤٣٧ .

(٣) انظر : José López Ortiz : Fatwas Granadinas de los siglos XIV-XV. Al Andalus , Vol. VI, 1941, p. 107.

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٠٣ ، ١١٥ .

(٥) ابن الخطيب : معيار الاختبار فى مشاهدات ص ٩٢ ، ٩٥ .

(٦) انظر : Mármol : Hisoria de la rebelión, libro IV, Cap.X

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٠٣ ، اللوحة ص ١٣ .

(٨) ابن الخطيب : معيار الاختبار : ص ٧٥ ، ٨٤ ، ٩٥ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١١٥ .

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٣ . . Quesada : Op. cit. p. 36

(٢) الفاكهة والاشجار المثمرة :

كانت مملكة غرناطة تتميز بكثير بساتين الفاكهة والاشجار ، التى كان لخصوبة التربة ووفرة مياه الرى أثر كبير فى ازدهارها. فكانت المنطقة " كثيرة الشمار ، ملتفة الاشجار" ^(١) ويصف المؤرخون فاكهة المربة بأنها "يقصر عنها الوصف حسناً" ^(٢) .

وكانت أهم الفواكه فى مملكة غرناطة هى التين وخاصة فى مالقة ^(٣) التى كان لتينها شهرة واسعة . وضرب المؤرخون المثل بحسنه " وقيل انه ليس فى الدنيا مثله " ^(٤) وكان يصدر إلى البلاد الاسلامية والمسيحية ، وبلغ من كثرته ، أن الطريق الساحلى من سهيل إلى بليش وهو قدر ثلاثة أيام كان كله مزروعاً بأشجار التين التى كانت قريبة من الارض حتى " ليجنى جميعها الطفل الصغير " ^(٥) " كذلك يحكى انه " قيل فيه لبربرى : كيف رأيتة ؟ قال : لا تسألنى عنه ، وصب فى حلقي بالقفه " . كذلك قيل لأحد الخلعاء . وقد أشرف على الموت : أسأل ربك المغفرة ، فرفع يديه وقال : يارب ، أسألك من جميع ما فى الجنة خمر مالقة " ^(٦) حيث كانت تصنع من التين المالحى . وعندما زار الرحالة المصرى عبد الباسط بلش مالقة ذكر ضخامة الانتاج من التين وغيره من المنتجات الزراعية التى كانت تعد للتصدير إلى الممالك المسيحية الاسبانية ^(٧) ، كذلك كان يزرع

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٠٤ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ١٥٤ .

(٣) ابن بطوطة : الرحلة ج٤ ص ٣٦٦ ، المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ١٨٦ .

(٤) الحميري : الروض المعطار ص ١٧٧ - ١٧٩ ، المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ١٤٤

وفي هذا يقول أبو الحجاج يوسف بن الشيخ البلوي المالقي :

مالقة حييت ياتينها الفلك من أجلك ياتينها

نهي طبيبي عنه في عتي ما لطبيبي عن حياتي نهي

(المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ١٤٤)

(٥) المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ٢٠٥ .

(٦) المقرئ : نفس المصدر ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

G. Lévi Della Vida : Op. cit., p. 313.

(٧) انظر :

التين في غرناطة العاصمة ^(١) ، والجزيرة الخضراء ^(٢) ، وسهيل ^(٣) ، وقمارش ^(٤) .

ثم كانت هناك زراعة الزيتون في المرية ^(٥) ، وبسطة ^(٦) ، ووادي آش ^(٧) ، وقمارش ^(٨) وبجانة ^(٩) ولوشة ^(١٠) التي كان يوجد بها قبل الاسترداد بقليل ٤٣٢٨ شجرة زيتون ^(١١) . وتذكر المصادر ان زيتون مالقة قد نهبه القشتاليون عام ٨١٣ هـ / ١٤١٠ بلا رحمة ^(١٢) .

وفي أسفل السفوح المغطاة بأشجار الزيتون كانت تنتشر مزارع الكروم على ساحل البحر المتوسط في بجانة بالقرب من المرية ، ومالقة وقرطمة والمنكب ^(١٣) ، وكذلك كان يزرع العنب في لوشة ^(١٤) ، وبرجسة ^(١٥) ، والمرية ^(١٦) ،

(١) ابن الخطيب : الاحاطة ج ١ ص ١٤٣ ، اللوحة ص ٢٨ ، القلقشندي : صبح الاعشي ج ٥ ص ٢١٦ .

(٢) الحميري : الروض المعطار ص ٧٣ .

(٣) ابن الخطيب : معيار الاختبار في مشاهدات ص ٧٥ - ٧٦ .

(٤) ابن الخطيب : معيار الاختبار في مشاهدات ص ٧٩ .

(٥) ابن الخطيب : معيار الاختبار في مشاهدات ص ٨٢ - ٨٣ .

(٦) الحميري : المصدر السابق ص ٤٤ - ٤٥ .

(٧) الحميري : المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٨) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٧٩ .

(٩) ابن الخطيب : خطرة الطيف في مشاهدات ص ٤٧ والقلقشندي : المصدر السابق ص ٢١٨ .

(١٠) ابن الخطيب : نفسه ص ٩٤ .

(١١) انظر : W. Hoenerbach : Loja Nasri (M. E. A. H.) III, 1954, p. 69 .

(١٢) انظر : & Arfe : Crónica de Juan II (ano 1410) Cap XXI, p. 324 . Op. cit: p. 347

(١٣) ابن الخطيب : اللوحة ص ١٤ وكذلك : G. Levi Della Vida : Op. cit. p 322.

(١٤) ابن الخطيب : معيار الاختبار ص ٩٤ .

(١٥) ابن الخطيب : نفسه ص ٨١ .

(١٦) ابن الخطيب : نفسه ص ٨٢ - ٨٣ .

ووادى آش^(١١) وغرناطة^(١٢) وفنيانة^(١٣) ، ومريلة^(١٤) ، ومالقة^(١٥) ، ويليش مالقة^(١٦) ، وقمارش^(١٧) . وقد تركت لنا المصادر الأسبانية وصفا للطريقة التى كان العنب يفرز بها لوضعه فى الشمس على أسطح المنازل^(١٨) .

وكانت أشجار التوت تزرع فى وادى آش^(١٩) وأندرش^(٢٠) ، وفنيانة^(٢١) ، وبسطة^(٢٢) ، وحصن شنش^(٢٣) (على مرحلة من المربة) ، حيث كانت تقوم عليها تربية دودة القز وصناعة الحرير .

وأهتم الغرناطيون بزراعة قصب السكر وخاصة فى المنكب^(٢٤) ، وشلويانية^(٢٥) ، والفحص^(٢٦) ، وعلى السواحل^(٢٧) .

بينما كانت تزرع أشجار الموز فى المنكب^(٢٨) ، وفى شلويانية^(٢٩) ، والفحص وعلى السواحل^(٣٠) .

-
- (١) ابن الخطيب : نفسه ص ٨٨ ، الحميرى : الروض المعطار ص ١٩٢ .
- (٢) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٣ ، اللوحة ص ٢٨ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٦ .
- (٣) الحميرى : الروض المعطار ص ١٤٣ .
- (٤) ابن الخطيب : معيار الاختبار فى مشاهدات ص ٧٥ .
- (٥) ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٦٦ .
- (٦) ابن بطوطة : المصدر السابق ص ٣٦٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٨ .
- (٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٧٩ .
- (٨) انظر : J. Caro Baroja : Los Moriscos del reino de Granada P. 91 , n . 148 .
- (٩) الحميرى : الروض المعطار ص ١٩٢ .
- (١٠) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٨ .
- (١١) ابن الخطيب : نفسه ص ٨٩ ، الحميرى : المصدر السابق ص ١٤٣ .
- (١٢) الحميرى : المصدر السابق ص ٤٤ - ٤٥ .
- (١٣) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ١٥٥ .
- (١٤) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٨ .
- (١٥) الحميرى : المصدر السابق ص ١١١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ص ٢١٨ .
- (١٦) الحميرى : المصدر السابق ص ٢٤ .
- (١٧) الحميرى : المصدر السابق ص ٢٤ ، المقرئ : المصدر السابق ج ١ ص ١٨٦ .
- (١٨) القلقشندي : المصدر السابق ج ٥ ص ٢١٨ .
- (١٩) الحميرى : المصدر السابق ص ١١١ ، القلقشندي : المصدر السابق ج ٥ ص ٢١٨ .
- (٢٠) الحميرى : المصدر السابق ص ٢٤ ، المقرئ : المصدر السابق ج ١ ص ١٨٦ .

وكان اللوز يزرع في الفحص^(١) ، ومالقة^(٢) ، ويلسش مالقة^(٣) ، وغرناطة^(٤) ،
وقمارش^(٥) ، والجوز في غرناطة^(٦) ، والبشترات^(٧) ، وقرى جبل شليير^(٨) .
والقسطل في غرناطة^(٩) ، والبشترات^(١٠) .

اما التفاح فكان يزرع في غرناطة^(١١) ، والبشترات^(١٢) ، وجليانة^(١٣) . والخوخ
في غرناطة^(١٤) والقراصيا " التي لا تكاد توجد في الدنيا منظرًا وحلاوة حتى انها
ليعصر منها العسل " ^(١٥) والكمثري في وادي آش وقرى جبل شليير^(١٦) والبلوط
في غرناطة^(١٧) كما كان بفناء مسجد مالقة الجامع اشجار النارج والنخيل^(١٨) .

بالاضافة الى ذلك كانت هناك اشجار الكتان الذي احتل المرتبة الاولى في
النسيج في المملكة وخاصة في المربة^(١٩) ، ويحانة^(٢٠) ، والفحص الذي يصف
الحميري كتانه بأنه " يربو جيده على كتان النيل ويكثر حتى يصل الى أقاصى بلاد

(١) الحميري ، المصدر السابق ص ٢٤ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ج٤ ص ٣٦٦ ، القلقشندي : المصدر السابق ج٥ ص ٢١٩ القرى : نفع الطيب ج١ ص ١٤٥ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٧٩ وكذلك . G. Levi Della Vida : Op. cit. p. 313 .

(٤) ابن الخطيب : اللعة ص ٢٨ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٣ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٧٩ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٣ ، اللعة ص ٢٨ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٦ .

(٧) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٦ .

(٨) الادريسي : صفة المغرب ص ٢٠١ .

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٣ ، اللعة ص ٢٨ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٦ .

(١٠) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٦ .

(١١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٤٣ ، اللعة ص ٢٨ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٦ .

(١٢) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٦ .

(١٣) القرى : نفع الطيب ج ١ ص ١٤٣ .

(١٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٦ .

(١٥) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٦ .

(١٦) الادريسي : صفة المغرب ص ٢٠١ .

(١٧) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٦ .

(١٨) ابن بطوطة : الرحلة ج٤ ص ٣٦٧ .

(١٩) ابن الخطيب : معيار الاختيار ص ٨٣ .

(٢٠) ابن الخطيب : خطرة الطيف في مشاهدات ص ٤٧ .

المسلمين ^(١) " أما القطن فكان يزرع فى عدة مناطق ومنها وادى آش " ^(٢) .

(٣) النباتات الطبية والعطرية :

كانت زراعة النباتات الطبية والعطرية تمارس على نطاق واسع فى غرناطة وضواحيها ويذكر ابن الخطيب ان الاندراسيون والسنبلى والجنطيانا كانت وفيرة فى الجبال والوديان ^(٣) . كما كان يوجد بها كذلك العقار والادوية النباتية " ^(٤) .

وفى بسطة ^(٥) وباجة ^(٦) كان يزرع الزعفران الذى كانت المملكة تستهلك منه كمية كبيرة .

كذلك كانت هناك الحناء ^(٧) ، وعود اليلنجوج ، لا يفوقه العود الهندى ذكاء وعطر رائحة " ^(٨) . والافاوية فى جبل شلير ^(٩) .

وفى القرن السابع الهجرى (١٣م) انتقلت الى اللغة الاسبانية بعض الاصطلاحات العربية الخاصة بالزراعة مثال ذلك الساقية Acequia والقادوس ar-caduz ، والنورج noria والفحص Alfoz والناعورة annoria والسدة acuda والبركة al-berca والقريه alcaria والحبة alfaba والمرجع (وحدة لقياس الارض) almarjal واسماء المنتجات الزراعية مثل الزعفران azafrán والارز arroz والقطن algodón والزيتون aceituna ^(١٠) .

(١) الحميرى : البروض المعطار ص ٢٤ .

(٢) الحميرى : المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٣) ابن الخطيب للحمص ص ١٣ ، الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٠٥ .

(٤) ابن الخطيب الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٠٥ .

(٥) ابن الخطيب : منظر الطيب ص ٣١ ، معيار الاختبار ص ٨٧ .

(٦) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٤٢ .

(٧) انظر : Quesada : Op. cit., p. 37 .

(٨) ابن الخطيب الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٠٤ - ١٠٥ ، نفع الطيب ج ١ ص ١٣٧ واليلنجوج عود يتبخر به ويقال له يتلجوج والتنجوج وأنجج ويانجج .

(٩) المقرئ : نفع الطيب : ج ١ ص ١٦٦ . والافاوية جمع الافواء والافواء جمع فوة بالضم وهى الترابل .

(١٠) انظر : Ebro K . Neuvonen : Los Arabismos del Espanol en el siglo XIII (Hel-sinki 1911) .

الرعى وتربية الحيوانات فى غرناطة

لم تترك لنا المصادر المعاصرة معلومات مفصلة عن تربية الحيوانات ورعيها فى مملكة غرناطة سواء ما كان يربى منها من أجل اللحم واللبن ، أو ما كان يستخدم منها كوسيلة للتجارة والنقل . ولكننا نستطيع أن ننسق ما بين الاشارات والتلميحات التى وردت بين ثنايا تلك المصادر ونخرج ببعض الحقائق . ففى المناطق التى لم تكن تصلح للزراعة لقلة المياه أو لعدم خصوبة التربة ، كانت تقوم تربية الماشية والأغنام ، وكانت غرناطة تضطر إلى استيراد ما تحتاجه منها من قشالة نظراً لعدم كفاية انتاجها المحلى (١) .

وكان لرعى الأبقار والضأن أهمية كبرى لاسيما فى السلاسل الجبلية والسهول القاحلة فى الشرق . واكتسبت رندة التى كانت غنية بالماشية ، شهرة واسعة لانتاج الصوف (٢) . وكانت هذه الماشية تربي فى برجة Berja (٣) ، وفى انتقيرة (٤) ، بينما كانت بيرة " يسرح بها البعير ويجم بها الشعير " (٥) ، واشكر " مسرح البهائم " (٦) وكانت كل قرية تملك ما يجاورها من سفوح الجبال لرعى حيواناتهم بها. (٧).

كذلك كان الرعاة فى مملكة غرناطة يزاولون نشاطهم عند الحدود مع قشتالة وكان سلب الماشية أحد أهداف الإغارة المنظمة بين كلا الجانبين (٨).

و أقبل الغرناطيون على تربية الطيور المنزلية ، ر الأرانب البرية إقبالاً كبيراً (٩). وفى فحص غرناطة كان يربى الحمام فى الأراضى الخاصة بالسلطان و التى كانت تسمى المستخلص (١٠).

José Amado de los Rios : Memoria Historico - Critica sobre las treguas (١) celebradas en 1943 entre los reyes de castilla y de Granada en Memorias de la Real Acadenia de la Historia tomo IX (Madrid 1879) Apéndice I I Doc . LXXVII.

(٢) أنظر : . Op. cit., p. 38 Quesada

(٣) ابن الخطيب : معيار الاختيار فى مشاهدات ص ٨٢ .

(٤) ابن الخطيب المصدر السابق ص ٩٤ .

(٥) ابن الخطيب : نفسه ص ٩٤ .

(٦) ابن الخطيب : نفسه ص ٨٧ .

(٧) أنظر . Angel Gonzales Palencia : Documentos Árabes del Cente siglos XII-XV Andalus 1940, Vol V, fase 2, p. 301-371

Quesada : Op.Cit., p. 38

(٨) أنظر :

(٩) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٩٤ . حيث يصف الأرانب فى غرناطة بأنك "تسبهم أبقاذاً وهم رقود".

(١٠) ابن الخطيب : اللمة البدرية ص ١٥ .

وقام سكان المملكة بتربية النحل فى مالقة ^(١) ، وبلش مالقة ^(٢) ، كما كان إقليم قنتورية الى الجنوب من برشانة Purchena على نهر المنصورة و أوربة Oria بولاية المربة مشهورين بإنتاجهما من العسل ^(٣) .

و كانت البغال فبى غرناطة، التى يصفها ابن سعيد بأنها " بغال فارهة " ^(٤) هى الوسيلة الرئيسية للنقل بين البلاد فى داخل المملكة النصرية، أو بينها وبين قشتالة، و ذلك لان العربات لم تكن لها أهمية فى ذلك الوقت بسبب وعورة الأرض وسوء شبكة المواصلات. و كان إصلاح هذه الطرق من أول المهام التى إتجه اليها القشتالون بعد الاسترداد ^(٥)

صيد السمك :

تذكر المصادر أن سواحل مملكة غرناطة كانت غنية بالأسماك ^(٦) ، حتى أن ابن الخطيب يصف السمك فى شلوبيانية بأن " حوت هذه السواحل أغزر من رمله، تغدو القوافل إلى البلاد تحمله " ^(٧) . و كان السمك يصاد فى إقليم المربة و الجزيرة الخضراء و سهيل Fuengirola ^(٨) و مريلة ^(٩) التى كانت تشتهر بالسردين ^(١٠) . و فى مالقة كان قملح الأسماك من الصناعات التقليدية هناك، حيث كانت تقوم فى الأحياء الخارجية بالقرب من الساحل، واستمرت حتى سقوط المملكة، ثم طورها الملكان الكاثوليكيان ^(١١) .

(١) انظر: F. Bejarano Robles : El Repartimiento de Málaga (Al Andalus, Vol. XXXI, 1966, fasc 1 y 2 pp. 1-46.

(٢) ابن الخطيب : معيار الإختبار فى مشاهدات ص ٨٦.

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٥ ، ٨٦.

(٤) المقرئ : نلح الطيب ج ١ ص ١٨٥.

(٥) انظر:

Quesada: Op. Cit, p. 38.

(٦) ابن الخطيب : اللحمه ص ١٣.

(٧) ابن الخطيب : معيار الإختبار فى مشاهدات ص ٨١.

(٨) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٧٦ ، ٨٠ ، ٨١.

(٩) التلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢١٩.

(١٠) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٧٥.

(١١) انظر : F. Bejarano Robles : El Repartimiento de alága p. 39

وفى بزيانة كانت تصنع شباك الصيد التى تصاد بها الأسماك الكثيرة ويحمل منها إلى البلاد المجاورة (١).

الصناعة فى مملكة غرناطة

إستطاعت غرناطة أن تحتفظ بالكثير من الصناعات الأندلسية القديمة وساعدها على ذلك توافر المواد الأولية اللازمة للصناعات مثل المعادن والأخشاب والمنتجات الزراعية والحيوانية. فيحدثنا الجغرافيون عن وجود الرصاص فى برجة ، والحديد الحسام فى وادى آش (٢). والذهب والبرقشيتا (٣) واللازود، والفضة فى لوشة (٤). والياقوت الأحمر بناحية حصن "منت ميور" من أعمال مالقة ، والمرجان بساحل البيرة من أعمال المرية ، والتوتيا الطبية بساحل البيرة بقرية تسمى بطرنة، وهى أزكى توتيا وأقواها فى صبغ النحاس (٥) والملح بلوشة (٦) ودلاية (٧). كذلك كان يوجد الرخام قرب المرية (٨)، وباشة التى كان بها "مقاطع كثيرة للرخام موشاة فى حمرة وصفرة" وكان بالمرية حصى "يحمل إلى البلاد كالدر فى رونقه، وله ألوان عجيبة، ومن عاداتهم أن يضعوه فى "كيزان الماء" (٩)، وبجبال الحامة الجص (١٠).

(١) الإدريسي؛ صفة المغرب ص ٢٠٠، والحميرى : الروض المعطار ص ٤٤.

(٢) ابن الخطيب : معيار الإختبار فى مشاهدات ص ٨٨، المقرئ نفع الطيب ج١ ص ١٤٣، ١٥٣.

(٣) المرقشيتا أو المرقشيلة : حجر ذو خواص طبية يغلب على الظن أنه البزموت، وذكر ابن سينا أنه يوجد على أنواع مختلفة. انظر: المفردات فى آخر كتاب "ضوابط دار السكة لعلى بن يوسف - مدريد ١٩٦٠، د. حسين مؤنس :

تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ٢٨٥ حاشية ١.

(٤) المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ١٤٢.

(٥) المقرئ : المصدر السابق ج١ ص ١٣٨.

(٦) ابن الخطيب : معيار الإختبار فى مشاهدات ص ٩٤.

(٧) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٢.

(٨) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٨٣، المقرئ : المصدر السابق ج١ ص ١٥٣.

(٩) المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ١٨٧.

(١٠) الإدريسي : صفة المغرب ص ٢٠١.

كما كانت توجد الأعشاب الطبية التي تدخل في صناعة الدواء و العقاقير الطبية^(١) ، مثل الكحل في بسطة^(٢) ، و المواد الأفوية الهندية في جبل شلير^(٣) . بالإضافة إلى ذلك كانت هناك أشجار التوت ودود القز - التي كانت تقوم عليهما صناعة الحرير^(٤) و القطن و الكتان^(٥) .

وساعدت كثرة غابات البلوط والصنوبر على صناعة الأدوات المنزلية و السفن. كما كان توفر الزيتون عاملاً مهماً في تقدم صناعة إستخراج الزيت^(٦) .

وقد إمتدح ابن خلدون الصناعة في غرناطة و ذكر أنها تجمعت فيها رواسب الحضارة السابقة و بقيت فيها آثار من هذه الحضارات فذكر: " أن رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعوا إليه عوائد أمصارها^(٧) و من أهم الصناعات التي إزدهرت في مملكة غرناطة :

صناعة النسيج :

ورثت غرناطة عن الأندلس صناعة النسيج، وظلت مزدهرة بها حتى القرن الخامس عشر الميلادي. وانتقلت هذه الصناعات منها إلى الممالك الأسبانية المسيحية وإلى الدولة البيزنطية، وهناك أمثلة على ذلك مثل الأقمشة و الوسائد التي عشر عليها في تابوت دونيا ليونور Doña Leonor بنت ألفونسو الثامن في أراجون^(٨) . كذلك فإنه عندما قام ماركيز قادس بالإستيلاء على الحامة في ١٤٨٢/٨٨٧ عشر القشتاليون بها على ثروات غير محدودة و ملابس من حرير رقيق متقن الصنع^(٩) .

(١) ابن الخطيب : اللعة ص١٣، الإحاطة (عنان) ج١ ص١٠٣، ١٠٥، العمري : مسالك الإبحار نشر حسن حسنى عيد الوهاب ص ٣٥.

(٢) الحميري : الروض المعطار ص ٤٤.

(٣) المقرئ : المصدر السابق ج١ ص١٨٦.

(٤) ابن الخطيب : اللعة ص ١٣.

(٥) الحميري : المصدر السابق ص ١٩٢، ابن الخطيب : معيار الإختبار ص ٨٣.

(٦) ناجي معروف : المدخل في الحضارة العربية. الطبعة الأولى، بغداد ١٣٧٩/١٩٦٠ ص ٨٠، صبحي الصالح : النظم الإسلامية نشأتها و تطورها بيروت ١٩٦٨ ص ٤٠٦.

(٧) ابن خلدون : المقدمة ص٤٠٢ (بيروت).

(٨) انظر : Aguado Bleye : Manual de Historia de España II p. 951

(٩) انظر : Leopoldo Torres Balbás: Ars Hispaniae t.4, p.198

كما كان سلاطين غرناطة يقدمون منسوجات مملكتهم كهدايا إلى ملوك الدول الأخرى، فمن بين الهدايا التي بعث بها السلطان محمد الرابع إلى ألفونسو الحادي عشر في عام ١٣٣٣/٧٣٤ نجد نسيجاً من الحرير وخيوط الذهب كانت تنتجه مصانع غرناطة، ويحوز إعجاب ملوك أسبانيا المسيحية^(١).

وتقدمت صناعة الحرير في مملكة غرناطة تقدماً كبيراً لاسيما في غرناطة العاصمة التي يمتدح ابن الخطيب حريرها ويذكر أنه لا يمكن مقارنته إلا بحرير العراق، الذي رغم تلك المقارنة كان الأخير يقل عنه " رقة ولدونة وعتاقة " ^(٢)،

وكذلك في مالقة ^(٣)، و المرية ^(٤)، وتذكر المصادر أن الأخيرة كانت " مصنعاً للحلل الموشية النفيسة " ^(٥) و " ثياب الحرير الموشاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة " ^(٦). وأنه كان بها ثمانمائة نول لنسج الحرير، وألف نول للحلل النفيسة، والديباج الفاخر والإسقاطون^(٧)، والاصبهاني و المجراني، والستور المكلفة، والثياب المعينة^(٨)، والعتابي^(٩) الفاخر وصنوف أنواع الحرير^(١٠).

وكانت مالقة "حلل ديباجها البدائع ذات تطريز " ^(١١) و " الحلل الموشية التي تجاوز أثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتجة برسم الخلفاء فمن دونهم " ^(١٢).

Crónica de D. Alfonso XI Cap CXXVII, p.258.

(١) انظر :

I. S. Allouche : La Vie

ابن الخطيب ، اللوحة ص ١٣ ، وكذلك :

économique et sociale á Grenade p. 9 .

(٣) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ج ١ ص ٤٢٤ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٩ .

(٤) الادريسي : صفة المغرب ص ١٩٧ ، ابن سعيد : المصدر السابق ج ٢ ص ١٩٣ ، ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ١٠٥ ، الحميري : الروض المعطار ص ١٨٤ ، المقرئ : نفع الطيب : ج ١ ص ١٥٤ .

(٥) المقرئ : نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠٧ .

(٦) ابن سعيد : بسط الارض في الطول والعرض ص ٧٤ .

(٧) الاستلاطون نسبة الى احدى بلاد الروم .

(٨) هي ما كانت تزدان بنقط صغيرة تشبه عيون الوحش أو تلك التي تزدان بزخرفة هندسية على هيئة العين . انظر : د .

محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس ص ١٢٤ ح ٢ .

(٩) العتابي : نوع من الخمر ينسب إلى بغداد ، وهي أقمشة تغطي بها النساء رؤوسهن ، وقد عرف الايطاليون هذه الصناعة عن طريق الاندلسيين ، كما عرفها الفرنسيون ، وعرف هذا النسيج في أوروبا باسم Tapis وهو تحريف واضح عن كلمة عتابي . انظر : د . السيد عبد العزيز سالم : الفنون والصناعات بالاندلس ، دائرة معارف الشعب العدد ٦٤ ص ١٩٠ - ١٩١ .

(١٠) الادريسي : صفة المغرب ص ١٩٧ ، الحميري : الروض المعطار ص ١٨٤ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٥٤ .

(١١) ابن الخطيب : معيار الاختيار في مشاهدات ص ٧٧ .

(١٢) المقرئ : نفع الطيب ج ٤ ص ٢٠٦ .

وكانت المنسوجات الحريرية " ذات ألوان مختلفة ، فكان منها نوع اختلفت به المربة يسمى " الموشى المذهب " يتعجب من حسن صنعه أهل المشرق اذا راؤا منه شيئا^(١). وكان اصحاب اليسار فى مملكة غرناطة يلبسون نوعاً من الحرير كانت تنتجه مدينتا غرناطة وبسطة يسمى " الملبد المختم " ويمتاز بالوانه العجيبة^(٢). أما مدينتا وادى آش ودلاية فكانتا تنتجان نوعاً من الحرير كانت تفضله أميرات غرناطة ونساء الطبقة الراقية بها ، واقتبست المدن الايطالية التى اشتهرت بصناعة المنسوجات الحريرية فى العصور الوسطى ، عن الاندلسيين ، معظم فنونهم وطرقهم فى هذه الصناعة ، كما ان مدن ايطاليا وبصفة خاصة فلورنسا كانت تستورد كميات كبيرة من الحرير الخام من غرناطة حتى القرن الخامس عشر^(٣) .

وجرى العرف فى غرناطة ان صاحب اشجار التوت كان يسلم بويضات الدود الى عامل يتولى رعايتها نظير ربع الحرير كمكافأة له^(٤) .

وكان من الشائع أن يتم غزل الحرير فى الريف ، أما نسجه وتصريفه فكان يتم فى المراكز التجارية فى غرناطة ومالقة والمربة^(٥) . كذلك اشتهرت غرناطة بنسج الكتان " الذى يربو جيده على كتان النيل ويكثر حتى يصل إلى اقصى بلاد المسلمين"^(٦).

وقد ابتدع النسيج الغرناطى فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) طريقة جديدة استطاع بها ان يستخدم ألواناً عديدة ، ويرى فى ابراز الزخارف الهندسية الشهيرة عن طريق هذه الألوان التى يدل انسجامها على رقة ذوق عجيبة . واستخدمت فى زخرفتها مجموعات هندسية زخرفية غرناطية وتوريقات وزخرفة حيوانية وغيرها^(٧).

(١) د. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الاندلس من ٢١٥ . نقلا عن ابن سعيد .

(٢) القرى : نفع الطيب ج١ ص ١٨٧ .

(٣) انظر : Prescott : Op. cit., p. 170 .

(٤) انظر : José López Ortiz : Fatwas Granadinas de los siglos XIV y XV (Al Andalus ,

Vol VI, 1941 , p. 113 .

(٥) انظر : Quesada : Op. cit ., p. 40 .

(٦) الحميرى : الروض المعطار ص ٢٤ .

(٧) انظر : Aleya Ibrahim El Anany : Tres Telas granadinas .

مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمديده ، المجلد الثانى العددان ١-٢ / ١٣٧٣ / ١٩٥٤ ص ١٤٩ - ١٥٩ .

صناعة الأبسطة والسجاد :

تقدمت صناعة الأبسطة والسجاد في مملكة غرناطة تقدماً كبيراً ، ولم يكن استخدامها مقتصرًا على تزيين الأرض ، ولكنها كانت تستخدم أيضاً لتزيين الحوائط وفرش المساجد عند الصلاة ، وكانت غرناطة وبسطة أهم مدينتين تنتجان هذه الأبسطة (١) . وكان هناك سجاد صلاة يسمى " الوطاء البسطى من الديباج الذى لا يعلم له نظير " (٢) . وليس لدينا غير سجاداتين من القرن التاسع الهجرى (١٥م) محفوظتين بالمتحف الاثرى بغرناطة ، ومع ذلك يعترض البعض على اصلهما ، ويعتقد من عناصرهما الزخرفية انهما يرجعان الى اصل مصرى (٣) .

الصناعات الجلدية :

ورثت غرناطة تقدم قرطبة فى الصناعات الجلدية وازدهرت فيها ولاسيما فى المربية (٤) ، وفى مالقة التى كانت متخصصة فى انتاج الاغشية والحزم والمدورات (٥) وتزخر المتاحف بالمنتجات الجلدية التى كانت تنتجها المملكة ، ويحتفظ متحف السلاح الملكى بمدريد بدرقة مزدوجة من الجلد بيضاء من الخارج ، وقيل الى اللون الأصفر فى الداخل ، غنية بالزخارف العربية (٦) .

وكان الدباغون ينزلون اطراف المدينة على ضفاف الانهار اتقاء لرائحة صناعتهم (٧) .

(١) د. شبانة : يوسف الاول بن الأحمر ص ١٩١ .

(٢) الحميرى : الروض المعطار ص ٤٤ - ٤٥ .

(٣) د. جمال محرز : قطعتان من السجاد المملوكى بمتحف غرناطة الاثرى ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية مدريد ج ٢ ١٩٥٤ القسم العربى ص ١٧٤ - ١٩٢ ، وملخصاً بالاسبانية ص ١٦٩ .

(٤) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٥٤ .

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١٩ .

Aré : Op. cit. p, 256 .

(٦) انظر :

(٧) هروفتسال : محاضرات فى ادب الاندلس وتاريخها ص ٦٦ وكذلك Leopoldo Torres Balbás : Plazas , zocos y tiendas de las ciudades Hispanomusulmanas (Al Andalus Vol. XII, 1947, fasc 2, p 459 .

الأواني الفخارية وصناعة الخزف والزجاج :

يشير المؤرخون إلى شهرة الخزف الغرناطى وجودته . فالعمرى يذكر ان أندرش كانت " تختص بالفخار لجودة تربتها ، فليس فى الدنيا مثل فخارها للطبخ " (١) .
وانه كان بالقة " الفخار المذهب الذى لا يوجد مثله فى بلد " (٢) اما الرحالة المصرى عبد الباسط فيروى ان بغرناطة تراباً أحمر اللون تصنع منه "الكيزان" التى يشرب بها الماء وهى "كيزان" رقيقة غاية فى جودة الصناعة مبردة للماء بطبعها بل ولها منافع فيقال انها تنفع الاسهال الدموى " (٣) .

ويذكر ابن بطوطة ان " بالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ، ويجلب منها إلى اقاصى البلاد " (٤) .

كانت مألقة تنتج نوعاً من الأباريق ذات اللون الاخضر (٥) ، واطباقاً من الخزف ذات البريق المعدنى قوام زخارفها مناطق فيها رسوم نباتية متنوعة (٦) . وهناك كان يتم خلط الخزف بالرمل الذى يحتوى حديداً فيكسيه صلابة أكثر (٧) . وكان فخار مألقة يصدر الى كل حوض البحر المتوسط وخاصة المشرق (٨) .

وكان يصنع فى المربة ومألقة فخار مزيج مذهب (٩) . ويذكر ابن سعيد انه كان يصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف فى المشرق بالفسيفساء ، ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجى (١٠) يشبه المفضض ، وهو ذو الوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون الذى يعرفه أهل المشرق فى زخرفة بيوتهم (١١) .

(١) ابن سعيد : المغرب ١ ص ٢٤ ، القلشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٦١ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٤٥

(٢) القلشندي : المصدر السابق ج ٥ ص ٢١٩ .

G. Levi Della Vida : Op. cit. p. 315 .

(٣) انظر :

(٤) ابن بطوطة : الرحلة ج ٤ ص ٣٦٧ ، المقرئ : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٥ .

(٥) الازدي : تحفة المغرب ص ١٧٠ .

(٦) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .

(٧) انظر : M. Gómez Moreno : Loza dorada primitiva de Málaga (Al Andalus 1940 , Vol. V fasc 2, pp. 383 - 398 .

(٨) انظر : E. Kuhnel : Loza hispanoarabe excavada en Oriente (Al Anadalus Vol. II, 1942 , pp. 253 - 268 .

(٩) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٨٧ .

(١٠) جاء فى شعر على جدران قصر الحمراء :

فصنائع الزليج فى حيطانها والأرض مثل بدائع الديباج

انظر : M. Gaspar Remiro : Las inscripciones de la Alhambra (Revista del Centro de Estudios historicos de Granada ano 1, num 2 p. 97 .

(١١) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ١٨٧ - ١٨٨ .

كذلك كان بقسطنطينية رخام لين ابيض تصنع منه " الأقداح والأطباق والاكواب والأسطال والحقاق ، وكل ما يخرط من الخشب يخرط منه " (١) .

وظهر خزف يتألف من تزجيج القطعة كلها بألوان بيضاء وصفراء وخضراء وبنفسجية بين الفواصل الجافة ، وقد نضج ذلك في غرناطة قرب القرن الثامن الهجرى (١٤م) (٢) .

وكانت بعض الأواني الفخارية تمثل شكل بعض الحيوانات كالزرافة والقرد ، كما كانت على البعض الآخر صور ملونة باللون الأخضر أو البنى أو الأزرق ، كذلك كانت هناك أباريق كبيرة (٣) وقدر للاستخراج الماء من الآبار ، وكانت دوارق المياه الفخارية متعددة الأشكال فمنها ما كان برقبة لها فتحة خاصة تسمح بترول الماء ، ومنها نوع آخر لونه أخضر قاتم كان يوضع في طبق (٤) .

وكان الفخار في مملكة غرناطة يصنع في مكان يطلق عليه اسم " الدهليز" (٥) وكانت مصانع المرية تنتج بعض الاواني الزجاجية (٦) .

صناعة العاج والتطعيم :

استخدم الصانع العاج في تزيين مقابض وأعماد السيوف والعصى . ويحتفظ متحف الآثار بغرناطة بقوس اتى به من البشرات تزينه نقوش من العاج ، واستخدام الفنان النصرى العاج بسخاء في تزيين الأثاث وقطع الأخشاب ، ومن ذلك منبر الحمراء المصنوع من الخشب المرصع بالعاج (٧) . كما تزين اثنتا عشر صغيرة من

(١) ابن غالب : فرقة الانلس ص ١٤ .

(٢) مانويل جومث مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا . ترجمة د. لطفى عبد البديع وذ. السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٦٨ ص ٣٨٥ .

(٣) يقول ابن الخطيب :

تخال هند المزج ابيقنا وكأسنا من لمة تقرب

هينا من الماء ومن دونه غزالة قد اقبلت تشرب

(ابن الخطيب : ديوان الصيبي والجهام ص ٣١٣) .

(٤) د. زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٥) د. أحمد مختار العبادى : مقامة العيد لابي محمد عبد الله الازدى مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بديرى - المجلد الثانى العددان ١-٢ ١٣٧٢/١٩٥٤ ص ١٧١ .

(٦) المقرئ : نفع الطيب : ج١ ص ١٥٤ ، ١٨٧ .

Arfe : Op. cit . p. 470 .

(٧) انظر :

العاج مصرعى أحد أبواب الحمراء معروضة اليوم فى متحف غرناطة ، كذلك كان التطعيم بالعاج يستخدم فى زخرفة العلب الصغيرة بأشكال الزهور أو الحيوانات أو الزخارف الخطية (١) .

الصناعات المعدنية :

اختصت مألقة بانتاج الآلات الحديدية كالسكاكين والمقصات (٢) . والمرية بانتاج الآلات النحاسية الى جانب الحديدية (٣) .

ويوجد بمتحف مدريد الأثرى ثريا جئ بها من مسجد الحمراء ، الذى تروى المصادر انه كان به عدد منها مصنوع من الفضة (٤) . كذلك تزخر المتاحف الاسبانية بالعديد من قطع الحلى الذهبية المزخرفة بالحجارة الكريمة وقطع الزجاج (٥) . ونسبغ الصانع النصرى فى اخراج سيوف رشيقة منها نماذج فى بعض المتاحف فى اسبانيا وفرنسا (٦) .

وما يجدر التنويه به مبخرة أصلها من غرناطة اسطوانية الشكل تقوم على ثلاثة ارجل ، غطاؤها يكاد يكون مخروطى الشكل وبه تخريم يمثل اوراقاً مزدوجة فى دوائر ، ويعلوها طائر ذو منقار معقوف ، قفلها على شكل حيوان من ذوات الأربع (٧) .

الصناعات الغذائية :

من الصناعات الغذائية كان هناك طحن الحبوب باستخدام طواحين الماء (راحة) المقامة على شواطئ الأنهار ، وفى غرناطة العاصمة كان يوجد أكثر من مائة وثلاثين

(١) انظر : Leopoldo Torres Balbás : Hojas de puerta de una alacena en el Museo de la Alhambra (Al Andalus Vol. II, 1935 , pp. 436 - 442), José Ferrandis Torres : Muebles Hispanoarabes de Taracea (Al Andalus 1940 , Vol. V) pp. 459 - 465 .

(٢) القلقشنلى : صبح الاعشى ج٥ ص ٢١٩ .

(٣) الادريسي : صفة المغرب ص ١٩٧ ، القرى : نفح الطيب ج١ ص ١٥٤ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج١ ص ٥٥٥ .

(٥) انظر الفضل الخاص بالحلى وادوات الزينة

(٦) انظر الفصل الخاص بالحياة الحربية .

(٧) مانويل جومث مورينو : المرجع السابق ص ٣٩٩ .

طاحونة (١) . وصناعة عصر الزيتون (٢) . فى معاصر معدة ومزودة بالارحاء والتخوت وقدور النحاس (٣) . وان كانت المصادر العربية لم تترك لنا للأسف وصفاً لهذه العملية فى غرناطة ، الا أنه يمكن الاعتقاد بان الغرناطيين قد استعملوا معاصر ضخمة لعصر الزيتون كتلك التى رآها خيرونيمو مونزر عام ١٤٩٤ عند مدجنى أراجون ، حيث كان يتم هرس الزيتون بواسطة حجر طاحونة كبير تحركه دواب الحمل ، ثم يكوم بعد ذلك ، ويمرر على معصرة ، ويعالج بالماء المغلى لتطهيره ، وفى النهاية يجرى الزيت الى اناء موضوع تحت المعصرة (٤) .

ثم كانت هناك صناعة الزبيب (٥) وقد تركت لنا المصادر القشتالية وصفاً للطريقة التى كان يتم بها فرز العنب بعناية لتعرضه للشمس على أسطح المنازل (٦) .

ومن الصناعات الغذائية فى مملكة غرناطة نذكر ايضاً صناعة قليح السمك التى كانت مألوفة تشتهر بها ، وكانت تتم قرب الساحل ، وقد اهتم بها الملكان الكاثوليكيان بعد سقوط المدينة فى ايديهم (٧) . وصناعة السكر وخاصة فى متريل Motril وغرناطة بأسلوب فنى تفصله لنا وثيقة اكتشفت حديثاً من ارشيف الحمراء (٨) . وصناعة الخمر بمألوفة التى كان يضرب بها المثل فى ذلك . وقد قيل لأحد الخلقاء وقد أشرف على الموت أسأل ربك المغفرة ، فرجع يديه وقال: " يارب أسألك

(١) ابن الخطيب : اللوحة ص ١٥ معيار الاختبار ص ٩٤ ، I. S. Allouche : Op. cit. p. 10, G. Levi Della Vida : Op. cit. p 312 .

(٢) ابن الخطيب : معيار الاختبار فى مشاهدات ص ٨٤ ، ٩٤ .

Luis seco de Lucena : La Sultana Madre de (٣) انظر : Boobdil (Al Andalus Vol . XII, 1947 fasc 2, p. 383 .

Munzer : Viaje por Espana y Portugal p. 275 . (٤) انظر :

(٥) ابن الخطيب : اللوحة ص ٢٨ ، الاحاطة (عتان) ج١ ص ١٤٣ .

J. Caro Baroja : Los Moriscos del reino de Granada p. 91, n. (٦) انظر : 148

E. Bejarano Robles : El Repartimiento de Málaga p.39. (٧) انظر :

J. Martinez Ruiz : Notas sobre el refinado del azúcar de Cana : (٨) انظر : entre los Moriscos granadinos, Revista de Dialectologia y trad- iciones populares t. xx, 1964, Cuaderno 30, p. 371-388

من جميع ما فى الجنة خمر مألقة وزبيب اشبيلية " (١) .

صناعة الاسلحة :

كانت حياة غرناطة كلها حياة حرب وكفاح ، ولهذا تقدمت صناعة الأسلحة فى المملكة تقدماً كبيراً ، ويذكر ابن سعيد اهتمام أهل غرناطة بصناعة الأسلحة وآلات الحرب فيقول : " وأما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والألجم والمغافر فأكثرهم أهل الأندلس كانت مصروفة الى هذا الشأن " (٢) .

كذلك تقدمت صناعة السفن فى البلاد الساحلية فى المملكة واقامت بها دور الصناعة مثل مألقة والمنكب والمرية والجزيرة الخضراء (٣) .

صناعات أخرى :

بالاضافة إلى ذلك اشتهرت غرناطة بصناعة البناء وجاوزت شهرة بنائىها الآفاق ، فنجد أن السلطان أباً حمو الاول وولده أباً تاشفين عندما اختطا قصور الملك فى تلمسان ، قاما باستدعاء الصناع والفعلة من الاندلس ، فبعث اليهما السلطان أبو الوليد بالمهرة من أهل صناعة البناء " فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيى على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله " (٤) .

كذلك كانت تصنع الأوانى من سعف النخيل (٥) ، وفى قيجاطة كان هناك جبل " يقطع به من الخشب الذى تخرط منه القصاع والمخابى والأطباق وغير ذلك " (٦) ، كما كانت هناك صناعة السروج والأحذية والأثاث (٧) . وصناعة التسفير (التجليد) التى ازدهرت فى الأندلس فى هذا العصر ، وتحولت الى فن جميل من زخرفة وتزيين

(١) المقرئ : نفح الطيب ج٤ ص ٢٠٦ .

(٢) المقرئ : نفح الطيب ج١ ص ١٨٨ وانظر الفصل الخاص بالحياة الحربية

(٣) ابن سعيد : بسط الارض ص ٧٤ ، الحميرى : الروض المعطار ص ٧٣ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج٥ ص ٢١٨ - ٢١٩ ، المقرئ : نفح الطيب ج١ ص ٥٣ .

(٤) ابن خلدون : المعبر ج٧ ص ١٤٣ .

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ج٥ ص ٢١٩ .

(٦) الادريسي : صفة المغرب ص ٢٠٣ .

(٧) د. حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ص ١٠٨ نقلا عن محمد بن أبى بكر الزهرى مخطوط " الجغرافيا " لوحة ٦٨ أ .

وتلوين وتذهيب ، ووضعت بعض الكتب التى تتحدث عن هذا الفن^(١) . وصناعة
الرسم بالذهب^(٢) التى نبغ فيها عدد كبير^(٣) .
وفهم من النصوص ان اصحاب كل مهنة كان على رأسهم " صنديك " أو
" أمين " وأنه كان يأتمر بأمر المحتسب .^(٤)

(١) انظر : بكر بن ابراهيم الاشبهلى : كتاب التفسير فى صناعة التفسير . صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية
بدمشق المجلدان ٧-٨ / ١٩٥٩ / ١٩٦٠ ص ١-٤٢ .
(٢) ابن الخطيب : الاطعمة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٨٩ .
(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٨٩-٢٩٠ .
(٤) المقرئ : نيل الطيب ج ٢ ص ٣٩٤ ، ليلى بروفنسال : محاضرات فى ادب الاتدلس وتاريخها ص ٨٩ .

الباب الرابع

الحياة الفكرية في مملكة غرناطة

طرق التدريس - المدرسة النصرية - العلاقات الثقافية
بين غرناطة ودولة المماليك - العلاقات الثقافية بين
غرناطة وفاس - العلاقات الثقافية بين غرناطة والدولة
الحفصية - العلاقات الثقافية بين غرناطة والدولة
الزيانية - العلاقات الثقافية بين غرناطة واسبانيا
المسيحية - اهم العلوم في غرناطة ...

«الحياة الفكرية فى مملكة غرناطة»

اهتم أهل الأندلس بالعلم وأهله «وكان العالم عندهم معظما من الخاصة والعامة، يشار اليه، ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم فى جوار أو ابتساع حاجة»^(١). وبلغ من تقديرهم للعلم والعلماء والفقهاء ان صار مدلول كلمة فقيه عندهم مدلولاً رفيعاً، «حتى ان المسلمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذين يريدون تنويبه بالفقيه»^(٢). من هؤلاء نذكر محمداً الفقيه (٦٧١-٧٠١هـ) ثانى سلاطين غرناطة^(٣). فى الوقت الذى نجد فيه كلمة فقيه فى المشرق كان مدلولها الأدبى اقل وتطلق على طلبة العلم بصفة عامة^(٤).

ولقد امتدح ابن خلدون أهل الأندلس بأن لهم «من ذكاء العقول وخفة الأجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم»^(٥). كذلك يذكر المقرئ: «ان البلاغة لم تزل شمسها بالأندلس باهرة الآية»^(٦)، ظاهرة الآيات إلى ان استولى عليها العدو، وعطل من أهل الاسلام الرواح إليها والغدو، وفى أهلها بقية لسان وبراعة^(٧) وتصرف فى فنون الإجابة وبراعة»^(٨).

ولم تعرف غرناطة نظام المدارس الذى كان معروفاً فى الشرق الاسلامى فى أول الأمر^(٩). ومن المعروف أن أول مدرسة بمعناها التقليدى أنشئت بالأندلس كانت

(١) المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٥.

(٢) المقرئ: المصدر السابق ج ١ ص ٢٠٦.

(٣) من الطريف ان هذا السلطان كان معاصراً للملك القشتالى الفونسو العاشر المعروف بالعالم او الحكيم El Sabio وليس يبعد ان يكون اللقب الذى اتخذ السلطان الغرناطى مرادفاً للقب العالم الذى اتخذ زميله الملك الاسبانى.

(٤) اللقشندى: صبح الاعشى ج ٦ ص ٢٢.

(٥) ابن خلدون: المقدمة: (بيروت) ص ٨٨.

(٦) اية الشمس: ضروها.

(٧) البراعة: قهصة القلم، والمراد هنا أنهم اهل فصاحة اذا تكلموا او كتبوا.

(٨) المقرئ: ازهار الرياض ج ١ ص ١١٥ - ١١٦.

(٩) المقرئ: نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٥.

تلك المدرسة التي بناها أبو الحجاج يوسف الاول (٧٣٣-٧٥٥هـ / ١٣٣٣-١٣٥٤م) في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وهي المدرسة النصرية.

المدرسة النصرية :

وتسمى أيضا المدرسة اليوسفية أو مدرسة غرناطة أو المدرسة العلمية، أنشئت على يد الحاجب رضوان عام ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م^(١). ويحتفظ المتحف الأثري بغرناطة ببعض اللوحات من تلك المدرسة يظهر في بعضها اسم المؤسس ، وسنة التشييد^(٢). وكانت هذه المدرسة «أنوه مواضع التدريس بغرناطة»^(٣). هذا وقد أوقف لسان الدين بن الخطيب على هذه المدرسة نسخة من كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة» لينتفع بها الطلبة في عام ٨٢٩هـ^(٤). كذلك فإن كتاب «أبي عبد الله بن الخطيب في شرح كتاب الإشارات لابن الحسين بن سينا» في المنطق والحكمة وهو السفر الأول كان محبسا على مدرسة غرناطة^(٥). كما كان «كتاب ابن معط وهو السفر الثاني من كافيته في علم النحو بشرحها كانت من الكتب المحبسة على مدرسة غرناطة»^(٦). كذلك أوقف عليها مؤسسها الحاجب رضوان - بأمر السلطان - الأوقاف الجليلة حتى غدت المدرسة «نسيجة وحدها، بهجة ورصدا وظرفا وفخامة»^(٧).

وقد قام بالتدريس في هذه المدرسة عدد من كبار علماء الأندلس والدول الأخرى، نذكر منهم ابن الفخار الخولاني (ت ٧٥٤هـ) الذي «قل في الأندلس من لم

(١) ابن الخطيب : الإحاطة (عنان) ج١ ص ٥١٦ - ٥١٧ .

(٢) انظر : É. Lévi Provencal : Inscriptions Arabes D'Espagne p. 159.

(٣) التنبكتي : نيل الاتيهاج ص ٥٣ .

(٤) المقري : نفع الطيب ج٩ ص ٣٠٨ - ٣١١ ، أزهار الرياض ج٩ ص ٥٥ .

(٥) انسطرس : Nemasio Morata: Un Catálogo de los Fondos Árabes primitivos de la Escorial (Al Andalus Vol. 2, 1944, fasc 1, p. 108.

(٦) انظر : Ibid. p. 105 .

(٧) ابن الخطيب : الإحاطة (عنان) ج١ ص ٥١٦-٥١٧. هذا وكان منقرشا في احد جنبات المدرسة قصيدة من تأليف ابن الخطيب جاء فيها : —

يأخذ عنه من الطلبة»^(١). ويحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي (ت ٧٥٣هـ) الذي قعد بالمدرسة بغرناطة يقرء الأصول والفرائض والطب»^(٢). ومنصور الزواوي (كان حيا في عام ١٣٥٦/٧٥٧) وكان يعتبر معجزة في العلم، وقام بتدريس المواد الرياضية في المدرسة الغرناطية^(٣). وكان يخصص لهؤلاء الاساتذة جراية نظير قيامهم بالتدريس»^(٤).

والى جانب ذلك كان معظم الطلبة يتلقون العلم في المساجد في حلقات أو في بيوت الأساتذة نظير دفع أجر مقابل ذلك^(٥). ويفهم من النصوص انه كان بغرناطة نوع من المكاتب لتحفيظ القرآن الكريم^(٦). كذلك كان هناك نوع من التعليم يشبه ما يسمى بالدروس الخاصة، وهى التى كانت تستخدم في تعليم اولاد الملوك

ولا هكذا تبني المدارس للعلم	وتبقى عهود المجد ثابتة الرسم
ويقصد وجه الله بالعمل الرضا	وتجنى ثمار العز من شجر العزم
تفاخر منى حضرة الملك كلما	تقدم خصم فى الفغار الى خصم
فأجدى اذا ضن الغمام من الحيا	واهدى اذا جن الظلام من النجم
فيا طاعنا للعلم بطلب رحمة	كثيت اعتراض البيد أو بلج أليم
بهاى حظوا الرجل لانتو وجهه	فقد فزت فى حال الاقامة بالغفم
فكم من شهاى فى سمائى ثاقب	ومن هالة دارت على قمر تم
فليضون من نور مبين الى هدى	ومن حكمة تجلو القلوب الى حكم
جزى الله عنى يوسف خير ماجزى	ملوك بين نصر هن الدين والعلم

(المقرى : نفع الطيب ج٩ ص ١٨٦، ازهار الرياض ج١ ص ٢٧٢)

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحة ٩٢ .

(٢) ابن الخطيب : نفس المصدر لوحات ٤٠٩ - ٤١٢ .

(٣) انظر :

Pons Boigues : Op. Cit., p 329 .

(٤) التنبكى : نيل الابتهاج ص ٣٤٥ - ٣٤٧، ابن مريم : الهستان فى ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد

بن ابي شنب . الجزائر ١٣٢٦/١٩٠٨ ص ٢٩٢.

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٠٧-١١١، المقرى : نفع الطيب ج١ ص ٢٠٥، الغبرنى : عنوان الدراية ص

٤٣-٤٤.

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٩٢، المقرى : المصدر السابق ج٧ ص ٤، ازهار الرياض ج١ ص ١٠٧، وقد جاء

فى قصيدة للشاعر البقون:

ولا المكاتب بالصبيان آنسة تتلر القرآن بأسعار وأوصال

(المقرى : ازهار الرياض ج١ ص ١٠٧).

والوزراء وعليه القوم^(١). فيذكر ابن الخطيب انه قد استدعى سعيد بن محمد بن ابراهيم بن عاصم بن سعيد الغساني إلى قصره لتأديب ولده^(٢).

وكان الطلبة يتجهون إلى الأساتذة حيثما كانوا حيث يتابعون دراستهم على أيديهم^(٣). ونحن نجعل المدة التي كان يقضيها الطالب في دراسته ثم يحصل في النهاية على اجازة من معلمه، وتذكر المصادر أنه كان يمكن للطالب ان يحصل على اجازة من أساتذته مكاتبة دون لقاء^(٤). بل يروى ابن عبد الملك المراكشي ان احمد بن عبد الرحمن البلوي (ت ٦٥٧ هـ) قد ذكر له انه «ادخل على اخي وكبيرى ابو الحسن رحمه الله إلى منزل ابي وأنا في المهدي ابن اربعين يوما الراوية ابا القاسم بن بشكوال وأراه إياي واستجازه لى، فدعا لى بخير وكتب لى حينئذ الإجازة ووضعها بيده على صدرى وانصرف رحمه الله»^(٥).

وكان للاستاذ ان يوقع على تلاميذه عقوبة الضرب إذا حدث ما يستوجب منهم ذلك، بالدرة او الشوكة او العود^(٦). وكان يجب الا يكون مؤدب الصبية «عزبا، ولا شابا، بل يكون شيخا خيرا، دينيا، عفيفا، ورعا، قليل الكلام والشهوة إلى استماع مالا يعنيه، وان لا يحضر الجنائز البعيدة، ولا يكسر من البطالة، ولا يهمل الصبيان، ولا يزول عنهم الا لأخذ الغذاء او الوضوء»^(٧). وقام الأساتذة بحبس مؤلفاتهم على طلبتهم للانتفاع بها^(٨). ويفهم من النصوص انه كان للطلبة

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج١ ص ١٦٤، المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ٣١٤.

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات ٣٧٩-٣٨٠.

(٣) ابن الزبير : صلة الصلة ص ٤٩، ابن عبد الملك : الذيل والتكملة، السفر الاول، القسم الاول ص ٣٩-٤٥، ابن حجر : الدور السفر الاول ص ٨٤-٨٦، د. احمد مختار العبادي : مقدمة كتاب مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٥.

(٤) ابن عبد الملك : المصدر السابق ص ١١٨-١١٩، السفر السادس : ص ٢١٠ - ٢١٢، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ١٧٦.

(٥) ابن عبد الملك : السفر الاول، القسم الثاني ص ٤٥٣-٤٦١ ترجمة رقم ٦٧٤.

(٦) الازدى : تحفة المفترى ص ١٥٢.

(٧) ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة ص ٢٥.

(٨) المقرئ : ازهار الرياض ج١ ص ٥٨، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٤٩.

شيخ منهم يتولى امورهم^(١)، وانه لم يكن هناك تخصص فى العلم كما هو الحال اليوم^(٢).

وجعل اهل غرناطة القرآن اساسا فى التعليم واخذوا يدرسون بجانبه الشعر والترسل وقوانين اللغة العربية وتجويد الخط^(٣) وصار حسن الخط من المميزات التى يجب ان تتوفر فى طلاب العلم والعلماء^(٤).

ويذكر ابن خلدون نصا طريقا يثير الانتباه عن الطريقة التى كانت تتبع لتعليم الخط فى الأندلس فيقول: «وليس الشأن فى تعليم الخط بالأندلس والمغرب كذلك فى تعلم كل حرف بانفراده على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم، وإنما يتعلم بمحاكاة الخط فى كتابة الكلمات جملة، ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له إلى ان تحصل له الاجادة وتتمكن فى بنائه الملكة فيسمى مجيدا»^(٥).

ويعقب الدكتور على عبيد الواحد وافى على هذا بقوله «من هذا نتبين ان الطريقة الحديثة التى تتبع الان فى تعليم الهجاء، والتى يسميها علماء التربية «الجشتالت» او طريقة الكلمات والجمل، وهى التى تقضى بأن يبدأ فى الهجاء برسم الكلمات والجمل - كانت متبعة منذ عهد بعيد فى الأندلس وهى أمثل طريقة من الوجهة التربوية لمسايرتها للواقع من جهة، ولطبيعة العقل الإنسانى من جهة أخرى. فالواقع ان الكلمة هى التى لها مدلول فى ذهن الطفل، أما الحرف فلا مدلول له. والعقل الإنسانى ينتقل بطبيعته من إدراك الكل إلى إدراك اجزائه»^(٦).

وانتشرت فى هذا العصر عادة اختصار أمهات الكتب، حتى يتمكن الناس

(١) الازدى : تحفة المفترى ص ٨١ .

(٢) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات : ١١٥ ، ٣٠٨-٣٠٩ ، ٣١٥-٣٢٤ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٥٣٨ .

(٤) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب (الاحاطة الاسكوريال) لوحة ٢٥ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة نشر د. وافى ج٣ ص ٩٥٠ .

(٦) ابن خلدون : المصدر السابق ج٣ ص ٩٥٠-٩٥١ حاشية (١) .

من قراءتها نظرا لانشغالهم بحياة الجهاد ضد الإسبان، وأسير المعيشة الصعبة، مما لم يكن يسمح بقراءة تلك الموسوعات ^(١). وتبارى الغرناطيون فى هذا العصر فى امتلاك المكتبات الخاصة ^(٢). كما انتشرت بين العلماء عادة كتابة فهارس باسماء شيوخهم ^(٣). وظهرت المعاجم باسماء الكتب والتعريف بمؤلفيها مرتبة على حروف المعجم ^(٤) ونبغت سيدات عديدات فى ميدان الادب والتدريس ، يلقين الدروس، ويؤخذ عنهن العلم ^(٥)، نذكر منهن ام السعد بنت عصام بن احمد الحميرية (ت بمالقة عام ٦٤٠هـ) وسيدة بنت عبد الغنى العبدرية ^(٦).

العلاقات الثقافية بين غرناطة ودولة المماليك :

كانت مصر فى تلك الفترة التى ندرسها قد اخذت تتبوأ مركز الصدارة العلمية والسياسية فى العالم الاسلامى، اذ استطاعت دولتها المملوكية الفتية ان تنتصر على بقايا الاستعمار الاوروبى الصليبي وتطرد فلوله من الشام. كذلك استطاعت ان تنتصر على المغول فى موقعة عين جالوت عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م ، وان تنقذ الشام ومصر بل والعالم كله من براثنهم بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية فى ايديهم عام ٦٥٦/ ١٢٥٨، وما تلا ذلك من انهيار المشرق الاسلامى أمام جحافلهم.

(١) انظر على سبيل المثال : ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوجه ١٠٠، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٢١١، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٤٤، ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) ابن الزبير : صلة الصلة ص ٥١-٥٢، ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٤٩-٥٦، الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٢٧٩، المقرئ : نفع الطيب ج ٨ ص ١٩، الكتانى : فهرس الفهارس ج ١ ص ٢٢٤-٢٢٥، ج ٢ ص ١٨٩-١٩٠.

(٣) انظر على سبيل المثال : د. عبد العزيز الاخوانى : كتاب «برامج العلماء فى الأندلس فى مجلة معهد المخطوطات العربية ج ١ الفصل الاول ماير ١٩٥٥ ص ٩١-١٢٠، نص برنامج ابن ابي الربيع، المرجع السابق ج ١ الفصل الثانى نوفمبر ١٩٥٥ ص ٢٥٢-٢٧١، الكتانى : فهرس الفهارس ج ١ ص ٢٢٤-٢٢٥، ٢٨٦، ٣٥٤، ج ٢ ص ١٨٩-١٩٠.

(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٩١-٢٩٥، الكتانى : المرجع السابق ج ١ ص ١٠٦.

(٥) ابن حجر : الدور السفر الاول ص ٦٦، راجع الفصل الخاص بالمرأة فى مملكة غرناطة .

(٦) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ص ٧٤٨-٧٤٩ وكذلك : R. Brunschvig: La Berberie Orientale : وكذلك : Mujtar Al Abbadi: Op. Cit., p. 146. sous les Hafside t. II, p. 175.

ومن ثم حلت القاهرة محل بغداد فى زعامة العالم الاسلامى، فأحييت فيها عام ١٢٦٠/١٢٦١، الخلافة العباسية المنهارة، على يد السلطان الظاهر بيبرس، وهاجر اليها العلماء والادباء وأهل الحرف والصناعات من جميع أنحاء العالم الإسلامى، فازدهرت فيها الحياة العلمية والاقتصادية وعمل سلاطين المماليك على تشجيعها وازدهارها ببناء المساجد والمدارس والمارستانات والوكالات وبذل المنح والجرايات والمرتبات العالية لاجتذاب العلماء وطلبة العلم اليها من كل فج عميق. وقد ساعدتهم فى ذلك ميزانية ضخمة تزيد فيها الايرادات على المصروفات نتيجة لعوامل شتى اهمها: الرسوم التى كانت تفرض على التجارة المارة عبر الاراضى المصرية والشامية، بين الشرق والغرب.

واعتبر الكتاب المعاصرون - وخاصة فى بلاد المغرب والاندلس - مدينة القاهرة المملوكية فى هذا العصر، المدينة التى تفوق كل مدن العالم الاسلامى، فيذكر ابن خلدون فى مقدمته: «ونحن لهذا العصر نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ الآف السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملتها تعليم العلم ... فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة ... فكثرت الأوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ... ونفقت بها أسواق العلم وزخرت بحارها» (١).

كذلك يصف ابن خلدون القاهرة عندما دخلها قائلاً: رأيت حاضرة الدنيا ويستنان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الغرر من البشر، وإيوان الاسلام، وكرسى الملك، تلوح القصور والأواوين فى أوجه، وتزهو الخوانق والمدارس بأفاقه، وتضىء البدور والكواكب من علمائه، وقد مثل بشاطىء بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء يسقيهم النهل والعلل (٢) سيحة، ويجبى اليهم الثمرات والخيرات ثبجة،

(١) ابن خلدون: المقدمة (بيروت ١٩٠٠) ص ٤٣٤-٤٣٥ وكذلك: Al Abbadi: Op. Cit., p. 170

(٢) النهل: الشرب الاول، والعلل: الشرب الثانى. وكلاهما بفتح اوله وثانيه.

ومررت فى سكك المدينة تغص بزحام المارة وأسواقها تزخر بالنعم، ومازلنا نتحدث بهذا البلد وبعد مداه فى العمران، واتساع الأحوال، وقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم وتاجرهم فى الحديث عنه، سألت صاحبنا كبير الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقرئ فقلت له كيف هذه القاهرة؟ فقال: من لم يرها لم يعرف عز الإسلام» (١).

كذلك يصف ابو القاسم البرجى القاهرة التى قام بزيارتها فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) قائلا: «أقول فى عبارة عنها على سبيل الاختصار، ان الذى يتخيله الإنسان فان ما يراه دون الصورة التى تخيلها لاتساع الخيال عن كل محسوس الا القاهرة فانها أوسع من كل ما يتخيل فيها» (٢).

أما غرناطة فقد دفع غلاء المعيشة فيها إلى انصراف اهلها عن تحصيل العلم لانشغالهم بأمور الحياة (٣). فلقد تضاعف سكان المملكة نتيجة للهجرات المتوالية اليها من المدن الاسلامية التى كانت تسقط فى يد الاسبان ، واصبحت الارض تضيق بهم على مارجبت، كذلك كان للطبيعة الجبلية لارض المملكة أثر كبير فى غلاء المعيشة. وقد اشار المؤرخ ابن خلدون فى مقدمته إلى هذا الغلاء عندما ذكر وهو يتحدث عن الاحوال فى الأندلس على عصره «أنهم لما الجأهم النصارى إلى سيف البحر وبلادهم المتنوعة الخبيثة الزراعة النكد (٤) النبات، وملكوا عليهم الارض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا إلى علاج المزارع والفدن لاصلاح نباتها وفلحها، وكان ذلك العلاج بأعمالهم المستقيمة ومواد من الزيل وغيره لها مؤونة، وصارت فى فلحهم نفقات لها خطر فاعتبروها فى سعرهم. واختص قطر الأندلس بالغلاء منذ اضطرهم النصارى إلى هذا المعمور بالاسلام مع سواحلها لأجل ذلك» (٥). كذلك أشار

(١) ابن خلدون : العبر ج٧ ص ٤٥٢، المقرئ : نفع الطيب ج٧ ص ١٧٧.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ص ٤٥٢، المقرئ : المصدر السابق ص ١٧٧-١٧٨.

(٣) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٤٣٢ وكذلك Al Abbadi : Op. Cit., p. 170.

(٤) نكد عيشه : اشتد وتعسر .

(٥) ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٣٦٤ .

القاض أبو الحسن النباهي إلى غلاء المعيشة في غرناطة أثناء ترجمته للقاض أبي البركات بن الحاج البليقي (١) .

أما مصر فإنها كانت أكثر رخسا إذا ما قورنت بغرناطة، فيذكر العالم النحوي أبو حيان الغرناطي (ت بالقاهرة ١٣٤٤/٧٤٥) وكان قد هاجر إلى مصر وعاش بها فترة من الوقت - أن الحياة بها كانت رخيصة حتى أنه «يكفى الفقير في مصر أربعة أفلس: يشتري له بائة بفلسين، وفلس زيبا ، وفلس كوز ماء، ويشتري ثاني يوم ليمونا يأكل به الخبز» (٢).

كذلك لم يكن التعليم في غرناطة مجانيا، بل كان على من يتعلم أن يدفع أجرا، في الوقت الذي كان الطلبة في مصر تغدق عليهم الجرايات والمنح لمساعدتهم على التفرغ في طلب العلم والنبوغ فيه (٣).

أما المدارس ففي الوقت الذي لم يكن فيه في غرناطة سوى مدرسة واحدة هي المدرسة النصرية، أقام سلاطين المصاليك عددا من المدارس «لا يحيط أحد بكثرتها» (٤)، وأصبحت المدن الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية وقوص تمثل في عهدهم مراكز هامة للثقافة الرفيعة (٥)، فوج بالأساتذة والطلاب ، وتزخر بالمكتبات التي كانت تشتمل على كل أنواع الكتب المشرقية والمغربية (٦) .

وكانت الرحلة إلى المشرق هي غاية الأمل لكل طالب علم في غرناطة (٧)، بل يرجع ابن خلدون السر في التفوق الثقافي لدى الغرناطيين عن المغاربة «بسبب رحلة

(١) النباهي : المرقبة العليا ص ١٦٤ ، راجع الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية في مملكة غرناطة .

(٢) المقرئ : نفع الطيب : ج٣ ص ٣٩٧ وكذلك : Al Abbadi : p. 171 .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ٢٠٥ .

(٤) ابن بطوطة: الرحلة ج١ ص ٧٠ .

(٥) محمد عبد الرحيم فنيمة: تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى (تطوان ١٩٥٣) ص ٨٢-٩٩، عبد اللطيف حمزة:

الحركة الفكرية في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي (القاهرة ١٩٤٧ ص ١٦٢ وكذلك :

Al Abbadi : Op. Cit., p. 171

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٢٦ .

(٧) ابن خلدون: المقدمة (بيروت) ص ٥٤١ .

علمائهم إلى تلقيه من أربابه في المشرق»^(١).

لكل هذه العوامل رحل الكثير من الغرناطيين إلى مصر، وبلغ من كثرة عدد المسافرين من غرناطة ان سمى أحد أرباضها الخارجية باسم «حوز الوداع»^(٢)، وهو المكان الذي اعتاد فيه الغرناطيون توديع أهلهم وأحبائهم قبل رحيلهم، وليس بعيدا بالمرّة أن يكون هذا المكان هو نفس المكان الذي يعرف حتى اليوم باسم Suspiro del Moro أي زفرة العربي وهو الذي ترجمه الرواية الاسبانية إلى عبد الله بن الأحمر آخر ملوك غرناطة حينما غادر بلاده وملكه ووقف يبكي في هذا المكان لالقاء آخر نظرة على وطنه^(٣).

وكان هؤلاء الطلبة والعلماء يتجهون إلى مصر بطريق البحر أو عن طريق شمال افريقية إلى الاسكندرية فالقاهرة، وكانت طرق المواصلات في ذلك العصر مليئة بالمخاطر والمصاعب، مثل هجمات قطاع الطرق وغرق السفن في مياه البحر^(٤). مثال ذلك عندما أسر محمد بن عبد الرحمن التميمي الكرسوطي من أهل فاس نزيل مالقة ببحر الزقاق مع والده عام ١٢٢٥/٦٢٢^(٥). كما يحدثنا ابن الخطيب ان سفينة غرناطية كانت تقل جماعة من الطلبة والادباء وابناء السراة قد غرقت بمن فيها وماتوا جميعاً بأحواز القبطة من ساحل المرية أثناء توجهها إلى المشرق في أواخر عام ٧٣٩/١٣٣٨^(٦). كذلك غرق محمد بن محمد بن عبد الله بن

(١) المقرئ: أزهار الرياض ج٣ ص ٢٦-٢٧.

(٢) اسماعيل بن الأحمر: نثير فرائد الجمان في نظم لمحو الزمان ص ٢٩٥، المقرئ: نفع الطيب ج١ ص ٢٣٠، وفي هذا يقول الشاعر المعاصر ابن جابر:

بحوز الوداع لنا موقف اذاب الفؤاد لاجل الوداع
لما انا أنسى غداة النوى وحادى الركائب للبين داع

(٣) د. احمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص ٢١٥ وكذلك:

Ahmad Mujtar Al Abbady: Op. Cit., p 172

(٤) الازدي: تحفة المغرب ص ٨٤، ٩٩.

(٥) ابن القاضي: جلوة الاقتباس ص ١٣٩.

(٦) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوجه ٢٥ وكذلك:

Al Abbady: Op. Cit., p 173

مقاتل الملقى وكان أدبيا بليغاً - هو وجماعة أثناء رحلتهم إلى المشرق في عام ٧٥٨^(١).

ومن العلماء الذين رحلوا إلى المشرق نذكر ابا الربيع سليمان الغرناطى (ت ١٢٣٦/٦٣٤) الذى رحل إلى القاهرة وناب فى الحسبة هناك^(٢). وضياء الدين بن البيطار الملقى (ت ١٢٤٨/٦٤٦) الذى توجه إلى المشرق حيث دخل فى خدمة الملك الكامل بن العادل الأيوبي ثم الملك الصالح الذى عينه رئيسا على سائر العشاييين فى بلده^(٣). وأبا محمد بن سلمون (٦٦٩-٧٤١هـ) الذى رحل إلى المشرق حيث اجازه عدد كبير من علمائها. وعبد الله بن ابي احمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقى (٧٣١/٦٦٠هـ) الذى روى عن جلة من أهل المشرق وخاصة مصر من أمثال الإمام تقي الدين بن دقيق العيد^(٤) والمؤرخ ابا الحسن بن سعيد المغربى (ت ٦٨٥هـ) الذى يرجع أصله إلى قلعة يحصب بجوار غرناطة وكان "درة فى قومه، المصنف، الاديب، الرحالة، الطرفة، الاخبارى، العجيب الشأن فى التجول فى الأقطار، ومداخلة الأعيان للتمتع بالخزائن العلمية وتقييد الفوائد المشرقية"^(٥)، وقد قام ابن سعيد برحلة زار فيها دول الشمال الافريقى ومصر والشام وبلاد الفرس والتقى بكبار العلماء واخذ عنهم، ووصف رحلته فى كتاب اسماء "النفحة البدرية فى الرحلة الملكية"^(٦). نذكر كذلك محمد بن عبد الله بن محمد بن لب (ت ٧٠٥هـ)

(١) المقرئ : نفع الطيب ج٨ ص ٣٤٢، ابن حجر: الدرر السفر الرابع ص ١٩٣-١٩٤. ترجمة رقم ٥٢١، انظر امثلة اخرى من اخطار السفر فى : ابن عبد الملك : الليل والتكملة، السفر السادس ص ٣١٦ ترجمة رقم ٧١٨، ابن بطوطة: الرحلة ج٤ ص ٣٦٤، ابن حجر: الدرر السفر الثالث ص ١١١ ترجمة ٢٤٦، ابن مريم : البستان ص ١١٧-١٢٠، محمد بن شريفة: ابو المطرف احمد بن عميرة المخزومي حياته واثاره (الرباط ١٩٦٦) ص ١١٤-١١٥، ١٤٩.

(٢) المقرئ : نفع الطيب : ج٣ ص ٣٩٥ .

(٣) المقرئ : المصدر السابق ج٣ ص ٤٤٤-٤٤٥.

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٢١-٢٢٢.

(٥) المقرئ : نفع ج٣ ص ٣٨ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٣٢٤-٣٢٦، المقرئ : نفع الطيب ج٣ ص ٣٨، د. السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص ٢٢٢ وكذلك :

Pons Boigues : Op. Cit., p 306-308 .

الذى رحل إلى مصر وقام بتدريس اللغة العربية فى المدرسة الصالحية بالقاهرة^(١)
ومن الشعراء الغرناطيين الذين رحلوا إلى مصر والمشرق نذكر الشاعر أبا عبد
الله بن احمد (ابن جابر الهوارى) الضرير (ت ١٣٢٨/٧٨٠) وصديقه ابا جعفر بن
احمد الرعينى الالبيرى (ت ١٣٧٧/٧٧٩) اللذين رحلا إلى المشرق ودرسا فى مصر
والشام وعرفا باسم الأعمى والبصير. وقام ابن جابر بوضع القصائد وأملأها على
زميله "فكان وظيفة الكفيف النظم، ووظيفة البصير الكتب"^(٢). ووضع "بديعية
العميان" التى صاغها فى أسلوب يتضمن تورية بسور القرآن الكريم ومدحا للرسول
عليه الصلاة والسلام^(٣). وقام زميله بشرحها^(٤). ومن مؤلفاته كذلك نذكر "شرح
ألفية ابن مالك"^(٥) (توفى فى عام ١٢٧٤/٦٧٢). وقد احتفظ لنا المقرئ فى نفحه
بكثير من أشعار هذا الشاعر الضرير^(٦). كذلك وضع أبو جعفر الرعينى عددا من
القصائد وإن كانت لم تحقق شهرة قصائد رفيقة ابن جابر الأعمى^(٧).

نذكر كذلك الاخوين ابا عمرو محمدا وأبا اسحاق ابراهيم المعروف بابن الحاج
النميرى^(٨). أما الاول فانه بعد ان رحل إلى المشرق واتصل بحكام وعلماء هذه
البلاد ، عاد إلى غرناطة عام ١٣٥٩/٧٦٠ حيث كلفه محمد الخامس بالسفارة إلى
سلاطين مصر وتونس^(٩). وتلقى ابراهيم (ولد عام ٧١٣هـ-١٣١٣) دروسه

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٦ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٨-٩ ، المقرئ : نفح الطيب ج ١٠ ص ١٦٢ ، ابن القاضى : درة المجال
ج ١ ص ٢٩ ، ٢٦٨ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ج ١٠ ص ١٨٢-١٨٧ .

(٤) المقرئ : المصدر السابق ج ١٠ ص ١٨٢ .

(٥) المقرئ : المصدر السابق ج ٣ ص ٤١٨ ، ج ١٠ ص ١٦٢ .

(٦) المقرئ : المصدر السابق ج ٣ ص ٤١٨-٤٢٤ ، ج ١٠ ص ٢٠٨-٢٢٧ .

(٧) انظر قصائده فى نفح الطيب ج ١٠ ص ٢٠٦-٢٠٧ ، ٢٢٧-٢٣٢ .

(٨) انظر : Ahmad Mujtar Al Abbady : Op. Cit., p 174 n.9 .

(٩) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٥٧ - ١٥٨ .

(١٠) المقرئ : نفح الطيب ج ٩ ص ٣١٦ ، احمد بابا : نبيل الابتهاج ص ٤٤ وكذلك :

Mykel: Hispano Arabic poetry, p 362 .

فى المشرق كذلك وتأثر بثقافته بدرجة عالية ، حتى ان ابن الخطيب يصف شعره بانه "العذب الجامع بين جزالة المغاربة ورقة المشارقة"^(١) . ويعد ان تجول فى بلاد المشرق والمغرب الاسلامى عاد إلى غرناطة حيث دون أخبار رحلته، وعين قاضيا بقرب العاصمة^(٢) . وقد صحب ابراهيم فى رحلته إلى المشرق رحالة غرناطى شهير هو أبو البقاء خالد البلوى الذى وضع كتابا وصف فيه أخبار رحلته إلى المشرق ومن اتصل بهم من علمائه اسماء "تاج المشرق فى تحلية علماء المشرق"^(٣) . وقد اتهمه ابن الخطيب بانه قد نقل هذا الكتاب من مؤلف مشرقى شهير هو "البرق الشامى" للعماد الاصبهانى (ت ق ٦٦ هـ) ^(٤) .

نذكر كذلك على بن لسان الدين بن الخطيب الذى رحل إلى مصر وكتب على احاطة والده التى كان قد بعث بها إلى مصر وأوقفها على خانقاه^(٥) سعيد السعداء ، تعليقات واضافات مفيدة " اما تكميلا لما اغفله ابوه واما أخبارا عما شاهده هو، أو رواية له عن المترجم به، أو جوابا عن أبيه ، فيما انتقد عليه "^(٦) .

ومن النحويين الذين رحلوا إلى المشرق نذكر أبا حيان الغرناطى الذى رحل إلى مصر ولقى حظوة لدى سلاطينها من المماليك البحرية ، وعين مدرسا فى مدارس القاهرة ، وقام بالقاء الدروس فى مسجد الحاكم عام ٧٠٤ هـ ^(٧) . وأبا عبد الله بن

(١) المقرئ : نفع الطيب ج٩ ص ٣١٦ ، والنظر نماذج من شعره ص ٣١٧-٣٢٧ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ج٩ ص ٣١٥ وأنظر ترجمته لى ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج١ ، ص ٣٥٠-٣٧١ .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ج٩ ص ٣١٩ وكذلك Al Abbadi : Op. Cit., p 175-176

(٤) المقرئ : ازهار الرياض : ج١ ص ٣٠٩ حيث يقول :

خليلى ان يلف اجتماع بخالد فقولوا له قولوا ولن تعمدا الحقا

سرقتم العماد الاصبهانى برقه وكيف ترى لى شاعر سرق البرقا

(٥) الخانقاه: بالقاف أو الكاف ، مسكن المتصرفه المنقطعين للعبادة والأعمال الصالحة، وهذه الخانقاه كانت دارا للاستاذ

فنهز أو عنبر أحد خدام القصر أيام الفاطميين، وكان يلقب بسعيد السعداء، وقد خصصها صلاح الدين الايوبي عام

٥٦٩ للمقرئ الصوفية الأجانب، وجعل لها أوقافا، ولهذا عرفت أيضا بالخانقاه الصالحية انظر : المقرئى : الخطط ج١

ص ٢٧٣-٢٧٥ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 179

(٦) المقرئ : نفع الطيب ج١٠ ص ١٦٢ .

(٧) ابو حيان : البحر المحيط (القاهرة ١٣٢٨) ج١ ص ٣ .

لب المعروف باين الصائغ (ت ٧٨٢هـ / ١٣٨٠) الذى اتصل بعلماء النحو فى المشرق وبصفة خاصة أبى حيان الغرناطى ، كما قام بتدريس اللغة العربية فى المدرسة الصالحية بالقاهرة^(١).

ومن علماء السنة والفقهاء الذين كانت لهم رحلات إلى المشرق نذكر أبى القاسم ابن سلمون الكنانى (ت ٧٦٧/١٣٦٦) الذى بعد أن تجول فى المشرق عاد إلى غرناطة العاصمة حيث شغل منصب قاضى الجماعة ، وصنف كتابا عن التوثيق^(٢).

ومن الصوفية نذكر أحمد بن عبد الله الأنصارى المالى (ت ٦٥٢هـ) الذى رحل إلى مصر وعظم فيها صيته وشهر فضله وله شعر كثير فى الزهد والحكم^(٣).

ومن الأطباء نذكر أبو تمام الشقورى (ت ٧٤١/١٣٤٠) الذى بعد أن درس الطب فى المشرق وعمل بهارستان القاهرة ، عاد إلى وطنه وذاعت شهرته فى الافاق^(٤). والطبيب محمد الانصارى القيحاوى (كان حيا عام ٧٥٠ هـ) الذى درس وأدى الفريضة فى المشرق ثم عاد إلى غرناطة فتصدر الأطباء هناك، وما لبث أن أتجه إلى المشرق مرة أخرى حيث "قدم امينا على احباس مسجد رسول الله بالمدينة وصدقائه" ويقال بأنه خصى نفسه وسقطت بذلك لحيته^(٥).

هذا وقد أورد السخاوى فى الضوء اللامع أسماء لبعض الاندلسيين الذين اتوا إلى مصر وتلقوا العلم على يديه^(٦).

أما الغرناطيون الذين لم تسمح ظروفهم بالرحلة إلى المشرق للقاء هؤلاء العلماء. فأنهم سعوا للحصول على مؤلفاتهم عن طريق المراسلة ، وكذلك الحرص

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٦ ، ابن حجر: الدرر السفر الثالث ص ٤٨٤ ترجمة رقم ١٢٩٦ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 177 .

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٣٧٨-٣٧٩ ، النباهى: المراقبة العليا ص ١٦٧-١٦٨ .

(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب ص ٤٦ .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٣٥٤ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 178 .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ١٦٥ - ١٦٦ .

(٦) انظر على سبيل المثال ج ٢ ص ٢٤٤ ، ج ٣ ، ص ٢٧٣-٢٧٤ .

على لقاء العلماء المشارقة الذين كانوا يزورون العاصمة النصرية^(١). فيحدثنا ابن الخطيب كيف ان ابنه الآخر ابا محمد عبد الله الذي لم تتح له الفرصة للقيام برحلة إلى المشرق كأخيه على، سعى للحصول على كتب مختلفة من تأليف علماء من المشرق والمغرب قدر له ان يلقاهم في غرناطة^(٢). كذلك يذكر ابو البركات بن الحاج البلفيقي عددا كبيرا من أسماء الأساتذة المشارقة عند حديثه عن الأساتذة الذين تلقى العلم على أيديهم^(٣).

الى جانب ذلك كان هناك تبادل المؤلفات والكتب بين المشارقة والمغاربة وعلماء غرناطة. فابن الخطيب في إحدى رسائله إلى صديقه ابن خلدون (في عام ١٣٦٨/٧٦٩) يحدثنا كيف أن صوفياً مشرقياً يدعى أبا العباس أحمد بن ابي حجلة التلمساني (ت ١٣٧٥/٧٧٦)^(٤)، اهدى السلطان محمداً الخامس كتابا عن الحب بعنوان "ديوان الصباح في مشاريع العشاق وأخبارهم وأشعارهم"^(٥).

كذلك فقد بعث ابن الخطيب بنسخة من كتابه الخاص بالحب الالهى "روضة التعريف بالحب الشريف"^(٦) لتوقف على حانقاه سعيد السعداء بالقاهرة. كما أرسل كذلك نسخة من كتابه "الاحاطة" في عام ١٣٦٥/٧٦٧ كى تحبس بنفس الحانقاه،

(١) انظر : Ahmad Mujtar Al Abbady : Op. Cit., p 178 .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٣١ .

(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب ص ٢٩١ - ٢٩٥ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 179 .

(٤) ابن حجر: الدرر السمر الاول ص ٣٢٩ .

(٥) نشر في مصر عام ١٣٠٢/١٨٨٤ انظر كذلك :

E. García Gómez: El Tawq de Ibn Hazrm y el Diwan al Sabāba (Al Andalus

Vol. VI (1941) Al Abbady: Op. Cit., p 179 .

(٦) نشره عبد القادر احمد عطا القاهرة ١٣٨٧/١٩٦٨. هذا وكان بعض الاصحاب قد اشار على ابن الخطيب بوضع كتاب يعارض فيه كتاب ابن ابي حجلة ، فعارضه وجعل موضوعه هو محبة الله واسمائه «روضة التعريف بالحب الشريف» «فجاء كتابا ادعى الاصحاب غرابته» وقد وجهه الى المشرق كما ذكرنا ليوقف على حانقاه سعيد السعداء في القاهرة، وأنشال الناس عليه ، وهو في لطافة الاغراض يتكلف اغراض المشارقة من ملحه « انظر (ابن خلدون: التعريف ص ١٢٠-١٢١) ومن الطريف ان ابي حجلة المذكور والذي عارض ابن الخطيب كتابه هو الذى كان يتولى نظارة حانقاه سعيد السعداء في ذلك الوقت: انظر : المقرئ: نفع الطيب جزء ص ٢٨٥).

حتى يتسنى للطلبة الاستفادة منها^(١) . وقد كان لابن الخطيب ممثل غرناطى فى مصر هو أبو عمر بن عبد الله^(٢) ، وان كنا لا نستطيع القول انه كان يمثل في اعماله الثقافية ام انه كان لابن الخطيب كذلك مصالح مالية فى مصر^(٣) .

كذلك أرسل الشاعر الغرناطى أبو عبد الله بن زمرك بقصائد من وضعه إلى مصر يمتدح فيها السلطان برقوق (٧٨٤-١٠١٠/٨٠١-١٣٨٢-١٣٩٨) ويذكر ابن خلدون الذى كان فى مصر وقت وصول هذه القصائد أنه كان لابد ان تنقل هذه الأشعار المكتوبة بالخط المغربى إلى خط مشرقى كى يتسنى قراءتها فى مصر^(٤) .

كذلك بعث ابن زمرك إلى صديقه ابن خلدون (فى عام ٧٨٩/١٣٨٧) اثناء تواجده فى مصر يطلب منه ارسال بعض المؤلفات المشرقية^(٥) .

العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس:

تفوقت غرناطة على فاس فى الميدان الثقافى تفوقا كبيرا ، وقد أدرك هذا ابن خلدون ، وارجعه إلى عدم اهتمام علماء فاس بتلقيين طلابهم النحو^(٦) . وأنه لم يكن لديهم عادة الرحلة إلى المشرق لتلقى العلم على يد أربابه هناك^(٧) . كما علله كذلك ببداوة المرينيين وبصفة خاصة فى بداية امرهم ولذا لم يكن لديهم ديوان للإتشاء الذى كان العلماء والأدباء يجدون فيه مجالا لا يراز مواهبهم^(٨) .

ثم مالبث سلاطين فاس ان بدأوا يهتمون بالجانب الثقافى فى بلادهم فى القرن

(١) ابن خلدون : التعريف ص ١٢١ ، المقربى : نفع الطيب ج٩ ص ٣١١ .

(٢) المقربى : نفع الطيب ج٩ ص ٣١١ .

(٣) انظر : Al Abbady : Op. Cit., p 180

(٤) ابن خلدون : المعبر ج٧ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ ، التعريف : ص ٢٧٠-٢٧١ .

(٥) انظر ابن خلدون : التعريف ص ٢٧٣-٢٧٤ حيث توجد أسماء هذه المؤلفات وكذلك :

Al Abbadi : Op. Cit., p 181 .

(٦) المقربى : ازهار الرياض ج٣ ص ٢٧ .

(٧) المقربى : المصدر السابق ج٣ ص ٢٦-٢٧ .

(٨) ابن خلدون : المعبر ج٧ ص ٢٤٨ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 183 .

الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) فقاموا بتأسيس المدارس والمارستانات وبعثوا برجالهم إلى مملكة غرناطة لیبحثوا لهم عن أساتذة لتلك المدارس وأطباء المارستاناتهم^(١). وكان اثر الغرناطيين كبيرا على الحياة الثقافية فى فاس ويكفى الدلالة على ذلك انتقال الخط الاندلسى إلى المغرب^(٢).

ومن الغرناطيين الذين عملوا فى فاس نذكر ابا المطرف احمد بن عميرة المخزومى (ولد فى Segura de la Sierra) (ت ٦٥٨/١٢٦٠) الذى ولى القضاء فى المغرب فى عدة اماكن منها مكناسة ومليانة^(٣). وأبا على بن رشيق الثعلبى (ت ٦٩٦هـ) الذى رحل إلى العدو وشغل منصب القضاء فى سبتة فى عهد ابي القاسم العزفى^(٤).

والشاعر ابا الحكم مالك بن المرحل (ت ٦٩٩ بفاس) الذى كتب للأمير أبى مالك بن السلطان يعقوب المنصور المرينى، وربما لوالده ايضا ثم للسلطان يوسف بن يعقوب^(٥). وابن الحاج النميرى (ولد بغرناطة عام ٧١٣هـ) الذى اجبر على الخدمة عند ابي عنان فارس ثم عاد إلى غرناطة وتولى القضاء بالقرب من العاصمة^(٦). وابراهيم بن يحيى..... ابن زكريا الاوسى المرسى نزيل غرناطة (ت ٧٥١هـ) الذى

(١) د. احمد مختار العبادى: العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس فى القرن الثامن الهجرى، الكتاب الذهبى لجامعة القرويين بمناسبة ذكرها المائى بعد الالف ص ١٩٨ (فاس ١٩٦٠). وكذلك :
Al Abbady : Op. Cit., p 183 .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢١ (بيروت).

(٣) الزركلى : الاعلام ج١ ص ١٥٢-١٥٣ .

(٤) ابن عبد الملك الانصارى السبتي : بلغة الامنية ومقصود اللبيب فيمن كان بسبتة فى الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب، مجلة تطوان العدد التاسع ١٩٦٤ تحقيق محمد بن تاويت ص ١٧٥.

(٥) ابن القاضى: جلوة الاقتباس ص ٢٢١-٢٢٧، عبد الله كنون: مالك بن المرحل. تطوان، سلسلة ذكريات مشاهير الرجال عدد ٨ ، ص ٦.

(٦) المقرئ: نلح الطيب ج١ ص ٣١٥-٣١٦، احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٤٤-٤٦ وكذلك :
E. Levi Provencal: Un Nouveau texte D'Histoire Merinide de Le Musnad
D'Ibn Marzuk. Hesperis t. V. annee I Trimestre p 29.

ولى القضاء فى بعض بلاد المغرب^(١) . وأبا الحسن بن على بن الصباغ العقيلي الذى عمل كاتباً فى بلاط فاس من عام ٧٥٣-٧٥٨/١٣٥٣-١٣٥٧^(٢) . وأبا عبد الله بن جزى (٧٢٢/١٣٢١-٧٥٧/١٣٥٦) الذى اشتغل بالكتابة للسلطان أبى عنان فارس، كما قام بتدوين رحلة ابن بطوطة فى ثلاثة شهور بناء على طلب السلطان مستعيناً بمذكرات الرحالة الكبير^(٣) . كما قام كذلك بوضع كتاب لم يتمه، فى تاريخ غرناطة، ذكر ابن الخطيب انه قرأ هذا الكتاب خلال سفارته إلى المغرب عام ٧٥٥/١٣٥٤ ، واتبع نفس نظامه فى كتابته لاحاطته^(٤) . ثم اكد ذلك السلطان يوسف الثالث حفيد محمد الخامس^(٥) .

نذكر كذلك أبا القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي الذى أصبح "صاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب" (فى عهد أبى الحسن وأولاده أبى عنان وأبى سالم) وكانت له مراسلات عديدة مع معاصره ابن الخطيب^(٦) . وأبا القاسم محمد بن يحيى البرجى (ت ٧٨٦/١٣٨٤) الذى شغل وظيفة قاضى العسكر فى فاس بالاضافة إلى قيامه بالسفارة لبنى مرين إلى مصر وقشتالة^(٧) . ومظفر بن محمد بن محمد بن ابراهيم العذرى من اهل المرية الذى رحل إلى المغرب فولاه الخليفة ابو يوسف بن عبد الحق قضاء الجماعة بالعاصمة فاس وجعل له النظر على صاحب الشرطة وصاحب الحسبة ، وعلى يديه بنيت المدرسة القديمة بقبلة جامع القرويين ،

(١) ابن حجر: الدرر السمر الاول ص ٧٧ ترجمة رقم ٢٠٤.

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لرحلات ٣١٤-٣١٥، المقرئ: نفع الطيب ج٨ ص ٣٦٤-٣٦٧.

(٣) ابن حجر: الدرر السمر الرابع ص ١٦٥-١٦٦ ترجمة رقم ٤٤٠، المقرئ: نفع الطيب ج١ ص ١٦٦ .

(٤) ابن الخطيب: الاحاطة (القاهرة) ج٢ ص ١٨٧ .

(٥) المقرئ: نفع الطيب ج٩ ص ٣١٤-٣١٥ وكذلك: Al Abbadi : Op. Cit., p 184

(٦) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لرحلات ٢٣٣-٢٣٧، ابن الاحمر: مستودع العلامة ص ٥١، المقرئ: نفع الطيب ج٨ ص ٢١٣-٢١٧ .

(٧) ابن خلدون: العبر ج٧ ص ٤٠٢، التصريف: ص ٦٤-٦٥، ابن الخطيب: الاحاطة ج٢ (القاهرة) ص ٢١٦، ابن الاحمر: مستودع العلامة ص ٥٦-٦٢، المقرئ: نفع الطيب: ج٨ ص ١٧٨، ١٨٣-١٨٤، ابن القاضي: جلوة الاقتباس ص ١٩٧-١٩٨، احمد بابا: نيل الابتهاج ص ٢٦٦-٢٦٧.

وهو أول من سن سنة انشاء المدارس بحضرة فاس^(١) .

الى جانب هؤلاء كان هناك فريق من الاساتذة الغرناطيين الذين عملوا فى المدارس المرينية ، وكان عليهم ان يتحملوا "هوج طلبية البربر وسوء طريقتهم فى المناظرة والبحث"^(٢) . نذكر منهم على بن ابراهيم الأنصارى الملقى ، الذى قام بتدريس اللغة العربية فى مدرسة سلا ، ثم عاد إلى مالقة حيث عين قاضيا وأستاذا فى غرناطة خلال فترة حكم محمد الخامس الثانية^(٣) .

كذلك كان هناك أساتذة من المتصوفة الغرناطيين الذين عملوا بالمغرب، نذكر منهم أبى العباس بن عاشر الاندلسى (ت ١٣٦٤/٧٦٥) الذى لقيه ابن الخطيب فى مقبرة سلا عام ١٣٦١/٧٦٣^(٤) . وابن عباد الرندى تلميذ ابن عاشر ، الذى عمل خطيبا لمسجد القرويين بفاس لمدة خمسة عشر عاما و "كان عند اهل فاس بمشابة الشافعى عند اهل مصر " وشرح تعاليم الشاذلية الصوفية فى شكل مبسط سهل الاسلوب كى يفهمها العامة، وقد توفى بفاس عام ٧٩٢/١٣٩٠ حيث اشترك السلطان ابو سالم المرينى وكبار رجال دولته فى جنازته^(٥) .

وفى ميدان العلوم شارك الغرناطيون أيضا فى الحياة العلمية بفاس، حيث عمل الكثير من الأطباء الغرناطيين فى مارستاناتها منهم محمد بن القاسم القرشى الملقى الذى تولى النظر على مارستان فاس فى عام ٧٥٤/١٣٥٣^(٦) وكذلك عالم النبات والجراح الغرناطى الشهير ابو عبد الله الشفرة^(٧) الذى رحل إلى المغرب حيث

(١) ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٣٥ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 185 .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣١٢ .

(٤) المقرئ: نفع الطيب ج٩ ص ١٩٥-١٩٨ ، ابن القاضى: درة البحال ج١ ص ٧٩ ، وجذوة الاقتباس ص ٧٨ .

(٥) المقرئ : نفع الطيب ج٧ ص ٢٦١-٢٧١ وكذلك : A. Mujtar Al Abbadi : Op. Cit., p 185 .

(٦) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٦٣ ، ابن حجر: الدرر السفر الرابع ص ١٤٣ ، ترجمة رقم ٣٧٩ ، ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ١٩١ .

(٧) انظر الفصل الخاص بالعلوم فى مملكة غرناطة .

كتب كتابا بعنوان " الإستقصا والإبرام فى علاج الجراحات والأورام" (١). ثم عاد إلى غرناطة وتوفى عام ٧٦١/١٣٦٠ (٢)، والطبيب غالب بن محمد اللخمي الشقورى الذى ولى الحسبة بمدينة فاس ومارس الطب فى بلاد المغرب وتوفى (عام ٧٤١هـ (٣).

كما قام السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق ببناء دار الصناعة بسلا على يد ابن الحاج المهندس الاندلسى (ت بفاس ٧١٤هـ/١٣١٤م) (٤).

كذلك لعب السفراء والرسل الذين كان يبعث بهم سلاطين غرناطة إلى المغرب دورا مهما فى نشر الثقافة الغرناطية هناك ، فبحسب عادة العصر كان هؤلاء السفراء من العلماء واصحاب الثقافة الرفيعة ، وكان شائعا اشتراكهم فى حلقات السمر مع الأدباء والطلبة المغاربة . (٥)

من هؤلاء السفراء نذكر ابن الخطيب (٦)، وابن زمرك (٧)، وابا الحسن النباهى (٨)، وابا البركات بن الحاج البلفيقي (٩).

كذلك كان كثير من المغاربة يتجهون إلى غرناطة للدراسة او التدريس او البحث عن عمل ، نذكر منهم: ابن عابد الفارسى الذى كان كاتباً لمحمد الاول بن الأحمر (١٠) وابا السراج المغيلى الفاسى الذى تصدر للقراء والاسماع بغرناطة

(١) لازال مخطوطا فى مسجد القرويين بفاس ، انظر : Al Abbady : Op. Cit., p 186, n. 4.

(٢) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٤٧ وكذلك :

H.P.J. Renaud: Un Chirurgien musulman du Royaume de Grenade. Muhammad As Safra. Hesperis XX (1935) fasc 1-2 pp 1-20y 1940 pp 97-98.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٤ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ص ٣١٣.

(٤) محمد المنونى : نظم الدولة المرينية ، مجلة البحث العلمى العدد الثانى ، السنة الاولى ربيع الاول - ذى الحجة ١٣٨٤ / مايو - اغسطس ١٩٦٤ ص ٢٢٢.

(٥) انظر : Al Abbady : Op. Cit., p 186 .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ٦ .

(٧) المقرئ : نفع الطبيب ج ١٠ ص ١٤٠ .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٣٦ ، المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ٢١١ ، ج ٢ ص ٦ ، ٧ (حاشية ١)

(٩) ابن خلدون: التعريف ص ٦١ ، النباهى: المرقبة العليا ص ١٦٥ .

(١٠) احمد بابا: نيل الابتهاج ص ٢٥٤ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ص ١٤٤ ، محمد بن شريفة المرجع السابق ص

(ت ٦٨٩ هـ بغرناطة) ^(١) ، وعلى بن يحيى الغافقى من أهل سبتة (توفى
بمالقة عام ٦٤٨ هـ) الذى رحل إلى المرية " اخذ عنه بها عالم كثير ثم توجه إلى
مالقة فقصده "فيها جميع طلبتها إلا النادر فسمعوا عليه وقرأوا ما اقتضاه
الوقت" ^(٢) . وابن رشيد الفهرى (من أهل سبتة توفى عام ٧٢١ هـ بفاس) الذى وفد
على غرناطة أثناء وزارة ابن الحكيم اللخمي " فعقد مجالس للخاص والعام يقرىء
بها فنونا من العلم " كما ولى الخطابة فى مسجد غرناطة الأعظم ، وقد وضع كتابا
ضمنه أخبار رحلته أسماه " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين
الكريميتين إلى مكة وطيبة " ^(٣) . وعبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك المراكشى،
الذى رحل إلى غرناطة وتوفى عام ٧٢٣ هـ قاضياً ببعض نواحيها ^(٤) . وإبا بكر بن
شبرين الذى عين كاتباً للدولة فى غرناطة فى عهد الوزير ابن الحكيم الرندى ثم تولى
القضاء فى جهات متفرقة من المملكة وتوفى (عام ٧٤٧ هـ) ^(٥) . والشريف الحسنى
(ت ٧٦٠ هـ) من أهل سبتة الذى تولى القضاء بمالقة ووضع كتاب " رفع الحجب
المستورة عن محاسن المقصورة" ^(٦) . وعبد الله بن مرزوق (ت ١٣٧٩/٧٨١) الذى
قام محمد الخامس بتعيينه خطيباً لمسجد الحمراء واستأذا بالمدرسة النصرية ^(٧) .
والفقيه أبا عبد الله المقرئ (ت ١٣٥٨/٧٥٩) الذى بعد أن قام بسفارة إلى غرناطة،
وقام بالقاء بعض الدروس فى المسجد الجامع بغرناطة ^(٨) ، رفض العودة إلى المغرب،

(١) ابن القاضى: جلوة الاقتباس ص ٢٥٤ .

(٢) ابن الزبير : صلة الصلة ص ١٥١ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٣٢-١٣٥ ، ابن حجر: الدرر السفر الرابع ص ١١١ ، ١١٣ ترجمة رقم

٣٠٨ ، ابن لرحون: الديباج المذهب ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٥) عبد الله كنون : أبر بكر بن شبرين ، سلسلة ذكريات مشاهير الرجال ، تطوان العدد ١٧ ص ٧ .

(٦) النهاى : المرقبة العليا ص ١٧١ ، ابن لرحون: الديباج ص ٢٩٠-٢٩١ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ص ١٩٣ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٢٠ - ١٣٠ ، ابن خلدون: التعريف : ص ٥١ ، المقرئ: نفع الطيب

ج ٧ ص ٣٠٩-٣١٤ ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٦٧-٢٧٠ .

(٨) المقرئ : نفع الطيب : ج ٧ ص ١٨٧ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 187 .

بعد ان أحستك بالمناخ الادبي هناك^(١) . وأبا الحسن التنصاري السبتي (ت ٧٦٤-١٣٦٣) الذي شغل منصب المحتسب في العاصمة النصرية، وقام بتلاوة القرآن في مسجد الحمراء وحل محل ابن الخطيب في بعض المهام^(٢) . وعبد القادر بن سوار المحاربي الذي ألقى في غرناطة عام ١٣٥٦/٧٥٧ بعض الدروس الأدبية، لقيت نجاحاً هائلاً لدى طلبتها^(٣) . وأبا عبد الله محمد الكرسوطي الذي كان "بفيض من حديث إلى فقهه ومن أدب إلى حكاية ، ويتعدى ذلك إلى غرائب المنظومات مما يختص بنظمه أولو الشطارة من المغاربة، ويستظهر مطولات القصاص وطوامير الوعاظ ومساثير أهل الكدية في أسوب وقاح يفصحه إعراب"^(٤)

كذلك يذكر الرحالة ابن بطوطة انه عند زيارته لمدينة رندة ، كان قاضيها هو ابن عمه الفقيه ابا القاسم محمد بن يحيى بن بطوطة^(٥) .

العلاقات الثقافية بين غرناطة والدولة الحفصية :

كان لغرناطة، كما رأينا ، اثر كبير على الحياة الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي في تلك الفترة التي ندرسها . وقد تحولت تونس تحت حكم الاسرة الحفصية إلى مركز ثقافي مهم وذلك بفضل العدد الهائل من الأندلسيين الذين استقروا هناك - بعد ان فقدوا أرضهم في الأندلس على يد الاسبان - ولعبوا دورا مهماً في الثقافة والمجتمع والفن التونسي^(٦) .

(١) ابن الخطيب : ربحانة الكتاب (مخطوط الاسكوريال) لوحات ٩٠-٩١ ، ابن خلدون : التعريف ص ٦٠-٦١ ، احمد بابا : نيل الانتهاج ص ٢٤٩-٢٥٤ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٥٤-١٥٥ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ١٣٠-١٣٢ وكذلك : Al Abbadi : Op. Cit., p 187 .

(٥) ابن بطوطة : الرحلة ج٢ ص ٣٦٣ .

(٦) العمري : مسالك الأبصار ص ٢٧ ، المقرئ : نفع الطيب ج٢ ص ١٤٩ وكذلك :

Al Abbady : Op. Cit., p 182 .

بالإضافة إلى ذلك كانت تونس تقع فى طريق الرحلة بين الاندلس والمشرق ، وكان الكثير من الطلبة والحجاج يبقون عند مرورهم بها بعض الوقت لتحصيل العلم على يد اساتذتها اوللاشتراك فى الندوات العلمية ^(١) .

كما ان التونسيين ، وخاصة من كان يرجع منهم إلى أصل اندلسى ، كانوا يحرصون كلما سنحت لهم الفرصة على العبور إلى الاندلس ، كى يكونوا على صلة بالعلماء والأساتذة فى غرناطة، نذكر منهم المؤرخ ابن العشاب ^(٢) ، ومحمداً العبدري ^(٣) ، والشريف محمد بن على بن الحسن بن راجح الحسنى ^(٤) ، وابن خلدون ^(٥) .

وكانت بجاية على عهد الحفصيين العاصمة الثانية بعد تونس ^(٦) ، وقد اشتهرت بحصانيتها ومنعتها ، وكان ميناؤها من أنشط موانئ البحر المتوسط حيث كانت تقصده السفن التجارية من مختلف الجهات . وقد أصبحت هذه المدينة ، بعد سقوط أكثر القواعد الأندلسية فى يد الأسبان ، توج بالمهاجرين الأندلسيين الذين توافدوا عليها ، وأصبحوا يكونون فيها العنصر الثانى للسكان بعد الإفريقيين ^(٧) . وقد كان لهؤلاء المهاجرين أكبر الأثر على الحياة فيها .

ولقد أحسن الحفصيون استقبال هؤلاء المهاجرين الأندلسيين ، واستعانوا بهم فى ادارة دولتهم التى كانت لاتزال فى دور التكوين وفى أشد الحاجة إلى رجال من ذوى الخبرة فى مختلف الميادين. ويعلل ابن خلدون هجرة الأندلسيين إلى الدولة

(١) المقرئ: أزهار الرياض ج٣ ص ٣٢ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٦٦-٦٧ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٨٣-٨٤ .

(٤) ابن الخطيب : نفس المصدر لوحة ٨٢ ، المقرئ : نفع الطيب ج٨ ص ١٧٤-١٧٧ .

(٥) ابن الخطيب: نفس المصدر لوحة ٢٤٩ ، المقرئ : نفس المصدر ج٨ ص ٢٧٩-٢٨٦ .

(٦) المقرئ : مسالك الابصار (نشر حسن حسنى عبد الوهاب) ص ٩ .

(٧) محمد بن شريفة : ابن المطرف احمد بن عميرة المخزومي ص ١٤٧ وكذلك :

R. Brunschvig: La Berberie Oriental sous Les Hafsides. t. 1, p. 383.

الحفصية أكثر من غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى باستفحال تلك الدولة . أما الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب . فيعلل ذلك أيضا بالعلاقة التي كانت موجودة من قبل بين الأندلسيين وبين أمراء الدولة الحفصية الذين سبق لبعضهم ان يشار الحكم فى الاندلس (١) .

واسهم هؤلاء المهاجرون فى الحياة فى تونس ، وكان لهم أثر كبير فى ازدهارها ، إذ أنهم أدخلوا فيها أساليب جديدة فى الزراعة ، وضربوا بقسط وافر فى تدعيم الحياة الادارية، فشاركوا فى مناصب القضاء والوزارة والحجابه والحركة العلمية (٢)

نذكر منهم إبا عبد الله محمد بن الحسين بن سعيد (من اقرباء ابن سعيد المغربى ومعاصر له) الذى رحل إلى تونس حيث " اشتمل عليه ملك افريقية اشتمال القلة على انسانها ، وقدمه فى مهماته تقديم الصعدة لسنانها (٣) ، وأقام لنفسه مدينة حذاء حضرة تونس " (٤) . وأبا عثمان سعيد بن ابى الحسين (ينتمى إلى أسرة بنى سعيد اصحاب قلعة يحصب) الذى تولى وزارة المالية فى عهد المستنصر ، وأوائل عهد الواثق بالله (٥) . وأبا العباس احمد بن خالد من أهل مالقة (ت فى عشر الستين وستمائه) الذى جلس للإقراء ببجاية (٦) . وإبراهيم بن الحاج النميرى (ولد عام ٧١٣هـ) الذى اشتغل بالكتابة فى تلك المدينة (٧) . كما رحل ابو زكريا يحيى

(١) د. احمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) محمد بن شريف : ابو المطرف بن حميرة المخزومي : ص ١٤١-١٥٤ وما بها من مصادر .

(٣) الصعدة - بالفتح - القناة المستوية التى لا تحتاج الى تثقيب.

(٤) المقرئ: نفح الطيب ج٢ ص ٨٥ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٥ .

(٦) الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ص ٤٣-٤٤ تحقيق محمد بن ابى شنب (الجزائر ١٣٢٨هـ).

(٧) ابن الخطيب: الاحاطة (ج١ عنان) ص ٣٥ ، ٣٧٢ ، الكتبية الكامنة ص ٢٦٠ ، ابن حجر: الدرر السفر الاول ص ٢٨-٢٩ ترجمة رقم ٦٩ ، احمد بابا: نيل الابتهاج ص ٤٤-٤٦ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ص ٨٧-٩٢ ، المقرئ: نفح الطيب ج٢ ص ٣١٥-٣١٦.

اللقنتى إلى بجاية واستوطنها وقرأ بها وأسمع (فى عشر الثلاثين وسبعمائة)^(١) .
كذلك تولى محمد بن يحيى الغسانى البرجى (ت بعد ٧٨٦ هـ) كتابة الانشاء
ببجاية^(٢) . كما عمل خالد بن عيسى بالكتابة فى تونس برهة من الزمن^(٣)

وفى ميدان الطب نذكر احمد بن على بن محمد بن عبد البر الغرناطى (ت
٧٥٠ هـ) الذى "سكن تونس يداوى الناس بالطب"^(٤) . وأبا تمام غالب الشقرورى
الذى انتصب للعلاج ببجاية^(٥) .

نذكر ايضا محمد بن محمد العراقى الوادى اشى الذى ترك وطنه عام ٧٥٦
ورحل إلى افريقية حيث تولى بعض اعمالها^(٦) .

ومن ناحية أخرى نجد أن بعض التونسيين كانوا يرحلون إلى غرناطة للدراسة
أو التدريس أو البحث عن عمل من هؤلاء نذكر أبا الحكم مروان بن عمار بن يحيى
من أهل ببجاية الذى تولى القضاء فى المرية^(٧) . والصوفى أبا عبد الله التميمى
(ت ٧١٥ هـ) من أهل تونس الذى ورد إلى غرناطة " فى جملة من تجار بلده وبيده
مال كثير فصرفه كله فى أعمال الخير وبنى مسجدا بغرناطة"^(٨) . كما استقدم
الفقيه ثانى سلاطين بنى الأحمر محمد بن ابراهيم بن محمد الأوسى (ت ٧١٥ هـ)
من بجاية ، " وكان عالما فى الحساب والهندسة والطب فانتفع الناس به "^(٩)

(١) القبرنى : المصدر السابق ص ١٥٤-١٥٥ .

(٢) ابن خلدون: العبر ج٧ ص ٤٠٢ ، ابن الأحمر: مستودع العلامة ص ٥٦ ، ٦٢ ، احمد بابا: نيل الابتهاج ص
٢٦٦-٢٦٧ .

(٣) احمد بابا: نيل الابتهاج ص ١١٥ ، ابن القاضى: جلوة الاقتباس ص ١١٦-١٢١ ، الزركلى: الاعلام ج٢ ص ٣٣٩ ،
الحسن السائح: ابر البقاء البلوى ص ١٩١ .

(٤) ابن حجر: الدرر السفر الاول ص ٢١٩ ترجمة رقم ٥٦٢ .

(٥) ابن الخطيب: الاطاحة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٤ .

(٦) ابن حجر: الدرر السفر الرابع ص ٢٤٨ ترجمة رقم ٦٧٤ .

(٧) الغبرنى : عنوان الدراية ص ١٩١ .

(٨) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٧٩ .

(٩) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٠٧ .

العلاقة الثقافية بين غرناطة فى عهد بنى الأحمر والدولة الزبانية:

(بنى عبد الواد أو بنى يغمراسن فى تلمسان)

عمل بنو الأحمر على تأييد بنى زيان بشتى الوسائل كى يظلوا شوكة فى جنب الدولة المرينية فيشغلونهم عنهم نظرا لتخوفهم منهم ، وكان من نتائج هذه السياسة تأثر تلمسان إلى حد كبير بالحضارة الأندلسية فى مختلف الميادين السياسية والحضارية والثقافية حتى صار لها طابع أندلسى نلمسه بوضوح فى مساجدها ومدارسها ومبانيها ، وساعد على تدعيم هذه الروابط أن معظم ثغور هذه الدولة الزبانية كانت عامرة بالجاليات الأندلسية من قديم ، بل إن بعضها كان من بنائهم ومن أهم تلك الثغور نذكر : هنين^(١) التى تقابل المرية فى شرق الأندلس ، ووهران التى بناها الأندلسيون وتقع شرقى تلمسان بقليل ، ومستغانم التى تقابل دائية فى شرق الأندلس^(٢) . بل كان هناك درب بتلمسان يقال له درب الأندلسيين^(٣) . ولهذا كانت العلاقة بين البلدين محكمة وطيدة تبودلت فيها السفارات والهدايا والمراسلات بينهما^(٤).

ومن الأندلسيين الذين رحلوا إلى تلمسان نذكر أبا بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الذى ورد تلمسان "فاحسن نزله ومأواه وأصبح صاحب القلم الأعلى"^(٥). كذلك فانه عندما اختط السلطان ابو حمو الأول وابنه أبو تاشفين قصور الملك تلمسان ، قاما باستدعاء الصناع والفعلة من الأندلس ، فبعث اليهما

(١) هنين : بضم الهاء وفتح النون، كان موقعها الى شمال غرب تلمسان وفى مكانها الان مدينة بنى ساف Beni saf انظر : ابن خلدون: التعريف ص ٣٨.

(٢) القلقشندي: صبح الاعشى ج٥ ص ١٥٠ ، د. احمد مختار العبادي: دراسات ص ١٩٩.

(٣) ابن مريم: البستان فى ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان ص ١٣٥.

(٤) يحيى بن خلدون: بغية الروادج ص ١٧٠-١٨١ ، ٢٨٠-٣٠٧ (الجزائر ١٩٠٣) ، المقرئ: ازهار الرياض ج١ ص ٢٤٩-٢٦١ ، د. احمد مختار العبادي: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١٩٨ .

(٥) التنسي: نظم الدر والعقيان فى شرق بنى زيان فى :

Geschichte und Geschichtschreiber der Abd Al Wadiden (Algerien im 13-15. Jahrhundert) Mit einer Teiledition des Nazmad - Durr des Muhammad b. Abd al Galil at - Tanasi. Von Hars Kurio. Freiburg im Breisgau 1973, p. 16.

السلطان أبو الوليد اسماعيل " بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء فى الأندلس فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعبى على الناس بعدهم ان يأتوا بمثله" (١) .

وفى الأيام الأخيرة من حياة غرناطة الإسلامية هاجر كثير من أهلها إلى تلمسان نذكر منهم القاضى أبا عبد الله بن الأزرق الذى وضع عددا من المؤلفات من بينهما " كتاب روضة الأعلام، بمنزلة العربية من علوم الإسلام" (٢) والشاعر الفقيه ابا عبد الله بن محمد بن الحداد الوادى أشى ثم الغرناطى (٣) .

كذلك رحل بعض أهل تلمسان إلى غرناطة لتلقى العلم أو القائه أو البحث عن عمل فى مملكة بنى نصر، نذكر منهم : محمد بن عبيد الله بن داود بن خطاب (ت ٦٨٠ هـ) الذى رحل إلى غرناطة واستعمل فى الكتابة السلطانية (٤) . ومحمد ابن أحمد بن محمد التلمسانى (ت ٧٦٤ هـ) الذى ولى الحسبة فى غرناطة ، وناب عن ابن الخطيب فى بعض المهام (٥) . وابن خميس التلمسانى (قدم غرناطة عام ٧٠٥ هـ) وقام باقراء العربية بها، وقد جمع أبو عبد الله بن محمد بن ابراهيم الحضرمى، شعره فى جزء أسماه " الدر النفيس فى شعر ابن خميس" (٦) . والشريف الحسنى التلمسانى ، الذى كان من اكبر علماء تلمسان (ت ٧٧١ هـ) ورحل إلى غرناطة حيث اخذ عنه هناك جماعة مثل القاضى ابو بكر بن عاصم (٧) . وبلغ من أهمية هذا الشريف العلمية ان ابن الخطيب كان " كلما ألف تأليفا بعث اليه وعرضه عليه وطلب منه ان يكتب عليه بخطه، وكان الشيخ الإمام المفتى ابو سعيد بن لب

(١) ابن خلدون : العبر ج٢ ص ١٤٣ .

(٢) المقرئ : ازهار الرياض ج١ ص ٧١، ج٢ ص ٣١٨ .

(٣) المقرئ : المصدر السابق ج٢ ص ٣٠٢ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج٢ ص ٢٧٥ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٥٤-١٥٥، ابن حجر : الدرر ج٢ ص ٣٦٦-٣٦٧ ترجمة ٩٦٧ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٦٧-٧٨، المقرئ : نفح الطيب : ج٧ ص ٢٨٠ وما بعدها .

(٧) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٥٠-١٥٤ ، ابن مريم : البستان ص ١١٧-١٢٠ .

شيخ علماء الأندلس وآخرهم كلما اشكلت عليه مسألة كتب اليه وطلب بيان ما اشكل مقرا له بالفضل^(١) . ومنصور بن على الزواوى الذى قدم الأندلس عام ٧٥٣هـ فتقدم مقرنا بالمدرسة تحت جراية نبيهة، وحلق للناس وتصدر للافتاء^(٢) .

العلاقات الثقافية بين غرناطة واسبانيا المسيحية :

كان من الطبيعى ازاء الصلات والعلاقات بين غرناطة وجيرانها من الممالك المسيحية ان يتقن عدد من الاسبان المسيحيين اللغة العربية ، وهؤلاء يطلق عليهم اسم " المستعربين" ومن الجانب الآخر نجد ان بعض المسلمين الأندلسيين قد أتقنوا لغة جيرانهم مثل اللغة القشتالية والأراجونية ، ونتج عن ذلك ان حدثت مجادلات ومناقشات فى موضوعات مختلفة مثل الدين والعلم بين علماء الاسلام والمسيحية ، فيروى ابن الخطيب ان العالم الغرناطى محمد الرقوطى (ت ٧٤٤/١٣٤٤) كان يعلم المسيحيين واليهود فى مدرسة مرسية فى عهد الملك الفونسو العاشر الملقب بالعالم أوالحكيم^(٣) . كذلك يروى ان محمد بن محمد بن لب الكنانى كان يطوف بارض النصرارى يتكلم مع الاساقفة فيظهر عليهم^(٤) . وان العالم الغرناطى عبد الله بن سهل (ق ١٣م) كانت له شهرة كبيرة فى العلوم الرياضية لدرجة ان المسيحيين من كل انحاء اسبانيا كانوا يقصدون منزله فى بياسة لمجادلته والاستفادة من علمه^(٥) .

هذا ومن المعروف ان قصر الحمراء كان يحتوى على ادارة خاصة لترجمة الرسائل الرسمية إلى ملوك الدول الاسبانية المجاورة^(٦) .

(١) المقرئ: نفح الطيب ج ٨ ص ١٣٦، ابن مريم : البستان ص ١٦٤-١٨٤ .

(٢) احمد بابا، نيل الانتهاج ص ٣٤٥-٣٤٧، ابن مريم: البستان ص ٢٩٢-٢٩٤ .

(٣) ابن الخطيب: الاطاحة الاسكوريال، لوحة ١٠٧، ابن حجر: الدرر السفر الثالث ص ٣٧٤-٣٧٥ ترجمة رقم ٩٩٢، المقرئ: نفح الطيب ج ٥ ص ٢٦٦ .

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق: لوحة ١٦١ .

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق ل ٢٢٢ .

(٦) انظر ك د . احمد مختار العبادى مشاهدات ص ٩٩ ، ح ٢ وكذلك :

Alarcon y Linares: Les Documentos Arabes diplomaticos p 411-415 .

علوم الدين فى مملكة غرناطة

كان المذهب السائد فى مملكة غرناطة هو مذهب الامام مالك وهو المذهب الذى غلب فى الأندلس منذ عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل فى أواخر القرن الثانى الهجرى^(١). وان كان هذا لا يعنى الاقتصار على هذا المذهب فيفهم من النصوص انه كانت هناك جماعة من الناس على المذهب الظاهرى المنسوب إلى أبى محمد على بن حزم الفقيه^(٢). مثل أبى حيان الغرناطى^(٣)، واحمد بن محمد بن صابر القيسى^(٤) ومحمد بن على البياسى^(٥)، وعبد المهيم بن محمد الاشجعى^(٦) (ت ٦٩٧هـ) كما كان أبوجعفر بن بصله (ت ٧٣٤هـ) على المذهب الحنبلى^(٧). وكان أبو الحسن فضل (ت ٦٩٩هـ) «غير منافر لمذهب الأشعرية»^(٨) بينما نرى أن فتح بن موسى بن حماد (من الجزيرة الخضراء) شافعى المذهب^(٩).

وكان للفقهاء منزلة عظيمة لدى أهل غرناطة ، «وللفقه رونق ووجاهة ، وكانت سمة الفقيه عندهم جليلة»^(١٠) حتى لقد تسمى بعض السلاطين وكبار رجال الدولة باسم الفقيه ومثال ذلك - كما رأينا - محمد الفقيه ثانى سلاطين بنى نصر . ووضعت المؤلفات فى الفقه نذكر منها كتاب ابن الخطيب «الحلل المرقومة فى اللمع

(١) ابن الخطيب : اللسعة ص ٢٧ ، الاحاطة (هتان) ج ١ ص ١٤٠ ، ابن خلدون : المقدمة (بيروت) ص ٤٢٩ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٦ ، د. احمد امين : ظهر الاسلام ج ٣ ص ٢٩ ، د. احمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى ص ٣٢٤-٣٢٨ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٧٧ ويقول اصحابه بتأويل ظاهر القرآن والحديث .
(٣) سعيد اعراب : ابو حيان الغرناطى ، مجلة البحث العلمى ، السنة الاولى ، العدد الثالث جمادى الثانية - رمضان ١٣٨٤ / سبتمبر - يناير ١٩٦٤ ص ٢٤٥ .

(٤) ابن عبد الملك : الذى والتكلمة ، السفر الاول ، القسم الاثنى ص ٤٣٧ - ٤٣٩ ترجمة رقم ٦٥٢ .
(٥) المقرئ : نفع الطيب ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٧٧ .

(٧) ابن حجر : الدرر السفر الاول ص ٩٠ ترجمة رقم ٢٣٦ .

(٨) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٣٥٩ .

(٩) ابن عبد الملك : الذهب والتكلمة ، السفر الخامس ، القسم الثانى ص ٥٣٣ ترجمة رقم ١٠٢٥ .

(١٠) المقرئ : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٦ .

المنظومة» وهو عبارة عن ألف بيت فى الفقه^(١)، وقد وضع ابو سعيد فرج التغلبى
القرناطى (ت ١٣٨١/٧٨٢) شرحا لهذه الألفية أسماه « الطرز المرسومة على الحلل
المرقومة»^(٢) وكتاب « أشرف المسالك إلى مذهب مالك» لعلى بن محمد بن على
القرشى القلصادى (ت ٧٩١هـ).^(٣) «والقوانين الفقهية» فى تلخيص مذهب
المالكية» لآبى القاسم بن جزى الكلبي^(٤). وارجوزة ابى بكر بن عاصم المسماة
«مهيع الوصول فى علم الأصول» أصول الفقه^(٥).

وازدهر التصوف فى غرناطة فى هذا العصر نظرا لما كان ينتاب المجتمع
الإسلامى فى الأندلس من قلق على المستقبل وحسرة مريرة على ما كان يسقط من
أراضى المسلمين فى أيدى الإسبان ، فوجد الناس فى التصوف تعزية وسلوة عن
الحياة المحيطة بهم .

وآمن الناس بأهل التصوف إلى حد كبير حتى أن السلطان محمداً الأول بن
الأحمر كان يتوجه إلى المتصوف أبى مروان اليحانسى فى وادى آش حتى يطلب منه
أن يعينه بدعواته المجابة خلال نزاعه وصراعه مع الأسبان^(٦). وفى الريف كان إذا
وقع الوباء فى مواشى السكان عمدوا إلى قبر أحد الأولياء فأخذوا ترابه وسقوا فى
الماء منه مواشيهم اعتقادا منهم فى أنها ترفع عنها الوباء^(٧).

ومن المتصوفين الذين ظهروا فى تلك الفترة نذكر محمد بن ابراهيم بن محمد
الأنصارى (ت ٧٤٩هـ) الذى كان كثير الأتباع وكانت له طريقة محببة إلى أهل
الشغور ، يقوم بالرحلة إلى حصونهم «فيتألفون عليه تألف النحل على أمرائها

(١) المقرئ : المصدر السابق ج٤ ص ٣٠٤ .

(٢) توجد منه نسخة محفوظة بمكتبة الزاوية الحمراء بتطوان. انظر : محمد المنونى: مكتبة الزاوية الحمراء، ص ١٣٠ .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٠٩-٢١٠، المقرئ : نفع الطيب ج٣ ص ٤٤٦، ابن مريم: البستان ص ١٤٣-١٤١ .

(٤) ابن حجر: الدرر السفر الثالث ص ٣٥٦ ترجمة رقم ٩٤٢، ابن قزوين: الذهباج ص ٢٩٥-٢٩٦، المقرئ: نفع الطيب
ج٤ ص ٢٨-٢٩ .

(٥) المقرئ: نفع الطيب ج٤ ص ٣٢٤، والمهيع هو الطريق الواضح .

(٦) الأزدي : تحفة المفترى ص ٦٨-٦٩ .

(٧) الأزدي : نفس المصدر ص ١٠٣ .

ويعاسيها معلنين بالذكر مهرولين يغشون مثنوا بأقواتهم على حالها ويتنازعون في التماس القرب منه ويباشرون العمل في فلاحه كانت له^١. ومحمد بن محمد البكرى المعروف بابن الحاج ، وكان متصوفا يلبس خرقة التصوف^(١).

ومن أئمة المتصوفين نذكر أيضا أبا الحسن على بن عبد الله النميرى الششتري ، أصله من ششتر إحدى قرى وادى آش ، دخل غرناطة ونزل بهراطة العقاب ، ودرس علوم المسلمين المعروفة من فقه وسنة ولغة ، كما درس المذهب المالكي والشافعي والأدب العربي والأندلسي والفلسفة ومذاهبها والتصوف ورجاله ومذاهبه وتعلم على يد المتصوف محيي الدين بن سراق الشاطبي (ت ٦٦٢هـ / ١٣٦٤م) وابن سبعين ، وقد عرفه أقطاب الشاذلية مثل أبي الحسن الشاذلي (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) وأبي العباس المرسى (٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) وابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) ووضع الششتري كتباً كثيرة منها « العروة الوثقى في بيان السان واحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمل ويعتقده إلى وفاته » و « المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية »^(٢).

كما كتب في التصوف زجلاً بسيطاً بلغة عامية وفي بساطة نادرة، وانتقل الششتري إلى دمياط، وكانت الحروب الصليبية على أشدها، فاتخذ له رباطاً بها واشترك في القتال مع رجاله ضد حملة لويس التاسع عام ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م، وتوفي بدمياط في ١٧ صفر عام ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م^(٣). معاصراً بذلك بعض أئمة المتصوفة المصريين الذين شاركوا في هذا الجهاد أمثال الشيخ إبراهيم الدسوقي.

ومن المتصوفين كذلك غالب بن حسن بن غالب بن سيد بونة الخزاعي (٦٥٣

(١) ابن الخطيب : الإحاطة (مخطوط الاسكوريال) لوحات ١٦٤-١٦٥ .

(٢) ، (٣) ابن الخطيب : الإحاطة (الإسكوريال) لوحات ٣٤٢ - ٣٤٦ ، القرى: نفع الطيب ج ٢ ص ٣٨٤ وما بعدها ، د. سامي النشار: أبو الحسن الششتري، الصوفى الأندلسى الزجال وأثره فى العالم الأندلسى، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بميد، العدد الأول السنة الأولى ١٩٥٣ ص ١٢٩ وما بعدها.

(٧٣٣هـ) الذى وضع مؤلفاً فى تحرير سماع اليواعة Gaita المستخدمة فى الذكر^(١). وأبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين العكلى المرسى الاندلسى (٦١٤هـ / ١٢١٨م - ٦٦٩ / ١٢٧٠م): من بيت كريم نابه الذكر، درس العربية بالاندلس ثم رحل إلى سبتة، وسكن بجاية، وانتحل التصوف حيث رأس جماعة تألف معظمها من الفقراء والسفارة وأصحاب العبادات، ومضوا يسرعون فى البلاد مشتملين بكساء من الصوف، حاملين متاعاً غليظاً ينامون عليه فى الطريق وكانوا يسمون «السبعينية». وقد ثارت حفيظة الفقهاء عليه وعلى مريديه بسبب الملابس التى كانوا يلبسونها والطريقة التى كانوا يعيشون عليها مجافين مألوف العرف وانكروا عليهم مذهبهم الذى كانوا عليه وطريقتهم فى الحياة وعقيدتهم^(٢)، ولذا فقد اختلف الناس حول شخصيته فمنهم من يوقره ومنهم من يكفره، رحل ابن سبعين إلى المشرق حيث حج عدة مرات وشاع ذكره وعظم أتباعه وأشياعه وعم صيته^(٣)، وقد وضع ابن سبعين كتباً عدة استخدم فيها الألغاز والرمز بالحروف وله اصطلاحات ذات معان رمزية بعيدة عن المألوف. وقد وصلت أخبار علمه الواسع إلى مسامع كونت روما والبابا. وعندما عرضت للامبراطور فردريك الثانى النورمانى ملك صقلية بضع مسائل فلسفية، بعث يستفتى فيها علماء مصر والشام والعراق وآسيا الصغرى واليمن فلم يجد جواباً شافياً، فأرسل إلى ابن سبعين وعهد اليه بالإجابة عليها^(٤).

ومحمد بن احمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن خفاجة السلمى (٦٦٨هـ - ٧٥٠هـ) الذى كانت له مكانة رفيعة، التقى بالمشرق بالشيخ الإمام تاج الدين بن عطاء الله السكندرى ولازمه ودرس عليه كما لازم تاج الدين أبا الحسن الشاذلى

(١) ابن الخطيب : الإحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٤.

(٢) أنخل جونزالث بالثيا : تاريخ الفكر الاندلسى ص ٣٨٦ - ٣٨٧ ترجمة د. حسين مؤنس (القاهرة ١٩٥٥).

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٨١ - ٢٨٣، المرقى : نفح الطيب ج ٢ ص ٣٩٥ وما بعدها.

(٤) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٨٤، القبرنى : عنوان الدراية ص ١٣٩، بالثيا : المربع السابق ص ٣٨٧.

المرسى، وكانت له طريقة فى التصوف انتشرت فى ذلك الوقت ووضع كتابا أسماه «الأنوار فى المخاطبات» ضمنه جملة من كلام ابن عطاء الله السكندرى وأبى الحسن المرسى^(١).

ووضعت الكتب والمصنفات الخاصة بالتصوف نذكر منها كتاب «روضة التعريف بالحلب الشريف»^(٢). لابن الخطيب الذى عارض فيه ديوان الصبابة لابن أبى حجلة التلمسانى^(٣). وقد ذاعت شهرته وأصبح من أعظم الكتب الصوفية فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) فى الغرب الاسلامى كله، وحوكم ابن الخطيب بسبب هذا الكتاب وإدعى عليه بعض أعدائه أن كتابه قد تضمن أشياء عدوها من الإلحاد فحكموا بإعدامه^(٤). كذلك كتب ابن الخطيب كتاب «استنزال اللطف الموجود فى سر الوجود» فى التصوف^(٥).

وضع محمد بن عتيق التجيبى الشقورى كتابا أسماه «المسائل النورية إلى المقامات الصوفية»^(٦). وصنف ابن عباد الرندى (ت ٧٩٢ / ١٣٧٠) كتابا أسماه «غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية» شرح فيه حكم الصوفى المصرى ابن عطاء الله السكندرى (ت ٧٠٩ / ١٤٠٩)^(٧). وكتب ابراهيم بن الحاج النميرى كتابا عن طرق التصوف أسماه «اللباس والصحبة»^(٨). ووضع عمر بن على بن

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٦٦ .

(٢) نشر الأستاذ عبد القادر أحمد عطا هذا الكتاب محققا (القاهرة ١٣٨٧ / ١٩٦٨ ثم أعاد الأستاذ محمد الكتانى نشره فى مجلدين عام ١٩٧٠ وألحق به عدة فهراس.

(٣) طبع ديوان ابن أبى حجلة المعروف بالصبابة فى مصر عام ١٣٠٢ هـ .

(٤) ابن الخطيب : روضة التعريف : ص ٢٨م، المرقى نفع ج ٩ ص ٣٠٦، أزهار الرياض ج ١ ص ٢١٢ - ٢٢٤ .

(٥) توجد منه نسخة بالمكتبة العامة بتطوان تحت رقم ٣٥٣ .

(٦) ابن حجر : الدرر السفر الرابع ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ترجمة رقم ١١٤٧ .

(٧) أبو الوفاء الغنيمى التفتازانى : ابن عباد الرندى، حياته ومؤلفاته، صحيفة المعهد المصرى بميدريد المجلد السادس العددان ١ - ٢ / ١٣٧٨ - ١٣٥٨ ص ٢٢١ - ٢٤٥ .

(٨) أحمد بابا نيل الابتهاج ص ٤٤ - ٤٦، المرقى: نفع الطيب ج ٩ ص ٣١٥ - ٣١٦ ، الكتانى : فهرس الفهارس ج ١ ص ٨٩ .

عتيق المعروف بالقرشى (ت ٧٤٤هـ) كتابا فى التصوف أسماه «مطالع أنوار التحقيق والهداية» (١).

ولقد لعب هؤلاء المتصوفة دورا كبيرا فى السياسة العامة للدولة وحركة الجهاد ضد نصارى الأندلس فنجد أن المتصوف أبا مروان اليحانسى يهاجم دعوة ابن هود وعامله على المرية عبد الله بن الرميمى، ويدافع عن دعوة ابن الأحمر (٢). ويذكر ابن الخطيب عند حديثه عن المتصوف محمد بن عباد النفزى الرندى أنه كان «طوفا على البلاد زوارا للرباط مثابرا على المجاهدة» (٣) كذلك يروى أن عبد المنعم بن على بن عبد المنعم بن سدر (كان حيا سنة ٦٦٣هـ) من الزهاد الصالحين كان «من أعظم الأسباب فى جواز أهل المغرب لنصرة من بالأندلس فى أول الدولة النصرية» (٤). كذلك فإنه عند حصار المرية عام ٧٠٩هـ قام المتصوف محمد بن محمد البكرى بالخروج ليلحق بالسلطان طالبا النجدة فتيسر له ذلك (٥).

كما اسهم هؤلاء المتصوفة فى تعمير المملكة فيروى ابن الخطيب أن محمد بن عبد الرحمن التميمى الحلفاوى كان «بيده مال كثير فصرفه كله فى أعمال الخير وبني مسجدا فى غرناطة» (٦).

وليس معنى ذلك أن كل المتصوفة كانوا على هذا النهج، فنجد أنه قد حدث فى عام (٦٦٦هـ) أن ادعى ابراهيم الفزارى النبوة بمالقة (٧).

وفى علم الحديث ظهر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد

(١) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ١٩٥ .

(٢) الأزدى : تحفة المغرب ص ٧٤ - ٧٥ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٧٢ - ١٧٤ .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٦٥ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق ل ١٧٩ .

(٧) الأزدى : تحفة المغرب ص ٨١ .

ابن الفخار الجذامى يكتنى أبا بكر الاركشى، ألف نحو الثلاثين مؤلفا فى فنون مختلفة منها كتاب: «الجواب المختصر المروم فى تحرير سكنى المسلمين ببلاد الروم» وتوفى عام ٧٢٣هـ^(١). كذلك كان أحمد بن ابراهيم بن الزبير (ولد عام ٦٢٧هـ) «حافظا للحديث مميزا لصحيحه من سقيم ، ذاكرا لرجاله وتواريخهم»^(٢). ووضع محمد بن جزى الكلبي (ت ٧٤١هـ) «الأنوار السنية فى الألفاظ السنية من الاحاديث النبوية»^(٣). وقد قام أبو الحسن القلصادى (ت ٨٩١هـ) بوضع شرح له^(٤). كما وضع أبو جعفر النفذى (ت ٧٣٨هـ) «أربعين حديثا عن أربعين امرأة من الصحابة»^(٥).

وفى علم التفسير نبغ محمد بن عبد المولى الرعينى (٦٨٠ - ٧٥٠هـ)^(٦). وابن الزبير (٧٨٠هـ) الذى وضع «ملاك التأويل فى التشابه اللفظ من التنزيل» و «البرهان فى ترتيب سور القرآن»^(٧). كما وضع أبو بكر بن منظور القيسى (ت ٧٥٠هـ) «خواص سور القرآن»^(٨)، وفى رأى آخر «كتاب البرهان والدليل، فى خواص سور التنزيل»^(٩). وصنف أبو حيان الغرناطى (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤) «البحر المحيط فى تفسير القرآن العظيم» ، «واتحاف الأريب بما فى القرآن من

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١١٥ .

(٢) ابن حجر : الدرر السلف الأول ص ٨٤ - ٨٦ ترجمة رقم ٢٣٢ .

(٣) الكتانى : فهرس الفهارس والائتبات ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٤) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، ابن مريم : البستان ص ١٤١ - ١٤٣ ، الكتانى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣١٤ .

(٥) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٤٢ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٩٢ .

(٧) ابن حجر : الدرر السلف الأول ص ٨٤ - ٨٦ ، ابن فرحون : الديباج ص ٤٢ ، الزركلى : الاعلام ج ٨٣ - ٨٤ .

(٨) ابن حجر : المصدر السابق السفر الرابع ص ٣٧ .

(٩) التهايمى : المرقبة العليا ص ١٥٤ .

الغريب»^(١). ووضع أبو بكر بن الفخار الجذامى (ت ٧٢٣هـ) «تجدير نظم الجمان فى تفسير أم القرآن»^(٢).

علوم اللغة والأدب فى غرناطة

الشعر:

«كان الشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم حظ ووظائف، والمجيدون منهم ينشدون فى مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقع لهم بالصلوات على أقدارهم»^(٣). وقد نبغ الغرناطيون فى قرض الشعر ويتصفح كتب التراجم الخاصة بهذا العصر يسترعى الانتباه أننا لانجد شاعرا متخصصا انقطع للشعر دون سواه من الفنون المختلفة الأخرى، فابن الخطيب وابن الأحمر وابن زمرق كلهم كانوا شعراء وكتاباً فى وقت واحد وشهرتهم كشعراء تساوى شهرتهم ككتاب ونشريين بل ونجد بعضهم كابن الخطيب وابن الأحمر اشتهروا بالكتابة فى التاريخ أكثر من شهرتهما بالشعر، فهؤلاء الأدباء لم يتخذوا قول الشعر حرفة ومهنة يتكسبون بها، بل يرون الشعر من الملح التى يجل أن يتحلّى بها كل أديب سواء كانت له موهبة الشعر أو لم تكن وإنما يتكلفها تكلفاً، ويحشر نفسه فى زمرة الشعراء حشراً، مما أدى إلى قلة الجيد منه وإبتذاله، كأن قول الشعر أصبح من مكملات ثقافة الأديب والفقيه والطبيب والمؤرخ، فهذا ابن خلدون يأخذ نفسه ويكرها على قول الشعر مرغمة، ويقول «ثم أخذت نفسى بالشعر فأنشال على منه بحور

(١) طبع البحر المحيط بمصر عام ١٣٢٨ هـ أما النجاش الأريب فتوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٩٠٣. وقد طبع فى حياة عام ١٣٤٥ / ١٩٣٦ أنظر عنه :

المقرى : نفع الطيب ج ٣ ص ٣٠٦، سعيد أعراب : أبو حيان الغرناطى، مجلة البحث العلمى، السنة الأولى، العدد الثالث، جمادى الثانية، رمضان ١٣٨٤ / سبتمبر - يناير ١٩٦٤ ص ٢٤١ - ٢٤٧، د. خديجة الحديثى : أبو حيان النحرى (بغداد ١٩٦٦) ص ١٥٥، ١٨٩، ٢٣٨.

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٠٣ - ٣٠٥.

(٣) المقرى : نفع الطيب ج ١ ص ٢٠٧.

توسّطت بين الإجادة والقصور»^(١). ويقول ابن الخطيب أن ابن مرزوق لما أتم شرح كتاب الشفاء للقاضي عياض طلب من علماء المغرب والأندلس أن ينظموا شعرا في ذلك «فطما البحر من الشعر بين مجيد ومقصر، فقلت اسعافا لغرضه»^(٢)... ولم يكن هذا يعنى أن تكون كل هذه الأشعار جيدة بالضرورة، ويبدو أن هذا الأمر هو الذى أوحى إلى الشاعر أبى البركات بن الحاج بوضع كتابه «شعر من لا شعر له»^(٣).

وكان للشعر عندهم أغراض متعددة منها: المديح^(٤)، والغزل، فهم يتغنون بمباهج الحب الموصول، ويصفون آلام الهوى الغائب، ويصورون بألطف الألوان هناء لقاء رقيق، ويكون فى لهجة مشوبة آلام الفراق^(٥). ولقد ورث أهل غرناطة ملكة الشعر نظرا لأنسابهم العربية، وكان لما حبا الله به الأندلس من جمال الطبيعة أثر كبير فى تحريك مشاعرهم، فمضوا يمتدحون غاباتها وأنهارها وحقولها وحدائقها^(٦). ودفعهم هذا الجمال إلى تأمل ضياء الشمس البهيج وصفاء الليالى الساجية تنيرها النجوم. وكانوا - إذا أشرقت نفوسهم بنور الإلهام - تداعت إلى أذهانهم من جديد ذكريات المواطن الأولى التى أقبل منها قومهم، حيث كان اسلافهم يضررون فى الفيافي والقفار تحت شمس لافحة، فكانت تصدر عن نفوسهم بين الحين والحين نفثات فياضة بعصبية جنسية غريبة، كانت تنبعث من أفواههم عنيفة كأنها أعاصير الصحراء - وكان لهم - إلى جانب ذلك - شعر دينى زهدى عامر بالتقى العميق والشوق إلى الله. وكانوا تارة يدعون ملوكهم وشعوبهم إلى الجهاد فى سبيل الله بعبارات تتوقد حمية، وأحيانا آخر يرثون الذين استشهدوا، ويتحسرون على المدائن

(١) ابن خلدون : التعريف ص ٧٢ .

(٢) ابن الخطيب : ديوان الصيب والجهام، قصيدة رقم ١٤٠ .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ج ٨ ص ١٩٧ وكذلك

Al Abbadi : Op. Cit., p 189 .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٢٠٧ .

(٥) بالنشأ : تاريخ الفكر الأندلسي ص ٤٧ .

(٦) المقرئ : نفع الطيب ج ٤ ص ١٥٠ - ١٥١ .

التي استغلبلها العدو، والمساجد التي حولها النصرى إنى كنائس، ويبكون بالدمع
السخين مصير أسراهم التعساء الذين كانوا يعانون آلام الأسر فى بلاد النصرى
العاتية (١).

وكان أولئك الشعراء يتغنون بما كان لأمرائهم من أريحية وجاه ويطنبون فى
وصف بهاء قصورهم ورواء حدائق تلك القصور وكانوا يصحبون أولئك الأمراء إلى
ميادين القتال، ويصفون طعان الأسنة، والحراب المخضبة بالدماء، والخيل التى تسبق
الريح فى عدوها، ويتوارد فى أشعارهم كذلك ذكر الكؤوس المترعة بالخمر تدور على
السمار (٢)، والنزهات الليلية فى زوارق تنهادى على صفحات الماء على ضوء
المشاعل، ويصفون فى هذه الأشعار تعاقب فصول السنة، فصلا بعد فصل، وما يطرأ
على الطبيعة أثناء ذلك من تطور، فيصفون الورد والربيع وفضله والروض
وطيبه (٣). ويذكرون نوافير الماء ذات الخريز العذب، وغصون الشجر يصافحها
النسيم فيميل بعضها على بعض، وقطرات الندى المتألقة على الأزهار، وأشعة القمر
المنعكسة على الأمواج. وأبدع أولئك الشعراء قصائد صوروا فيها الطرف التى كانت
تضفى على قصور السادة جوا من الترف المصقول: كتماثيل البرونز، والعنبر، وأوانى
الزهر الفاخرة، والحمامات ونوافير الماء المرمية، والغزلان (٤). كذلك كان هناك شعر
النبويات والسلطانيات والإخوانيات والألغاز (٥).

كما كان الشعراء يقرضون الشعر للحصول على العطايا والهبات والمنح (٦).

(١) بالثيا : المرجع السابق ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٠٧ - ٢١٢ وكذلك : بالثيا : المرجع السابق ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٤) المقرئ : نفع الطيب ج ٨ ص ١١ - ١٢ حيث أورد قصيدة من شعر ابن هذيل (ت ٧٥٣هـ) فى وصف شرالة من

نحاس ترمى الماء على بركة، بالثيا : المرجع السابق ص ٤٧ - ٤٨ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٣١٥ - ٣٢٤ .

(٦) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٤٩ .

ومن بين الشعراء العظماء فى هذا العصر أبو الطيب صالح بن شريف الرندى (٦٠١ - ٦٨٤) كان شاعرا أديبا ولد برنذة Ronda وعاصر الأحداث التى مهدت لقيام مملكة غرناطة وكان كثير التردد عليها وتنسب اليه القصيدة النونية الشهيرة فى رثاء الأندلس، كما أنه وضع كتابا أسماه «الوافى فى نظم القوافى» وكانت له مشاركة فى الحساب والفرائض وكان محمد الأول بن الأحمر يقربه ويطلب لشعره^(١).

نذكر كذلك أبا عبد الله محمد بن على بن ابراهيم بن القاسم ويعرف بابن مرج الكحل، كان شاعرا مقلداً رقيق الغزل والشعر الوصفى، توفى بجزيرة شقر سنة ٦٨٤هـ^(٢)، والشاعر أبا الحسن الرعينى (على بن محمد بن على بن هيضم) أصله من أشبيلية، وأصبح شاعرا للموحدين ثم لابن هود ثم للغالب بالله بن الأحمر أول ملوك بنى نصر، وتوفى عام ٦٦٦هـ^(٣). ومن الشعراء أيضا ملك بن عبد الرحمن ابن على بن فرج ويكنى أبا الحكم ويعرف بابن الرجل، اشتهر شعره بين المغنين والمؤذنين والخاصة والعامة وبطائفة البطلان^(٤). ووضع كتابا اسماه «سلك المنخل» (ت عام ٦٩٩هـ)^(٥).

كذلك الشاعر محمد بن على بن هانى (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) الذى وضع كتباً كثيرة منها : «الغرة الطالعة فى شعراء المائة السابعة»^(٦). والشاعر أبو بكر بن الحكيم (٦٦٥ - ٧٥٠هـ / ١٢٦٦ - ١٣٤٩) الذى ألف ديواناً شعرياً يسمى «بشارة القلوب» تضمن أخباراً أدبية وصوفية^(٧).

ومن بين كبار الشعراء فى غرناطة يقابلنا كذلك يحيى بن أحمد بن هذيل (ت

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٢٠٧ - ٢١٢ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ١٢ - ١٤ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٣٢٨ .

(٤) أهل البطالة هم أهل الظرف الذين يعملون على اضحاك الناس آنظر : Dozy : p 96

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ١٨٩ - ١٩٦ ، ابن القاضى : جلدوة الاقتباس ص ٢٢١ - ٢٢٧ .

(٦) انظر : Pons Boigues : Op. Cit., p 319

(٧) انظر : Ibid. p 326 .

٧٥٣هـ) الذى وضع ديواناً أسماه «السلمانيات والعرفيات»^(١). ولسان الدين بن الخطيب (٧١٣ - ٧٧٦ / ١٣١٣ - ١٣٧٤) الذى يمكن أن نلاحظ الطابع الدينى والتصوف فى قصائده التى تتميز بالمحسنات اللفظية، وإذا أستثنينا قصائده المكشوفة^(٢)، يمكن أن نؤكد أنه «الشاعر الفقيه»، وقد امتدحه ابن خلدون ووصفه بأنه «إمام النظم والنثر فى الملة المحمدية من غير مدافع»^(٣).

وقد عالج ابن الخطيب كل موضوعات المدرسة العربية التقليدية وجمع أكثر قصائده فى ديوان أطلق عليه اسم «ديوان الصيب»^(٤) والجهام^(٥) والماضى^(٦) والكهام^(٧). «كما وضع ابن الخطيب كتاب «الكتيبة الكامنة فىمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة» وقسمه إلى أربع طبقات: الخطباء والصوفية، المقرئين والمدرسين، الكتاب والشعراء، القضاة، ثم ترجم لثلاثة ومائة منهم»^(٨). وكتساب السحر والشعر: ويذكر ابن الخطيب أنه لما رأى ولده عبد الله قد ترعرع وشب اغتنم هذه الفرصة واختار له أبياتاً من الشعر تشتمل على الوصف والمدح والحكم والزهد والأمثال، لشعراء من المشرق والمغرب من مختلف العصور والبلدان^(٩). كما قام بجمع شعر صديقه أحمد بن صفوان (ت ٧٦٣هـ) فى ديوان اسمه «الدرر الفاخرة والالجع الزاخرة»^(١٠).

(١) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٤٠٩ - ٤١٢ .

(٢) انظرها فى المقرئ: نفع الطيب ج ٨ ص ٢٨٠ - ٢٨٤ .

(٣) المقرئ: ازهار الرياض ج ٢ ص ٢١٨، نفع الطيب ج ٩ ص ٢٣٠ وكذلك

Ai Abbadi :Op. Cit., p 189 .

(٤) الصيب : السحاب ذو المطر.

(٥) الجهم : السحاب الذى لا ماء فيه.

(٦) الماضى : النافل.

(٧) الكهام : الكليل البطى. هذا وقد حقق هذا الديوان ونشره د. محمد الشريف قاهر (الجزائر ١٩٧٣) .

(٨) حقق هذا الديوان ونشره الدكتور احسان عباس (بيروت ١٩٦٣) .

(٩) نشره وترجمه إلى الاسبانية : José Manuel Continente Ferrer

فى رسالته للدكتوراه من جامعة Complutense مدريد عام ١٩٧٣ .

(١٠) ابن الخطيب : الاحاطة (عتان) ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٤٠، الكتيبة الكامنة ص ٢١٦ - ٢٢٣ ترجمة رقم ٢٧٧،

المقرئ : نفع الطيب ج ٨ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

يقابلنا كذلك ابن زمرك (ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٣) تلميذ ابن الخطيب وخليفته في الوزارة وعدوه بعد ذلك. وتزين قصائده كل أبهاء الحمراء وجنباتها^(١) وشعره «مترام إلى هدف الاجادة خفاجى^(٢)». النزعة كلف بالمعاني البديعية، والألفاظ الثقيلة، غزير المادة^(٣). وقد وضع الأمير الشاعر اسماعيل بن الأحمر حفيد محمد الخامس كتابا ضمنه شعر ابن زمرك اسماء «البقية والمدرك من شعراين زمرك»^(٤).

من كبار الشعراء يقابلنا كذلك أبو جعفر أحمد بن خاتمة الانصارى الميرى (كان حيا في عام ٧٧٠ / ١٣٦٩)، وقد جمع قصائده في ديوان يتناول موضوعات شعرية مختلفة مثل مدح الله والرسول، والنسيب، والملح، والحكم، والموشحات^(٥). كذلك وضع هذا الشاعر مجموعة من الشعر على نمط التورية جمعها تلميذه أبو جعفر بن زرقلة في عام ٧٦١ / ١٣٦٠ بعنوان «كتاب فائق التحلية في فائق التورية»^(٦).

نذكر كذلك الشاعر القاضى محمد الشريف الغرناطى الحسنى^(٧) (ت ٧٦٠ / ١٣٥٨)، الذى ولد في سبتة وقضى جانباً كبيراً من عمره في غرناطة ووضع ديواناً أسماه «جهد المقل». كما قام بوضع شروح لبعض الموضوعات الشعرية مثل القصيدة المقصورة التي وضعها الشاعر أبو الحسن حازم القرطاجنى (٦٠٨ / ١٢١١

(١) انظر : E. García Gómez : Cinco poetas musulmanes p 259,

(٢) نسبة إلى ابن خفاجة شاعر الطليعة الاندلسى.

(٣) المرقى : نفع الطيب ج ١٠ ص ٦ .

(٤) المرقى : أزهار الرياض ج ٢ ص ١١ .

(٥) نشرت هذا الديوان Soledad Gibert في رسالتها للدكتوراه ثم نشره الدكتور محمد رضوان الداية (دمشق ١٩٧٢).

(٦) مسطور الاسكوريال رقم ٤١٩ وأنظر Soledad Gibert : Un tratado de Ibn Jatima, (Al An- dalus XVIII, 1953 fasc I, p 2)

(٧) عنه انظر : ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٢٩ - ١٣٣ ، التباى : المرقبة العليا ص ١٧١ - ١٧٧ ، ابن لرحون : الديهاج المذهب ص ٢٩٠ - ٢٩١ ، المرقى : دفع الطيب : ج ٧ ص ١١٦ - ١٢٠ وكذلك :

Mujtar Al Abbadi : Op. Cit.

- ٦٨٤ / ١٢٨٥) وقدمها إلى سلطان تونس المنتصر بالله الحفصى، وقد أطلق على هذا الشرح «رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة»^(١). والقاضى أبى بكر محمد بن عبيد الله بن منظور القيسى (ت ٧٥٠هـ) الذى وضع كتابا أسماه «نفحات النسوك، وعيون التبر المسبوك، فى أشعار الخلفاء والوزراء والملوك»^(٢). وأبى البركات بن الحاج البلفيقى (ت ٧٧٣ / ١٣٧١ - ١٣٧٢) الذى جمعت أشعاره فى ديوان «العذب والأجاج من شعر أبى البركات بن الحاج» وهو مفقود اليوم.^(٣)

يقابلنا كذلك الأمير النصرى اسماعيل بن يوسف بن الأحمر الذى قضى الجزء الأكبر من حياته فى فاس (ت ٨٠٧ / ١٤٠٤)، وقد وضع كتابا أسماه «نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان» ضمنه أشعارا كتبها بعض رجال الأسر الحاكمة فى المغرب: الموحدون، الحفصيون، الزيانيون، والمرينيون، وكذلك أشعار بنى الأحمر ووزرائهم وكتابهم فى القرن الثامن الهجرى^(٤). وله كذلك «فريد العصر فى شعر بنى نصر»^(٥).

وفى القرن التاسع الهجرى (١٥م) وضع السلطان يوسف الثانى ديوانا من الشعر ضمنه قصائد على النمط التقليدى^(٦). ومن شعراء هذا القرن نذكر أبى عبد الله محمد بن ابراهيم الشران الغرناطى، الذى كان كاتباً للدولة النصرية حوالى عام ٨٣٧ / ١٤٣٣ وكتب أرجوزة وقصيدة لابييه فى علم الفرائض^(٧). وأبى يحيى بن

(١) نشر فى القاهرة فى مجلدين فى عام ١٣٤٤ / ١٩٥٢ انظر :

Al Abbady : Op. Cit., p 192 . n 2.

(٢) النباهى : المرقبة العليا ص ١٥٤ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٢ ، النباهى : المرقبة العليا ص ١٦٤ - ١٦٧ ، ابن فرحون :

الديباج المذهب ص ٢٩١ - ٢٩٥ ، المقرئ : نفع ج ٧ ص ٣٩١ - ٤٠٨ .

(٤) نشره محمد رضوان الداية (بيروت ١٩٦٧) .

(٥) ابن الأحمر : نثير فرائد الجمان ص ٨ .

(٦) نشره عبد الله كتون (القاهرة ١٩٦٥) (الطبعة الثانية) انظر كذلك: عبد الله كتون الحسنى: ديوان ملك غرناطة يوسف

الثالث بصحيلة المعهد المصرى بدمشق، العدد الأول السنة الأولى ص ٣٣ - ٣٩ .

(٧) المقرئ : أزهار الرياض ج ١ ص ١٣٣ .

عاصم الذى عرف باسم ابن الخطيب الثانى وقد وضع عددا من القصائد (١). كذلك وضع أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجى المشهور بالدقون (ت ٩٢١هـ) قصيدة اسمها «الموعظة الغراء بأخذ الحمراء» يبكى فيها الاندلس وغرناطة (٢).

وأخيرا نذكر الشاعر عبد الكريم القيسى الذى يعتبره المؤرخون آخر شعراء غرناطة الاسلامية، وقد أدرك محنة سقوطها، ورثاها بقصائد يملؤها الحزن على ما ضاع (٣).

ولما كثر الشعر فى الاندلس «وتهلبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح ينظمونه أسماطاً وأسماطاً وأغصاناً أغصاناً، يكثرون من أعاريضها المختلفة، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عدد قوافى تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهى عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب، وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل فى القصائد وتجاروا فى ذلك إلى الغاية واستظرفه الناس جملة الخاصة والعامة لسهولة تناوله وقرب طريقه» (٤).

وتقدم فن الموشرات والزجل فى غرناطة تقدما كبيرا، وكان يمارسه العلماء، ورجال النحو فى أوقات فراغهم (٥). نذكر منهم لسان الدين بن الخطيب مؤلف الموشحة الشهيرة التى خصصها للسلطان محمد الخامس ومطلعها:

(١) المقري: أزهار الرياض ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٦، نفع ج ٦ ص ٣٢٢ - ٣٢٥.

(٢) المقري: أزهار الرياض ج ١ ص ١٠٤ - ١٠٨.

(٣) د. محمود مكى: عبد الكريم بن محمد القيسى الغرناطى آخر شعراء الاندلس، مجلة العربى أكتوبر ١٩٦٧ ص ٥٣ - ٦١.

(٤) ابن خلدون: المقدمة (بيروت) ص ٥٨٣ - ٥٨٤، المقري نفع الطيب ج ٩ ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٥) انظر: Dr. A.M. Al Abbady: Op. Cit., p 193.

جادك الغيث إذا الغيث همى يازمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلمًا فى الكرى أو خلصة المختلس^(١).

هذا وقد كتب ابن الخطيب كتابا اسماء «جيش التوشيح» ضمنه مائة وخمسة وستين موشحة لستة عشر وشاحا من أعلام الوشاحين^(٢)، ثم قام عبد العزيز بن محمد القشتالى (٩٥٢ - ١٠٣٢ هـ) بوضع ذيل لهذا الكتاب اسماء «مدد الجيش»^(٣).

كما وضع ابن زمرك عدداً من الموشحات أشهرها «الصبوحيات»^(٤). وتلك التى عارض بها موشحة الشاعر ابن سهل^(٥)، وثالثة خصصها لحفل ختان ثلاثة من أحفاد محمد الخامس^(٦). وخصص الشاعر ابن خاتمة جزءاً في آخر ديوانه ضمنه بعض موشحاته^(٧).

أما الزجل فانه كان يكتب باللهجة العامية ، وحقق انتشاراً كبيراً بين الشعب الغرناطي ، وكانوا يصيغونه علي شكل أغنية مستخدمين أوزان الشعر القديم ، ولكن باللهجة عامية .^(٨)

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ص ٥٨٦ ، المقرئ : المصدر السابق ج ٩ ص ٢٢٥ .

(٢) حققه ونشره هلال ناجي (تونس ١٩٦٧) .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ج ٩ ص ٢٧٧ .

(٤) المقرئ : نفس المصدر ج ١٠ ص ١١٠ وما بعدها .

(٥) المقرئ : نفس المصدر ج ١٠ ص ١٠٨ وما بعدها .

(٦) انظر : E. García Gómez : Cinco poetas musulmanes p 221 .

(٧) انظر الديوان ص ١٤٣ - ١٧٨ وكذلك Soledad Gibert, Op. Cit.

(٨) المقرئ : ج ٩ ص ٢٢٨ وكذلك J. Ribera : Música de las Cantigas p 71, Mujtar .

Al Abbay : Op. cit. p. 194 .

ومن مؤلفي الزجل نذكر ابن الخطيب الذي كان يقلد في بعض أجزاله المتصرف
أبي الحسن الششتري (ت ٦٦٨/١٢٧٠) ^(١) كما كان محمد بن عبد العظيم (من
أهل وادي آش) ومعاصر لابن الخطيب " إماماً في هذه الطريقة " ^(٢) كذلك كان
لأبي عبد الله العقيلي اليد الطولي في الموشحات ^(٣) .

فن المقامة :

المقامة فن مشرقي انتقل الي المغرب والأندلس واستمر الأندلسيون في مزاوله
كتابة هذا النوع من الأدب حتي سقوط مملكة غرناطة . والمقامة فضلاً عن طرافتها
كقطعة أدبية ، لها قيمتها التاريخية من حيث كونها صورة للمجتمع الغرناطي الذي
كتبت فيه ، والذي لا نعرف عنه الا الشيء القليل لندرة المراجع التي تناولت الحديث
عنه ^(٤) .

وتقدم فن المقامة في غرناطة في ظل الدولة النصرية تقدماً كبيراً ، وظهر
الكثير من كتاب المقامات مثل ابن الخطيب الذي وضع مقامة " خطرة الطيف ورحلة
الشتاء والصف " ^(٥) ، التي يصف فيها جولة تفتيشية صحب فيها سلطانه أبا
الحجاج يوسف الاول . ٧٣٣-٧٥٥/١٣٣٣-١٣٥٤ في مدن المملكة وروي
ترحيب الشعب بالموكب الملكي . ويلاحظ علي هذه المقامة المغالاة في استخدام
المحسنات اللفظية .

هناك مقامة أخرى لابن الخطيب هي " مفاخرة مألقة وسلاً " ^(٦) حيث يضع

(١) المقرئ : ازهار الرياض ج٢ ص ٢١٨ .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ج٢ ص ٢١٨ .

(٣) المقرئ : نفع الطيب : ج٦ ص ٣٠٢ - ٣٠٧ .

(٤) د. أحمد مختار العبادي : مقامة العيد لأبي محمد عبد الله الأزدي ، صورة من صور الحياة الشعبية في غرناطة .
صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمريد المجلد الثاني العددان ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤ ص ١٥٩ - ١٧٣ .

(٥) نشرها : Muller في كتابه Beitrage zer Geschichte der Westlichen Araber (Munchen 1866) .

Araber (Munchen 1866) .

ثم أعاد الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي نشرها في كتابه مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس
(الاسكندرية ١٩٥٨) ص ٢٥ - ٥٣ .

(٦) نشرها مولر في كتابه السالف الذكر ص ١٣-١ ثم أعاد الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي نشرها في مشاهدات
ص ٥٧-٦٦ وترجمها الأستاذ جاريث جومث بعنوان :

E. García Gómez : El paragon entre Málaga y Salé (Al Andalus Vol .
II, 1934 pp. 183-196 .

المدينة الاندلسية في مرتبة ارفع من الناحية الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية عن زميلتها المغربية . و " مقامة " معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار " حيث يعطينا ابن الخطيب وصفاً لاهم مدن المغرب الاقصى وأربع وثلاثين مدينة غرناطية قام بزيارتها (١) . كما وضع ابن الخطيب كذلك " مقامة السياسة " (٢) .

كذلك وضع ابو الحسن النباهي المقامة " النخيلية " وهي عبارة عن مجادلة بين نخلة وكرمة ، وأن كانت هذه المقامة أقل من مقامات ابن الخطيب من حيث استخدام المحسنات اللفظية الا أنها تظهر معرفة المؤلف لكثير من التعريفات والمصطلحات الفنية النباتية (٣) .

كما وضع الفقيه عمر المالقي عدة مقامات منها مقامة في أمر الوباء (في عام ٨٤٤ / ١٤٤٠) ، " وتسريح النصال ، إلى مقاتل الفصال " ويقول المقرئ انها كانت " عند العامة محفوظة وعند الخاصة مرفوضة " (٤) .

أخيراً نذكر الشاعر الغرناطي الأديب أبا محمد عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله ابن ابراهيم بن عبد الله الأزدي المعروف بن بابن الرابع (ت ٧٥٠ / ١٣٥٠) وهو من أهالي مدينة بلش مالقة ، وقد كان الأزدي صديقاً لابن الخطيب الذي أفرد له في احاطته ترجمة طويلة كما أورد كذلك مقامه ساسانية كتبها ابن الرابع إلى حاكم مالقة أبي سعيد فرج بن نصر ، يستجديه أضحية بمناسبة العيد (٥) .

(١) نشر فرانثيسكو سيمونيت الجزء الخاص بقرطبة في كتابه

Descripcion del Reion de Granada (Madrid 1860) .

ونشر مولر في كتابه المذكور الجزء الخاص بالمغرب ص ٧٤ - ٩٩ ، هذا وقد أعاد الأستاذ الدكتور / أحمد

مختار العبادي نشرها في مشاهدات ص ٦٩ - ١١٥ .

(٢) أوردتها المقرئ في نفع الطيب ج ٩ - ١٣٤ - ١٤٩ .

(٣) نشرها مولر في كتابه السالف الذكر ص ١٣٩ - ١٦٠ .

(٤) ابن الخطيب : ازهار الرياض ج ١ ص ١١٦ - ١٢٥ ، نفع الطيب : ج ٦ ص ٣٤٥ .

(٥) انظر : د. أحمد مختار العبادي : مقامة العيد لابي محمد عبد الله الأزدي ، صحيفة المعهد المصري للدراسات

الاسلامية بمريد المجلد الثاني العددان ١-٢ ، ١٣٧٣ / ١٩٥٤ ص ١٥٩ - ١٧٣ .

النحو :

كان : النحو عندهم في نهاية من علو الطبقة ، حتي انهم في هذا العصر كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ، لايزداد مع هرم الزمان الا جدة ، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه ، وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو - بحيث لا تخفي عليه الدقائق - فليس عندهم بمستحق للتميز ، ولا سالم من الازدراء " (١) .

ومن النحويين في هذا العصر نذكر سهل بن مالك الأسدي صاحب الألفية المعروفة باسمه (ت ٦٣٩هـ) (٢) . وأبا حيان الغرناطي (٦٥٤ - ٧٤٥) الذي تلقي علومه في فرناطة ومالقة ، ولقب بشيخ النحاة أو إمام النحاة لعلمه الغزير في هذا الباب الي جانب التفسير والحديث والفروع وغيرها من العلوم الإسلامية وقد استقر أبو حيان في القاهرة بعد جولة قام بها في العالم الاسلامي (٣) . ووضع عدداً من المؤلفات في النحو نذكر منها " كتاب الاسفار ، في الملخص من كتاب الصفار " شرحاً لكتاب سيبويه ، وكتاب " التجريد لاحكام سيبويه " (٤) ، وتحفة الندس في نحاة الأندلس " جمع فيه تراجم لنحاة الأندلس وكان مصنفاً ضخماً يقع في ستين مجلداً ولكنه للأسف لم يصل اليها (٥) .

نذكر كذلك أحمد بن الحسين بن علي الزيات الكلاعي من بلش مالقة (ت ٧٢٨هـ) الذي صنف كتاباً في النحو أسماه " وصف نفائس اللآلي ووصف عرائس المعالي في النحو " (٦) و ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الذي وضع كتاب " شرح علي الخلاصة في النحو " (٧) .

(١) المقرئ : نفح الطيب ج١ ص ٢٠٦ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ٣٦٧ - ٣٧٤ .

(٣) المقرئ : نفح الطيب ج٣ ص ٢٨٩ ، وما بعدها ، د. أحمد أمين : ظهر الاسلام ج٣ ص ٩٤ - ٩٥ ، بالنشأ : تاريخ

الفكر الاندلسي ص ١٨٧ - ١٨٨ ، د. خديجة الحديشي : ابر حيان النحوي (بغداد ١٩٦٦)

Pons Boigues : Op. cit. pp. 323-326 .

(٤) المقرئ : نفح ج٣ ص ٢٨٩ وما بعدها .

(٥) المقرئ : نفح ج٣ ص ٣٠٧ ، الدرر السفر الرابع ص ٣٠٥ ، د. خديجة الحديشي : المرجع السابق ص ٢٥١ .

(٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٤٣ - ٤٤ .

(٧) أحمد بابا : نهل الابتهاج ص ٤٦ - ٥٠ .

العلوم الاجتماعية

علم التاريخ والمؤرخون :

كان للأحداث الجسام التي صاحبت قيام مملكة غرناطة ، وواكبتها طوال حياتها أثرها الكبير علي تطور علم التاريخ بالأندلس في هذا العصر . فالصراع الدائم المستمر بين مسلمي الأندلس والإسبان ، والذي أدى إلي فقدان كل الأراضي الأندلسية تقريباً ، جعل مدوني التاريخ يتأملون مسيرة تلك الأحداث ويجهدون أنفسهم في البحث عن أسبابها وسوابقها . فتحول علم التاريخ من مجرد ذكر للأحداث وتسلسلها إلي نوع من التاريخ الفلسفي والاجتماعي تدرس فيه الأحداث متصلة دون انقطاع . فعلي سبيل المثال نجد أن ابن خلدون في مقدمته يبحث في الأسباب المختلفة التي تقوم عليها الدول والتي تؤدي إلي سقوطها ، وهي بهذا يمكن اعتبارها أول فلسفة دونت للتاريخ ^(١) .

ثم نجد ان ابن الخطيب في مقدمته للإحاطة ^(٢) ، واللمحة البدرية ^(٣) يعبر عن هذا المفهوم فيقوم بتفسير الأحداث التاريخية بالرجوع الي أسباب جغرافية واقتصادية واجتماعية ، ويقوم باستخدام الآثار عندما - علي سبيل المثال - ينقل في كتبه نقوش شواهد القبور واللوحات الحجرية ^(٤) .

ومع أن كثيراً من الكتب التاريخية الغرناطية تعتبر مفقودة اليوم ، إلا أنه يمكن أن نلاحظ أن معظم موضوعات تلك الكتب كانت تصويراً حياً لما شاهده المؤلف أو انعكاساً صادقاً لما يحسه نحو وطنه ^(٥) . فابن الخطيب في رسالة له بعنوان

Mujtar Al Abbady : Op. cit. p. 196-197 .

(١) انظر :

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة (عنان) ج ١ ص ٨٧-٩٦ .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة ص ٩ - ١١ .

(٤) انظر علي سبيل المثال : ابن الخطيب : اللمحة البدرية ص ٣٦-٣٧ ، ٥٥-٥٦ ، ٦٣-٦٤ وكذلك : Lévi Pro- vencial : Inscripciones arabes d'Espagne pp. 144-145, Lafuente Alcántara : Inscripciones arabes de Granada pp. 207-240 .

M. Al Abbady : Op. cit ., p. 197 .

(٥) انظر :

(٦) انظر الرسالة في مشاهدات ص ٥٧-٦٦ .

"مفاخرة مالقة وسلا" (٦) ، يضع المدينة الأندلسية في مركز أكثر ارتفاعاً في كل أوجه المقارنة، مما يفهم منه روح الكبرياء لدى الشعب الأندلسي حتي ولو أغفل واجب المجاملة والشكر (١) .

ثم نجد ابن الخطيب في مقدمة احاطته يذكر أن الدافع الرئيسي وراء كتابة هذا العمل العظيم هو واجبه نحو وطنه مثلما فعل مؤرخون آخرون في فاس أو بغداد أو دمشق وغيرهم (٢) . كذلك فقد راودت غرناطين آخرين فكرة كتابة تاريخ لبلدهم مثل ابن جزى ، وابن اسحاق النميري ، وابي القاسم الغافقي (٣) . كذلك قام ابن خاقمة الانصاري الالميري بوضع كتاب عن تاريخ مدينته ، ذكره ابن الخطيب في احاطته بعنوان " مزية المربة علي غيرها من البلاد الأندلسية " وقد قرأ المقرئ هذا الكتاب واستفاد منه كثيراً (٤) . كما قام أبو البركات بن الحاج البليفيقي الألميري بوضع كتاب عن المربة وبجانة (٥) ، ولكنه للأسف لم يصل إلينا كاملاً (٦) .

وصنف أبو بكر بن خميس (ت ١٢٣٨/٦٣٦) تاريخاً للجزيرة الخضراء ، وذيلاً لتاريخ مالقة لابن عسكر (٧) المسمي " مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخبار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار " (٨) . كما وضع محمد بن محمد بن ادريس من أهل اصطبونة كتاباً عن

(١) انظر ، E. García Gómez : El paragon entre Málaga y Salé Al Andalus , II 1934 fasc. I p. 184 ,
M. Al Abbadi : Op. cit. p. 197-198 .

(٢) ابن الخطيب الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٩٠-٩١ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٨٥ ، ابن حجر : الدرر السفر الرابع ص ١٦٥-١٦٦ ترجمة رقم ٤٤٠ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٩ ص ٣١٣-٣١٤ .

(٤) المقرئ : ازهار الرياض ج ٢ ص ٢٥٢-٢٥٥ ، ٣٠٣ ، ج ٣ ص ٨-١١ ، نفع الطيب : ج ٧ ص ٣٩٥ وكذلك Al Abbadi : Op. cit. p. 198 .

Pons Biogues : Op. cit. p. 333

(٥) تذكر بعض المراجع انها كانت بركة انظر :

(٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٩٣ . وأنظر قائمة مؤلفاته في :

Soledad Gibert : Abu L-Barakat al Balafiqi, qadi historiador y poeta, Al Andalus, Vol. XXVIII, 1963 , fasc 2, pp. 422-424 .

Pons Boigues : Op. cit., p. 331 - 332, J. Valvé

(٧) انظر :

Bermejo : Una fuente importante de la historia de Al Andalus ; La " Historia " de Ibn Askar, Al Andalus Vol. XXXI, 1966, fasc 1-2 pp 237-265 .

(٨) ابن عبد الملك : الليل والتكملة ، السفر السادس ، ص ٤٤٩ - ٤٥٣ ترجمة ١٢١٨ .

بلده أسماء " الدرر المكنونة فى محاسن اصطبونة " (١) ويفهم من الاحاطة أن القاضى ابا الحسن النباهى أكمل كتابا فى تاريخ مالقة لمؤلف مجهول اسماء " ذيل على تاريخ مالقة " (٢) .

والى جانب هذه المؤلفات التاريخية ذات الطابع المحلى ، وضعت بغرناطة كتب فى التاريخ الاسلامى والأندلسى بصفة عامة ، ومملكة غرناطة بصفة خاصة نذكر منها كتاب ابن سعيد المغربى (ولد عام ٦١٠/١٢١٣) " المغرب فى حلى المغرب " (٣) و " المشرق فى حلى المشرق " و " الطالع السعيد فى تاريخ بنى سعيد " (٤) والعيون الدعج فى حلى بنى طغج " (٥) ، والقدر المعلى فى التاريخ المحلى " الذى اختصره ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل (٦) . كما كتب احمد بن عبد الحق ابن محمد بن عبد الحق الجدللى الملقب كتابا فى تاريخ غرناطة (٦٧٨ - ٧٢٥هـ) (٧) ، ووضع المؤرخ ابن الفراء (أبو بكر عتيق بن أحمد بن يحيى الغساني) (٦٣٥-٦٩٠) كتابا عن تاريخ ملوك غرناطة أسماه " نزهة الأبصار فى نسب الأنصار " (٨) ، ووضع ابن السراج (ت. ٧٣٠هـ) كتابا أسماه " السر المذاع فى تفضيل غرناطة على كثير من البقاع " (٩) .

نذكر كذلك كتاب ابن الخطيب " رقم الحلل فى نظم الدول " الذى يتناول

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٠٩ ، ابن فرحون : الديباج ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٥٢ .

(٣) نشره د. شوقي ضيف (القاهرة ١٩٦٤) .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق (عنان) ج١ ص ٢٢٢ ، ابن فرحون : الديباج ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٥) نشره د. زكي حسن ، د. سيدة كاشف ، د. شوقي ضيف (القاهرة ١٩٥٣) .

(٦) حققه ونشره ابراهيم الابياري (القاهرة ١٩٥٩) .

(٧) ابن القاضى : درة المجال ج٢ ص ٢٧ .

(٨) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ، السر الخامس القسم الأول ص ١١٦-١١٧ ترجمة ٢٢٦

Pons Biogues : Op. cit., p. 313 .

Pons Biogues : Ibid. p. 319 .

وكذلك :

(٩) انظر :

الحديث عن الاسلام ودوله باسلوب شعري^(١) . ولاين الخطيب ايضاً كتاب اكثر اتساعاً بعنوان " أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام " (٢) وهو عبارة عن تاريخ عام للاسلام وقد اضاف اليه فصلا عن ملوك اسبانيا المسيحية في قشتالة والبرتغال وأراجون وكتاب " الاحاطة في أخبار غرناطة " (٣)، وهو عبارة عن موسوعة لتاريخ غرناطة وجغرافيتها واقتصادياتها ورجالها منذ الفتح الاسلامي حتي عصر ابن الخطيب مرتبة حسب حروف المعجم ، وقد قام الاديب محمد بن ابراهيم البشتكي (ت عام ٨٣٠ هـ) باختصاره واسماه " مركز الاحاطة بأدباء غرناطة " (٤) .

كما وضع ابن الخطيب ايضاً كتاباً عن تاريخ الاسرة النصرية واسماه " اللوحة البدرية في الدولة النصرية " (٥) . وكتاب " طرفة العصر في دولة بني نصر " (٦) وهو كتاب مفقود كان يتضمن اخبار هذه الاسرة علي غرار كتاب اللوحة البدرية^(٧) . نذكر ايضاً القاضي أبا الحسن النباهي (ت بعد عام ٧٧٤هـ / ١٣٩١م) الذي وضع كتاباً بعنوان " نزهة البصائر والأبصار " (٨) ، يعرض فيه لتاريخ بني نصر في غرناطة في روايات شيقة . وابن الزبير (ولد عام ٦٢٨) الذي صنف كتاباً اسماء " الاعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام " (٩) وكتاب " صلة الصلة

(١) طبع في تونس عام ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ .

(٢) نشر بروفنسال القسم الخاص بالاندلس في الرباط عام ١٩٣٤ ثم في بيروت عام ١٩٥٦ كما قام الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكتاني بنشر القسم الخاص بالمغرب وصقلية (الدار البيضاء ١٩٦٤) .

(٣) طبع منه جزءان بالقاهرة عام ١٣١٩ / ١٩٠٢ ثم قام الاستاذ محمد عبد الله عنان بنشر المجلد الاول عام ١٩٥٥ ، والثاني عام ١٩٧٤ ، والثالث ١٩٧٥ ، والرابع ١٩٧٧ .

(٤) المقرئ : نفح الطيب ج٩ ص ٣٠٨ .

(٥) هو كتاب مختصر فيه نكت وعيون يبدأ بتاريخ الدولة النصرية منذ نشأتها وينتهي بآخر محرم عام ٧٦٥ هـ وقد نشره

محب الدين الخطيب القاهرة (١٣٤٧ هـ) وترجمه الي الاسبانية El Padre José María Casiaro .

(٦) أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، المقرئ : ازهار ج١ ص ١٩٠ ، نفح الطيب ج٩ ص ٣٠٣ .

(٧) محمد التطواني : ابن الخطيب من خلال كتبه (تطوان) ج٢ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٨) مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٥٣ .

(٩) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة السفر الاول - القسم الاول ص ٣٩ - ٤٥ ترجمة رقم ٣١ ، ابن حجر : الدرر السفر الاول ص ٨٤ - ٨٦ ترجمة رقم ٢٣٢ .

البشكوالية " (١). وقد وضع ابن الخطيب كتاب "عائد الصلة" الذي وصل به كتاب استاذ ابن الزبير فى سفرين ، وهذا الكتاب مفقود اليوم ، وواضح من عنوانه انه واحد من سلسلة كتب الصلوات فى تراجم أعلام الأندلس ، التى بدأها ابن الفرضى وسار فيها ابن بشكوال وابن الأبار وابن الزبير وابن عبد الملك المراكشى ، ويبدو أن ابن الخطيب سار فى هذا الكتاب على هذا النحو ، اذ يذكر فى احاطته " وعائد الصلة فى سفرين وصلت به صلة الأستاذ ابى جعفر بن الزبير " (٢) .

كما وضع الامير اسماعيل بن يوسف بن الاحمر (ت ١٤٠٧/٨١٠) عدة كتب فى تاريخ دول المغرب الاسلامى نذكر منها " روضة النسر فى اخبار بنى عبد الواد وبنى مرين " (٣) .

من المصنفات التاريخية فى غرناطة فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) نذكر كتاب "الجمان فى أخبار الزمان" للشطيبى ، الذى يعود أصله الى شاطبة ، وهو عبارة عن اختصار لكتاب آخر بنفس الاسم كتبه شهاب الدين أحمد الفاسى ، وينقسم الى أقسام ثلاث : الأول يتحدث عن الخليقة منذ بدء العالم إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، والثانى يتناول حياته عليه الصلاة والسلام وسيرته ، أما الثالث فيبحث فى تاريخ الأسر الاسلامية الحاكمة فى المشرق والمغرب حتى عمام ١٤٤١/٨٤٥ (٤) .

كما وضع ابن عاصم القيسى الغرناطى الأندلسى ذيلًا لاحاطة ابن الخطيب اسماء "الروض الأريض ، فى تراجم ذوى السيوف والأقلام والقريض" (٥) . و"جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله وقضى" وصف فيه الأيام الأخيرة لمملكة غرناطة الاسلامية ، وشرح فيه سياسة الاسبان فى الوقعة بين حكام الأندلس ومجذرا للمسلمين من تلك السياسة (٦) .

(١) نشرة ليفي برونفسال ، الرباط ١٩٣٨ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوجه ٤٣٤ .

(٣) طبعت بالقصر الملكى بالرباط عام ١٩٦٢ .

(٤) انظر :

(٥) انظر المقرئ : نفع الطيب ج ٨ ص ٢٥٥ .

(٦) المقرئ : ازهار الرياض ج ١ ص ٥٠ ، ٥٣ - ١٤٥ .

الجغرافيا والرحلات في ملكة غرناطة

اعتاد الغرناطيون الذين كانوا يسافرون الي المشرق والمغرب ان يكتبوا انطباعاتهم عن رحلاتهم ويضمنونها لمحات وتقارير عن مشاهير الشخصيات الذين سمحت لهم الظروف بالالتقاء بهم والتعرف عليهم . فعلي سبيل المثال نجد ابن خلدون يكتب لنفسه ترجمة متضمنة تقارير عن رحلاته الي المشرق والمغرب ^(١) . كما ان ابن الخطيب اثناء فترة نفيه مع سلطانه في المغرب لم يقبع في مدينة فاس وإنما حرص علي زيارة البلاد المغربية لمشاهدة اثارها ولقاء العلماء والصالحين بها ^(٢) . وسجل كل ما رآته عيناه وما سمعته أذناه خلال هذه الرحلات فاعطانا بذلك مادة خصبة يرجع اليها الفضل الأول في كل ما نعرفه عن حضارة المغرب الاسلامي في تلك الفترة ^(٣) . ويحتفظ لنا ابن الخطيب بمعلومات وافية عن المدن التي زارها .

من الرحالة في هذا العصر نذكر ابن رشيد السبتي (ولد عام ٦٥٧/١٢٥٩) الذي بعد ان قام بدراسة الحديث والنحو قرر التوجه الي المشرق لاداء فريضة الحج عام ٦٨٣/١٢٨٤ وليواصل دراساته علي يد علماء هذه البلاد . وفي المرة الثاني بالوزير ابن الحكيم الرندي ، وجمعت بينهما صداقة قوية وطافا معاً في افريقية ومصر والشام والحجاز لمدة سنوات ثلاث ، عاد بعدها الي سبتة ، ثم اتجه الي غرناطة بدعوة من ابن الحكيم في عام ٦٩٢/١٢٩٢ - ١٢٩٣ حيث عمل اماماً وخطيباً للمسجد الجامع بها ، وبعد مقتل ابن الحكيم في شوال عام ٧٠٨ هـ / مارس ١٣٠٩ ، رحل ابن رشيد الي الدولة المرينية ، حيث عهد اليه بامامة الصلاة في المسجد القديم بمراكش ، ووضع كتاباً عن رحلته اسماء "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة الي مكة وطيبة" ^(٤) . وقد توفي في عام ٧٢١/١٣٢١ ^(٥) .

(١) ابن خلدون : العبر ج٧ ص ٣٧٩ - ٤٦٤ ، التعريف : نشر محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ١٩٥١) .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ج٧ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٣) د . أحمد مختار العبادي : انظر مقدمة كتاب مشاهدات لسان الدين بن الخطيب .

(٤) توجد منه بعض قطع مخطوطة بمكتبة الاسكوريال ارقام ، ١٦٨٠ ، ١٧٣٥ ، ١٧٣٦ ، ١٧٣٧ ، ١٧٣٩ . أنظر

Hartwing Derenbourg : Les manuscrits arabes el l'Eacurial t. III

(٥) عنه انظر : ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٣٢ - ١٣٥ ، ابن حجر : الدرر ج٤ ص ١١١ -

١١٣ ترجمة رقم ٣٠٨ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٣١٠ - ٣١١ ، المقرئ : ازهار الرياض ج٢ ص

٣٤٧-٣٥٥ ، ابن القاضي : جلد الاقتباس : ص ١٨٠ - ١٨٣ .

كذلك قام ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ) برحلات الي المشرق والمغرب زار خلالها كثيراً من المدن والعواصم مثل القاهرة ودمشق والموصل وبغداد والبصرة وأرجان ، وحج ثم عاد وألف كتاباً عن رحلته أسماه " النفحة المسكية في الرحلة المكية " (١) .

كما تضافرت اسرة بني سعيد وآخرهم أبو الحسن علي بن موسى علي وضع كتاب " المغرب في حلي المغرب " (٢) الذي تضمن أوصافاً جغرافية لبلاد المشرق والمغرب ، وصنف ابن سعيد ايضاً كتاباً جغرافياً بعنوان "كتاب بسط الأرض في الطول والعرض" (٣) .

هناك أيضاً رحلة خالد البلوي " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق " (٤) التي يميزها الاسلوب المفرط في استخدام القطع الشعرية ، وهي عبارة عن أخبار رحلته الي الاراضي المقدسة . ولد البلوي في قنتورية CANTORIA ، علي نهر المنصورة في ولاية المرية ، ثم رحل هذا القاضي من غرناطة عام ١٣٣٦/٧٣٧م وجال في تلمسان وبنجاية والجزائر قبل ان يتجه الي تونس فالاسكندرية ثم القاهرة فالقدس فمكة ، ثم وصل الي طرابلس ، ولم يعد الي تونس الا في عام ١٣٣٩/٧٤٠ . وقد اتهمه ابن الخطيب بانه قد سرق كتاب البرق الشامي للعماد الاصبهاني (٥) .

كذلك وضع ابن الحاج النميري (ولد بغرناطة عام ٧١٣) كتاباً اسماه "قيض العباب واجالة قداح الآداب في الحركة الي قسنطينة والزاب " ضمنه أخبار رحلته في تلك البلاد " (٦) .

(١) المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ٤٠ .

(٢) نشرة د/ شوقي ضيف القاهرة ١٩٦٤ .

(٣) نشره خوان فرنيث (تطوان ١٩٥٨) ثم اعاد نشره اسماعيل العربي (بيروت ١٩٧٠) بعنوان كتاب الجغرافيا .

(٤) نشره الاستاذ الحسن السائح في جزمين في المصحف بالمغرب ..

(٥) عنه انظر : ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ١ ص ٥٠٨-٥١٠ ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ١١٥ ، المقري : نفح

الطيب ج ٣ ص ٢٨٥-٢٨٧ ، الحسن السائح : ابو البقاء البلوي ، مجلة البحث العلمي الرباط - العدد الاول ، السنة

الاولي ص ١٩١ ، ١٩٥ ، الزركلي : الاعلام ج ٢ ص ٣٣٩ وكذلك :

PONS BOIGUES : OP. CIT., 330-331 .

(٦) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ٨٧ ، ٩٢ الزركلي : الاعلام ج ١ ص ٤٢-٤٣ ، الكشاني : فهرس الفهارس

والانبات ج ١ ص ٩٨ .

وقد ترك لنا ابن الخطيب معلومات وافية عن رحلته الي المغرب في كتابه "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" (١) . التي كتبها بين عامي ١٣٥٩/٧٦٠ ، ١٣٦٢/٧٦٣ ، واعطانا بأسلوبه المميز وصفاً لجبل هنتاتة (أعلى اطلس الاوسط) حيث توفي السلطان المريني ابا الحسن ، واغصات حيث زار الآثار والمساجد والمدارس والمقابر والتقي بكبار الشخصيات ، ولم يفته زيارة قبر المعتمد بن عباد ، بعد ذلك يمر الوزير الغرناطي بارض دكالة وأزمور ثم يعود أدراجه الي سلا حيث أقام في رباط قريب من المقبرة المرينية ، ويذكر ان الهدف من رحلته كان " لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار " (٢) .

كذلك تضمنت مقامات ابن الخطيب التي تحدثنا عنها من قبل : خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف ، ومعيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار ، ومفاخرة مالقة وسلا ، معلومات جغرافية قيمة عن المغرب والاندلس .

العلوم العقلية في مملكة غرناطة

كان لهجرة الكثير من علماء غرناطة الي الخارج وانشغال من بقي منهم بمشاكل الحياة ومشاغلها اثره في عدم ازدهار هذه العلوم ، بل نجد انهم كانوا يهاجمون من يعمل بها (٣) .

ولكن علي الرغم من ذلك فقد نبغ في غرناطة نفر غير قليل من المشتغلين بالرياضيات والفلك والكيمياء والنبات والطب وغيرها ، نظراً لضرورات التوقيت وعمليات البناء والتشييد التي أغرم بها سلاطين غرناطة غراماً كبيراً . وعرف الغرناطيون الساعة الرملية وكانوا يطلقون عليها اسم " المنكانة " (٤) .

(١) نشره الاستاذ الدكتور / أحمد مختار العبادي : القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) المقري : نفح الطيب ج ٩ ص ١٩٨ .

(٣) ابن الاثير : نشر فرائد الجمان ص ٣٢٢ .

(٤) يقول ابن الخطيب في وصف المنكانة :

تأمل الرمل في المنكان منطلقا يجري وقدره عمراً منك منتهباً

والله لو كان وادي الرمل ينجد ما طال طائلة الا وقد ذهب

(ابن الخطيب : ديوان الصبب والجهاص ص ٣١٠ ، المقري : نفح الطيب ج ٩ ص ٢٠٧ .

ومن علماء الرياضيات نذكر أحمد بن محمد التجيبي (ت ٧٠٣هـ) الذي كان له "مشاركة في العدد والتكسير" ^(١) وابن الحاج المهندس (ت ٧١٤هـ) الذي كان عارفا بالهندسة ^(٢). وأبا الحسن علي بن محمد القرشي البسطي القلصادي (ت ٨٩١هـ) ومن مؤلفاته "كشف الجلباب عن علم الحساب" و "قانون الحساب" و "شرح الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة" و "رسالة في الجبر" ^(٣).

ونبع الغرناطيون في دراسة الكيمياء ولعل أكبر دليل علي هذا الأمر معرفتهم لمدفع البارود ^(٤) ، وتوصلهم الي معرفة بعض العمليات الكيماوية مثل التقطير والتصعيد والتخمير والتكليس والتحليل ^(٥).

كما تقدم علم الفلك في غرناطة تقدماً كبيراً وظهر العلماء والمؤلفات الخاصة بهذا العلم ، فكان أحمد بن حسن بن باصة الأسلمي (ت ٧٠٩هـ) نسيج وحده معرفة بالهيئة ، واحكاماً للآلة الفلكية ^(٦) ووضع أبو بكر بن عبد الملك القضاء (ت ٧٠٧هـ) كتاباً في "ترحل الشمس ومعرفة الأوقات" ^(٧) . كما قام أبو يحيى بن رضوان الوادي أشي (ت ٧٥٧/١٣٥٦) بوضع "منظوم في علم النجوم ورسالة في الاسترلاب" ^(٨).

وسار التنجيم الي جانب دراسة الفلك والنجوم ، فيحدثنا ابن الخطيب عن فلكي يدعي أبا جعفر أحمد الانصاري (ت بعد ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢) كان قد أوضح

(١) ابن القاضي : درة المجال ج١ ص ٦٥ .

(٢) ابن حجر : الدرر السفر الرابع ٦٩ ترجمة ٢٠٣ ، ابن القاضي : جلوة الاقتباس ص ١٨٠ .

(٣) احمد بابا : نيل الابتهاج ص ٢٠٩-٢١٠ ، المقرئ : نفع الطيب ج٣ ص ٤٤٦ .

ابن مريم : البستان ص ١٤١ - ١٤٣ ، الزركلي : الاعلام ج٥ ص ١٦٣ .

(٤) انظر الفصل الخاص بالحياة الحربية في مملكة غرناطة .

(٥) المقرئ : نفع الطيب ج٨ ص ٣٠٥ .

(٦) ابن الخطيب : الاحاطة (عتان) ج١ ص ٢١١ .

ابن حجر : الدرر ص ١١٩ ترجمة ٣٣٠ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٠٩ .

(٨) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج٢ ص ١٠١ وكذلك :

للسلطان أبي سعيد البرميكو اليوم الذي سيقوم فيه بالثورة ضد السلطان الشرعي محمد الخامس ، وقد كتب هذا المنجم بعد ذلك إلي محمد الخامس في منفاه بفاس يبشره بعودته الي العرش ومؤكداً له أنه هو نفسه قد قاسي الكثير من السلطان المغتصب ، وقد تحققت نبوءته واستعاد محمد الخامس عرشه مرة أخرى ، حيث قام بانزال عقوبة الضرب بالسوط علي هذا الفلكي وأبعده الي تونس ، نظراً لاتهامه بالتعاون مع البرميكو (١) .

كذلك وضع ابن الحكيم اللخمي (ت ٧٥٠ هـ) كتابا اسماء " بشارة القلوب بما تخبر به الرؤيا من العيون " (٢) .

ويروي لنا ابن خلدون كيف ان الفلكي ابن زرزور الطيب الخاص لمحمد الخامس ثم لبدرو الاول ملك قشتالة قد تنبأ في عام ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ ، بظهور الزعيم المغولي تيمور لنك (ت ٨٠٧ / ١٤٠٥) (٣) .

بل اننا نلاحظ ان ابن الخطيب نفسه كان من المهتمين بدراسة الفلك (٤) .

وكانت الفلسفة والمنطق من الدراسات غير المرغوب فيها في الأندلس (٥) . ولذلك نجد أن عدد الفلاسفة في غرناطة لم يكن كثيراً نذكر منهم علي بن محمد بن علي القرشي البسطي المعروف بالقلصادي الذي شرح كتاب "إيساغوجي" في المنطق (٦) كذلك كان عبد الحق بن سبعين (ت ١٢٧٠ / ٦٦٩) من الفلاسفة الذين نادوا بوحدة الوجود (٧) . كما وضع القاضي ابو بكر محمد بن عبد الله بن منظور القيسي (ت ٧٥٠ هـ) كتابا اسماء " السحيم الواقفة ، والظلال الوارفة ، في الرد علي ما تضمنه المظنون من اعتقادات الفلاسفة (٨) .

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج١ ص ٢١٢ - ٢١٣ ، ابن حجر : الدرر الكامنة السفر الاول ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ترجمة رقم ٧٨٠ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (القاهرة) ج٢ ص ٢٠٢ .

(٣) ابن خلدون : التعريف ص ٣٧١ وكذلك : Abbadi : Op. cit., p. 204 .

(٤) ابن الخطيب : نفاضة الجواب ص ١٣١ - ١٣٧ .

(٥) المقرئ : نفع الطيب ج١ ص ٢٠٥ .

(٦) ابن مريم : البستان ص ١٤١ - ١٤٣ .

(٧) الزركلي : الاعلام ج١ ص ٥١ .

(٨) النباهي : المرقبة العليا ص ١٥٤ .

واهتم الغرناطيون بدراسة النبات وظهر العلماء الذين قاموا بوضع الكثير من المؤلفات في هذا الموضوع ، نذكر منهم أبا محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقي (ت بدمشق ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) الذي كان إمام النباتيين وعلماء الأعشاب ، جاب المغرب لدراسة النبات وصار رئيس العشابين في مصر حيث ألف موسوعة في هذا الشأن بعنوان "الجامع في الأدوية المفردة" جمع فيهما كل ما سمع من تصانيف الأدوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الإدريسي الصقلي وغيرها وضبطه علي حروف المعجم (١) .

وابن السراج (ت ٧٣٠ بغرناطة) الذي كان " له علم بالعشب وتمييز اعيان النبات " (٢) .

وعالم النبات والطيب الجراح محمد بن فرج القربلياني الملقب بالشفرة (من Crevillante في مقاطعة القنت Alicante) (ت ٧٦١ / ١٣٦٠) . الذي كانت لديه حديقة نباتية في وادي آش خصصها لتجميع ودراسة النباتات النادرة والعجيبة " ارتاد المناهب وسرح بالجبال لاحتضارها " (٣) . ويذكر ابن الخطيب أن هذا العالم قد وضع كتابا في النبات، وأن كان لم يصل إلينا للأسف (٤) .

الطب في مملكة غرناطة :

تقدم علم الطب في مملكة غرناطة سواء من ناحية طرق العلاج أو عمل الدواء (٥) ، ويفهم من النصوص انه كان للطباء شيخ يتولي تصريف امورهم ، كما

(١) المقري : تلخ الطيب ج٣ ص ٤٤٤ ، ج٤ ص ٣٤٨ .

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ١٤٠ - ١٤١ وكذلك :

Pons Boigues : Op. cit., p. 319 .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ١٤٧ .

(٤) انظر : J. Renaud : Un chirurgien Musulman du royaume de Grenade : Muhammad ;

As safra ; Hespéris 1940 pp. 97-98 .

Al Abbadi : Op. cit., p: 186 .

(٥) يروي ابن الخطيب في احاطته (لوحة ١٥٢) أن الطبيب محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي (ت عام ٧٠٧ هـ)

كانت له خمر مخبأة في كرم كان له بالمرية ، فسرقها جماعة من اللصوص فعصد الي جرة وملأها بخمر أخري وجعل فيها شيئا من العقاقير المسهلات وأشاع أن الخمر العتيقة التي كانت له لم تسرق والمأ هي باقية بموضع كذا فعصد إليها أولئك اللصوص وأخذوا في تناولها فعادت إليهم بالاستطلاق التبيع المهلك فقصدوا اليه وعرضوا عليه ما أصابهم فاشترط عليهم أن يردوا له ثمن ما أخذوه ثم يبدأ في علاجهم فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خمره وسلموه له فشرع في هذا العلاج حتي تم شفاؤهم . (راجع ابن الخطيب : الاحاطة لوحة ١٥٢ وكذلك : Al Abbadi :

Op. cit. p. 155 - 156 .

كان هناك طبيب خاص بالدار السلطانية ^(١)، وكان الطبيب يقوم بعمله في محل خاص ^(٢). ولم يتخصص أطباء غرناطة كغيرهم من الأطباء في العصور الوسطى في الطب فقط، ولكنهم إلى جانب ذلك كانوا يدرسون النبات والحيوان والفلك والعلوم الطبيعية، كما كانوا يقومون كذلك بمهمة الصيادلة حيث يقوم الطبيب بعمل التراكيب الطبية ^(٣). ونبغ العديد من الأطباء في ميادين الأدب وضربوا بسهم وافر في الشعر وفنونه نذكر منهم ابن الخطيب ^(٤) وابن خاتمة، وإبا القاسم بن سودة الذي كان ينظم الشعر ^(٥)، ومحمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسى (ت ٧١٧هـ) الذي كان يجمع بين الطب والأدب ^(٦).

وتوارثت بعض العائلات مهنة الطب نذكر منها أسرة غرناطية شهيرة هي الأسرة الشقورية (نسبة إلى شقورة) ^(٧). وقد نبغ من أبناء هذه الأسرة عدد من الأطباء في العصر النصري، نذكر منهم: أباً تمام غالب اللخمي الشقوري (ت في موقعة طريف ٧٤١/١٣٤٠) الذي "حذق العلاج على طريقة المشاركة وأطرف بكثير من أخبارهم" ^(٨). وأباً عبد الله اللخمي الشقوري الذي كان طبيباً لمحمد الخامس ونبال

(١) ابن الخطيب: الاحاطة (عنان) ج١ ص ٢١٣.

(٢) يقول ابن الخطيب:

رأيت بمخدومي التفاحا فرايتي وبادرت دكان الطبيب كما وجب

(ديوان الصيب والجهام ص ٢٩٨)

(٣) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٨٩، أحمد بابا: نيل الابتهاج ص ٢٣٣.

(٤) يقول ابن الخطيب:

الطب والشعر والكتابة سماتنا في بني النجابة

(المقري: نفع الطيب ج٦ ص ٣١٩، ازهار الرباض ج١ ص ١٨٧)

(٥) ابن حجر: الدرر ص ٤٠٠ ترجمة رقم ٥٤٢.

(٦) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٤٤ - ١٤٥ ومن شعره يخاطب السلطان علي ألسنه الاطباء الذين

كانوا يعملون بخدمته وهم أبوا الاصبح بن سعادة وأبى تمام غالب الشقوري.

قد جمعنا بهاكم سطر علم لبلوغ المنى ونيل الارادة

ومن أسمائنا لكم حسن قال غالب ثم سالم وسعادة

(٧) انظر: Ency. of Islam: Art Segura by Lévi provençal, Mujtar Al Abbadi: Op. cit., p. 205.

(٨) ابن الخطيب: الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٤.

شهرة كبيرة " لكثرة حيطته ولطف علاجه ونجاح تجربته وتدينه " (١) (كان حيا في عام ١٣٦٩/٧٧١م) (٢) . وقد وضع هذا الطبيب عدداً من المؤلفات نذكر منها رسالة بعنوان " مجربات " حول أمراض الرجال ، من الرأس الي القدم (٣) ، وكتاب " تحفة المتوسل وراحة المتأمل " (٤) ، وينقسم الكتاب إلي أقسام ثلاثة : الأول يتناول علاج أمراض المعدة ، والثاني يتحدث عن كل أنواع مرض الاسهال ، بينما يضع القسم الثالث نظاما للعجائز . ويذكر المؤلف أنه قام بوضع هذا الكتاب بدافع من مرض الشريف الغرناطي (ت ١٣٥٨/٧٦٠) .

نذكر ايضاً الطبيب محمد بن فرج القربلياني السالف الذكر في علم النبات (ت ١٣٦٠/٧٦١) الذي كان والده أول استاذ له ، وقد تخصص هذا الطبيب في دراسة الجراحة وحقق في ذلك نجاحاً هائلاً . لهذا كان يعرف ايضاً باسم " الشفرة " التي تعني مبضع الجراح Bisturé . وقد وضع كتاباً بعنوان " الاستقصا والابرام في علاج الجراحات والاورام " (٥) . ويتكون من فصول ثلاث : الأول يتحدث عن علاج الالتهابات والاورام ، والثاني يتناول كسور العظام وعلاجها ، بينما الثالث عن بعض التراكييب المبسطة لعلاج الجروح .

من الأطباء في هذا العصر أيضاً الطبيب محمد بن ابراهيم بن عبد الله الأنصاري ويعرف بابن السراج (٦٥٤ - ٧٣٠ هـ) الذي باشر الطب في الدار السلطانية ويؤثر عنه أنه كان " يؤثر ذوي الحاجة ويخف الي زيارتهم ويعينهم علي

(١) ابن الخطيب ، المصدر السابق لوجات ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) ابن خلدون : التعريف ص ١٣٠ .

(٣) توجد منه ثلاث نسخ مخطوطة في الرباط انظر : J. Renaud : Un m'decin

du royaume de Grenade : Muhammad Assquri, Hespéris 1946 1-2 trim, p. 34. n.

16, Al Abbadi : Op. cit. p. 205 .

(٤) انظر : J. Renaud : Op. cit. pp 31 - 64 , Al Abbadi OP. cit. p. 205 - 206 .

(٥) مخطوط مسجد القرويين بفاس :

J. Renaud : Un Chirurgien musulman

du royaume de Grenade , Muhammad Assafr , Hespéris XX 1935 , fasc 1-2pp. 1-

2, 1940 pp. 97-98 Al abbadi : Op. cit. pp 186 & 206 .

معالجة عللهم "ويروي أنه لما توفي السلطان محمد الفقيه وهو يصلي المغرب توجه اليه ابن السراج وسأل عن آخر طعام تناوله فأخبر انه كعك كان قد وصله من ولي العهد مما دفعه الي اتهامه بدس السم له ، فسجنه الأمير مدة طويلة (١) . والطبيب ابن الفراء (كان حيا عام ٦٨٥ هـ) الذي نظم أرجوزة بعنوان "نظم الحلبي في شرح أرجوزة أبي علي" (يقصد أرجوزة أبي علي بن سينا في الطب) (٢) ، والطبيب عيسى بن سعادة الأموي (ت ٧٢٨ هـ) الذي وضع كتاباً أسماه "كتاب القفل والمفتاح في علاج الجسوم والارواح" تضمن كثيراً من العلم الطبي وما يتصل به (٣) . والطبيب يحيى بن هذيل (ت ٧٥٣ هـ) الذي كان طبيباً خاصاً للسلطان، ووضع عدداً من المؤلفات الطبية نذكر منها "التذكرة في الطب" و "الاختيار والاعتبار في الطب" (٤) والطبيب ابن المهنا تلميذ ابن الخطيب الذي شرح الفية ابن سينا شرحاً جميلاً نقل منه لسان الدين كثيراً واعتمد عليه، ونال شهرة واسعة في بلاد المغرب (٥) .

كذلك برزت بعض السيدات في مجال الطب نذكر منهن أم الحسين ابنة الطبيب اللوشي أبي جعفر أحمد الطنجالي (ت ١٣٤٩/٧٥٠) وكانت طبيبة وأديبة (٦) .

وفهم من النصوص أن بعض اليهود كانوا يمارسون مهنة الطب في مملكة غرناطة (٧) .

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحات ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحة ٣٠٠ ، ابن عبد الملك : الدبل والتكملة السفر الخامس ، القسم الأول ص ١١٦ - ١١٧ ، ترجمة رقم ٢٢٦ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٣٥٢ .

(٤) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٤٠٩ - ٤١٢ .

(٥) المقرئ : نفع الطبيب ج ١٠ ص ١٤٢ .

(٦) ابن حجر : الدرر السمر الأول ص ١٨٣ - ١٨٤ رقم ٤٧٣ .

(٧) المقرئ : ازهار الرياض ج ٣ ص ١٩٧ حيث يقول ابن جزي :

ورب طبيب اتى متطلبها ليأخذ ثارات اليهود من الناس
أن جس نهض المرء أودي بنفسه سريعاً ألم تسمع بفتكة جساس

كما قام أطباء مملكة غرناطة النصرية بوضع الكثير من الرسائل المهمة حول الطاعون الأسود الذي سري في كل العالم تقريباً في الفترة ما بين عامي ١٣٤٧/٧٤٨ ، ١٣٤٩/٧٥٠ . نذكر من هؤلاء الأديب والمؤرخ والطبيب الشهير أبا جعفر بن خاتمة الألبيري ، الذي وضع كتاباً أسماه "تسهيل غرض القاصد في تسهيل المرض الوافد" ^(١) ورسالة ابن الخطيب "مقنعة السائل عن المرض الهائل" ^(٢) ، وقد أعطانا كلاهما دراسة وافية عن هذا المرض من ناحية ظهوره وأعراضه وانتشاره والوقاية منه ^(٣) ، وابن مشتمل الأسلمي (ت ٧٦٤هـ) من أهل المرية الذي وضع كتاباً في الوباء أسماه "اصلاح النية في المسألة الطاعونية" ^(٤) .

وقد وضع ابن الخطيب عدداً من المصنفات في الطب بلغ العشرة ^(٥) منها:

١- مع مل من طب لمن حب ^(٦): وقد ذكر أنه قد أهداه للسلطان أبي سالم المريني ^(٧). وتحدث في مقدمته بعد مدح السلطان ، انه لم يجد لخدمته أفضل من الطب «الذي تكون الوسيلة منه أول ذريعة لحفظ صحته. وهذا الغرض هو ما هو أصل الدين والدنيا ، وحفظ السجاياء البرة، والشيم العليا». هذا وقد وضع ابن الخطيب هذا الكتاب في فاس عام ٧٦١هـ في فترة نفيه هناك، وينقسم الي قسمين : يتناول الأول

(١) مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٨٥ وقد نشر في ارشيف

F. Gesch . de Mediz, XIX p 38 .
أنظر كذلك : M.M. Antuna : Abenjatima de Almería y su tratado de La peste, en Re-
ligion y Cultura , Oct. 1928, pp. 68 - 90 .

(٢) مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٨٥ وقد نشر مع ترجمة المانية للعالم الألماني مولر في اكااديمية العلوم البافارية . أنظر :
Bayerische Akademie der Wissenschaft 1963

M. Al Abbady : Op. cit., p. 206 . (٣) انظر :

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٧ .

(٥) ابن الخطيب : الاحاطة (الاسكوريال) لوحة ٤٣٣ وكذلك : L. Leclerc

Histoire de la Medecine arabes , II, p 286, Pons Boigues :

Op. Cit., p. 346 , Al Abbady : Op. cit , p. 207 .

(٦) المقري : ازهار الرياض ج ١ ص ١٩٠ .

(٧) طبع النص العربي لهذا الكتاب مع بيان المصطلحات ومعجم بالأسماء الطبية بمعرفة

María Concepcion Vazquez de Benito. Salamanca 1972.

- أمراض جسم الانسان والثاني الأمراض الخاصة (١).
- ٢- المعلومة حول علاج السموم (٢).
- ٣- المسائل الطبية (٣).
- ٤- الاصول في حفظ الصحة في الفصول (٤).
- ٥- الرجز في عمل الترياق (٥).
- ٦- اليوسفي في الطب الذي ألفه لأبي الحجاج يوسف الاول (٦).
- ٧- رسالة تكوين الجنين (٧).
- ٨- رجز في الطب ويتكون من ألف وتسعمائة بيت عن جميع الأمراض وأعراضها والوقاية منها وعلاجها (٨).
- ٩- رجز في الأغذية (٩).

(١) انظر : J. Renaud: Deux ouvrages perdus de Ibn al Jatib, Hesperis 1946, XXXIII, p. 222, Al Abbadi: Op. Cit. p 207- n. 2.

(٢) المقرئ : نفع الطيب : ج٩ ص ٣٠٤ ، هذا وترجد نسخة من هذا المخطوط بمسجد القرويين بفاس.
انظر : د. احمد مختار العبادي : مؤلفات لسان الدين بن الخطيب في المغرب في :

Hespérís 1959, 3-4, trimestres p 247-249 .

(٣) المقرئ : المصدر السابق ج٩ ص ٣٠٦ .

(٤) توجد نسخة ببرلين رقم ٦٤٠١ ، واخري بالخزانة الملكية بالرباط رقم ٧٩٧ . انظر :

Al Abbadi : Op. Cit. p 207- n. 5.

(٥) المقرئ : ازهار الرياض ج١ ص ١٨٨ .

(٦) المقرئ : المصدر السابق ج١ ص ١٨٨ ، نفع الطيب ج٩ ص ٣٠٤ .

(٧) المقرئ : ازهار الرياض ج١ ص ١٨٨ ، نفع الطيب ج٩ ص ٣٠٦ .

(٨) المقرئ : ازهار الرياض ج١ ص ١٨٨ توجد منه نسخة مخطوطة في الخزانة العامه بالرباط تحت رقم ٣٢٣ .

(٩) المقرئ : ازهار الرياض ج١ ص ١٨٩ .

١٠ - البيطرة والبيطرة عن الخيل (١) .

ومن دراسة المصنفات الطبية في العصر النصري نجد أن الأطباء هناك قد نجحوا في التوصل الي كثير من طرق العلاج من ذلك استعمال الماء المثلج ضد النزيف، والكي بالنار للجروح الفاسدة، والكي ضد نزلات الزكام، واستعمال ماء الحامة وسييرا البيرة للآلام الروماتزمية، كما نجحوا في علاج الماء الأزرق بالعين وذلك باستخراجها او تقليلها، كما اوصوا بتغيير الهواء للمريض بالحمي، وقضاء فترة نقاهة في حدائق حدرة للمرضي بالسل. وكانوا يقومون بربط الأطراف الأربع عند وجود نزيف حاد او اسهال شديد، كما قاموا بدراسة البول، وعرفوا تقدير النبض، وكانت لديهم معرفة واسعة عن الجذام والشلل النصفي وضيق المريء والانتهاب الموضعي والجذري وقاموا بعمل العدسات، وأجروا العمليات الجراحية بنجاح كبير بواسطة الآت حادة كاستخراج السهام، وعلاج الجروح والفتق، وحصوة الكلي والمثانة، بعد تخدير المريض. واعادة العظام المكسورة الي سابق وضعها (٢). كذلك كانوا يقومون بالعلاج «بالرقي والعزائم» لذوي الأمراض النفسية (٣)، والتبخير لتنقية الهواء (٤). وأدرك الأطباء أهمية عزل المريض درءا لانتشار العدوي (٥)، وأكدوا

(١) المقرئ : ازهار الرياض ج١ ص ١٨٩ .

(٢) ابن الخطيب : عمل من طب لمن حب (مخطوط المكتبة الوطنية بمديرد رقم ٢١١) لوحات ٣٩ - ٤٥ وكذلك

Antonio gonzalez part: Alturas de las Ciencias medicas en El Reino Al Andalus (Discurso de recepcion en la Real Academia de Medicina (Bareelona 1906), Fidel Fernandez : La medicina en el reino moro de Granada (El Sol, Madrid, 30 de Octubre de 1932), Al Abbady: Op. Cit., p 208.

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة (عنان) ج١ ص ٢١٢ ، ابن حجر: الدرر السفر الاول ص ٣٠٦-٣٠٧. ترجمة رقم ٧٨٠ .

(٤) ابن الخطيب : عمل من طب لمن حب لوحة ٤٧ .

(٥) ابن الخطيب : مقنعة السائل (مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٨٥) لوحة ٤٢.

علي خطورة انتقال المرض عن طريق الملابس والأواني الملوثة^(١)، كما أوصي الطبيب محمد الشقوري بغسل الملابس الملوثة نتيجة للاتصال بالمرض في الماء البارد^(٢)، ونصح بعدم التردد علي الحمامات العامة في زمن الوباء^(٣).

واقيم في غرناطة «المارستان» في عهد محمد الخامس في الفترة ما بين ٧٦٨/٧٦٧ ، ١٣٦٥/١٣٦٧^(٤)، وكان عبارة عن مبني مستطيل من طابقين له فناء رئيسي به بركة كبيرة تزينها نافورات الماء الذي يتدفق من أسدين من الرخام يقفان علي أرجلهما الخلفية، ويحيط بهذا الفناء اروقة من طابقين، مستندة علي اعمدة من الآجر التي تنتشر الصحن خلفها^(٥).

وهكذا نري انه علي الرغم من الظروف السياسية والاقتصادية البالغة القسوة التي كانت تحيط بمملكة غرناطة، ووقوعها في وسط اعداء يحيطون بها من كل جانب، وبتربصون بها الدوائر علي الرغم من كل هذا فقد اهتم ملوك بني نصر في غرناطة بالآداب والعلوم والفنون ، وعادت الي الأذهان ذكرى عصر الخلافة في قرطبة، وصارت غرناطة في عصرهم مركز إشعاع ثقافي في المغرب والاندلس ، وأخذت تنير بأضوائها الساطعة وحضارتها المزدهرة كل ما حولها، وأصبحت غرناطة في المغرب الاسلامي مثل القاهرة في المشرق ، تجذب الطلاب من كل فج عميق ،

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق لوحات ٤٠ ، ٤٣

(٢) محمد الشقوري : نصيحة (مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٨٥) لوحة ١٠٨ .

(٣) محمد الشقوري : المصدر السابق لوحة ١٠٧ .

(٤) انظر :

E. Lafuente Alcantara: Inscripciones arabes de Granada pp 172-175.

(٥) انظر مزيداً من التفاصيل في :

Leopoldo Torres Balbás : El Maristan de Granada Al Andalus IX, 1944 fasc 2, pp 481-498 .

حتي لقد خلبت لب الشاعر فتغني :

غرناطة ما لها نظير

ما مصر ، ما الشام ، ما العراق

ماهي الا العروس تجلي

وتلك جملة الصداق (١)

(١) المقري : نفح الطيب ج ١ ص ١٤٢ .

المصادر والمراجع أولا : المصادر المخطوطة

- ابن الخطيب : لسان الدين بن محمد عبد الله (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)
- الاحاطة فى أخبار غرناطة مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣
- ربحانة الكتاب ومجعة المنتاب مخطوط الإسكوريال رقم ١٨٢٥ .
- مقنعة السائل عن المرض الهائل مخطوط الإسكوريال رقم ١٧٨٥ .
الشقورى : محمد (كان حيا عام ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)
- نصيحة (رسالة فى الطب) مخطوط الإسكوريال رقم ١٧٨٥ .
النسبـاهى : أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المالى (ت أواخر القرن الثامن الهجرى) .
- نزهة البصائر والأبصار مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٥٣
النميرى : ابن الحاج النميرى (ولد عام ٧١٣هـ / ١٣١٣م) .
- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب.
مخطوط مصور عن الخزانة الملكية بالرباط - معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية رقم ١٦٦ .
النويرى السكندرى : محمد بن القاسم السكندرى المالى (ألفه عام ٧٧٥هـ) .
- كتاب الإمام بما جرت به الأحكام المقضية فى واقعة الإسكندرية، فى سنة سبع وستين وسبعمائة، وعودها إلى حالتها المرضية . مخطوطة مصورة بمكتبة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عن نسخة دار الكتب المصرية .

ثانيا : المصادر العربية القديمة

ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي

البلنسى المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م)

- كتاب التكملة لكتاب الصلة مدريد ١٨٨٧ م

- الحلة السيرة تحقيق د. حسين مؤنس

القاهرة ١٩٦٣ .

ابن الأحمر : أبو الوليد (ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م)

- كتاب مستودع العلامة ومستبدع العلامة

تحقيق محمد التركي التونسى ومحمد بن تاويت تطوان

١٣٨٤ / ١٩٦٤ .

- روضة النسرین طبعة القصر الملكى الرباط ١٩٦٢

- نثير الجمان فى نظم فحول الزمان .

تحقيق محمد رضوان الداية بيروت ١٩٦٧ .

الإدريسى : أبو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت حوالى ٥٤٨ هـ /

١١٥٤ م)

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من

كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق تحقيق دوزى ودى خوية

ليدن ١٨٩٤ م

أحمد بن ابراهيم بن يحيى الأزدي الفشتالى (ت ٦٦٧ هـ /

٦٨ - ١٢٦٩ م)

تحفة المغترب ببلاد المغرب، لمن له من الإخوان، فى كرامات

الشيخ أبى مروان.

تحقيق ونشر: فرناندو دى لاجرانخا مدريد ١٩٧٤ .

ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك : (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م).

- كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم
وفقهايم وأدبائهم مدريد ١٨٨٢ م.

البغدادي : صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ).
- مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - ٣ أجزاء تحقيق
وتعليق على محمد البجاوى القاهرة ١٣٧٣ / ١٩٥٤ .

ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٨ م).
- تحفة النظر فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - نشر
وترجمة ديفريرى وسانجيتى . باريس ١٩٢٢ .

أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م).

البكرى : - المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب .

نشر دى سنان الجزائر ١٩١١ .

التجاني : أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م)

- رحلة التجاني قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب

تونس ١٣٧٨ / ١٩٥٨ .

التمبكتى : أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر المعروف بأحمد بابا

(ت ١٠٣٦ هـ / ١٦٢٧ م) .

- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج .

بهامش كتاب الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب لابن

فرحون الطبعة الأولى القاهرة ١٣٥١ هـ .

ابن جبير : محمد بن أحمد الأندلسى (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)

- رحلة ابن جبير

تحقيق د. حسين نصار.

الجسوالىقى : أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (٤٦٥ -

٥٥٤ هـ).

- المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم تحقيق أحمد

محمد شاکر القاهرة ١٩٦٩ .

- .. المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم تحقيق أحمد محمد شاكر القاهرة ١٩٦٩ .
- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد (ت ٨٥٢هـ) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .
- أربعة أسفار حيدر أباد الدكن ١٣٤٨ هـ
- الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت في أواخر ق ٩ الهجري)
- .. صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار .
- نشر ليفى بروفنسال (القاهرة ١٩٣٨)
- أبو حيان الغرناطي : محمد بن يوسف بن علي (ت ٧٤٥هـ)
- .. البحر المحيط القاهرة ١٣٢٨ . (ت ٧٧٠هـ) .
- ابن خاتمة الأنصاري : ديوان ابن خاتمة الأنصاري - حققه وقدم له الدكتور محمد رضوان الداية دمشق ١٣٩٢ / ١٩٧٢ م .
- الحشنى : .. أبو عبد الله محمد بن حارث (ت ٣٦١هـ)
- .. قضاة قرطبة مجموعة تراثنا القاهرة ١٩٦٦ .
- ابن الخطيب : لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)
- .. نفاضة الجراب في علالة الإغتراب .
- تحقيق د. أحمد مختار العبادي القاهرة ١٩٦٧ .
- .. أعمال الأعلام فيمن نوبع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام .
- أ. - الجزء الخاص بتاريخ الأندلس نشره ليفى بروفنسال (بيروت ١٩٥٦).
- ب. الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية نشره الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي والأستاذ إبراهيم الكتاني. (الدار البيضاء ١٩٦٤) .

- كناسة الدكان بعد انتقال السكان .
- نشر د. محمد كمال شبانة القاهرة ١٩٦٦ .
- الاحاطة فى أخبار غرناطة
- أ. جزاءن القاهرة ١٣١٩ هـ .
- ب. نشرة الأستاذ عبد الله عنان الجزء الأول عام ١٩٥٥
والثانى ١٩٧٤ والثالث ١٩٧٥ والثالث عام ١٩٧٧ .
- رقم الحلل فى نظم الدول تونس ١٣١٧ هـ .
- ديوان الصيب والجهم والماضى والكهام .
- دراسة وتحقيق د. محمد الشريف قاهر الجزائر ١٩٧٣ .
- باللمحة البدرية فى الدولة النصرية .
- صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب - القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة
الثامنة .
- نشر د. احسان عباس - بيروت ١٩٦٣ .
- جيش التوشيح . حققه وقدم له هلال ناجى
تونس ١٩٦٧ .
- روضة التعريف بالحلب الشريف :
- تحقيق عبد القادر أحمد عطا القاهرة ١٣٨٧ / ١٩٦٨ .
- كتاب عمل من طب لمن حسب طبع النص العربى مع بيان
المصطلحات ومعجم الأسماء الطبية
- Maria Concepcion Vazquez de Benito (Salamanca 1972 .)
- كتاب السحر والشعر .
- نشره وترجمه إلى الإسبانية
- Jose Manuel Continente Ferrer Madrid 1973

- ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
 - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم
 والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . (٧ أجزاء
 القاهرة ١٢٨٤ هـ)
 - المقدمة (بيروت ١٩٠٠) ، ونشرها د. علي عبد الواحد
 في أربعة أجزاء .
 - التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً تحقيق محمد بن
 تايوت الطنجي (القاهرة ١٩٥١) .
 ابن خلدون : - أبو زكريا يحيى (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م)
 - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد . نشر ألفرد بل
 الجزائر ١٩٠٣ .
 ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ /
 ١٢٨٢ م)
 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان نشر محي الدين عبد
 الحميد (القاهرة ١٩٥٠) .
 ابن الزبير : أبو جعفر أحمد
 - صلة الصلة تحقيق ليفي بروفنسال الرباط ١٩٣٨ .
 ابن أبي زرع : أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا عام ٧٢٦ هـ) .
 - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب
 وتاريخ مدينة فاس .
 فاس ١٣٠٥ هـ .
 السببتي : محمد بن القاسم بن محمد بن عبد الملك الأنصاري السبتي
 - بلغة الأمانة ومقصود اللبيب فيمن كان بسببتي في الدولة
 المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب . تحقيق محمد بن تايوت .
 مجلة تطوان العدد التاسع ١٩٦٤ ص ١٧٣ - ١٩٣ .

- السخاوى : - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن
 - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع القاهرة ١٣٥٣ هـ .
 ابن سعيد المغربي : أبو الحسن على (٦١٠ - ٦٨٥ هـ) .
 - المغرب فى حلى المغرب جزءان نشر د . شوقى ضيف
 القاهرة ١٩٦٤ .
 - اختصار القدح المعلى فى التاريخ المحلى - اختصره أبو عبد
 الله محمد بن عبد الله بن خليل .
 تحقيق ابراهيم الإبيارى القاهرة ١٩٥٩ .
 - رايات المبرزين وغايات المميزين .
 تحقيق د . النعمان عبد المتعال القاضى .
 القاهرة ١٣٩٣ / ١٩٧٣ .
 - عنوان المرقصات والمطربات ١٢٨٦ هـ
 - كتاب بسط الأرض فى الطول والعرض
 تحقيق خوان فرنيط خينيس تطوان ١٩٥٨ .
 السلاوى : أحمد بن خالد الناصرى (١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م)
 - الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى .
 أربعة أجزاء فى مجلدين القاهرة ١٨٩٤ .
 الإشبيللى : أبو بكر بن ابراهيم
 - كتاب التيسير فى صناعة التفسير .
 تحقيق عبد الله كنون .
 صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلاميه بمطرد المجلدان
 السابع والثامن ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ص ١ - ٤٢ .
 الشيزى : - نهاية الرتبة فى طلب الحسبة .
 تحقيق د . الباز العرينى القاهرة ١٣٦٥ / ١٩٤٦ .
 الصفدى : صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدى (ت ٧٦٤ هـ)
 - الوافى بالوفيات استانبول ١٩٣١ .

ابن عـذارى : أبو العباس أحمد بن محمد اكان حيا عام ٧١٢هـ /
(١٣١٢م)

- البيان المغرب فى إختصار ملوك الأندلس والمغرب .
الجزء الثالث. تحقيق امبروسى هويسى ميراندة ومحمد بن
تاويت الطنجى ومحمد ابراهيم الكتانى .
تطوان . ١٩٦٠ .

العـذارى : أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى (ت ٤٧٨هـ /
(٩٨٨م)

- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان
والمسالك إلى الممالك .
نشر د. عبد العزيز الاهوانى مدريد ١٩٦٥ .

العـمرى : شهاب الدين بن فضل الله (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م)
- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار .
الجزء الخاص بوصف افريقية والمغرب والأندلس. نشر حسن
حسنى عبد الوهاب .

ابن غالب الغرناطى: محمد بن أيوب
- نص أندلسى جديد من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ
الأندلس.

تحقيق د. لطفى عبد البديع القاهرة ١٩٥٦ .
الغـبـرىنى : أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت ٧١٤هـ)
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة
ببجاية.

تحقيق محمد بن أبى شنب.
الطبعة الأولى . الجزائر ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م .

ابن فـرحـون : برهان الدين ابراهيم بن علي
- كتاب الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب . الطبعة

- الأولى القاهرة ١٣٥١ هـ .
- تبصرة الحكام جزآن .
- ابن القاضى : أحمد بن محمد بن أحمد (١٢٠٥ هـ / ١٦١٦ م)
- جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس - طبعة
حجرية (فاس ١٣٠٥ هـ)
- درة المجال فى غرة أسماء الرجال .
- نشرعلوش جزآن رباط الفتح ١٩٣٤ .
- القلق شندى : أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا
- ١٤ جزءا القاهرة مجموعة تراثنا
- ابن الكردبوس : أبى مروان عبد الملك بن الكردبوس (كان حيا فى أواخر ق
١٤٦ هـ) .
- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط .
- نشر د. أحمد مختار العبادى مدريد ١٩٧١ .
- المـاوردى : أبو الحسن على بن محمد البصرى (ت ٤٥٠ هـ / ٩٥٨ م)
- الأحكام السلطانية القاهرة ١٢٩٨ هـ .
- أبو المحاسن : جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ /
١٢٥٤ م)
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب
المصرية ١٩٥٦) .
- المراكشى : عبد الواحد (ت ٦٤٧ هـ)
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد سعيد
الريان (القاهرة ١٩٦٣) .
- المراكشى : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشى :
- الذيل والتكملة لكتايب الموصول والصلة .
- السفر الأول نشر محمد بن شريفة بيروت

- . السفر الرابع . نشر احسان عباس بيروت ١٩٦٤ .
- . السفر الخامس . نشر احسان عباس بيروت ١٩٦٥ .
- . السفر السادس . نشر احسان عباس بيروت ١٩٧٣ .
- ابن مـرزوق : . المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن
دراسة وتحقيق مارية خيسوس بيجيرا .
الجزائر ١٩٧٥ .
- ابن مـريم : أبو عبد الله بن محمد بن محمد التلمساني
- البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان
تحقيق محمد بن أبى شنب الجزائر ١٣٢٦ / ١٩٠٨ .
- المقـررى : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)
- أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض
ثلاثة أجزاء تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد
الحفيظ شلى - القاهرة .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان
الدين بن الخطيب .
- عشرة أجزاء نشر محمد محى الدين عبد الحميد .
- المقـررى : تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٨٤٥ / ١٤٤١) .
- السلوك لمعرفة دول الملوك . نشر محمد مصطفى زيادة .
القاهرة ١٩٣٦ .
- المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار جزءان .
(بولاى ١٢٧٠ هـ)
- ابن المؤقت : محمد بن محمد بن عبد الله المدعو بابن المؤقت .
- السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية .
جزءان (فاس ١٣٣٥ هـ)
- مؤلف مجهول : - نبذة العصر فى أخبار ملوك بنى نصر أو تسليم غرناطة
ونزوح الأندلسيين إلى المغرب .

القاهرة ١٩٥١ .

- تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس .

نشره وترجمه إلى الفرنسية لويس مارسيه بعنوان

Orenement des Ames et la Devise de Habitants d'El Andalalus (Paris 1939)

أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني .

الونششريشى : - أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى

ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواج.

نشر د. حسين مؤنس - صحيفة المعهد المصرى للدراسات

الاسلامية بمديره - المجلد الخامس العددان ١ - ٢ .

١٣٧٧ / ١٩٥٧ ص ١٢٩ - ١٩١ .

شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ)

ياقوت الحموى : - معجم البلدان القاهرة ١٩٠٦ .

أبو الحسن علي

ابن يوسف الحكيم : - الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة .

تحقيق د. حسين مؤنس مديره ١٩٦٠ .

ثالثا : المراجع العربية والأوربية المعربة

الأهـوانسى : (د. عبد العزيز)

- سفارة سياسة من غرناطة إلى القاهرة سنة ٨٤٤هـ - مجلة
كلية الآداب جامعة القاهرة - المجلد السادس عشر مايو
١٩٥٤ .

- ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة -
مجلة معهد المخطوطات، المجلد الثالث، القاهرة ١٩٥٧ .
- كتاب «برامج العلماء في الأندلس» - مجلة معهد
المخطوطات العربية ج ١ الفصل الأول مايو ١٩٥٥ .

احسان هندی :

- الحياة العسكرية عند العرب دمشق ١٩٦٤ .

أحمد أمين :

- ظهر الإسلام القاهرة ١٩٥٣ .

أشباح (يوسف) :

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة الأستاذ
محمد عبد الله عنان (القاهرة ١٩٤١) .

بالنثيا : (أنخل جونثالث) :

- تاريخ الفكر الأندلسي . ترجمة : د. حسين مؤنس .

القاهرة ١٩٥٥

بحر : (محمد عبد المجيد) :

- اليهود في الأندلس القاهرة ١٩٧٠ .

بروفنسسال : (ليفتي) سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها. ألقاها
عامي ١٩٤٧ - ٤٨، ترجمها إلى العربية د. محمد عبد

الهادى شغيرة وراجعها الأستاذ عبد الحميد العبادى .

مطبوعات جامعة الاسكندرية عام ١٩٥١ .

٠ ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحاسب

القاهرة ١٩٥٥

بلباس (ليوبولد وتوريس):

٠ الأبنية الإسبانية الإسلامية . مجلة المعهد المصرى للدراسات

الإسلامية بمديره . العدد الأول . السنة الأولى ١٩٥٣ ترجمة

علية ابراهيم العنانى .

بلبع (د. محمد توفيق):

٠ غرناطة وقصر الحمراء (مستخرج من المجلة التاريخية

المصرية، المجلد الخامس عشر ١٩٦٩)

بنعبد الله (عبد العزيز):

٠ الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب.

مجلة تطوان العدد الخامس ١٩٦٠ (تطوان)

٠ البحرية المغربية والقرصنة .

مجلة تطوان العددان الثالث والرابع ١٩٥٨ - ١٩٥٩ .

بن تاويت (محمد):

٠ من زوايا التاريخ المغربى .

٠ مجلة تطوان العدد السابع ١٩٦٢ .

التطوانى : (محمد):

ابن الخطيب من خلال كتبه (تطوان بدون تاريخ)

التفتازانى: (د. أبو الوفا الغنيمى)

٠ ابن عباد الرندى، حياته وآثاره .

صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمديره المجلد

السادس العدد ١ - ٢ / ١٣٧٨ / ١٩٥٨ .

جـــــــــــــــــومث

(أميليو جارتيا): - الشعر الأندلسي - بحث في تطوره وخصائصه. ترجمة د.

حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٦ .

- مع شعراء الأندلس والمتنبي. ترجمة الطاهر أحمد مكي .

القاهرة ١٣٩٤ / ١٩٧٤ .

جـومث مورينو : الفن الاسلامي في أسبانيا . ترجمة د. لطفى عبد البديع

ود. السيد عبد العزيز سالم . القاهرة ١٩٦٨

حبيب زيات : معجم المراكب والسفن في الإسلام بيروت ١٩٥٠

حسن ابراهيم حسن

وأخــــــــــــــــرون: النظم الإسلامية القاهرة ١٩٤٩ .

حسن أحمد محمود: (الدكتور)

- قيام دولة المرابطين (القاهرة ١٩٥٧)

حسن حسنى عبد

الوهاب : شهيرات التونسيات تونس ١٣٥٣ هـ

الحسن السائح : البلوى - الرحالة الأندلسي المجهول.

مجلة دعوة الحق - العدد السادس السنة السابعة - مارس

١٩٦٤ / ذو القعدة ١٣٨٣ .

أبو القاء البلوى :

مجلة البحث العلمي، الرباط العدد الأول السنة الأولى

١٩٦٤

(محمد ياسين)

الحموى:

- تاريخ الأسطول العربي دمشق ١٩٤٥

(الدكتور)

خديجة الحديثي:

- أبو حيان النحوى بغداد ١٩٦٦

خليان سان باليرو:

- التجارة الأندلسية فى القرن الخامس عشر

محاضرة فى بلنسية فى ١٦ / ١٢ / ١٩٦٥ .

خوسى ماريا مياس بيبكروسا:

علم الفلاحة عند المؤلفين العرب - تعريب عبد اللطيف الخطيب

تطوان ١٩٥٧ .

الدباغ: (محمد بن عبد العزيز)

- ابن جزى كاتب رحلة ابن بطوطة .

مجلة دعوة الحق، العدد العاشر، السنة الخامسة صفر ١٣٨٢

/ يوليو ١٩٦٢ .

ديفــــز:

- أوروبا فى العصور الوسطى . ترجمة د. عبد الحميد حمدى

محمود

زامبــــاور:

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامي

أخرجه الدكتور زكى محمد حسن وحسن أحمد محمود القاهرة

١٩٥١

الزركلى: (خير الدين)

- كتاب الأعلام الطبعة الثانية .

زكى محمد حسن: (دكتور)

- فنون الإسلام القاهرة ١٩٤٨ .

- الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى القاهرة ١٩٤٥

زيــــــدان: (جورجى)

- تاريخ التمدن الاسلامى . مراجعة د. حسين مؤنس

سالم: (د. السيد عبد العزيز)

- المساجد والقصور بالأندلس. سلسلة أقرأ

العدد ١٩٠ (١٩٥٨)

- المغرب الكبير (١٩٦٦)

- التاريخ والمؤرخون العرب (١٩٦٧)

- تاريخ الحربة الاسلامية قاعدة أسطول الأندلس (بيروت

١٩٦٩)

- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس (بيروت ١٩٦٢)

- مدينة مرسية - محاضرة ألقىت بجمعية الآثار بالاسكندرية

عام ١٩٦٧ (مطبوعات جمعية الآثار) .

- بعض المصطلحات للعمارة الاندلسية المغربية .

صحيفة المعهد المصرى بمديرى المجلد الخامس العددان ١ - ٢

. ١٣٧٧ / ١٩٥٧ .

- العمارة الاسلامية فى الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر،

المجلد الثامن ١٩٧٧ .

د. سعد زغلول:

- المغرب العربى. (الاسكندرية ١٩٦٥)

- الاستبصار فى عجائب الأمصار لمؤلف مجهول (نشر جامعة

الاسكندرية)

- علوم العرب القديمة، دراسة منهجية لبعض النماذج، مجلة

عالم الفكر المجلد الثامن ١٩٧٧ .

د. سعيد عاشور:

- أوربا فى العصور الوسطى. القاهرة ١٩٦١

سعيد أعراب:

- أبو حيان الغرناطى. مجلة البحث العلمى الرباط السنة

الأولى العدد الثالث ١٣٨٤ / ١٩٦٤ .

سيكودى لوئينا لويس:

- وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى مدريد ١٣٨٠ / ١٩٦١ .
- الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية - صحيفة المعهد المصرى بمديرى المجلد السابع والثامن ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .
- وثائق عربية غرناطية لم تنشر.
- صحيفة المعهد المصرى بمديرى . المجلد الرابع العددان ١ - ٢ ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

شالميتا (بدرو):

- الحسبة الأندلسية كما ترى من خلال المراسيم الملكية الاسبانية. محاضرة فى بلنسية عام ١٩٦٥ .
- شبانة (د. محمد كمال)

- يوسف الأول بن الأحمر القاهرة ١٩٦٩ .
- السياسة الخارجية لمملكة غرناطة النصرية فى منتصف ق ٨ هـ مجلة البحث العلمى العدد ١١ ، ١٢ السنة الرابعة ١٣٨٧ / ١٩٦٧ .
- الحالة الاقتصادية بالأندلس خلال ق ٨ هـ / ١٤م - مجلة البحث العلمى العدد الثامن - السنة الثانية ١٣٨٦ / ١٩٦٦ .

ابن شريفة (محمد):

- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومى، حياته وآثاره الرباط ١٩٦٦ .

شكيب أرسلان: (ت ١٣٦٦ / ١٩٤٦)

- الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية.

الشىال : (د. جمال الدين)

- أعلام الإسكندرية فى العصر الاسلامى.

صباحي الصالح :

- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها (بيروت ١٩٦٨)

عبادة : (عبد الفتاح عبادة) :

- سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتنا في الإسلام .

العبادي : (د. أحمد مختار) :

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس (الاسكندرية ١٩٦٨)

- الأعياد في مملكة غرناطة . صحيفة معهد الدراسات

الإسلامية بمدير - المجلد الخامس عشر ١٩٧٠ .

- نظام الخلافة في المغرب الإسلامي في العصور الوسطى ،

كتاب فلاسفة الإسلام في المغرب العربي (تطوان ١٩٦٢) .

- حياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس - مجلة البيئة

(يناير ١٩٦٣) .

- في التاريخ العباسي والأندلس (بيروت ١٩٧١) .

- البحرية في المغرب والأندلس بالاشتراك مع الأستاذ

الدكتور/ السيد عبد الغزيز سالم (بيروت ١٩٦٩) .

- العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس في القرن الثامن

الهجري ، الكتاب الذهبي لجامعة فاس بمناسبة ذكرها المائة

بعد الألف .

- فترة مضطربة من تاريخ غرناطة كما يصفها شاهد عيان

. صحيفة المعهد المصري بمدير المجلد السابع والثامن

. ١٩٦٠/١٩٥٩ .

- النزعات الاقتصادية في حياة لسان الدين بن الخطيب .

مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ .

- مقامة العيد (لأبي محمد عبد الله الأزدي ت ٧٥٠ هـ/

١٣٥٠ م) صورة من صور الحياة الشعبية في غرناطة ،

صحيفة المعهد المصري بمدير العدد ١-٢ ١٣٧٣/١٩٥٤

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب
والأندلس - (مجموعة من رسائله) .
- نشر وتحقيق الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي .
- بحث في الأسلحة النارية في المغرب والأندلس تعليقا على
كتاب :

David Ayalon : Gunpowder fire arms in
the Mamluk Kingdom. (London 1956) .

- في مجلة . Hesperis , 1959 , 3-4 trimestres .
- من التراث العربي الأسباني نماذج لأهم المصادر العربية
والحوليات الإسبانية التي تأثرت بها . مجلة عالم الفكر -
العدد الثامن ١٩٧٧ .
- سياسة ابن الخطيب المغربية مجلة البينة مايو ١٩٦٢ .

العبادي : (الأستاذ عبد الحميد)

- المجلد في تاريخ الأندلس القاهرة ١٩٥٨ .

عباس : (د. احسان) :
- أخبار الغناء والمغنين في الأندلس .

مجلة الأبحاث السنة ١٦ الجزء الأول - آذار ١٩٦٣ .

د . عبد الرحمن زكي :

- غرناطة وآثارها الفاتنة المكتبة الثقافية رقم ٢٧٦ .
- النقوش الزخرفية والكتابات علي السيوف الإسلامية .
- صحيفة المعهد المصري بمدير المجلد الخامس العددان
١-٢ ١٩٥٧ .

عبد القادر زمامة :

- أبو البقاء الرندي - مجلة دعوة الحق العدد الثاني السنة
الرابعة ١٩٦٣ .

- لسان الدين بن الخطيب . مجلة دعوة الحق السنة السابعة
العدد السادس مارس ١٩٦٤ .

- المؤرخ الأديب أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر
صحيفة المعهد المصري بمدير العدد ١٨ ١٩٧٤/١٩٧٥ .

عبود (محمد بن عبد السلام) :

- تاريخ المغرب (تطوان ١٩٧٥)

عنان : (محمد عبد الله)

- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين - القاهرة ١٩٦٦
الطبعة الثالثة .

- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس
(القاهرة ١٩٦٤)

- رواية مصرية عن المغرب والأندلس في آواخر القرن التاسع
الهجري صحيفة المعهد المصري بمدير - المجلد ١٥ / ١٩٧٠

- من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي : كتاب العز
والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع . صحيفة
المعهد المصري بمدير المجلد ١٦ / ١٩٧١ .

- جغرافية الأندلس والمصطلحات الجغرافية الأندلسية .
مجلة تطوان العددان ٣-٤ ١٩٥٨/١٩٥٩ .

- وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري .
صحيفة المعهد المصري بمدير - المجلد الثاني

١٣٧٣/١٩٥٤ .

- تراجم شرقية وأندلسية (القاهرة ١٩٤٧) .

غنيمة (محمد عبد

الرحمن) :- تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى (تطوان ١٩٥٣)

عيسي (أحمد) :- معجم الأطباء (القاهرة ١٣٦١/١٩٤٢)

القاسي : (محمد) :- الأعلام الجغرافية الأندلسية مجلة البيئة العدد الثالث
السنة الأولى ١٩٦٢ .

فارمر : (هـ - ج) :- تاريخ الموسيقى العربية ترجمة د. حسين نصار - مجموعة
الألف كتاب رقم ٧ .

قشطليو (محمد) :- نظرة علي تاريخ " الموريسكوس " مجلة تطوان العدد الأول
١٩٥٦ .

الكتاني : (محمد بن

عبد الحفي بن عبد

الكبير بن محمد

الحسني الإدريسي) :- كتاب فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات
والمسلسلات جزاء فاس ١٣٤٦) .

كنون : (عبد الله) :- ممالك بن المرحل - ذكريات مشاهير رجال المغرب .
تطوان رقم ٨ .

- أبو بكر بن شيرين . ذكريات مشاهير رجال المغرب .
تطوان رقم ١٧ .

- أبو البقاء الرندي . صحيفة المعهد المصري بمديرد العدد
الأول . السنة الأولى ١٩٥٣ .

- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث . صحيفة المعهد المصري

العدد الأول ١٣٧٨/١٩٥٨ .

ماريانو أريباس بالاو - بنومرين في الاتفاقات المبرمة بين أراجون وغرناطة . مجلة
تطوان العدد التاسع ١٩٦٤ .

محرز : (د. جمال

محمد) - مصحف مذهب من العصر الغرناطي بخزانة كتب الفقيه
السيد محمد بن دواد بتطوان . صحيفة المعهد المصري
بمدريد العدد الثالث المجلد الأول ١٣٧٤/١٩٥٥ .
- الرسوم الجدارية الإسلامية في البرطل بالحمراء
مدريد ١٩٥١ .
- قطعتان من السجاد المملوكي بمتحف غرناطة الأثري .
صحيفة المعهد المصري بمدريد المجلد الثاني العدد ١-٢
١٣٧٣/١٩٥٤ .

المراكشي : (العباس

بن ابراهيم) - الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام الرباط
١٩٧٤ .

مرزوق : (د. محمد

عبد العزيز) - بين الآثار الإسلامية في العالم
- قصر الحمراء المكتبة الثقافية ٩١ .
- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس (بيروت .

محمد المتوني - المولد النبوي الشريف في المغرب المريني . مجلة دعوة الحق
العدد الأول - السنة الثانية عشر نوفمبر ١٩٦٨ .

- وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني - مقتبس
من " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " لابن فضل الله
العمري . مجلة البحث العلمي الرباط - السنة الأولى -
العدد الأول ١٣٨٣/١٩٦٤ .

- مكتبة الزاوية الحمراء . صفحة من تاريخها . مجلة تطوان
العدد التاسع ١٩٦٤ .

- نظم الدولة المرينية - مجلة البحث العلمي الرباط السنة
الأولى العددان ١-٢ : ١٣٨٤/١٩٦٤ .

مؤنس : (د. حسين) :

- تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس
مدريد ١٩٦٧ .

- شيخ العصر في الأندلس (المكتبة الثقافية رقم ١٤٦) .
- فجر الاندلس (القاهرة ١٩٥٩) .

ناجي مـعـروف :

- المدخل في الحضارة العربية . بغداد ١٣٧٩/١٩٦٠ .

النشار (د. علي سامي) :

- أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي وأثره في العالم
الإسلامي . صحيفة المعهد المصري بمدريد العدد الأول
السنة الأولى ١٩٥٣ .

الـوـثـائـق :

- مجموعة دوريات تصدرها مديرية الوثائق الملكية بالرباط
الرباط ١٣٩٦/١٩٧٦ .

رابعاً : المصادر والمراجع الأجنبية

Abbadi : Dr. A. Muhtar:

- Algunos aspectos de las relaciones historicas hispano-Egipcias, Boletin de la embajada de Egipto en Madrid, 23 Julio 1952-1953.
- Las fiestas profanas y religiosas en El Reino de Granada (M.E.A.H.) 1965-1966 fasc. 1 pp 89-96.
- El Reino de Granada en la época de Muhammad V (Madrid 1973).

Abraham Newman :

- The Jews in Spain, Their social, political and cultural life during the Middle ages (Philadelphia 1948).

Aguado Bleye "Pedro":

- Manual de Historia de Espana (Madrid 1947).

Alarcón y Linares :

- Los documentos árabes diplomaticos de Archivo de la Corona de Aragón. (Madrid-Granada 1940).

Aleya Ibrahim El Enany :

- Tres Telas Granadinas. Instituto de Estudios Islamicos 1954. pp 149-159.

Allouche, I.S. :

- La relation du Siege d'Almeria en 709, dans Hespéris (1933) t. XVI, pp 122-138.
- Une Texte relatif aux Premiers Canons. Hespéris tome XXXII 1945 pp 81-84.

- La Vie economique et social a Grenade. Melanges d'Historie et d'Archeologie de L'Occident Musulman t. II 1954.

Amador de los Rios; José :

- Memoria Historica - Critica sobre las treguas Celebradas en 1439 entre los reyes de Castilla y de la Real Academia de la Historia. t. IX (Madrid 1879).
- Trofeos militares de la Reconquista (Madrid 1893).
- Historia social, politica y religiosa de los judios de Espana y Portugal, 3 tomos (Madrid 1876).
- Notas acerca de la batalla de Lucena y la prision de Boabdil en 1483; (Revista de Archivos, Bibliotecas y Museos III, Vol XVI 1907).

Andrea Navagero :

- Viaje a Espana Del Magnifico Senor Andres Navagero (1524-1526) Trad. José Maria Alonso Gamo (Valencia 1951).

Antonio Alamgro Cardenas :

- Inscripciones Arabes de Granada y Apuntos Arquelogicos sobre su Madraza. (Granada 1879).

Antonio Gonzalez Part :

- Alturas de la Ciencias medicas en El Reino Al Andalus (Discurso de recepcion en la Real Academia de Medicina (Barcelona 1906).

Antonio Prieto y Vives :

- Las Monedas de Boabdil (Al Andalus Vol. III 1935 fasc. I pp 130-132.
- Numismatica Granadina Bol. Ac. Hist. 1932.
- Monedas de las dinastias arabigo - espanolas (Madrid 1893).

Arcipreste de, Juan Ruiz :

- Libro de buen amor (Buenos Aires 1952).

Arie, Rachel :

- Quelques Remarques sur Le Costume de Muslmans d'Espagne au temps de Nasrides (Arabica 1965, t. XII fasc 3.)
- Le Costume de Musulmans de Castille au XIII^e siecle d'apres les Miniatures du libro del Ajedrez. (Melanges de la Casa de Velazquez t. II 1966 (Paris).
- L'Espagne Musulmane au Temps de Nasrides (1232-1492) Paris 1973.
- Acerca del traje Musulman en Espana desde la Caída de Granada hasta la expulsion de los Moriocos (Revista del Instituto de Estudios Islamicos en Madrid, Vol. XIII, 1965-1966).

Arribas Palau, (M.) :

- Musulmanes de Valencia apresados Cerca de Ibiza en 1413. (Tetwn 1953).
- Una relamacion de y usuf III de Granada a Fernando I de Aragón (M.E.A.H.) 1961, Vol. IX, fasc I, pp 76-84.
- Las treguas entre Castilla y Granada firmadas por Fernando I de Aragon (Tetuan 1956).

Ashtore, E. :

- Prix et salaires dans l'Espagne musulmane aux X^e et XI^e siecles, dans Annales, Juillet-Aout 1965.

Asin Placios, Miguel :

- Huellas de Islam (Madrid 1941).
- Contribucion a la toponimia arabe de Espana (Madrid - Granada 1944).

Babelon, E. :

- Guide illustre du Cabinet de Médailles et antiques de la Bibliothèque Nationale (Paris 1900).

Ballesteros Beretta (A.) :

- Sevilla en le siglo XIII (Madrid 1913).
- Joyeros mores de Alfonso el Sabio (Al Andalus Vol VII, 1942, fasc 2 pp 475-477).
- Historia de Espana y su inflencia en la Historia Universal t. III (Barcelona-Buenos Aires 1948).

Bejarano Robles :

- El Repartimiento de Malaga (Al Andalus, Vol. XXXI, 1966, fasc. I y 2 pp 1-46).
- Fundacion de la hacienda munciple de Malaga por los Reyes catolicos (Malaga 1951).

Benavides, A:

- Memorias sobre la guerra del reino de Granada y los tratos y conciertos que precedieron a la capitulaciones de la ciudad (Madrid 1845).

Bermis Madrazo, C. :

- Modas Moriscas en la sociedad Cristiana espanola del siglo XV y principios de XVI en (B.R.A.H.) t. CXLIV 1959 pp 199-226.

Bermudez Pareja, Jesus :

- Los restos de la Casa arabe de la placeta de Villamena en Granada. (Al Andalus Vol. XII fasc I, 1947).

Bernard and Ellen M. Whishaw :

- Arabic Spain : Sidelights on her history and art. (London 1912).

Bleda (Fray Jaime):

- Cronica de los Moros (Valencia 1618).

Bosch Vilà, Jacinto :

- Los Banu Simak de Málaga y Granada. Una familia de Cadíes. (M.E.A.H.) Vol. XI, 1962; fasc I.

Brunchvig, Robert :

- La Berberie orientale sous les Hafsides : des Origines a la fin du XV siecle. 2 tomes (Paris 1940-1947).

Calvo Y., C. M. del Rivero :

- Catalogo sumario del Museo Arqueologico Nacional, Guia del Salon de Numismatica (Madrid 1926).

Canelias, Angel :

- Aragon y la Empresa de Estrecho el siglo XIV (Estudios de edad media de la Corona de Aragon. Seccion de Zaragoza. Vol. II (Zaragoza 1946).

Capmany y Monpalau, A:

- Memorias historicas sobre la marina, Comercio y artes de la antigua Ciudad de Barcelona, 4 Vol., (Madrid 1777-1792), reed. por C. Battle y Gallart, 3 Vol. (Barcelona 1963).
- Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos reyes de Aragon y diferentes principe infieles de Asia y Africa, desde el siglo hasta el XV (Madrid 1786).

Carmen Villanueva, Ma :

- Rabitas Granadinas (M.E.A.H.) 1954.
- Casas, mezquitas y tiendas de las habices de las iglesias de Granada (Madrid 1966).
- La farmacia arabe y su ambiente historico. (M.E.A.H.) Vol. VII 1958, fasc I.
- Fuentes toponimicas granadinas, los libros de Bienes Habices (Al Andalus Vol XIX fasc II 1954).
- Habices de las Mezquitas de la ciudad de Granada y sus Alquerias. ed. Introduction e Indices. (Madrid 1961).

Caro Baroja, J. :

- Los Mriscos del reino de Granada. Ensayo de historia social, Madrid 1957.

Carreres Zacaes, S. :

- Valencia y Algonso y Magnanimo (Anales del Centro de Cultura Valenciana) t. XIV, 1946.

Castrillo :

- Una Carta granadina en el Monesterio de Guadalupe (Al Andalus Vol. XXVI, 1961) fasc. 2 pp 389-396.

Castro Americo :

- Espana en su historia Cristiana, Moros y Judios (Buenos Aires 1948).

Castro Ma del Rivero:

- La Moneda Arabigo Espanola (Madrid 1933).
- Catalogue of Oriental Coins in The British Museum (London 1876).

Chalmeta, Pedro :

- El señor del Zoco en Espana (Madrid 1973).

Colecion de Crònicas espanolas ed. J. Mata Carriazo (1940-1946).

Colin, g.s.: Un nouvea traite grandia d'hippologie, Islamica 1934 pp. 332-337.

Consejo Economico - Social : Bases para el estudio de la economia de Reino
Nazari (Granada 1972).

Corminas (J.) :

- Diccionario Critico etimologico de la lengua Castelliana, Vol. I,
(Berne, 1954).

Cossio, J. :

- Cautivos de Moros en el siglo XIII. (Al Andalus Vol VII, 1942, PP.
49-112).

Creasy :

- Las battallas decisivas en la historia del mundo 1940.

Crònicas de los Reyes de Castilla desde Alfonos X hasta los Reyes Catòlicos, en
Biblioteca de Autores espanoles, ed. Rosell, Madrid 1953 3 tomos.

Cuantes de Ionzalo de Baeza :

- Tesorero de Isabel la Catolica, t.1 (1477-1791) Madrid 1951, ed. A.,
de la Torre.

Cuartero, Miguel :

- El Salado, Revista "Ejecrcito" nùm 13, Febrero 1941.

D. de la Rada y Delgado :

- Catalogo de Monedas arabigo - espanola en el Museo aequelologico
nacional (Madrid 1892).

Dario Cabanelas, B. F. M. :

- Un Francisco Heterodoxo en la Granada Nasri : Fray Alfonso de Mella . (Al Andalus Vol. XV fasc I 1950).

Diccionario de la Lengua Espanola, Real Academia Espanola Decima Quinta edicion (Madrid 1925).

Diccionario de Historia de Espana desde sus Origenes hasta el fin del siglo reinado de Alfonso XIII (Madrid 1952).

Dozy; R. :

- Supplément aux dictionnaires arabes. 2 tomes. deuxième edition (Paris 1927).
- Dictionnaire détaillé des noms des Vetements Chez les Arabes. (Amsterdam 1845).

Dozy et Engelmann (W.H.):

- Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de L'arabe (Amsterdam 1869).

Ebro K. Neuvonen :

- Los Arabismos del Espanol en le siglo XIII (Helsinki 1911).

Eguilaz y Yanguas (Lepoldo de) :

- Glosario etimologico de las palabras espanoles de origen oriental (Granada 1880).
- The Encyclopaedia Britannica. Encyclopaedia of Islam.

Fabré, A. M. :

- Viajes por Espana de Jorge de ringhen, de Baron Leon de Rosmithal de Blatna, de Franciaco Guicciardini y de Andres Navagero (Madrid 1877).

Farmer, H.G. :

- The sources of Arabian Music. (Leyde 1965).

Felipe Torroba B. de Quiros :

- Los Judios espanoles (Madrid 1967).

Fernando de la Granja :

- Fiestas Cristianas en Al Andalus (Al Andalus XXXIV (1969) fasc I.).

Férotin, M. : Historia de l'Abbaye de Silods (Paris 1897).

Ferrandis Torres :

- Espadas Granadinas de la Ginete (Archivo espanol de Arte n° 57 pp 142-166 (Madrid 1943).

Fidel Ferrandez :

- La medicina en le reino moro de Granada (El Sol, Madrid, 30 de Octubre de 1932).

Francisco Codera y Zaldin :

- Titulos y nombres propios en las monedas Arabigo Espanolas. (Madrid 1878).
- Tratado de numismatica arabigo - espanola (Madrid 1879).

Francisco Fernandes y Gonzalez :

- Estado social y politico de los Mudejares de Castilla. (Madrid 1866).
- Espadas hispano-arabe, en Museo espanol de Antigüedades. t.v.

Gachard :

- Voyages de Souverains de pays - Bas dans collection de chronique belges publiées par Gachard (Bruxelles 1876, t.1).

Gamir Sandoval, A. :

- Las fortificaciones Costeras del Reino de Granada, Al occidente de la Ciudad de Málaga, hasta el Campo de Gibraltar. (M.E.A.H.) Vol IX 1960 fasc I.
- Reliquias de las defensas fronterizas de Granada y Castilla en los siglos XIV y XV (M. E. A. A. H.) Vol V 1956 .
- "Las Fardas" para la Costa granadina (siglo XVI) en Homenaje de la Universidad de Granada a Carlos V (1958).

García Còmez, Emilio :

- Cinco poetas musulmanes (Madrid 1959).
- El Elogio de Islam Espanol (Madrid 1943).
- El libro de la Banderas de las Compeones, de Ibn Said Al Magrihi (Madrid 1942).
- La etimologia de A lixares (Al Andalus, 11, 1934).
- El paragon entre Maqlaga y salé (Al Andalus 1934 fasc 1).

Gaspar Remiro : M.

- Correspondencia diplomatica entre Granada y Fez (Siglo XIV) (Revista del Centro de estudios historicos de Granada y su Reino).
ano II nùm 3 - nùm 4
ano III nù 2 - ano 4 nùm 1 1914.
ano IX nùm 3 - ano V 1 y 2 - 3 (Granada 1916.).
- Las inscriplones de la Alhambra ano 1, nùm 1 Granada 1911.
- Documentos para la historia de Reino Granadino ano II nùm 1 (Granada 1912).
- Documentos arabes de la Corte Nazari de Granada (Madrid 1911).

Gazulla, F.D. :

- La redencion de Cautivos entre los musulmanes en (B.R.A.B.L.) de Barcelona t. XIII (Barcelona 1927-1928).

Giménez Soler . (A.) :

- Expedicion de Jaime II a la Ciudad de Almeria, (B.R.A.B.L.B.) 1903-4.
- La expedicion a Granada de los Infantes don Juan y don Pedro en 1319 (Revista de Archivos, Bibliotecas y Museous.) (Madrid 1905).
- La Corona de Aragón y Granada (B.R.A.B.L.) de Barcelona 1905-1906, 1907-1908. IV (Barcelona 1908).

Gómez Moreno (M.) :

- La Loza dorada primitiva de Málaga (Al Andalus Vol V 1940, fasc 2.).
- El Cementero Real de los Nazaries en Mondujar (Al Andalus Vol VII 1942 fasc 2 pp 269-281).
- El Bastón de Cardenal Cisneros (Al Andalus Vol V 1940 fasc I pp 192-195).
- Guia de Granada (Granada 1892).
- Granada en el siglo XIII, Cuadernos de la Alhambra n.2 (Granada 1966) pp. 26-33.

Gonzalez Palencia (Angel) :

- Documentos árabes del Cenete Siglos XII-XV (Al Andalus Vol V 1940 fasc 2 pp 301-382).

Guillén Robles (F.) :

- Málaga Musulmana 2ª ed (Málaga 1957).

Guerrero Lovillo (J.) :

- Miniatura gòtica - Castellanas, siglos XIII y XIV (Madrid 1959) .

Hars Kurlo :

- Geschichte und Geschicht - seschreiber der Abd al Wadiden (Algerien im 13-15. Jahrhundert) Mit einer Teiledition des Nazm ad - Durr des Muhammad b- Abd al - Galil at - Tanasi (Freiburgim Breisgan 1973).

Heers (J.) :

- Gènes au XV^e siècle, Paris 1962 .
- Le royaume de Grenade et la politique marchande de Gènes en Occident au XV^e siècle dans la Moyen Age (Bruxells 1957) .

Henry Edward Watts :

- Spain : Being a summary of spanish history from the Moorish Conquest to the fall of Granada (London 1893).

Hoenerbach (W.) :

- Loja en la época Nasri (M.E. A.H.) 1954.
- Spanisch - Islamische Urkunden aus der Zeit Nasriden Und Moriscos (Berkeley - los Angeles 1965).

Huelcl Miranda, Ambrosio :

- Las grandes batallas de la Reconquista durante las invasiones Africanas (Almoravides, Almohadas y Benimerines).

Idris, H.R., Les Zirides d'Espagne (Al Andalus Vol. XXXI (1964) fas. 1).

Isabel, A. Cienfuegos :

- La Hacienda de los Nasries Granadinos (M.E.A.H.) Vol. VIII 1959, fasc I.
- Sobre la economia en la Reino Nasri Granadino (M.E.A.H.) Vol VII 1959, fasc I.

Isidoro de las Cagigas :

- Los Mudejares
T. 1 Madrid 1948.
T. 2 Madrid 1949.

Janer, F. :

- Condicion de los Moriscos de Espana (Madrid 1857).
- De las joyas arabes de oro que se conservan en el Museo Arqueologico - Nacional, en Museo espanol de Antigüedades. t. IV. The Jewish Encyclopedia.

José Ferrandis Torres :

- Muebles Hispanoarabes de Taracera. (Al Andalus Vol. V 1940 fasc 2 pp. 459-465.)

José Lopez Ortiz :

- Fatwas Granadinas De Los Siglos XIV y XV (Al Andalus Vol. VI 1941 fasc I pp. 73-127.).

José y Manuel Oliver Hurtado :

- Granada y sus monumentos arabes (Malaga 1875).

José María Casciaro :

- El Visirato en El Reino Nazari de Granada. (Instituto Nocial De Estudios Juridicos (Madrid 1947).

José María Sanz Artibucilla :

- Los banos moros de Tarragona (Al Andalus Vol. IX, 1944) PP. 218-226).

José Vazquez Ruis :

- Un Calendario Anónimo Granadino Del Siglo XV.

Juan Manuel :

- El Conde Lucanor. ed E. Julia (Madrid 1933).

Juan De Mata Carriazo :

- Un Alcalde Entre los Cristianos y los Moros, En la Frontera De Granada. (Al Andalus Vol. XIII 1948 fasc. I.).

Kuhnel, E. :

- Loza hispanoarabe excavada en Oriente (Al Andalus Vol. II, 1942; pp 233-263).

Ladero Quesada, Miguel Angel :

- Granada, historia de un pais islamico. (Madrid 1969).
- La Repoblacion del reino de Granada anterior al año 1500, (Hispania nº 110, 1968).

Lafuene y Alcántra, "Emilio" :

- Inscripciones árabes de Granada (Madrid 1859).

Lafuente y Alcántra "Miguel" :

- Historia de Granada 4 tomos (Granada 1846).
- El libro del viajero en Granada (Granada 1843).

Laviox, H. :

- Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque National (Paris 1891).

Leon Africano, Juan : (Al-Hasan Ben Muh. Al Wazzan Al Fasi)

- Descripción de Africa y de las Cosas notables que en ella se encuentran. (Instituto General Franco 1952).

Lerchundi y Simonet :

- La Cresiometia arábigo espenola (Granada 1881).

Levi Della Vida, G. :

- Il Regno Di Granata nel 1465-66 nel ricordi di un viaggiatore Egiziano (Al Andalus Vol. I fasc 2 1933).

Lopez de Ayala Pedro :

- Crònica de los reyes de Castilla (Madrid 1779).

Lucien Leclerc :

- Historie de la Medecina arabe . 2 tomes (New York).

Manzono Martos, R. :

- Darabenaz, una alqueria mazari en la vega de Granda. (Al Andalus Vol. XXVI, 1961 fasc. 1 pp. 201-218).
- De nuevo sobre Darabenaz (Al Andalus vol XXVI, 1961, fasc. 2 pp. 448-449).

El Bano Termal de Alhama de Granada (Al Andalus Vol. XXIII 1958 fasc. 1).

Maria Jesus Rubiera Mata :

- El Medio Literario En El Emirato Nazari De Granada Durante La Primera Mitad Del Siglo XIV. (Ibn Al-Gayyab y Su Epoca). (Madrid 1973).

- El-Du-L-Wizaratayn Ibn Al-Hakim De Ronda (Al Andalus XXXIV 1969 fase I.)

Mariana; P. :

- Historia Granada de Espana (Madrid 1948).

Marcals, Georges :

- Manuel D'Art Musulman L'Achitecture Tunisie, Algerie. 2 Tomes (Paris 1927).

Màrmol Carvajal (Luis del) :

- Historia de la rebeliòn y Castigo de los Moriscos del reino de Granada 2^e ed, Madrid 1798. 2 Vol.

Martinez Lumbreras :

- Instituciones Politicas Del Reino Moro De Granada : El Visirato. Revista Del Centro de Estudios historicos De Granada y Su Reino pp. 77-92 ano I nùm 2 Granada 1911.

Martinez Montavez, Pedro :

- Islam y Cristianidad En La Economia Mediteranea De La Baja Edad Media (Moscu 1970).

Martinez Ruiz (J.) :

- Notas sobre el refinado del azùcar de Cana entre los Moriscos granadinos, Revista de Dialectologia y tradiciones populares. t. XX, 1964, Cuaderno 3^o.
- La indumentaria de los Moriscos segùn Pérez de Hita y los documetos de la Alhambra (cuadernos de la Alhambra, 3, Granada 1967, pp. 55-124.

Mayer, (L.A.):

- Bibliography of Moslem Numismatics, Oriental translation fund, New series, Vol. XXV, Royal Asiatic Society, 1950.

Melchor Antuna "Martinez":

- Conquista de Quesada y Alcaudete por Muhammad II de Granada (Religion y Cultura 1932).
- Una Version Arabe Compendiada De La "Estoria De Espana" De Alfonso El Sabio. (Al Andalus Vol I 1933 fasc I pp. 105-128.
- Abenjatima de Almeria y su tratado de la Peste, en Religion y cultural, Oct. 1928 pp. 68-90.

Molina Fajardo, E. :

- Caza en el recinto de la Alhambra, (Cudernos de la Alhambra 3, 1967).

Müller, Marcus Joseph :

- Beitrage Zur Ceschichte Der Westilchen Araber. Munchen 1866.
- Die letzten Zeiten Von Granada. Munchen 1863 .

Münzer (Jerónimo) :

- Viaje por Espana y Portugal (B.R.A.H.) 1924 t. LXXXIV.

Navagero, Andrea :

- Viaje a Espana del Magnifico Senor Andres Navagero (1524-1526) trad. José Maria Alonso Gamo (Valencia 1951).

Nemesio Morata :

- Un Catalogo De Los Fondos Arabes Primitivos De La Escorial. (Al Andalus Vol. 2 1944 fasc. I.).

Nevill Barnour :

- Al Andalus En las Crónicas Ingelesas De los Siglos Doce y Trece.

Nykl, A. R. :

- Inscripciones Arabes De La Alhambra y Del Generalife. (Al Andalus Vol. IV 1936 fasc I, pp. 174-194.)
- Hispano - Arabic Poetry. (Baltimore 1946).

Ocana Jimenez, Manuel :

- Tablas de Conversion de Datas Islamicas a Cristianas y Viceversa. (Madrid 1948).
- Repertorio de inscripciones arabes de Almeria (Madrid 1946).

Oliver Asin, Jalme :

- El vulgar Corcu De Quercus En Espana Musulmana. (Al Andalus Vol. XXIV 1959 fasc. I.).
- Origen arabe de Rebato y sus homonimos (Madrid 1928).

Pedro Longas :

- Vida Religiosa de Los Moriscos. (Madrid 1915).

Pérez de Hita, Gines :

- Guerras Civiles de Granada, publicada por Paula Blanchard - Demouge. 2 t. (Madrid 1913-1915).

Petri Hispani :

- De lingua Arabica Libri Duo. (Gottingae 1883).

Pons Boigues, Fransico :

- Los Historiadores y Geografas Arabigo - Espanoles. (Amsterdam, 1972).

Prescott, William II :

- History Of The Reign Of Ferdinand and Isabella The Catholic, Of Spain. In Three Volumes. London.

Prieto y Vives (Antonio) :

- La Formacion del Reino de Granada (Madrid 1927).
- De Como debio nahir el reno de Granada.

Primera Cronica General. Estoria de Espana que mando Componer Alfonso el Sabio y se Continuaba bajo Continuaba bajo Sancho IV, en 1289, publ. por Ramon Menendez Pidal. (Madrid 1906.)

Provencal, E. Levi:

- Un Nouveau Texte D'Histoire Merinide Le Musnad D'Ibn Marzuh. Hespéris T. V (1925) 1^{er} Trimestre pp. 1-82.
- Inscriptions Arabes D'Espagne. (Leyde - Paris 1931.)
- Le Voyage D'Ibn Battuta Dans le Royaume De Granada 1350. (Melanges William Marçais. Paris 1950.)
- Un "Zayal" Hispanique sur L'Expedition Aragononaise De 1309 Contre Almeria. (Al Andalus Vol. VI 1941 fasc 2 pp. 377-399.)
- La descripcion d'Espagne d'Ahmad al Razi (Al Andalus Vol. XVIII 1953).
- L'espagne musulman au X^{me} siècle, Intitutions et vie social (Paris 1932).
- Glossaire du traite de Hisba d'Ibn Abdoun, Journal Asiatique, 1934.

Rafaela Castrillo :

- Salobrena, Prisión Real De La Dinastía Nasrí. (Al Andalus Vol. XXVIII fasc II 1963. pp. 463-472).

Ramos Los Certelas, J. :

- El Cautiverio en la Corona de Aragón durante los siglos XIII, XIV, XV. (Saragossa 1915).

Renaud, H. P. J. :

- Un Médecin Du Royaume De Grenade Muhammad As Saquri. Hesperis 1946 Tome XXXII L^{re} - 2^e Trimestres pp. 31-44.
- Un Chirurgien musulman du Royaume de Grenade. Muhammad As safra. Hesperis XX (1955) fasc 1-2 pp 1-20, 1940 pp 97-98.
- Deux Ouvrages Perdus d'Ibn al Hatib. Hespéris 1949 Tome XXXIII 3^e (4^e Trimestres pp 213-225.

Riano, J. :

- La Alhambra (Revista de España XCVII, (Madrid 1884) pp. 189-190).

Revilla Vielva; R. :

- Catalogo de las antigüedades que se conservan en el patio árabe del Museo Arqueológico Nacional (Madrid 1932).

Ribera, Julian :

- La Enseñanza Entre los Musulmanes Españoles. (Zaragoza 1893).
- Historia de la Música árabe medieval y su influencia en la española (Madrid 1927).
- Manuscritos Árabes y Aljamiados De La Biblioteca De La Junta. (Madrid 1912).

- La Musica de las Cantigas. Estudio sobre su origen y naturaleza (Madrid 1932).

Robert Ricard :

- Espagnol et Portugais "Marlota", Recherches sur le vocabulaire hispanomauresque, (Bulletin Hispanique. t. 111, 1951).

Sanchez Albornoz, Claudio :

- La Espana Musulmana. (Buenos Aires 1960.) Segunda edicion.

Sanchez Cantòn, F. J. :

- Viajeros Espanoles En Orientes. (R. del Instituto Egipcio V.4 (1-2) 1956 PP. 19 y sig.).

Seco De Lucena Paredes, Luis :

- Una Rectificacion a la Historia de los Ultimos Nasries. (Al Andalus Vol. XVII fasc 1 1952.)
- El Barrio del Cenete, las alcazabas y las Mezquitas de Granada (cuadernos de la Alhambra vol 2 1966, pp. 43-51).
- El-Hayib Ridwan, La Madraza De Granada y las Murallas Del Albayzin. (Al Andalus Vol XXI 1956 fasc II.)
- Notas De Toponimia Granadina. (Al Andalus Vol XVII fasc I 1952). De Toponima Granadina (Al Andalus Vol XVI, 1951).
- La Granada Nazari Del Siglo XV. (Granada 1975.)
- Un Nuevo Texto En Arabe Dialectal Granadino. (Al Andalus Vol XX fasc I 1955).

- Notas Para El Estudio Del Derecho Hispanomusulman. (Miscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos 1956.)
- El Título Profesion de un Medico Del Siglo XV. (Miscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos 1954.)
- El Musulman Ahmad Ulaylas, Espia De los Católicos En la Corte Granadina. (Miscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos Vol. IX 1960 fasc I.)
- Cortesanos Nasries Del Siglo XV. (Miscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos. Vol VII 1958 fasc I.)
- Nuevas Rectificaciones A la Historia De los Nasries. (Al Andalus Vol XX fasc II 1955.)
- La Familia De Muhammad X El Cojo De Granada. (Al Andalus Vol XI 1946 fasc. II.)
- Actas Notariales Arabigogranadinos. (Miscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos V 1953.)
- De Toponimia Granadina Sobre El Viaje De Ibn Battuta Al Reino De Granada. (Al Andalus Vol XVI fasc I 1951.)
- Las Campanas De Castilla Contra Granada en El año 1431. (R. del Instituto Egipcio, Madrid (V, 4 (1-2) 1956 PP 79-120.
- Panorama Política Del Islam Granadino El Siglo XVº. (Miscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos. Vol IX 1960 fasc I.)
- Mas Rectificaciones A la Historia De los Últimos Nasries. (Al Andalus Vol XXIV 1959 fasc II.)

- Las Puertas De La Cerca De Granada En El Siglo XIV. (Al Andalus Vol VII 1942 fasc 2, pp 438-458.)
- Notas Para El Estudio De Granada Bajo La Dominacion Musulmana. (Granada M.E.A.H. Vol I 1952 pp 27-49.)
- Documentos Arabes Granadinos I Documentos del Olegio de Ninos Nobles. (Al Andalus Vol. VIII 1943 fasc 2 pp 415-429.)
- Documentos Arabigo Granadinos II. Documentos de las comendadoras de Santiago (1^{er} group). (Al Andalus Vol IX 1944 fasc I pp. 121-140.)
- La Sultana Madre De Boabdil. (Al Andalus Vol XII 1947 fasc II.)
- La Alhambra. (Granada 1920.)
- El Ejercito y la Marina de los Nazarics, (Cuadernos de la Alhambra n. 7 (Granada 1965).
- Notas Para El Estudio Del Derecho Hispanomusulman. Dos Fatwas De Ibn Manzur. (Miscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos T. V 1956.)
- Los Banu Asim Intellectuales y Politicos Granadinos Del Siglo XV. (Miscelanea De Estudios Arabes y Hebraicos 1953.)
- La Escuela De Juristas Granadinos En El Siglo XV (Miscelanea De Estudio Arabes y Hebraicos Vol VII 1959 fasc I.).

Scott, S.P. :

- History of the Mooish Empire in Europe. 3 vols. (Philadelphia & London 1904).

Simonet : " Francisco Javier"

- Descripcion Del Reino De Granada Bajo la Dominacion de los Naseritas. (Madrid 1860.)
- Discripcion Del Reino De Granada. Sacada De los Autores Arabigos. (Granada 1872.)
- Glosario de Voces Ibericas y Latinas Usadas Entre Los Mozarabes Precedido de un Estudio Sobre El Dialecto Hispano Mozarabe. (Asterdam 1967.)
- Historia de los Mozarabes De Espana. (Madrid 1897-1903.)

Soledad Gibert :

- Un Tratadito De Ibn Jatima. (Al Andalus Vol XVIII fasc I 1953.)
- Abu - L - Barakat Al-Balafiqi, Cadi, Historiador y Poetsa. (Al Andalus Vol XXVIII fasc I 1963, pp 381-424.)

Suarez Fernandez (L.) :

- Juan II y la frontera de Granada. (Valladolid 1954.)

Torres Balbàs, Leopoldo :

- Damasco y Granada. (Al Andalus Vol VI 1941 fasc 2, pp., 461-469.)
- Mozarabias y Juderias De las Cuidades Hispano-musulmanas. (Al Andalus Vol XIX fasc I 1954.)
- Las Mazmorras De la Alhambra. (Al Andalus Vol IX 1944 fasc I.)
- El Maristan De Granada. (Al Andalus Vol IX fasc II 1944.)
- La Alhambra de Granada antes del siglo XIII (Al Andalus Vol. V, 1940).

- El Puente Del Cadi y La Puerta De Los Panderos En Granada. (Al Andalus Vol II fasc 2 p. 357 1934.)
- La Puerta de Bibirambra de Granada. (Al Andalus Vol IV 1936 fasc I pp. 195-198.)
- Plazas, Zocos y Tiendas De las Cuiudades Hispano-musulmanas. (Al Andalus Vol XII fasc II 1947.)
- Alcaicerias. (Al Andalus Vol XIV 1949 fasc II.)
- Estructura De las Cludades Hispanousulamas. La Medina, los Arrabales y los Barrios. (Al Andalus Vol XVIII fasc I 1963.)
- Las Alhondigas Hispanomusulmans y El Corral Del Carbon De Granada. (Al Andalus Vol. XI fasc II 1964.)
- Ars Hispaniae, Historia Universal Del Arte Hispanico Vol. IV. Arte Almohade - Arte Nazari - Arte Mudejor. (Madrid 1949.)
- Hojas de Puerta de una Alhacena en el Museo de la Alhambra de Granada. (Al Andalus Vol III 1935 fasc pp. 438-442.)
- Atarazanas Hispanomusulmanas . (Al Andalus Vol XI 1946 fasc I.)
- Rabitas Hispanomusulmans. (Al Andalus Vol XIII fasc II 1948.)
- La Mezquita Mayor De Granada. (Al Andalus Vol X 1945 fasc II.)
- La Mezquita Real De la Alhambra y El Bano Frontero. (Al Andalus Vol. X 1945 fasc I.)
- Cementarios Hispanomusulmanes. (Al Andalus VOL. XXII 1957 fasc I.)
- La Alhambra y el Generlife (Madrid 1953).

El Cementario Real de los Nazaries en Mondujar. (Al Andalus 1942, Vol. VII, fasc 11, pp 269-281).

Aspectos De Las Cuidades Hispanoomusulmanas. Instituto de Estudios Islamicos, (Madrid 1954, Vol. 2.)

Los Baraseros De La Alhambra. (Al Andalus Vol II 1934 fasc 2 p. 389.)

Plantas De Casas Arabes En La Alhambra. (Al Andalus Vol. II 1934 fasc 2 p. 381.)

La Acropolis Musulmana De Ronda. (Al Andalus Vol. IX 1944 fasc 2 p. 454.)

Gibraltar, llave y Guarda de Espana. (Al Andalus Vol. VII 1942 fasc I pp. 168-216.)

Con Motivo Unos Planos Del Generalife De Granada. (Al Andalus Vol. IV 1936-1939 fasc 2, pp. 436-445.)

Antequera Islamica (Al Andalus Vol XVI (1951) fasc 2 p. 437.)

La Musrara. (Al Andalus Vol XXIV 1959 fasc II.)

Restos de Una Casa arabe en Granada. (Al Andalus Vol X, 1945 fasc I pp 170-177.)

Animales de Juguetes (Al Andalus Vol. XXI, fasc 2 1956 pp. 373-375.)

Esquema Demografico De la Ciudad De Granada. (Al Andalus Vol XXI fasc I 1956.)

Ajimeces. (Al Andalus Vol XII, 1947, fasc I, pp 415-427.)

Musalla, y "Sari A" En las Cuidades Hispanomusulmanas. (Al Andalus Vol XIII fasc I 1948.)

Las Casas del Partal de la Alhambra de Granada (Al Andalus Vol XIV 1949 pp 180-197.)

Algunos Aspectos De la Casa Hispanomusulmana: Almacerias, Algorfas y Saledizos. (Al Andalus Vol. XV fasc I 1950)

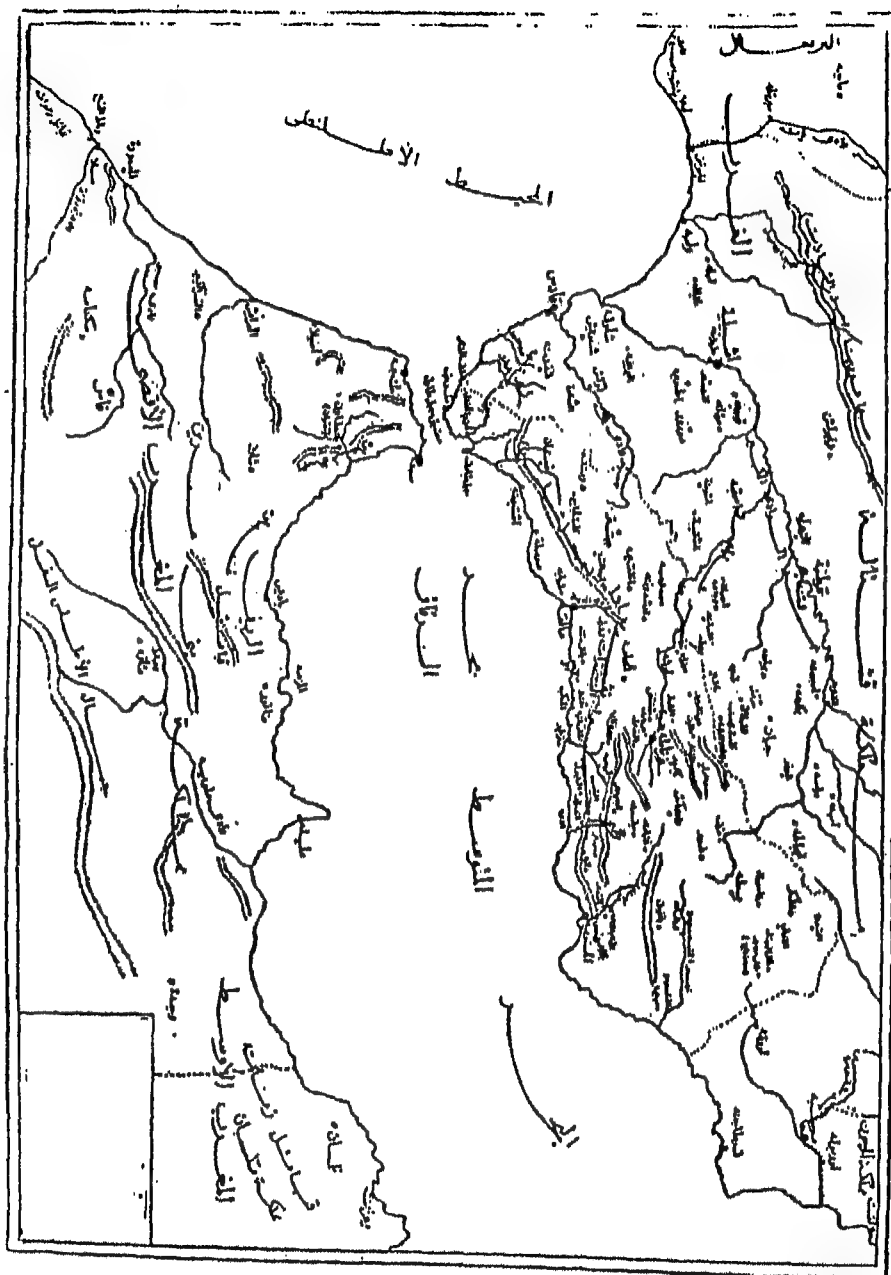
Los Banos publicos en los fueros municipales espanoles (Al Andalus Vol XI 1949 fasc 2, pp. 443-445.)

Trend, J. B. :

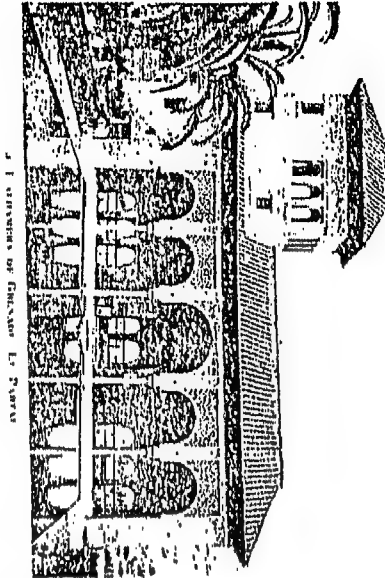
- The Civilization Of Spain. (London 1944.)

Zurita, Geronimo :

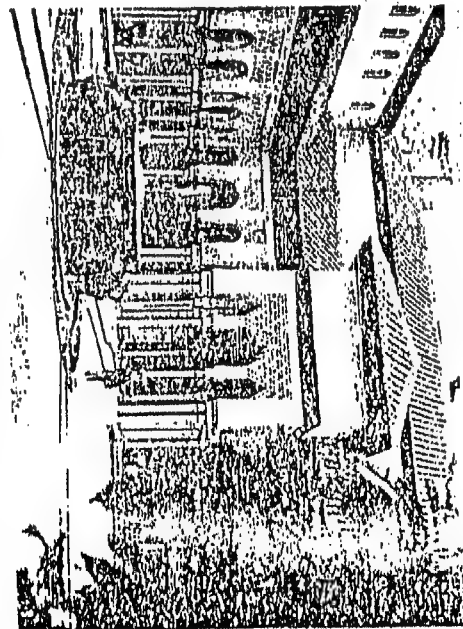
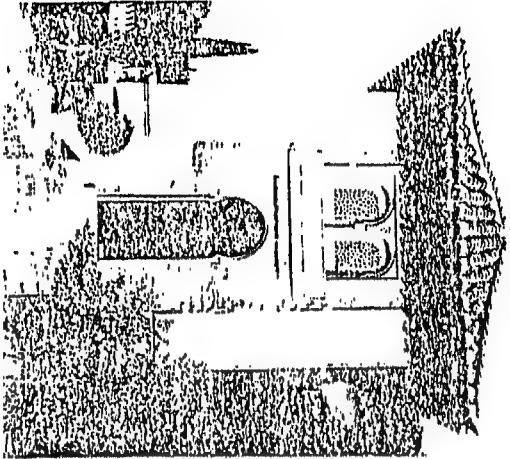
- Los anales de la Corona de Aragón (Zaragoza 1688).



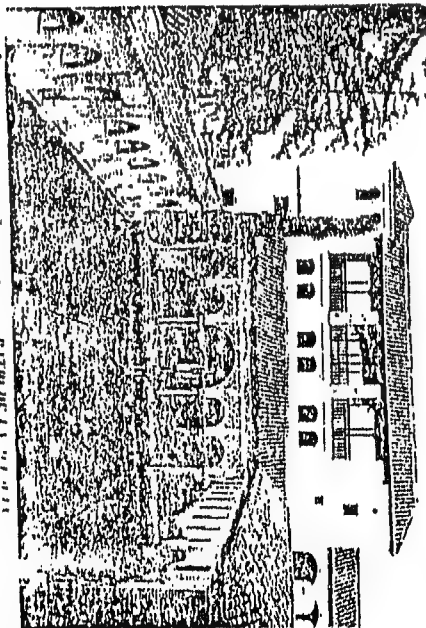
الإقليم الشرقي في عهد سلاطين بني الأحمر



J. J. SHAW'S OF CHICAGO, L. P. 1870

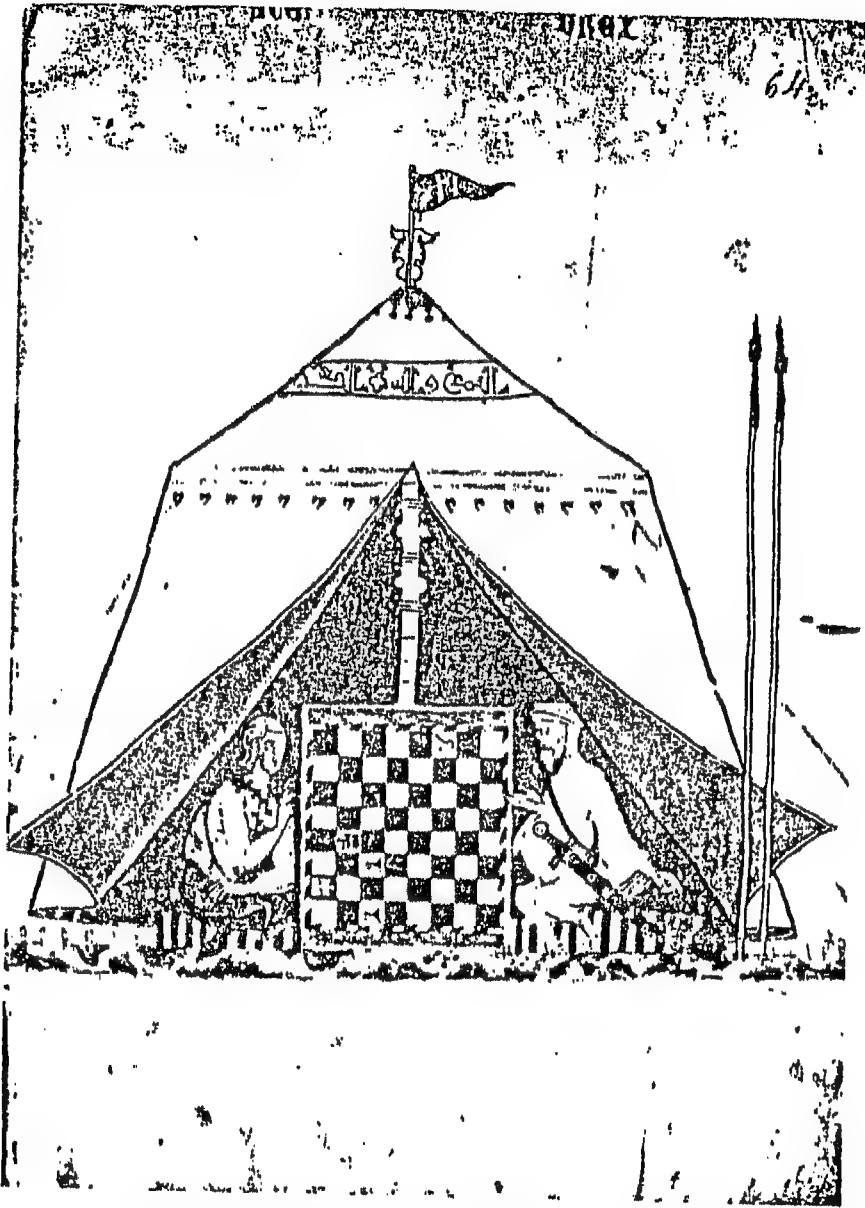


LA. 1870, 1871, 1872



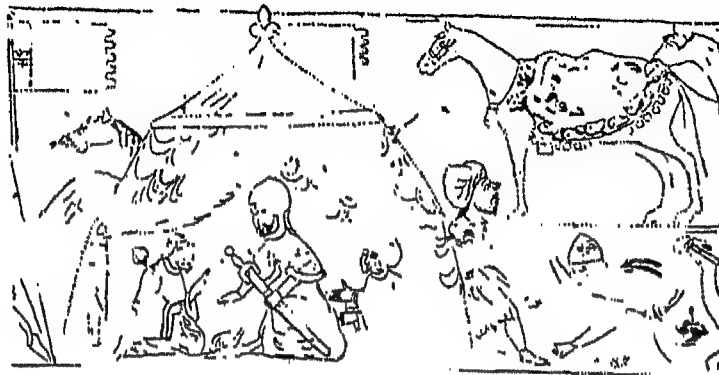
LA. 1870, 1871, 1872

PLAN HE III

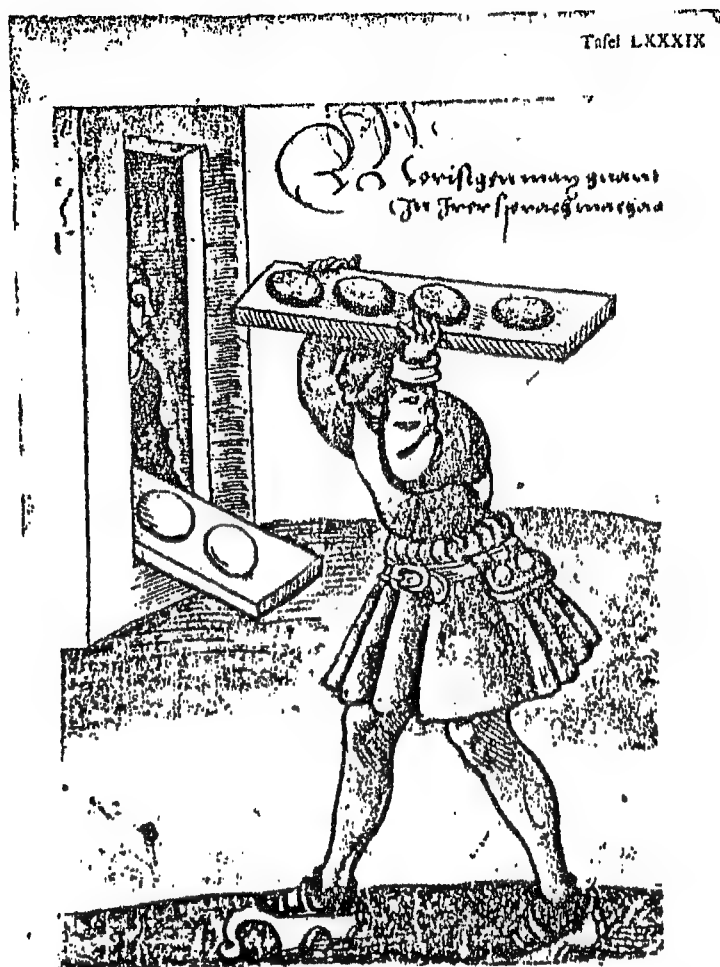


Miniature du *Libro del Ajedrez* (Bibliothèque du Monastère de l'Escurial.)
Fol. 61 recto.

رسم من كتاب الشطرنج



تفصيلات من قصر البرطل بالحمراء ويظهر فيها بعض ملابس أهل غرناطة



Morisco als Brotträger
Morisco carrying bread
Morisco llevando pan

LÁMINA VI: Morisco llevando pan, según Weiditz (Foto Manuel CASAMAR)

موريسكى يحمل خبزاً (عن فايدتس)

AL-ANDALUS, XXIV, 1

LÁMINA 2



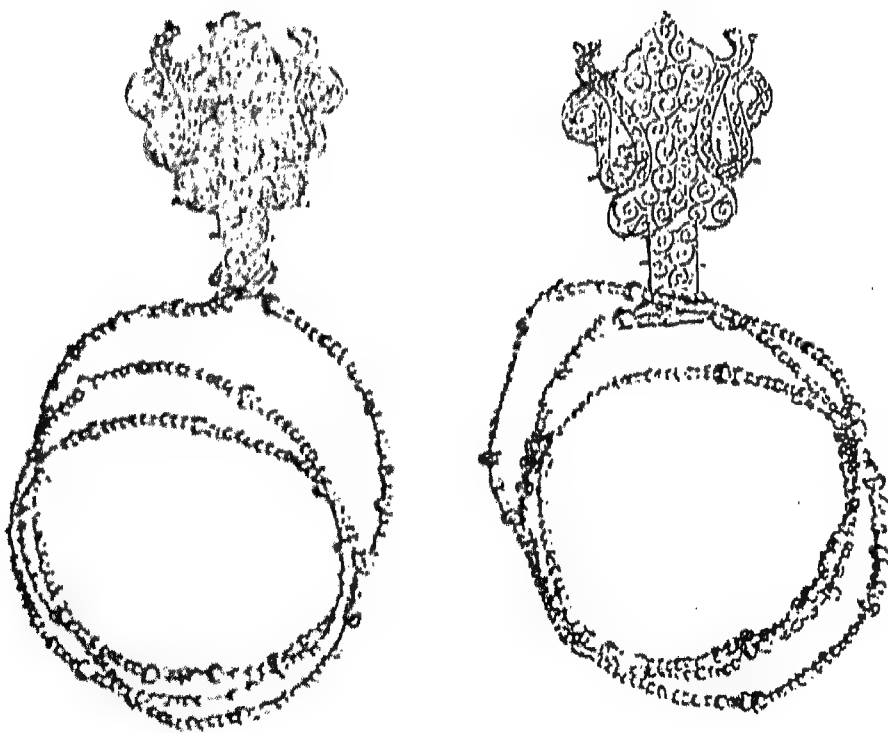
Tafel LXXXII



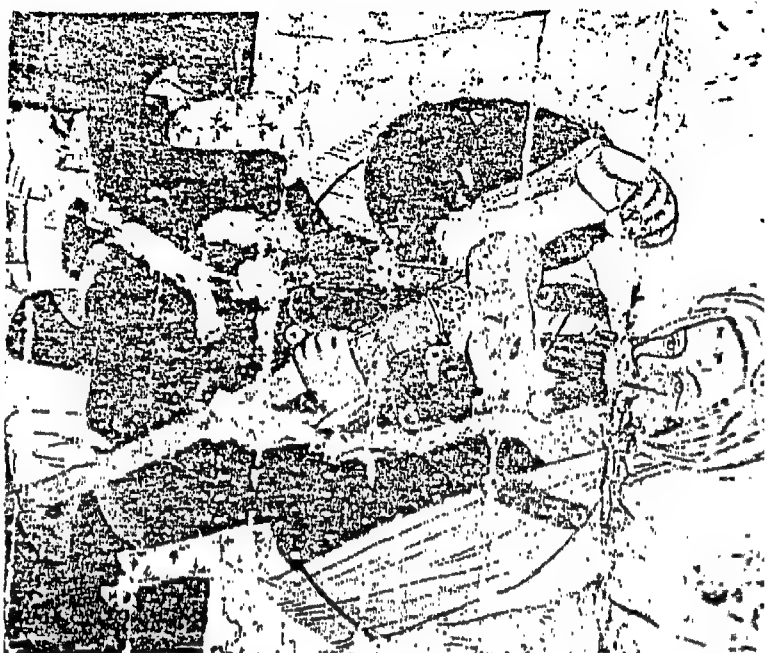
Wie die Morisken-Frauen ihr Haus kehren
Moriscas women sweeping their houses
Mujeres moriscas barriendo su casa

LÁMINA IV: Mujer morisca barriendo su casa, según Weiditz (Foto Manuel CASAMAR)

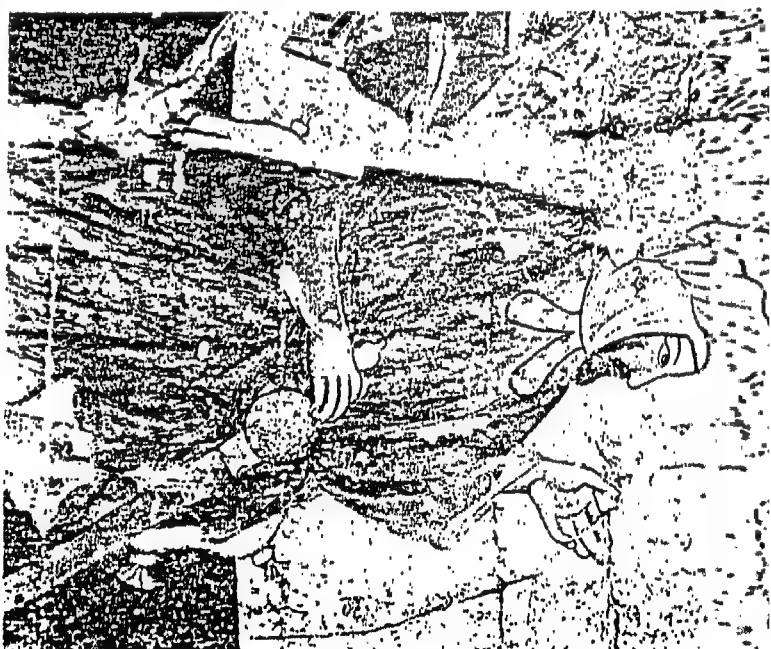
امراة موريسكية تقوم بكنس منزلها هن فيييدز



حلى من العصر النصرى



2-4. DETAINS DE LA VOÛTE CENTRALE DE LA SAÛLE DE THERIA
GRENADA, MEXIQUE



تفصيلات من القبة الرئيسية لصالة التريونال بالمكسيك



لوحۃ قتل تسلیم غریزۃ و تظہر بہا ملائیس المسلمین



The Morisca Dance

1911. Morisca

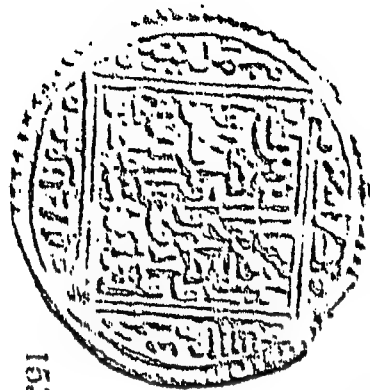
Quesada, 1911

LÁMINA VI: Danza morisca, según Weiditz (Foto Manuel CASAMAR)

رقصة موريسكية من فينيز



152



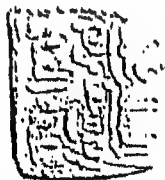
155



158



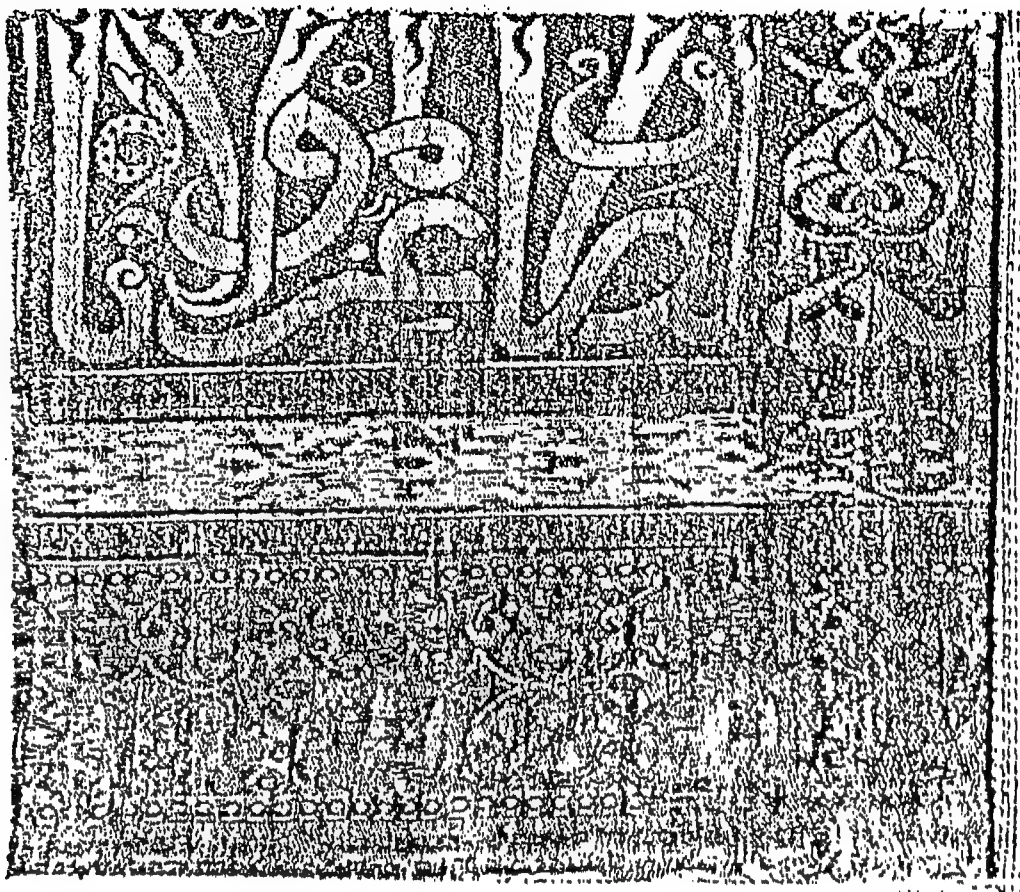
159



157



علائ غنائیہ



قطعة من النسيج الغرناطي من القرن الرابع عشر "متحف لاثارو جرانادينو مدريد"

الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع

٢	-تصدير بقلم الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى
٤	- مقدمة
١٤	- دراسة حول مصادر ومراجع البحث
	- مملكة بنى الأحمر فى غرناطة:
٢٧	مقدمة سياسية

الباب الأول

غرناطة : أرضها وشعبها

٤٨	الفصل الأول : وصف مملكة غرناطة
٤٨	- الوصف الجغرافى
٥٤	- غرناطة العاصمة
٥٥	- أرباض غرناطة وأحيائها
٥٧	- العمارة الدينية فى غرناطة
٦٠	- العمارة المدنية فى غرناطة
٦٥	- مقابر غرناطة
٦٩	الفصل الثانى: الحياة الإجتماعية فى مملكة غرناطة
٧٠	- الشعب الغرناطى
٧٤	- ملابس أهل غرناطة
٨٥	- الحلى وأدوات الزينة والجمال

٨٨	- الأضمة والأشربة
٩٣	- المرأة الغرناطية
٩٧	- العادات والتقاليد
١٠٨	- المنزل الغرناطى
١١٣	- اللهجة الغرناطية
١١٦	- الأعياد والاحتفالات
١٣٥	- أهل الدمة فى غرناطة

الباب الثانى

نظم الحكم والإدارة فى مملكة غرناطة

	- السلطان :
١٥١	- تنصيب السلطان
١٥٤	- شارات الملك وألقابه وعلاماته فى غرناطة
١٥٦	- مهام السلطان
١٦٥	- الحياة الخاصة للسلطان
١٦٨	- الأوضاع المالية للسلطان
١٧٣	- المقابر الملكية
١٧٣	
١٧٥	- الوزير:
١٨٢	- اختصاصات الوزير
١٨٦	- الكاتب
١٨٩	- الدواوين
١٩٠	- القضاء:
١٩٩	- قاضى الجماعة فى غرناطة

٢٠١	- الشهود العدول
٢٠٢	- الحسبة
٢٠٦	- الشرطة
٢٠٩	- نظام الإدارة فى الأقاليم
٢١٣	- الحياة الحربية فى مملكة غرناطة:
٢١٣	- الروح الحربية لدى الشعب الغرناطى
٢١٧	- التحصينات والمنشآت الدفاعية
٢٢٠	- الجيش الغرناطى
٢٢٤	- جيش الغزاة المغاربة
٢٣٠	- الشعراء والوعاظ
٢٣٠	- الجواسيس
٢٣١	- الأدلاء
٢٣١	- عدد الجند
٢٣٢	- ملابس الجند وأسلحتهم
٢٤٠	- عرض الجيش
٢٤١	- الخطط والتكتيكات الحربية
٢٤٤	- البحرية فى مملكة غرناطة:
٢٥٢	- قادة الأسطول
٢٥٣	- استعراض الأسطول ورجاله
٢٥٤	- الأربطة والمرابطون

الباب الثالث

الحياة الاقتصادية فى مملكة غرناطة

٢٥٨	- غلاء المعيشة فى غرناطة
٢٥٩	- الأسعار ومستوى المعيشة فى غرناطة

٢٦١	- الإدارة المالية فى مملكة غرناطة
٢٦٣	- مصادر الدخل
٢٧١	- سكة غرناطة
	- التجارة فى مملكة غرناطة:
٢٧٤	أ. التجارة الداخلية:
٢٧٨	* قيسارية غرناطة
٢٧٩	* الموازين والمكايل والمقاييس
	ب. التجارة الخارجية:
٢٨٦	* العلاقات التجارية بين غرناطة وأرجوان
٢٨٧	* العلاقات التجارية بين غرناطة وقشتالة
٢٨٨	* العلاقات التجارية بين غرناطة والمدن الإيطالية
٢٩٢	- الزراعة فى مملكة غرناطة:
٢٩٤	- أنواع الملكية الزراعية
	- المنتجات الزراعية
٢٩٥	١- الحبوب الغذائية
٢٩٦	٢- الفاكهة والأشجار المثمرة
٣٠٠	٣- النباتات الطبية والعطرية
٣٠١	- الرعى وتربية الحيوان فى غرناطة
٣٠٢	- صيد السمك فى مملكة غرناطة
	- الصناعة فى مملكة غرناطة:
٣٠٤	- صناعة النسيج
٣٠٧	- صناعة الأبسطة والسجاد
٣٠٧	- الصناعات الجلدية
٣٠٨	- الأوانى الفخارية وصناعة الخزف والزجاج
٣٠٩	- صناعة العاج والتطعيم

- ٣١٠ - الصناعات المعدنية
- ٣١٠ - الصناعات الغذائية
- ٣١٢ - صناعة الأسلحة
- ٣١٢ - صناعات أخرى

الباب الرابع

الحياة الفكرية فى مملكة غرناطة

- ٣١٦ - المدرسة النصرية
- ٣٢٠ - العلاقات الثقافية بين غرناطة ودولة الممالك
- ٣٣٠ - العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس
- ٣٣٦ - العلاقات الثقافية بين غرناطة والدولة الحفصية
- ٣٤٠ - العلاقات الثقافية بين غرناطة والدولة الزيانية
- ٣٤٢ - العلاقات الثقافية بين غرناطة واسبانيا المسيحية
- أهم العلوم فى مملكة غرناطة:
- ٣٤٣ - علوم الدين
- علوم اللغة والأدب:
- ٣٥٠ * الشعر والموشحات
- ٣٥٩ * المقامة
- ٣٦١ * النحو
- العلوم الاجتماعية:
- ٣٦٢ * علم التاريخ والمؤرخون
- ٣٦٧ * الجغرافيا والرحلات
- ٣٦٩ - العلوم العقلية
- ٣٨١ - المصادر والمراجع
- ٤٣٢ - الفهارس



مديرها . محمد بسيوني
خلف ١٦٦ ش فرنسا ٤٨٠٩٠٠٥ الاسكندرية

